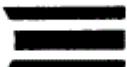


الدكتور علي علي مصطفى صبح

المذاهب الأدبية:
في الشعر الحديث
جنوب المملكة العربية السعودية



مطبوعات
PUBLICATIONS



الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
جدة - المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الناشر

تهمامة

جدة ، المملكة العربية السعودية
ص.ب . ٤٤٤ - هاتف . ٢٣٣٣٣٣٣

المذاهب الأربعة
في الشرع العظيم
لجنوب المكلا بحرير العصورة

مقدمة

الحمد لله تعالى الذي جعل الاسلام عقيدة وشريعة .. والصلة والسلام على خير خلق الله ... كان خلقه — عليه السلام — القرآن الكريم .. « وإنك لعلى خلق عظيم » .

في العصر الحديث عاد إلى الشعر العربي وجهه المشرق ، وأصالة العربية الإسلامية العربية في جميع أنحاء العالم الإسلامي والعربي ، فأوتوت إليه الأصالة بعد الزيف والإسفاف ، والحيوية والتتجدد بعد الجمود والتقليد . والإبداع والابتكار بعد النقل والتكرار .. والتحرر والرجوع إلى الذات بعد التقيد والتبعية .

وهذا نال الشعر العربي الحديث عناية الباحثين والدارسين ، لتحديد الدوافع للأصالة وعراقتها ، وإبراز خصائصه وسماته .. واتجاهاته ومدارسه .. وطابعه ومنذاهيه ، وخاصة في المجالات التي لم تل عنابة الباحثين ، لما تحتاج إلى جهد في تيسير الوسائل والأسباب ، وتذليل العقبات والصعبيات .

والشعر في « المملكة العربية السعودية » حتى الآن من المقول البكر ، التي تضطر إلى التوقف والتأمل كثيرا ، وإلى البحث والدراسة ، ولا زال الشعر السعودي يحتاج إلى التقييم والتحليل والنقد والموازنة ، للتعرف على خصائصه الفنية ، ومدارسه الشعرية ، ومنذاهيه الأدبية .

والدراسة التي دارت حوله حتى الآن أخذت اتجاهها واحدا نحو الحركة الفكرية والتاريخ الأدبي ، في مؤلفات نادرة ذات الطابع التاريخي في أدب المملكة عامة أو أدب الجنوب خاصة ، أو أدب نجد وغيرها^(١) .

(١) مثل : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين . دار صادر بيروت ١٣٩٣ - ١٩٧٣ . واقتصر المؤلف على ذكر بعض أسماء الشعراء في الجنوب لا غير — ومثل كتاب الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية إلى عام ١٣٥١ - ١٩٣٢ تأليف عبد الله محمد حسين أبو داهش — دار الأصالة بالرياض ١٤٠٢ هـ ، واقتصر المؤلف على شعراء التقليد فقط دون بقية المناهض الأخرى وبالبحث في معظمها تاريخ فكري وأدبي . ومثل شعراء الجنوب : للعقل والسوسي واقتصر المؤلف على شعراء التقليد أيضا .

وهذا الاتجاه في الأدب عامه ، يختلف في منهجه وغايته عن الاتجاه في هذا البحث ، فقد اختص بالشعر ، لا بالأدب عامه ، ولا في تاريخ الشعر بالملكة ، بل في العصر الحديث ، ولا بالشعر الحديث في المملكة كلها ، بل في شعر منطقة متميزة من مناطقها المتنوعة ، التي تختلف باختلاف الطبيعة وواقع البيئة ، وليس في شعر الجنوب « منطقة الجنوب » في جميع ما يتصل به لأدنى ملابسة ، بل في جزئية واحدة فقط من اتجاهات الشعر الكثيرة وروافده المتعددة ، بل في المذاهب الأدبية الحديثة في شعر الجنوب ، ومدارسها التي تنتهي إليها ، وهذا هو موضوع البحث .

ولم يكن هذا الاتجاه عن طريق الصدفة ، بل كانت من ورائه دوافع قوية متعددة الجوانب ، من أهمها الاتجاه « الأكاديمي » للبحوث في كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود في أنها ، والتي أعمل فيها عضواً من هيئة التدريس .. وهو البحث في البيئة ، التي تحملت أعباء المؤسسات العلمية والجامعة ومراسك بحوثها ، على النطاق الذي تقوم عليه الأقسام العلمية في حقول التجارب العملية لدراسة البيئة في عسير من خلال مركز البحث للكلية .. ومن هنا المنطلق « الأكاديمي » تحدد اتجاه البحث .

وعندما تكاملت فكرة البحث تقدم به « مركز البحث » مع بحوث أخرى للاشراك العلمي في الاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة على « جامعة الملك سعود » ورسالتها العلمية « اليوبيل الفضي » في عام (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) ^(١) .

ثم ثمت عناصر البحث ونكمالت ، ونضجت معالله ، وتحددت أبعاده فتدفقت روافده بين صفحات هذا الكتاب ، ليعبر عن التجربة الواقعية التي عشتها في « منطقة الجنوب » للمملكة العربية السعودية .

ومن وراء هذا كله كان الشعر في الجنوب يبحث على الدراسة ، والاستماع به .. وهو شعر ينبع من منطقة متميزة بروعة بيتها ، وسحر الطبيعة فيها ، والتنوع في مجالها ، فهي بحق كأوصافها المملكة : بأنها من أهم المصايف للدول الخليجية .

ومن هنا كان مجال البحث محدوداً ، لأنه في منطقة واحدة متميزة ، وفي شعرها البكر ، الذي لم يتعرض للبحث حتى الآن ، وفي جانب واحد من الشعر لا في شتي الجوانب ، التي تتعلق به في المنطقة .

وبيني منذ البداية أن يكون النتيج واضحًا للقاريء الكريم ، فالنتيج يحدد الاتجاه والغاية التي تنتهي بالنتائج ، فيميز المذاهب الأدبية ، ويحدد اتجاهها وقيمة ، ليحكم بالتقليد ، أو التجديد ، أو الإبداع .

(١) رسالة فرع الجامعة : كلية التربية في أنها - العدد السابع ١٤٠٢/١١٨ - ١٣/١١٣ م في الحوار الذي أجراء عبد الله دليم مع د . لطفي بركات أحد مدير مركز البحث من ٣١/٢٧

فالقيم المنهجية التي سرت عليها كانت — بالدرجة الأولى — نابعة من واقع الشعر في المنطقة حسب تطوره التاريخي فيها ، ثم تستنتج النتائج وهذا هو الأساس الأول والأصل في منهج البحث والوصول إلى الغاية منه .. أما علاقة الشعر بالتيارات المعاصرة ، والمناهج الأدبية العامة في الشرق وفي الغرب كانت تابعة للأساس الأول ، ورافضاً واحداً من روافده .

والحكم على المدرسة في منهاها الأدبي بالتقليد أو المحافظة ، أو التجديد ، أو الابداع يصدر أيضاً نابعاً من الاستقراء للشعر المنشور والمشهور ، ومن خلال التصنيف بين شعراء الجنوب وحدهم ، فالتقاويم بينهم يتم حسب المذهب الأدبي في مدرسته ، لا بين غيرهم من شعراء المملكة ، وقد يتفرق شعراء المملكة جديعاً في المناهج الأدبية المتباينة ، وحيثذا يكون من الممكن أن يتنسب كل شاعر إلى مدرسته الأدبية تبعاً لاختلاف مذاهبهم وتطبيقاتها على الشعر الحديث عامة ، وهذا مجال لبحث مستقل آخر .

ومن الجازفة أن يكون البحث شاملـاً للمذاهب الأدبية في شعر المملكة لأسباب من أهمها : أنها ستكون دراسة غير دقيقة ، لا تعتمد على جزئية واحدة في مجال البحث العلمي ، وأنها أيضاً ستواجه العقبات الصعبة في الاستقراء أو الاستقصاء لهذا الشمول ، على العكس من الجزئية في هذا البحث ، وأن الدراسة أيضاً تتلزم تحديد أبعد الجزرية ، لتنفذ طريق العمق والبناء السامي ، وإلا كانت الدراسة مسحاً سريعاً كالعنود وشولاً خاطفاً كسرعة البرق .

ومن الممكن بعد الوصول إلى الغاية من البحث أن يصح تطبيقها على نظائرها من المذاهب الأدبية في بعض المناطق الأخرى للمملكة بنفس التخصص والاستقراء ، لأن معظم الرواقد التي تغنى الشعر فيها واحدة غالباً إلا رواقد خاضعة لبيئة المنطقة وخصائصها الطبيعية والبشرية ، ولو لم تكون البيئة والطبيعة فاصلاً ومتيناً ، لما تميز شعر الجنوب بسحر الطبيعة وروعة البيئة ، كما تميز شعراء الحرمين بالشعر الإسلامي والوجوداني بخصائص تميز به كل من المنطقتين فيما بينهما ، كما تميز كل منها عن المناطق الأخرى .

وجمع مادة الشعر هنا ليس سهلاً ، لا من شعراء المنطقة الذين ذهبوا مع الخالدين ، فلم تكن لهم دواوين منشورة ، وإن كانت — وهذا نادر — فتكاد أن تخفي عن الأنظار كالكتنز الدفين ، فمن الصعب الحصول عليه ، ولا من كبار الأحياء من الشعراء المشهورين لعقبات لا تقل عن العقبات السابقة منها أن الديوان يطبعه الشاعر لحسابه ، أو يقوم النادي الأدبي بطبعه ، وفي كلتا الحالتين يكون التوزيع محدوداً ، يعتمد على المدايا الشخصية غالباً ، ولم يبق أمامي إلا وسائل الاتصال المختلفة والشاقة ، وعلى سبيل المثال : ديوان « القلائد » للسنوسى أبرز شعراء الجنوب ، نشر منذ أكثر من عشرين سنة فلم تجد منه إلا نسخة واحدة خاصة بالشاعر نفسه ، ضرب عليها الحصار ، حتى يعيد الطبع للمرة الثانية ، وتكررت مثل هذه المحاولات في جمع مادة البحث .

والمناهب الأدبية التابعة من مدارسها المختلفة ، والتي انتهت إليها ، مذاهب ليست شرقية ولا غربية بل صدرت عن واقع الشعر في الجنوب ، فقد يكون اتجاه المدرسة في مذهبها غريباً في أول الأمر ، مثل مدرسة « التجديد المحافظ » أو مدرسة « التحرر في التجديد » ، لكن بعد التوغل في أعماق المدرسة لا نجد غرابة ، بل نجد أن القيم الفنية نبتت في المدرسة من الشعر ذاته .

لها جعلت المدارس الأدبية في شعر الجنوب هي مدرسة « التقليد المتحجر » ومدرسة « المحافظين الحرفيين » ، ومدرسة « التجديد المحافظ » ، ومدرسة « التحرر في التجديد » ولكل مدرسة اتجاهها وأسسهها ، وخصائصها الفنية وشعراؤها ، وأغراضها وأسلوبها ، وتصویرها الأدبي وميزانها الندلي .. في خطة للبحث تسير على النحو الآتي :

أولاً : الإهداء .

ثانياً : مقدمة البحث .

ثالثاً : تمهيد .. في توضيح العوامل التي أثرت في المناهب الأدبية — البيئة في جنوب المملكة العربية السعودية سالطنة الساحرة في جنوب المملكة العربية السعودية .

رابعاً : أبواب البحث وفصوله :

الباب الأول : مدرسة المحافظين

الفصل الأول : التقليد : خصائصه — شعراؤه

ويضم هذه الموضوعات : مدرسة التقليد المجردة من الموهبة الشعرية — سليمان بن سحمان وابنه صالح بن سليمان — الشاعر علي السنوسى — الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى — شعراء آخرون .

الفصل الثاني : مدرسة المحافظين

ويشمل هذه الموضوعات : خصائصها الفنية — شعراؤها — الشيخ محمد سرور الصبان — الشاعر معيس بن علي البختيان — شعراء آل الحفظى .

الفصل الثالث : شعراء آل الحفظى

ويضم أشهر الشعراء — شعرهم في الميزان — التصوير الشعري وخصائصه الفنية — الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية .

الباب الثاني : مدرسة التجديد المحافظ

الفصل الأول : الخصائص الفنية لمدرسة « التجديد المحافظ »

ويضم الموضوعات : أصول المحافظة على عمود الشعر العربي — دعائم التجديد وخصائصه الفنية — شعراء مدرسة المجددين المحافظين .

الفصل الثاني : الشاعر محمد بن علي السنوسي

ويشمل : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الأدبية في شعره وخصائصها الفنية — التصوير الأدبي — خصائص الألفاظ والأساليب — خصائص الوزن والقافية — التشخيص في التصوير الأدبي — الروح الإسلامية في التصوير الأدبي — الصورة الخيالية وخصائصها الفنية — الوحدة الفنية — موازنة ونقد .

الفصل الثالث : الشاعر محمد بن أحد العقيل

ويضم : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الشعرية والتصوير الأدبي لها — المدح وخصائصه الفنية — الشعر الوطني وخصائصه الفنية — الشعر الإسلامي وخصائصه الفنية — الشعر في الحضارة العلمية وخصائصه الفنية — الشعر الوجданى وخصائصه الفنية — الوصف وخصائصه الفنية — الأناشيد .

الفصل الرابع : الشاعر زاهر عواض الأنطوني

ويشمل : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الشعرية وخصائصها الفنية — التجربة الشعرية — المناسبات في الشعر — الصدق الفني — الألفاظ والأساليب — الخيال وصورة الجريئة — الوحدة الفنية .

الفصل الخامس : الشاعر يحيى إبراهيم الأنطوني

ويضم : نشأته وحياته — الأغراض الأدبية في شعره — المدح وخصائصه — الشعر الوجданى وخصائصه — الشعر الإسلامي وخصائصه — الرثاء وخصائصه — وقفات مع الشاعر في التصوير الأدبي — التصوير الأدبي — البديع والضرورات — معالم الجنوب في شعره — الوحدة الفنية وخصائصها .

الفصل السادس : شعراء آخرون

ويضم : الشاعر علي حضران القرني — الشاعر علي عبد الله مهدي — الشاعر جبران محمد حسن قحيل — شعراء آخرين .

الباب الثالث : مدرسة التحرر في التجديد

الفصل الأول : الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد

ويضم : التمييز بين « الرومانسية » الإبداعية وبين التحرر في التجديد — عوامل تكوين مدرسة التحرر في التجديد — الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد .

الفصل الثاني : الشاعر أحمد العسيري

ويضم : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية — التصوير الأدبي — التجربة الشعرية — الألفاظ والأساليب — خصائص الخيال والصور الشعرية — الموسيقى الشعرية — شاعرية العسيري في ميزان النقد .

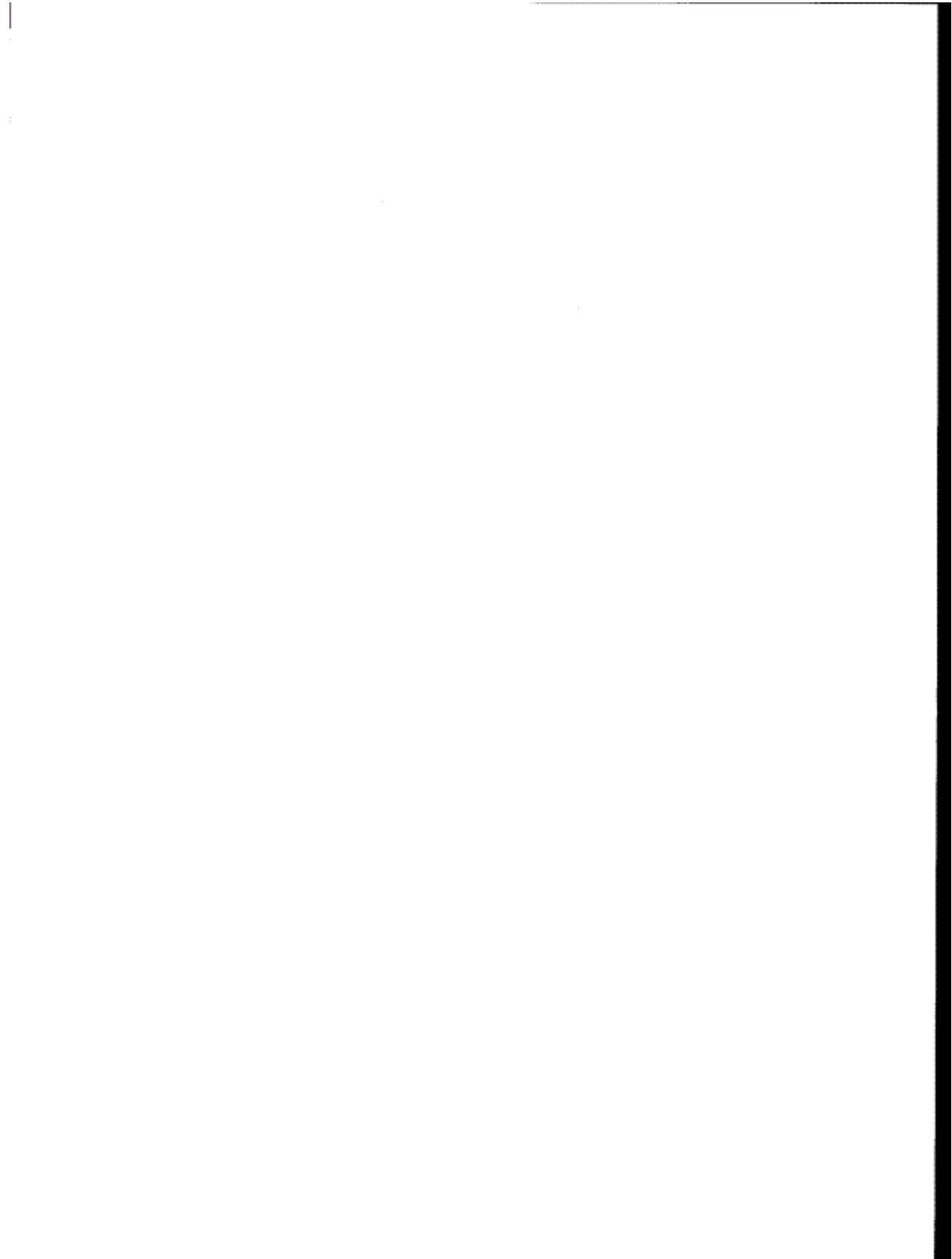
الفصل الثالث : الشاعر أحمد بهكل

ويشمل : نشأة الشاعر وحياته — الأغراض الأدبية في شعره — التصوير الشعري — بين الوجداني الذاق والالتزام الموضوعي — الوحدة الفنية في شعره — الشخص في التصوير الشعري — الخيال والصور الأدبية — إيقاع الموسيقى .
والله سبحانه وتعالى أسائل أن ينفع به .

المؤلف

تَحْصِيلٌ

- ١- العوامل التي أثرت في المذاهب الأردنية.
- ٢- البيئة في هنوب المملكة العربية السعودية.
- ٣- الطبيعة الساحرة في هنوب المملكة العربية السعودية.



الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وشعر جنوبيها بصفة خاصة ، تأثر بواقعه الذي عاش فيه ، وببيته التي نبع منها ، ومن يواكير هذه المؤثرات : دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، التي حررت العقيدة والانسان ، والفكر والاتجاه والمدف ، فظهر شعر الدعوة ، وكان منطلقاً للتحرر من قيود الجمود ، والتخلف ، والركاكة ، والفهماء .. وما شابه ذلك^(١).

ثم تابعت مؤثرات أخرى ، نبت من واقع النهضة الكبرى للمملكة العربية السعودية ، والوثبة المذهلة التي غيرت مجرى الحياة : كوحدة الانسان لبناء الوطن ، وتحقيق المدف لإعادة بناء الأمة الاسلامية الجديدة ، فيعود لها وجهها المشرق كما كانت في الماضي .. والاهتمام بالتعليم في شتى مراحله ، وبالصحافة ، وبالجلالات ، وبالاذاعة المسماومة والمرئية ، وكذلك العناية بالطبع ودور النشر ، وإحياء التراث وجمعه من أقطار العالم الاسلامي وغيره ، والاهتمام بالمكتبات العامة الخاضعة للمؤسسات المختلفة ، والمكتبات الخاصة بالعلماء والأدباء والشعراء .

ومن أحدث المؤثرات في الأدب السعودي الحديث ، هو التجاوب الفكري والثقافي والعلمي والأدبي مع التيارات الأدبية المعاصرة ، والمناهض التقديمة الحديثة . في مصر ، والعراق ، والشام ، وبلاد المغرب ، ثم الانفتاح أمام المناهض الأدبية والنقد في الغرب ، والتأثير بمجهودها ، واتجاهاتها ، وتطبيع ما يتاسب مع القيم الاسلامية والערבية الأصيلة ، وطرح ما يتجرأ مع الفطرة الشرقية الملهمة .

لأشك أن التجاوب الفكري والأدبي كان أظهر وأقوى مع المناهض الأدبية العربية العرقية ، التي أبعت في الأرض الخصبة للعروبة والاسلام ، مثل التأثير بمدارس الحافظين ، ومدارس المجددين ، ومدارس المبدعين ، كالتأثير بمدرسة الديوان ، ومدرسة أبيلو ، ومدرسة المهاجرة العرب ، ورابطة الأدب الحديث ، والمتفردین في الشعر ، وغير ذلك .

ذلك هي المؤثرات العامة التي أثرت في الأدب السعودي ، ويؤكد يسيطر عليه مؤثر ظاهر ، له دور خطير وعظيم وقوى ، وهو سادة التيار الاسلامي فيه ، ورسيانت الشريعة الاسلامية بين جوانبه بصفة خاصة^(٢).

(١) انظر : الأدب الحجازى في النهضة الحديثة . نهضة مصر - القاهرة ١٩٤٨ ، الوحدة الاسلامية : زيد بن فياض . مطابع القصيم ١٣٨٨ هـ ، دورنا في الكفاح : حسن عبد الله آل الشيخ : مطابع خد : الرياض ١٣٨٣ هـ .

(٢) انظر : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : د . يكريم شيخ أمين . دار صادر بيروت . طبعة ثالث ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، قصة الأدب في الحجاز : محمد عبد المنعم خفاجة وعبد الله عبد الجبار دار مصر - القاهرة ١٩٥٨ ، والتيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية : عبد الله عبد الجبار وغيرها .

وبعد ذلك يأتى مؤثر متتميز في شعر الجنوب ، نبع من واقع البيئة العربية العريقة ، وهو ما يتميز به أدب الجنوب : من جمال الموقع ، وسحر الطبيعة ، وكرم السماء ، وتعانق السحب ، وفراحة الجبال ، وبقاعة الأكام ، وعمق الأدبية ، ورحابة السهول ، وتتدفق السيول ، وتراسل الشلالات ، وشموخ الأشجار المتعانقة ، وعندوبة المياه الرغافة ، وتلاحم البسيط الخضراء على قمم الجبال وفي السهول على السواء ، في طبيعة أخاذة ، وحياة ساحرة ، وهواء طرى منعش ، ومناخ متقارب تلاحم فيه فصول السنة في توافق وانسجام ، فلا تدرى في أى فصل تكون ، مع ما يتمتع به أهل الجنوب من بروء الطبيع ، ودماثةخلق ، وسعة الأفق ، وحدة المكان ، وغير ذلك مما يليهم الشعراء ، ويعين على التأثير السريع بالذاهب الأدية ، التي تعشق الطبيعة ، وهي بمجمال الكون ، وتذهب في سحر الحياة ..

ويحتاج هذا المؤثر المتميز الأخير إلى توضيح أكثر للبيئة ، التي نبت فيها شعراء الجنوب (منطقة : الجنوب) ، حيث تتواعد فيها مشارب الشعراء وتتدفق روافدهم من منابعها الصافية العذبة ، واختلفت اتجاهاتهم الأدية ومدارسهم الشعرية .

(الجنوب) منطقة واسعة ، تصل مساحتها إلى ربع المملكة العربية السعودية ، يقطنها سكان كثيرون ، في عشرة آلاف قرية تقريبا ، وعاصمتها أبها ، ترتفع عن سطح البحر الأحمر بسبعينة ألف قدم ، وفي القرى تكثر الزراعة .. والبساتين لأصناف كثيرة : من الحبوب ، والفاكه ، والخضروات .

الأشجار الكثيفة والغابات المختلفة توجد في بعض مناطق الجنوب ، مثل منطقة السودة ، وتهليل ، والباحة ، وتنية ، وعهامة ، والقرعاء ، والجرة ، والمحالة وغيرها . أما مناخها فتشبه مناخ لبنان في سحره وجماله في الصيف والخريف ولاسيما في جبال السراة ، وفي الشتاء والربيع تشتد البرودة ، ويغطى الضباب جيابها وقرابها أثناء الربيع من حين آخر^(١) .

ويصف الأستاذ يحيى إبراهيم الألعنى السودة وتهليل ، التي ترتفع تسعة آلاف قدم : « فانك تشعر بجمال الطبيعة ، وكأن حسنا ، لما يتوفى فيها من مناظر خلابة ، وأماكن شاعرية أخاذة ، غابات تعانق فيها الأشجار الخضراء الخضلة ، وربات ترى فيها الأهرار المورقة ، ذات الألوان المختلفة ، وتفرح منها رائحة عطرية عبة ، تتسارع في أجواء تلك الأماكن العالية .. ومن أشجارها المعروفة الوافرة : البنسان ، والأثل ، والعرعر ، والأقحوان ، وعندما يهب النسم ، نسم الصبا ، وتشرق شمس الأصيل على تلك الروانى والمرتفعات الشاهقة ، تمزج هذه العطور الفواحة مع الرذاذ الذى يتتساقط على الأرض كالسر أو المؤلؤ ، من أثر العطل ، حيث تذم تستمتع بمنظر جميل

(١) النظر : في ربوع عسير : محمد عمر . المعهد الجديد - القاهرة - ١٩٥٤ ، تاريخ عسير في الماضي والحاضر . هاشم بن سعيد النعى .

(٢) رحلات في عسير : يحيى إبراهيم الألعنى .

أخذ ، يرغمك على التجوال بين غابات لا ترى لها نهاية ، وربما صادفك في طريقك ما يشبه الشلالات ، التي تتدفق منها المياه الرقراقة العذبة ، وتتساب فيها الجداول الصغيرة الصافية .. أما تهامة وأخص بالذكر منها جهات معروفة ، فهي معتدلة ، لا حرّ ولا بردّ ولا سامة ، وفيها كثير من الأشجار الباسقة ، ويعتمد معظم أهلها على الزراعة ، ولا تخلو جبالها أيضاً من مراعي الأرانب والعقاب ، ومماعي الحجل والغزلان ، وفيها من الطيور : البلبل ، والخياري ، والعنديب ، والخضاري ، والهدى ، والبومة » .

في هذه البيئة الساحرة نبتت ونمّت مؤسسات علمية وأدبية راسخة في ظلال المملكة الرشيدة المعطاءة ، كان لها الدور الكبير في تعميق الجوانب الفكرية والثقافية ، وتوسيع المجالات العلمية والأدبية وهذه المؤسسات الفلمية هي جامعة الملك سعود (الرياض) سابقاً ، فرع أنها ، وتضم كلية التربية ، وكلية الطب ، ثم كلية الشريعة وأصول الدين ، وكلية اللغة العربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، التابعين لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ثم الكليات المتوسطة للبنين والبنات التابعة لوزارة المعارف السعودية ، ثم النادي الثقافي والاجتماعي والرياضي والأدبي في جيزان وبيشة ونجران وخميس مشيط ، وأحد رفيدة والباحة وأبها وغيرها ، ولقد اشتهرت في ثلوات كثيرة في بعض هذه النوادي مثل نادي (ضمك) بخميس مشيط ، ونادي (جرش) بأحد رفيدة ، وفي أبها وغيرها .

واشتهرت في حفل افتتاح (نادي أبها الأدب) حين شهدت أبها حفلها تارياً في يوم ١٤٠٠/٣/١١ هـ : (نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - أمير منطقة عسير - افتتح صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز - وكيل إمارة منطقة عسير - نادي أبها الأدب) في تمام الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء الموافق ١٤٠٠/٣/١١ هـ بحضور عدد كبير من المسؤولين والمتخصصين وأبناء المنطقة^(١)

وفي هذا الحفل حث المسؤولون الشباب والأدباء على الإبداع العلمي والأدبي ، قال صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر : (فلقد اهتمت حكومتنا الرشيدة ، وعن طريق احدى مؤساتها .. لإنشاء ورعاية وتأسيس النادي الأدبي ، وقامت على دعمها بكل ما يسعدها لتحقيق أهدافها ، والتي على رأسها بعث تراث هذه الأمة الجميلة وأدبها وعلومها ، ودعم كافة الطاقات الشابة وحفزها لتقديم ما عندها من قدرات على الانتاج والإبداع العلمي والأدبي)^(٢) .

وباسم المؤسسات الجامعية العلمية في الجنوب تحدث الدكتور مزيد إبراهيم عميد كلية

(١) كلمات وقصائد : نادي أبها الأدب . المقدمة : مطبعة عسير ١٤٠٠ هـ .

(٢) المرجع السابق من ٦ ، ٥ .

التربيـة فـأـبـها قـفـالـ : (لا يـسـعـنـا الـيـمـ إـلـاـ نـشـكـرـ اللهـ عـزـ وـجـلـ ، وـخـنـ نـشـهـدـ تـدـشـينـ هـذـهـ المؤـسـسـةـ الأـدـيـةـ التـقـافـيـةـ ، التـىـ تـعـتـبـرـ لـبـنـةـ أـسـاسـيـةـ فـيـ كـيـانـ الصـرـحـ التـقـافـيـ فـيـ مـنـطـقـةـ عـسـيرـ .. أـمـاـ المـجـتمـعـ فـعـلـيـهـ أـنـ يـدـرـكـ أـيـضـاـ اـنـتـهـاءـ الـعـمـيقـ هـذـاـ الجـزـءـ مـنـهـ ، أـلـاـ وـهـوـ مـؤـسـسـاتـهـ التـقـافـيـةـ ، فـهـيـ كـاـنـ وـرـدـ الذـكـرـ ، لـمـ تـوـجـدـ إـلـاـ خـدـمـتـهـ ، وـهـيـ الـمـصـرـ الـأـسـاسـيـ الـذـيـ يـمـدـ بـالـقـوـةـ الـبـشـرـيـةـ الـمـوـهـلـةـ لـلـمـسـاـهـةـ فـيـ تـقـدـمـ الـبـلـادـ وـازـدـهـارـهـاـ)^(١) .

وـمـاـ ذـكـرـهـ فـيـ كـلـمـتـهـ الـأـسـتـاذـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللهـ الـحـمـيدـ رـئـيـسـ النـادـيـ : « وـخـنـ فـيـ هـذـهـ المـنـطـقـةـ الجـمـيلـةـ الـمـعـطـاءـ .. الـمـوـحـيـةـ بـالـأـفـكـارـ الـبـنـاءـ وـالـأـخـيـلـةـ الـشـعـرـيـةـ الـصـافـيـةـ .. أـحـوـجـ مـاـ نـكـونـ إـلـىـ مـلـقـيـ فـكـرـ يـجـمـعـنـاـ .. وـمـنـتـدـىـ أـدـبـ نـغـذـىـ بـهـ أـرـواـحـنـاـ »^(٢) .

ثـمـ تـفـجـرـ شـاعـرـيـةـ الـأـسـتـاذـ أـمـدـ فـرـحـ الـعـبـيـلـانـ - مـديـرـ اـدـارـةـ الـأـنـدـيـةـ بـالـيـابـاـ - فـأـنـشـدـ قـصـيـدـتـهـ مـنـ وـحـيـ السـاعـةـ ، بـعـونـ : « أـبـهاـ الشـاعـرـةـ » :

سلم على أـبـهاـ وـحـيـ جـاهـماـ وـاسـلـاـ عنـ السـحـرـ الـحـلـالـ جـاهـماـ
نـفـسـيـ الـفـداءـ هـاـ رـبـوـعـ فـضـائـلـ
تـتـشـرـفـ الـأـرـوـاحـ أـنـ تـهـدـيـ هـاـ
أـنـشـدـ عنـ الطـهـرـ الـعـفـيفـ نـسـاءـهـاـ
وـاسـلـاـ عنـ الـخـلـقـ الـشـرـيفـ رـجـاهـماـ
بـأـنـ يـأـمـيـ لـيـهـاـ وـغـاهـماـ
أـلـدـ فـيـهـاـ وـالـظـبـاءـ سـوـانـخـ
قدـ كـنـتـ أـحـسـبـنـ كـبـرـتـ عـلـىـ الـهـوـيـ
حـتـىـ رـأـيـتـ ظـبـاءـ أـبـهاـ رـئـماـ
وـإـذـ الـوـقـارـ يـلـمـنـىـ وـيـقـولـ لـىـ
لـوـلـاـ وـفـقـائـ لـلـرـيـاضـ وـأـهـلـهـاـ
أـوـ كـنـتـ أـتـرـكـهـمـ هـنـاكـ وـأـمـهـمـ
أـبـهاـ مـصـيفـ الـطـيـبـينـ يـوـمـهـاـ
بعـضـ الـمـاصـاـفـ ضـلـلـةـ وـفـضـائـعـ
حـوـرـيـةـ السـرـوـاتـ أـنـ تـمـوذـجـ
فـيـ روـضـ أـبـهاـ كـلـ شـيـءـ شـاعـرـ
وـلـحـكـمـةـ رـزـقـتـ أـمـيـراـ شـاعـراـ
وـالـشـعـرـ عـبـرـ عـصـورـهـ أـنـشـودـةـ
مـاـ أـرـوـعـ الـآـدـابـ إـنـ هـيـ أـنـهـلتـ
أـنـاـ لـمـ أـنـلـ فـيـ الـعـمـرـ صـحـةـ خـالـدـ
لـكـنـ سـمعـتـ الـحـمـدـ مـنـ نـاهـماـ

(١) المرجع السابق : ١٣ ، ١٢

(٢) المرجع السابق : ٨

(٣) صحـ النـادـيـ بـالـصـفـيقـ وـالـضـحـكـ .

ما كان أحل نظمها وصفاتها
نشرت على قمم الجبال ظلاماً
غراء يسبق فعلها أفالها
يتفاني الشرف الرفيع ظلاماً
لا تعجبن فخالد من أسرة
عفوا شغلت بخالد عن فيصل
حرس الإله حياته وأطافها
نور على نور بجانب خالد
بها غدت أنها تسوق دلала^(١)
ومن أشهر مناطق الجنوب : أنها ، وتهامة عسير ، أو رجال ألمع ، وبلاط الحجر ،
والناص ، وتليث ، وجاش ، وظهران الجنوب ، وبلاط بلقرن ، وبلاط شهرا ، ومحائل ، وجازان
وغيرها ، وترجع القبائل فيها إلى أصول العدنانية والقططانية ، وأشهر من فيها : رجال ألمع ، وأآل
حفظى ، وبني عمرو ، وبني الأحرر ، وبني الأسر ، وبني مسعود ، وبني شهرا ،
وغيرهم .

ذكر الهمدانى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ بلاد الحجر : (أن عيل من أوطان عسير ، ويقع في
بلاد بنى الأحرر ، وهم من رجال الحجر بن الهنون بن الأرد)^(٢) .

وقال الهمدانى أيضا : (أول بلاد الحجر من يمانها عيل : واد فيه الجبل ، ساكنه
بني مالك بن شهر . وصبح وادى زرع ، وباطنه بهوان : وادى زرع وأعناب ، ساكنه بنو
شهر)^(٣) .

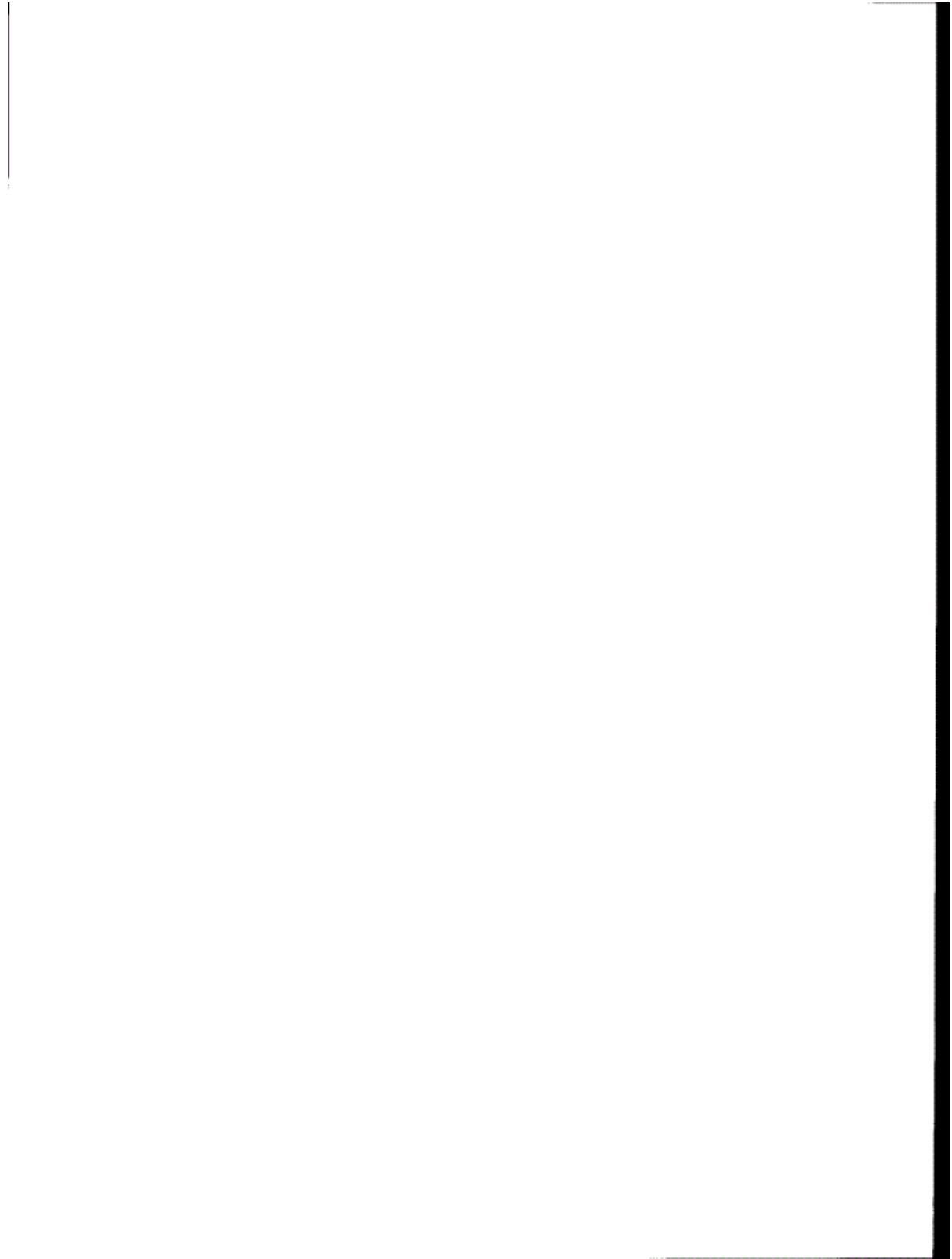
وفي الحجر نشأ الشنفرى الأزدى العداء المشهور ، صاحب اللامية التي أوطاها :
أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإني إلى قوم سوامِل لأمِل^(٤)
في هذه الطبيعة الساحرة ، والبيئة الأحاذة ، من الشعر الحديث في الجنوب ، بالأطلوار التي
مرت بالشعر السعودى بصفة عامة ، وانخذل في سياق التاريخى مراحل متعددة في التطور
والتجدد ، ويمثل في كل مرحلة من مراحله مدرسة فنية ، ومنذها أدبها ، يتميز بخصائصه
وحاته ، ومن خلال هذه المدارس الأدبية بزرت معالم المناهج الأدبية في هذا الشعر ، وستفصل
القول في أشهر هذه الاتجاهات المدرسية في شعر الجنوب وذلك في الأبواب والقصols التالية :

(١) المرجع السابق : ٢٧ ، ٢٣

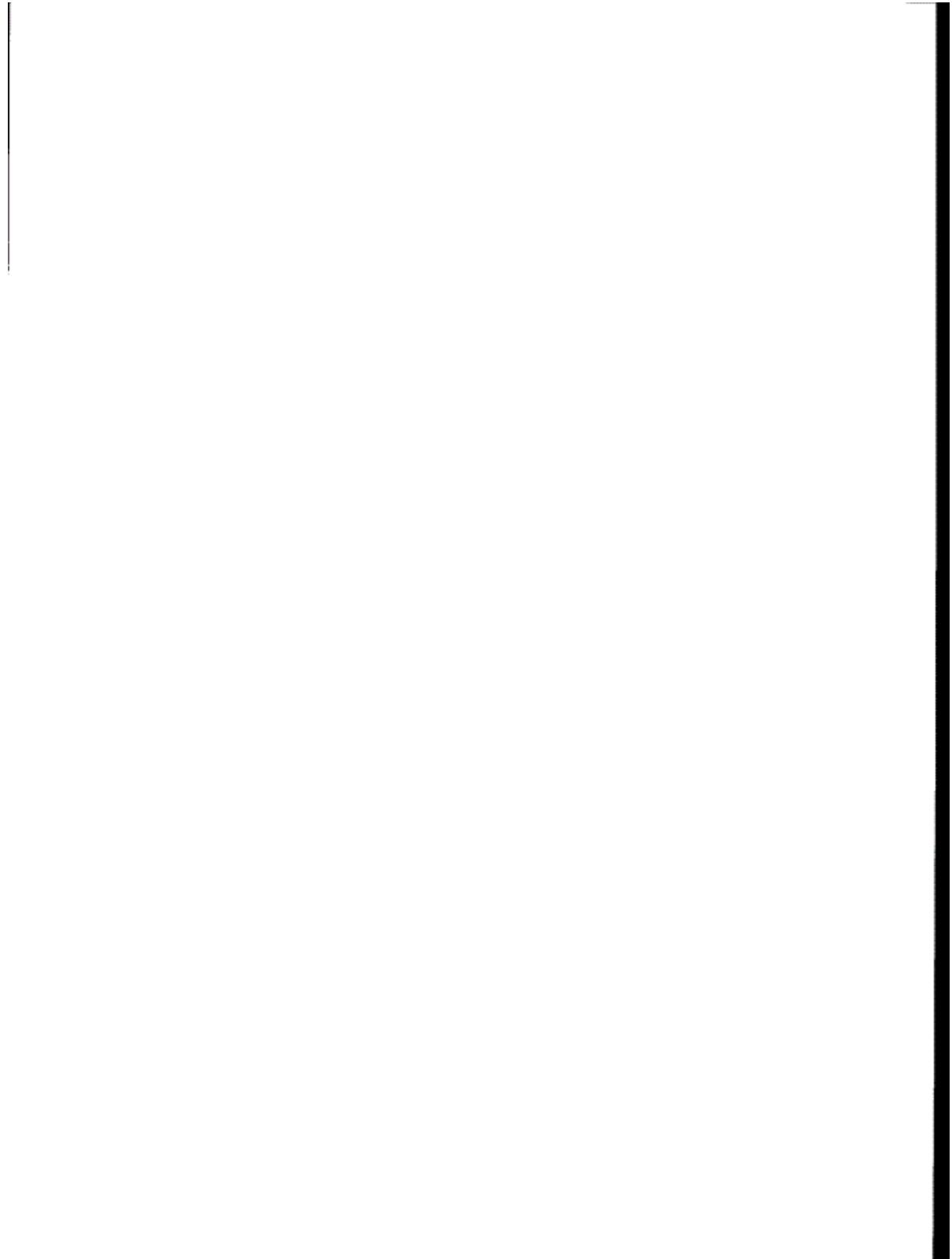
(٢) صفة حزبة العرب : تحقيق محمد بن بلعيد الحداد من ١١٨

(٣) المرجع السابق : ١٢١

(٤) انظر في : ربيع عسير : محمد عمر رفع - وانظر : تاريخ الخلاف السليمانى : محمد أحد العقيل - السراج المبرى في سيرة
أمراء عسير : عبد الله بن عل بن مسفر - تاريخ عسير في الماضي والحاضر : هاشم سعيد النعى - في بلاد عسير : فؤاد
حرزة - الحياة الفكرية والأدبية : عبد الله محمد أبو داهاش - دار الأستانة - الرياض .



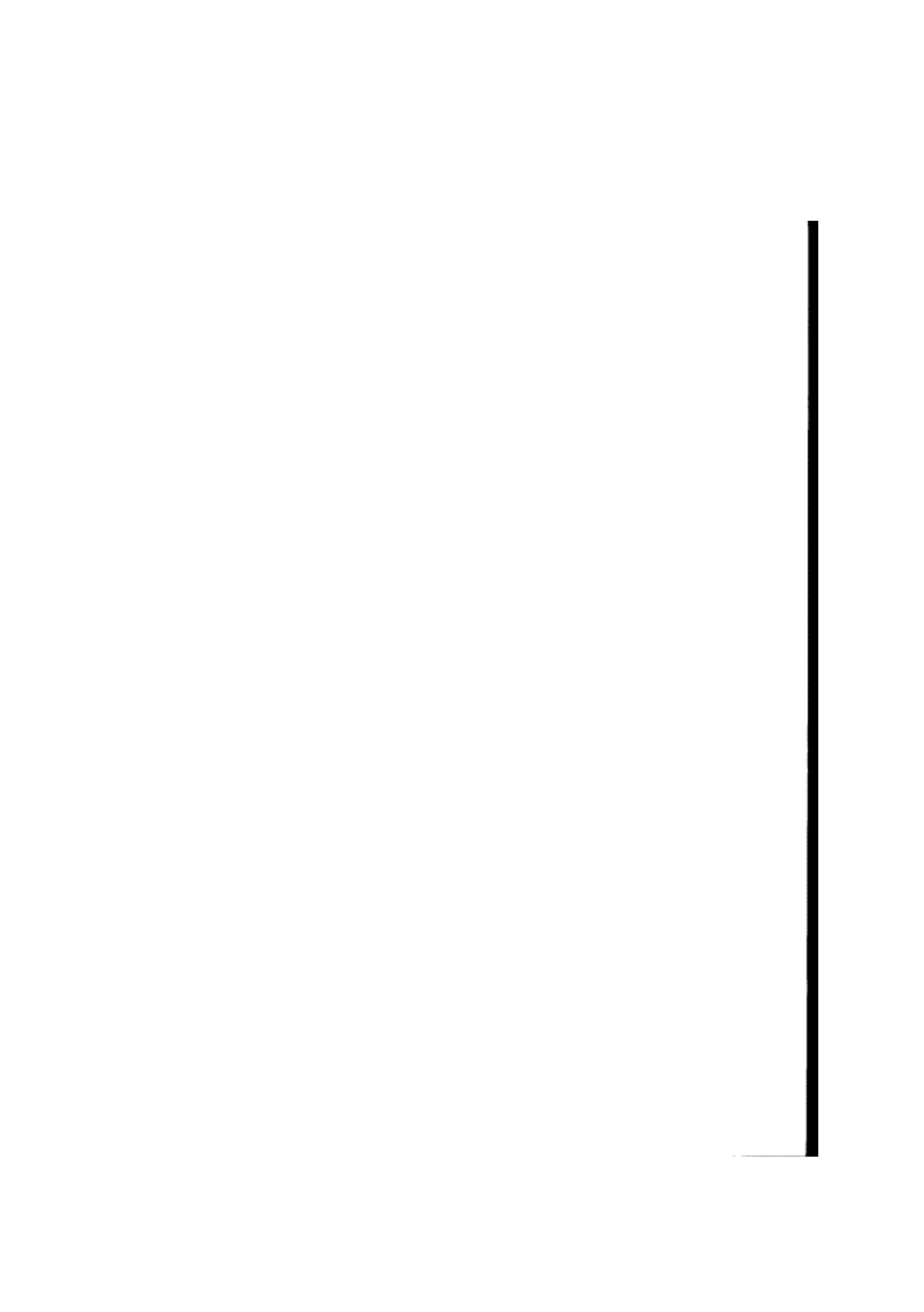
الباب ^٩ الأول
مَدْرَسَةُ الْمُحَافِظِينَ



الفصل الأول

التقليد خسائره - شعراً وله

- ١- مدرسة التقليد المجرد من الموهبة الشعرية .
- ٢- سليمان بن سحمان وابنه صالح بن سليمان .
- ٣- الشاعر عاصي السنسي .
- ٤- الشيخ محافظ بن احمد الحكيم .



مدرسة التقليد المجرد من الموهبة الشعرية :

أصحابها هم الذين عكروا على حاكاة الشعر ، الذى دار في تلك العصر ، فقد ساد فيه الضعف الفكري والركود الأدى ، وضحالة الثقافة ، وخمود العاطفة ، وبلادة المشاعر والأحساس ، وجودة الحياة ، مما كان له آثاره الماكرة على الفكر والأدب ، فاصططع الشعر بالتكلف والتصنّع ، واشتغل الغرام بألوان البديع الباهتة ، وزادت المبالغة في التصوير ، حتى زاغ المعنى ، وضل الهدف ، وتکائف الزخرف في الأسلوب وأنقال الزينة ، فناء بحمل المعنى المراد ، واختفت شخصية الشاعر الفنية ، فتجدد الشعر من العاطفة الجياشة ، والأحساس الرقيقة ، والمشاعر الحية ، والمخواطر الذاتية ، وشرف المعنى ، ونبيل الهدف ، وأصبح الأدب لا يثير العاطفة عند الآخرين ، ولا يحرك مشاعرهم ، ولا يترى فكرهم ، ولا يرى أدواتهم ، ولا يثير نسمة المناسفة بين المتعلمين إلى الأدب ، مما أدى إلى فقر ساحة الأدب والشعر ، وجدب المواهب ، وانهيار النوق الأدى ، وعزوب الأديب ، وندرة الشاعر^(١) .

هذه خصائص الجمود في الشعر ، تسربت سومه القاتلة إلى شعر المقلدين من شعراً جنوب المملكة ، الذين سلكوا هذا الاتجاه الجامد ، ولا حلية لهم في غير ذلك ، ما دامت هي السلعة الرائجة في سوق العصر الراكد ، ومن أشهر شعراً التقليد ، الذين خضعوا لنوبة التقليد ، واتسم شعرهم بهذه الخصائص القاتمة الجامدة ، من أهمهم :

سليمان بن سحمان ، وابنه صالح بن سليمان :

نشأ سليمان في قرية (السقا) إحدى قرى أهبا ، حيث ولد فيها وعاش ما بين (١٢٦٦ - ١٣٤٩ هـ) ، وتللمذ على والده ، الذي اشتهر بحفظ القرآن ، وتجويده ، وحسن الخط ، والاحاطة بالعلوم الشرعية والعربية ، ثم سافر هو ووالده إلى الرياض ، ليتردد على حلقات العلم ويتعلم على يد كبار العلماء ، ومن أشهر مؤلفاته : (الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد) ، وكتاب (كشف غياب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام) ، وكتاب (إرشاد الطالب إلى أستى الطالب) ، وغيرها وله ديوان شعر (عقود الجوادر المتضدة الحسان)^(٢) .

ومن نظمه العلمي التقليدي في تعلم الكتابة :

(١) النظر : أدب الحجاز : محمد سرور الصبان - مطبعة مصر ١٩٥٨ ، قصة الأدب في الحجاز : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، وعبد الله عبد الحجار : القاهرة ١٩٥٨ ، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث : أئس المقدس - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٠ م.

(٢) شعراً العصر الحديث في جريدة العرب : عبد الكريم بن حمد المغيل - طبعة أول ١٣٩٩ هـ من ١١٣

أكتب ككتبي كما قد كنت أكتب
كتباً ككتبي لهذا الكتب في الكتب سطر بسطر كهذا السطر أسطره سطراً سلماً سوياً تسمى في الرب حرف بحرف على حرف كأحرفه وأحرن من الحيف في حرف بلا سبب^(١)
وهذا نظم - وليس بـشعر - جامد جاف يتغير فيه اللسان ، وحروف مكتبة تناقلت بها الأقواء ، هيام الشاعر بخشد الحروف الواحدة ، وتواجد المشتقات المتجلسة ، وتراود الجناس المتضاعف أضعافاً مضاعفة مما أدى إلى ركاك النظم ، واضطراب الأساليب ، وضعف المعنى ، وضحلالة الفكرة ، وجمود المشاعر ، وخمود العاطفة ، وذهاب روح الشعر في سرق التقليد الناقفة الخاسرة .

ويقول ابن سحمان أيضاً في قصيدة يشيد فيها بجلاة الملك عبد العزيز رحمة الله تعالى :

هو الملك السامي الى متى العلا وقد أمه في نيلها الطالع السعد إمام الهدى عبد العزيز الذي به تضعضعت الملائكة واستعلن الرشد تحمل - هداك الله - مني تحية هدية مشناق أمض به الوجه وأورى به من لاجع الشوق جنة ولكنه قد عاقه النأس والبعد وخامره من نشأة البشر نشوة إلى الملك الشهم أهتمم أخي الندى مديق العدا كأس الردى عندما يهد ومن أصله المجد المؤثل والعلا

فهذا الشعر خلو من العاطفة الجياشة ، ومجدد من الاحسام الدافق ، والمشاعر الرقيقة ، لأنّه يقوم على رصف الألفاظ ، ونظم ورصن الكلمات في سلك البحر الخليل ، والقافية العمودية ، هائماً بالترادف بين (السامي ومتى) - والعلا والطالع السعد - والنأس والبعد - وبين : أخي الندى ومن جوده) ، والتقابل بين (تضعضعت الملائكة واستعلن الرشد) وغير ذلك من أنقال اللقط ، وركاكاً العبر ، وللعجب بالزخرف .

وكذلك نجد فقدان العاطفة الجياشة في شعر ابنه صالح بن سليمان (١٣١٩هـ) :

الآن فليفتخر في مصر واليها ولتفتخري هي بالليل الذي فيها واليخت والبحر والسكان أجمعهم من له الفخر لما حلّ ناديها عبد العزيز مليك الناس قاطبة برأ وحمرأً وحضاراً وناديها من آل فيصل أمجاد غطارفة شوس أماجد ما حتى يحاكيها يا أيها الملك الميمون طائره يا ناصراً الملة السمحاء وحاميها

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : د . بكري شيخ أمين ص ٣٧٨

(٢) ديوان عقد الجواهر المقضنة الحسان : ابن سحمان .

فليونا ارتحلت لما ارتحلت وقد
فأبأت بالسعد ميمونا تحكموا
سلامة الله لا ينفك حاديهما
فرحجا بك يا شمس البلاد ويا
نور البسيطة قاصيها ودانها^(١)
لكن الشاعر تخفف من أثقال الرينة ، والبالغة في الرخروف والبديع ، ولا زالت مسحة
قليلة منه ، أما المعنى فلا زال ضاحلاً والشاعر ما زالت فوق السطح ، والأحساس ليس
عميقاً ، والصور الأدبية لا تبعض إلا بعرق واحد فقط وهو سلامه الأسلوب من الركاكتة وترفعه
عن القلق والاضطراب وخيط رفيع من صدق العاطفة ، وحرارة الانفعال .

الشاعر على السنوسى :

وهو من شعراء هذه المدرسة التقليدية (١٣١٥ هـ) ، ولد في مكة المكرمة ، لكنه
هاجر إلى المراوغة وزبيد ، وعاش في الجنوب ، ومن شعره مدح الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى
في درس نحوى يقول :

ومفرد بالمعانى جاء منحصراً
فى نعنه المبتداً المرفوع والخبر
وجازم الفعل والماضى بظاهره
ومن سواه ضمير جاء يستتر
والخدف والتقصى من حرف البناء إذا
ما جاء فهو على شانه ينحصر^(٢)

الشيخ حافظ بن أحمد الحكى :

وهو من شعراء هذه المدرسة ، عاش في جازان ، وأشتهر بعلمه ومدرسته ، التي تعلم فيها
هذا الجيل من أبناء جازان ، وما حوطها وله ديوان (نبيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول) ،
وكذلك أربع رسائل شعرية وهي : (رسالة سلم الوصول في التوحيد والسنن) ، و (رسالة
ميمية الآداب في الوصايا العلمية) ، و (رسالة نظم المؤثر المكتوب في مصطلح الحديث) ، و
(رسالة القصيدة اللامية في الناسخ والمتسوخ) . يقول الشاعر الناظم في سيرة الرسول :

مولده كان يعام الفيل ونقل الخلاف عن قليل
ثاني عشر من ربى الأول فى يوم الاثنين بلا تحول
كم بدا فى ليلة الميلاد من آية فى سائر البلاد
إضاءة كنا خمود النار منها سطوع النور فى الأقطار
وارتج ايوان كسرى وسقط منه الشرفات إلى الأرض تحط^(٣)

(١) شعاء العصر الحديث : عبد الكريم الحقيل ص ١١٦

(٢) الحركة الأدبية : د . بكرى شيخ أمين ٣٧٨

(٣) ديوان نبيل السول : الشيخ حافظ بن أحمد الحكى من ١٦ ط البلاط السعودية — مكة المكرمة .

ويقول في أرجوزته أيضاً في (ستة تسع من المجرة) :

كان بها غزو تبوك في رجب
وقصده الروم فإذا ذاك اندب
معه ثلاثةون من الآلاف
مقاتلون كل ذي خلاف
في حربه بعض من قد تخلفا
وابن سلول عنه قد تخلفا
عنهم الحاجة إذ لم يجدوا
نفقة وأخرون وجدوا^(١)
ويقول أيضاً في أحوال الأسانيد والمتون

والشن ما إليه ينتهي السند
من الكلام والحديث ما ورد
كما أتى عن غيره كذا الأثر
عن النبي وقد يقولون الخبر
متتابع وشاهد له الجمل
وبحكم معارض مختلف
والراجح المرجوح ثم المشكل
معلّق ومرسّل ومعضل
منقطع مدلّس قد احتمل
موضوع ومتروك وموهوم معل^(٢)
يوضح الشيخ حافظ الحكيم في نظمه — لا شعره — هنا أصول الأسانيد : فعنها
ما هو صحيح ، وحسن ، وبحكم ، ومعارض ، ومحظوظ ، ومتنازع ، ومنسوخ ، وراجع ،
ومرجوح ، ومشكل ، ومعلّق ، ومرسّل ، ومعضل ، ومنقطع ، ومدلّس ، و موضوع ، ومتروك ،
وموهوم ، إلى آخر ما جاء في علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل ، من علوم الحديث
الشريف .

هؤلاء هم أشهر شعراء مدرسة التقليد في جنوب المملكة العربية السعودية ، ولم تذكر
نماذج لشعر غيرهم من سار على نهجهم من هذه المدرسة اكتفاءً من أن ذكر البعض يدل
على تحقيق النتيجة كله في بقية الشعراء ، ماداموا هم جمِيعاً من مدرسة واحدة وهي مدرسة
ال التقليد .

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو : لماذا جعلت مدرسة التقليد داخلة وتابعة لشعر المحافظين
ومدرسيهم ، كما هو واضح حيث كانت مدرسة التقليد فصلاً ، بل أول فصل من فصول هذا
الباب ؟

والرد على هذا السؤال واضح أيضاً وهو : أن مدرسة التقليد أقرب إلى مدرسة المحافظين
من أي منهـب آخر فبعيد جداً أن يدخل في إطار مدرسة المجددين ، ولا في إطار مدرسة
المبدعين .

(١) المرجع السابق : ص ٤١

(٢) نظم المؤذن المكون في أصول الأسانيد والمتون : الشيخ حافظ الحكيم مطبع البلاط — مكة المكرمة

وكذلك أمر آخر وهو أن المقلدين والمخافظين يجمعهم اتجاه واحد في الشعر هو منهج القصيدة واحد والتزام عمود الشعر كذلك واحد ، والحرص على الوزن والبحر والقافية عندهما سواء .

وقيل هذين أمر جوهري ، وهو أن مدرسة التقليد لا تقيم في هذا البحث ببابا مستقلأ له فصوله الكثيرة ، وذلك لضعف شعرهم من حيث الكلم والكيف معا ، وتعدن الحصول عليه حتى لو كان موجودا وعلى سبيل المثال ظللت سنوات للحصول على شعر الحكيم في مشقة مضنية وقويد تحمل على الآيس وفقدان الأمل ، وأخيرا حصلت عليه ، وكأن حصلت على كنز العمر كله .

ومادة الشعر لهذا البحث لقيت مثل هذا العنت في جمهه وتحصيله لأن الشاعر يطبع شعره لحسابه بلا دار نشر وبهذا يحتفظ به لنفسه كالذر الثمين وقد يهدى منه ، ولا يفكك في توزيعه عن طريق دار نشر حتى يتمكن الباحث من اقتناه ، أو يطبعه النادى الأدنى في مدينة من مدن المملكة ، وهنا تكون مشقة الحصول عليه أشد وأصعب لأن النادى لا يعرضه للبيع ، كما أن المهدى إليه يكون أشد حرما على كفائه .

ومع هذه الظروف القاسية حصلت على المادة الشعرية عن طريق رهط من طلاب العلم والأدب الخلصين ، الذين كانوا يجوبون الجنوب الوعر للحصول على دواوين الشعر ، والله سبحانه وتعالى وحده يضاعف لهم الأجر والثواب الجليل .

لها السبب الجوهري ، لأن شعرا التقليد من الجيل السابق والماضى ، كان من المتعذر الحصول على شعرهم وكثيرا ما ألغى على المتبع في أن أضم التقليد مع التمهيد وهذه الأسباب رأيت أنه أقرب إلى الباب الأول من التمهيد ومن غيره .

ومن أشهر شعرا التقليد في هذه الفترة أيضا : محمد بن مهدي بن أحمد الصمدى (١١٩٣ - ١٢٦٩ هـ) ، وعلى بن عبد الرحمن النعى ، ومحمد حيدر القبي النعى (م ١٣٥١ هـ) وعلى بن ابراهيم النعى (م ١٢٧٥ هـ) ، ومحمد بن علي الادريسي (م ١٣٤١ هـ) ، والحسن بن أحمد بن عبد الله . بن عاكش الصمدى (١١٩٣ - ١٢٦٩ هـ) ، والحسن بن خالد بن عز الدين الخازمى (١١٨٨ - ١٢٣٥ هـ) ، وأحمد بن الحسن بن علي البهكل (١١٥٣ - ١٢٣٣ هـ)^(١) .

ولد الشاعر أحمد بن الحسن بن علي البهكل بالخلاف السليمانى عام ١١٥٣ هـ وتلقى العلم على يد أخيه عبد الرحمن ثم رحل إلى زيد وصنعاء للتزود من العلم ليعود قاضيا على مدينة « صبيا » لكنه ما لبث أن سجن في مدينة أقى عريش عام ١١٨٨ هـ ، ثم أطلق سراحه فهاجر

(١) انظر تاريخ الخلاف السليمانى : محمد أحد العقيل القسم الثالث .

إلى العين وبقى في صناء ، حتى رحل إلى بلده المخلاف السليماني ومات بأبي عريش عام ١٢٣٣ هـ ومن شعره يقول :^(١)

لخالقنا في أمرنا الحال والعقد
وأفعاله محفوفة بصالح
فما ان له في عدله أبداً ند
ترزه عن جسور وظلم على الورى
رضينا بما قدرته يا مهيمن
فهو شعر فائز المشاعر - ضعيف المعنى ، ضحل الفكرة - فلق الأسلوب مع أن
الشاعر قد تخفف من ألوان البديع والزينة ، لكن القارئ مع ذلك يشعر بثقل البيت على السمع
ولا يتلاحم الشعر مع قراءته لأنه وإن كان موزوناً مفقي ، لكن الإيقاع الموسيقي في داخله لا
ينساب مع المعنى والوزن ، لهذا كان الثقل فيه يرجع إلى روح التقليد لا لأصالة في قرض
الشعر .

وأما الشاعر الحسن بن خالد الحازمي فقد ولد عام ١١٨٨ هـ بالخلاف السليماني وتعلم
على يد القاضي أحمد بن عبد الله الضمدي ثم أصبح وزيراً لأمير المخلاف السليماني ، وفتح
المدارس ، وشجع العلماء ، وأصبحت بلاده مقصدًا لطلاب العلم ، وله مؤلفات ورسائل وتوفي
عام ١٢٣٥ هـ في عسير أثناء اشتراكه في قتال الترك^(٢) . ومن شعره الذي يناصر به دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب قال :

الله أكبر كل هم ينجلي
عن قلب كل مكابر ومهمل
وموحد الله جل جلاله
والشرك عنه والضلال بمعزل
من نظمي العنذب الرحيم السلسل
ويدائني اسم الله فيما ابتغى
خير الوري النبأ العظيم المرسل
ثم الصلاة على النبي محمد
والآل أرباب الهدى والتنقى
من ودهم نص الكتاب المنزلى
ولقد عثرت على نظام صاغه
الله أكبر كل هم ينجلي

وأما الشاعر الحسن بن أحمد عاكس فهو من أسرة علمية مشهورة^(٣) ولد في
بلدة «ضمد» بالخلاف السليماني في عام ١٢٢١ هـ ورحل في سبيل العلم إلى بيت الفقيه ،
وزييد وصنعاء ومكة المكرمة ، وعاد إلى بلده ليشغل بالتدريس فأقبل عليه الدارسون من كل

(١) المرجع السابق : ج ١ القسم الثاني .

(٢) انظر : نيل الوضر : محمد محمد زيارة ، عقود التبر وحدائق الزهر : الحسن بن أحمد عاكس .

(٣) عقود التبر : الحسن بن أحمد عاكس : ورقة ١٠٧

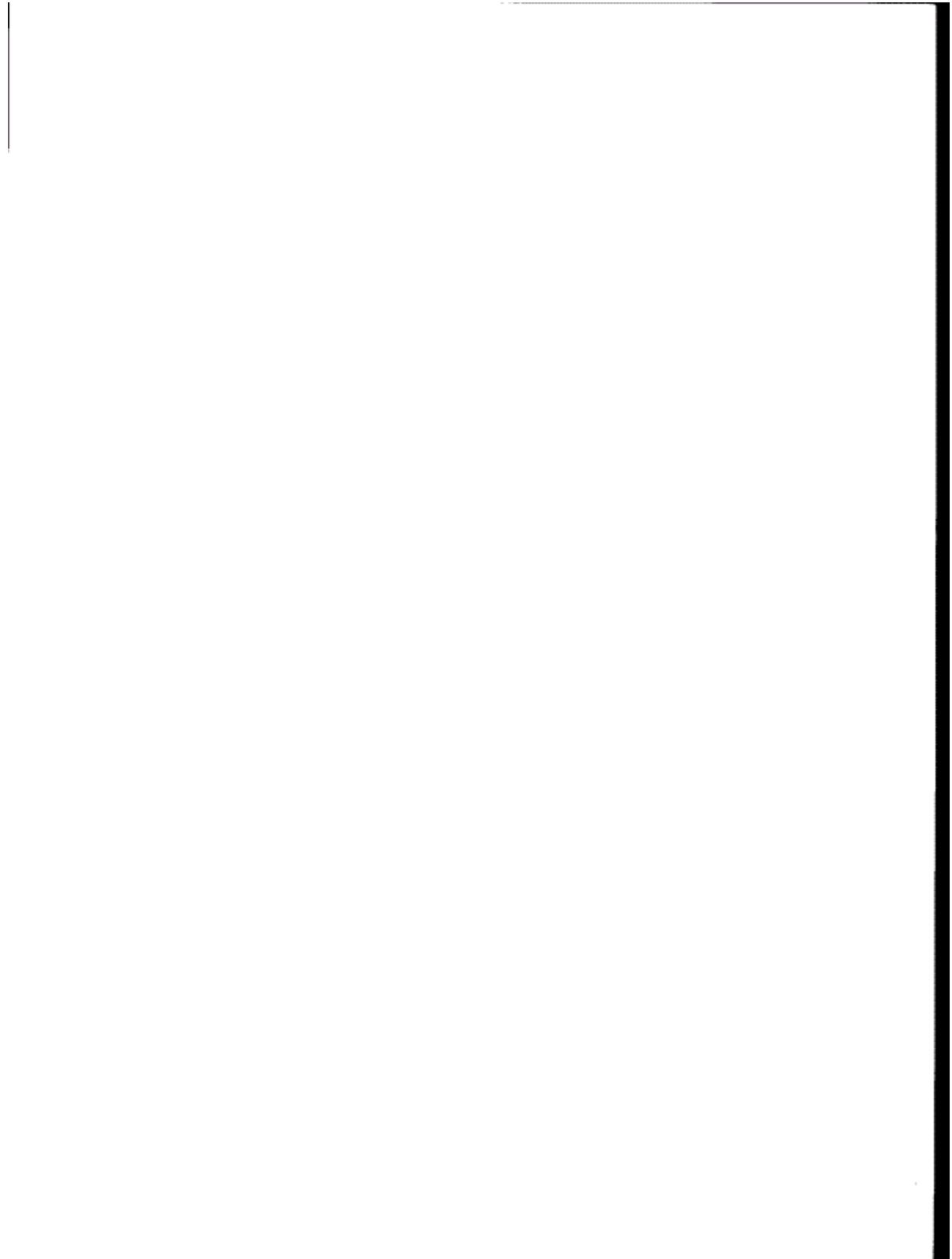
مكان وكان من أشهر أدباء هذه المنطقة وله مؤلفات كثيرة وتوفى عام ١٢٨٩ هـ ومن شعره يقول^(١):

إن الزمان اليوم بالقلوب
فالقلب مشتق من القلب
عينا ولكن وكلت برقب
والصبر منعقد بكل نجيب
فكففت في الابلاج والتأوب^(٢)

لا تعجبوا إن صار حل عاتبا
ولفن غدا قلب الحبيب مصرا
قد كنت أحسب عين دهرى أغمضت
صبرا على مضض الزمان وفعله
إني جفاني كل حل صادق



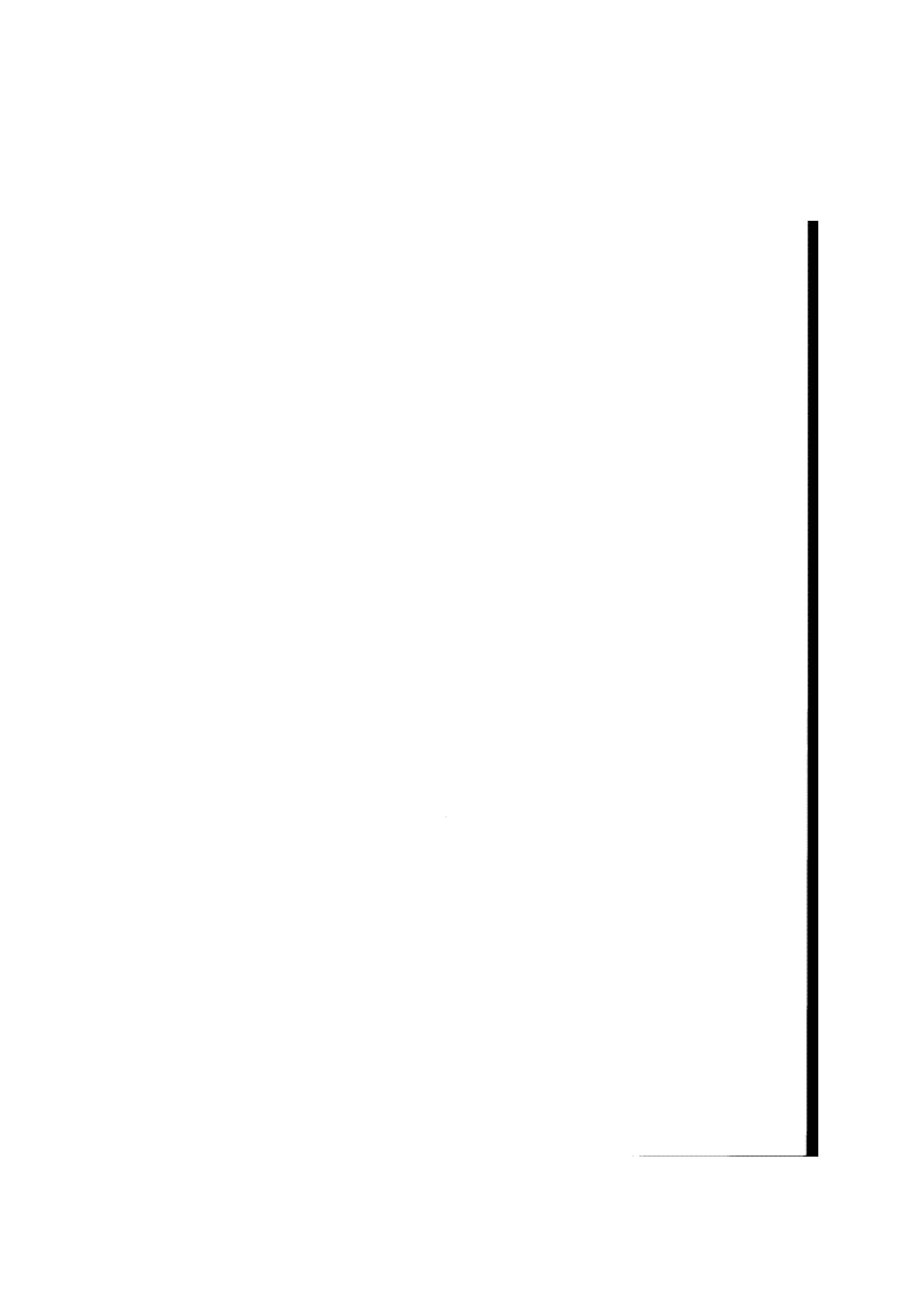
(١) نيل الورط : محمد زيارة .
(٢) مجموعة أشعاره : المكتبة العقيلية الخاصة — جازان



مَدْرَسَةُ الْمَحَافِظِينَ

لِفَصْلِ الثَّانِي

- ١- خصائصها الفنية .
- ٢- شعراً لها .
- ٣- الشيخ محسود الصبان .
- ٤- الشاعر عيسى بن عاصي البختياني .
- ٥- آل المحفظي .



خصائصها الفنية :

وشعراء هذه المدرسة في الجنوب ، هم الذين اخذوا منهج الفحول من القدامى مذهبًا في شعرهم ، فحافظوا على نظام القصيدة القديمة ، وعلى عمود الشعر العربى فيها ، آخذين بما أخذه الفحول في شعرهم من جزالة الألفاظ ، وإحكام التراكيب ، ودقة الأساليب ، وروعة التصوير ، وشرف المعنى ووضوحه ، ونبيل الغرض ، والاهتمام بالهدف والمضمون ، والتزام الوزن والبحر والقافية كما جاء في علم العروض والقافية للخليل بن أحمد ، وماجرى عليه الشعراء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام والتقارب في التشبيه ، وقرب الاستعارة وما اشتهر في استعمالها عند الفحول من الشعراء الرواد ، ثم الخيال القريب المألف ، ثم الكناية المشهورة التي أصبحت كالمثل يضرب به . والبديع الذى يأتى عفواً من غير قصد وعلى سبيل الندرة ، وإشراق الدياجة ، وروعة الاستهلال ، ولطف الانتقال ، وغير ذلك من عناصر بناء القصيدة العربية القديمة على أساس عمود الشعر العربى المعروف في شرح الحماسة للمرزوقي وفي الموازنة للأمدى ، وفي الوساطة للقاضى بن عبد العزيز الجرجانى وغيرهم^(١) .

ويضاف إلى خصائص عمود الشعر خصائص فنية أخرى في شعر المحافظين في الجنوب ، هي أن شعر عسير يصور واقع عصرهم ، الذى يعيش فيه الشاعر ، فيعالج القضايا التى تمس شغاف قلبه ، وتهز وجوداته ، وتتجاوب مع اتجاه عصره ، وأحداث زمانه .

وهذه المدرسة المحافظة ، قد انتهى الشعراء فيها إلى اتجاهين مختلفين ومذهبين أدبين متميزين :

أحداهما : مذهب المحافظين على تقليد الفحول من الشعراء القدامى مع بروز موهبتهم الشعرية ، وأصالحة قريحتهم الصافية الصادقة ، من غير تجديد في المعانى ، ولا في الأغراض ، ولا في الأسلوب .

ثانيهما : مذهب المحافظة ، لكنها في ثوب جديد ، يتفق شعراها مع الفحول من الشعراء القدامى في التزامهم بعمود الشعر العربى مع التبديل عنهم في المعانى والأغراض ، وفي بعض الصور الأدبية التى تعبير عن ثقافة العصر وواقعه ، ثم التشخيص الحى فى التصوير الأدلى ، وكذلك يتميزون في منهج القصيدة الحديثة ، وبوحدة الموضوع ، والوحدة الفنية .

(١) النظر إلى (عمود الشعر العربى) دار الحارث بالطائف السعودية ط أولى ١٤٠٢ هـ وفصلت القول في عمود الشعر ، دفعته للشكرا .

وهذا المذهب الأدبي الجديد المحافظ ، هو المنطلق لبناء مدرسة المجددين فيما بعد ،
وستوضح هذه المذاهب ومدارسها كلا على حدة في مكانه إن شاء الله تعالى .

أما مذهب المحافظة على تقليد الفحول من الشعراء القدامى فقد التزموا عمود الشعر العربى
عندهم ، متربصين خطى جرير والفرزدق ، وأى ثمام والبخترى ، وابن المعتز وابن الرومى والمتنى
والمعرى وغيرهم ، ويتمثل هذا المذهب الأدبي ، ويشترك فى هذه المدرسة الفنية شعراء كثيرون فى
جنوب المملكة .

الشاعر الشيخ محمد سرور الصبان :

ومن أشهر الشعراء الشاعر الشيخ محمد سرور الصبان ، ولد في مدينة القنفذة ، من قرى
الجنوب ، (١٣٩٦ - ١٤١٦ هـ) وهو من أعلامها ، ثم ذهب إلى مكة المكرمة وجدة ليتعلم
في مدارسها حيث ، وبعد أن أخذ قسطاً من التعليم المتواضع ، عمل أستاذًا ، ثم تاجرا ،
فموظفاً حكومياً ، ثم وزيراً للمالية والاقتصاد الوطنى ، وأخيراً أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي ،
ومن أشهر مؤلفاته ، (أدب الحجاز) وكتاب (المعرض) ، ومن شعره :

القسم قسوك والبنون بنوك والطاغيون إلى العلا أهلوك
إن جد جد الأمر يا سوريه فهم الذين جندهم تحميوك
وإذا الوعى قد صالحها فلا
والعيقرية والحماسة والنسي
صدق الذين بين وصفوك
أدمشق يا بلد الكرام ومعقل الأدب
يا موطن الأحرار والسداد من
أنت الفريدة بالسماحة والسدى
أهل الوفا إذا دعا داعيك
بالفضل والعلیاء قد عرفوك^(١)

ويقول الصبان أيضاً :

ثبت الجنان وصادق العزمات
يسعى هدم رذائل العادات
حتى تقوم بأعظم النهضات
يسعى إلى العلياء بكل ثبات^(٢)

(١) شعراء العصر الحديث : ص ١٦٢
(٢) أدب الحجاز : محمد سرور الصبان : ١٤٧٨ م مصر عام ١٩٥٨ م

ويخاطب وطنه فيقول :

أك فى كل واد أسلو وأجح ح للرقاد أقدر أن أعيش بلا فؤاد ئب والكوارث والبعاد بالعزلة ما يمن البلا(١)	أنا لا أزال شفى جـ زعم العوازل أنسى كذبا وحقك لست ولسوف أصبر للعصـا حتى أراك ممتعـا
---	---

موهبة شعرية صافية ، وقديمة وقادرة ، تتجاوب مع أصداء الحياة والوطن ، في معانٍ قوية ، وأغراض حية ، يسلكها في أسلوب قوى ناصع ، وعبارات رشيدة محكمة ، ودبابة مشقرة ، يناسب الأسلوب عذباً رقاقاً ، غير متعر في التقليد ، وقيود الزخرف والزينة ، فجاء شعره مطبوعاً قوياً ، اللهم إلا في المقطوعة الأولى ، حيث بدأ العاطفة الشعرية فاتورة غير جاشرة ،

ولذلك كان الأسلوب قلقا في مكانه ، كما في البيت الأول والثالث ، وقوله :

والعقرية والمحاسة والنھی صدق الذين بهن وصفوك فهو ليس بـشعر ، وإنما هو من كلام عامة الناس ، حينما يتناولونه في أحاديثهم العامية ، ثم لا تجد انسجاماً في حرف الروى ، بل قلق واختصار .

والصيّان شاعر مقل في شعره ، لم يجعل الشعر هدفه في حياته فكان يقول القصيدة أو القصيدتين ، والمقطوعة بعد المقطوعة ، لكتبة أعماله ، واهتمامه بشتى المجالات ، ولكنه كان يعطي جهده الأكبر في الدعوة إلى إعداد الوجه المشرق للأدب السعودي ، لا العلم والفكر ووحدما المقصوران على الخلافات في رأي بين المذاهب الفقهية أو الحقائق التاريخية ، والأدب والشعر خلما دورهما الكبير في صون اللغة وشارقها ، وتهذيب المشاعر ، وتنمية الحس اللغوی والنحوی الأدبي ، وكان هذا هو المدف من تأليف أول كتاب في الأدب الحديث وهو (أدب الحجاج) ، فقسمه الصيّان إلى قسمين : قسم للشعر ، وقسم للنثر الأدبي .

والصيّان يعد من الرواد في الأدب السعودي ، وأول الداعين بالنهضة الأدبية ، وتخلص الشعر من قيوده التقليلية التي أذهبت قوته ، وقطعت صلاته بالشعر القوى في عصوره الذهبية ، وحملت مقطوعاته الشعرية دعوة التجديد كما في المقطوعة الثانية هنا ، فهو يبحث إلى بناء أمّة نابية وشعب متيقظ وعالم متور ومحمس لتحقق أعظم النهضات ، ويسمى إلى المجد والعلا ، وكان في شعره القليل يمثل هذه النهضة الشعرية في العصر الحديث ، فتجده أول من ينهض بالأدب ، ويخلص الشعر من كبرته ، ويemborgde من أغلاله وأغفال الرهبة ، ومحمد هدفه في تربية الأدواق ،

(١) الأدب المجلزي : أحمد إبراهيم : ٩٧ — نهضة مصر القاهرة ١٩٤٨ م

ونبضة الأفكار وعمقها ، وتقديم الأمة ورقها ، وظهر أثر دعوته وريادته في شعر الشعراء الرواد في المملكة العربية السعودية ، مثل شعر محمد حسن عواد ، فقد كان أصغر شاعر ذكره في كتابه (أدب الحجاز) وغيره مما عاصر عواد^(١) .

الشاعر معيض بن علي بن محمد البختيان :

ولد الشاعر في (تلثيت) عام ١٣٧٠ هـ ، وتدرج في مراحل التعليم متقدلاً بينها وبين أنها والرياض في جامعة الإمام محمد بن سعود ، ثم تقلب في وظائف مختلفة ، وله (ديوانان) صدر منها ديوان (المحرر) عام ١٣٩٨ هـ ، أما الديوان المخطوط فهو (إلى سيدة القرية) ، وله كتاب مخطوط بعنوان (الشعر الملحون في لغة العرب)^(٢) ، ومن ديوان شعره قصيده (وعد) يقول فيها :

ذات العيون السود والألق
آفاقها كالناس صافية
يزهي بها قدفع تراشفه
وتحمن إن ألقك غلاتها
يا ومضة منداحة الأفق
تدنى العشايا من نسائمها
هل تعذرين الصب سيدني
وانسل منه الفرج وانصرهت
أم لى إلى غلواء فاتنة
وعد أغنى الغيد أفضله

وغريرة الأحلام والحرق
ونعيها من ناعم الورق
مرّ الهوى والعابس الومق
جن الحب المدنس الشفق
والغيم في زاد من الشفق
نفثاً مدى الأعصاب والحلق
بأن ضاع والآهات في الطرق
أحلامي في عالم سحق
سلت على تسيحيتي أرقى
روح الأصيل العذب والفلق

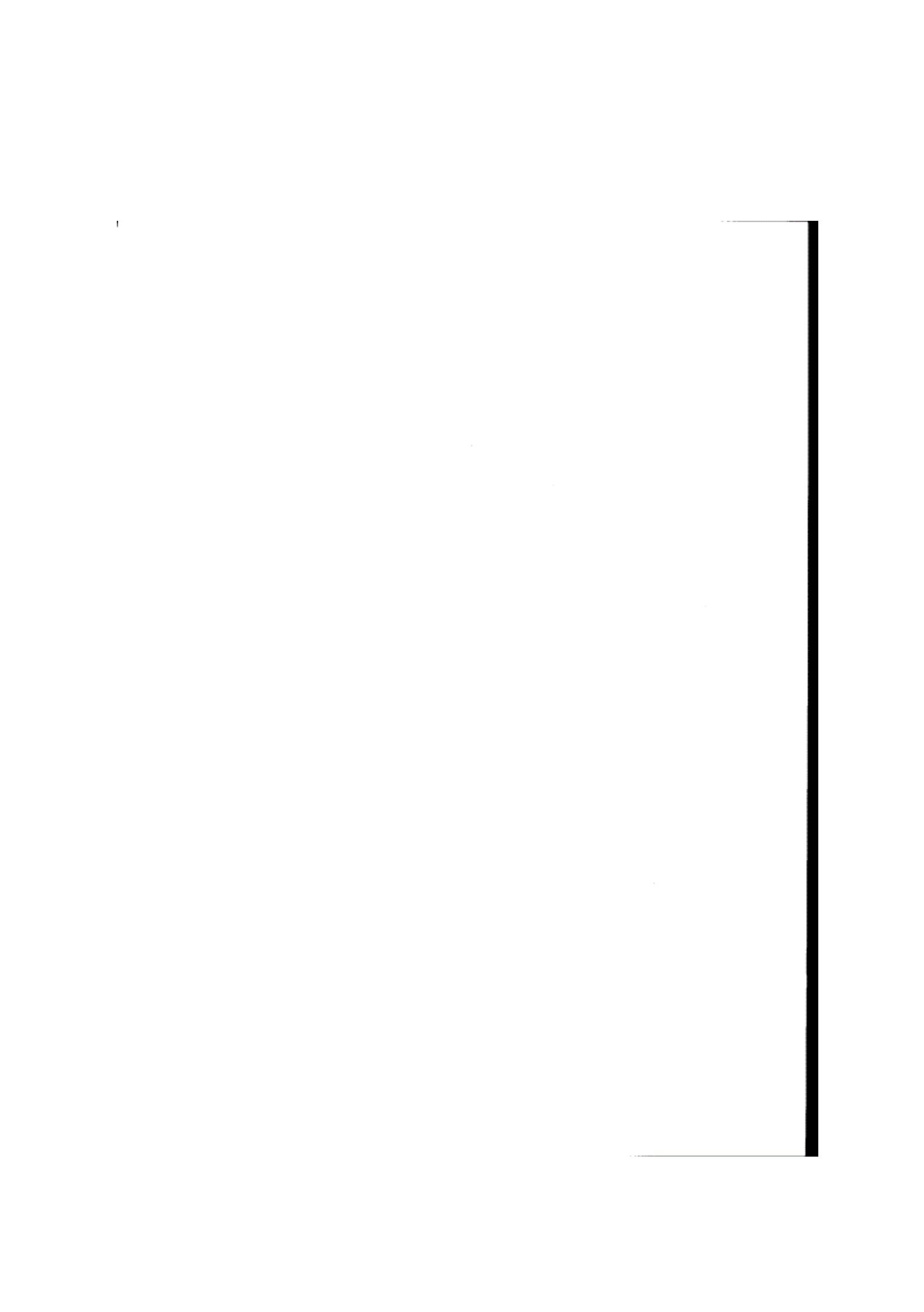
يترقق في شعر البختيان رونق الأصالة الشعرية ، وينبع بموهبة الشاعر الصافية ، فالمغان فيه واضحة ، والألفاظ جزلة رقيقة ، والأسلوب محكم مترابط ، والصور الأدية الجزئية على نمط الشعر العربي القديم ، في خيال مشدود في روحه ومنهجه وأصالته إلى الخيال الشعري عند فحول الشعر العربي قديماً ولا تجد قلقاً في الوزن ، ولا اضطراباً في الإيقاع ، اللهم إلا عدم التلازم في حرف الروى مع الغرض من القصيدة حيث يتناسب مع الغزل حرف رقيق كالسين أو التون أو الراء مثلاً ، أما القاف فهو حرف ثقيل غير رقيق يتناسب مع الحماسة ، وجملة الحروب ، وقمعة السلاح .

(١) أدب الحجاز : محمد سرور الصبان : انظر هنا الكتاب

(٢) شعراء العصر الحديث : ص ٢١

ويغتصم البختيان بذهب القدماء في منهج القصيدة العربية القديمة من الحفاظ على أركانها وعناصرها ، وخصائصها الفنية التي تقيم عمود الشعر ، وتطبق معالمه الفنية ، ولذلك فهو من شعراً هذه المدرسة الحافظة على طريقة القدماء من غير تحديد في المعانٍ ولا في الأغراض ولا في التصوير الأدبي ، وستاناً على آن الحفظى بالتفصيل والتوضيح لإنجاز أغراضه الأدبية وخصائصها ، وتصوره الأدبي وسماته الفنية اكتفاء به عند التفضيل في شعر البختيان ومن معه في هذه المدرسة ، لما يقام عليه شعر آن الحفظى من الخصائص الفنية للمحافظين ، التي تدل على تحقيقها في بقية الشعر لشعراء مدرستهم الأدبية ، وهذا خصصت فصلاً كاملاً بالتوضيح والتفصيل ، وهو فصل : آن الحفظى .

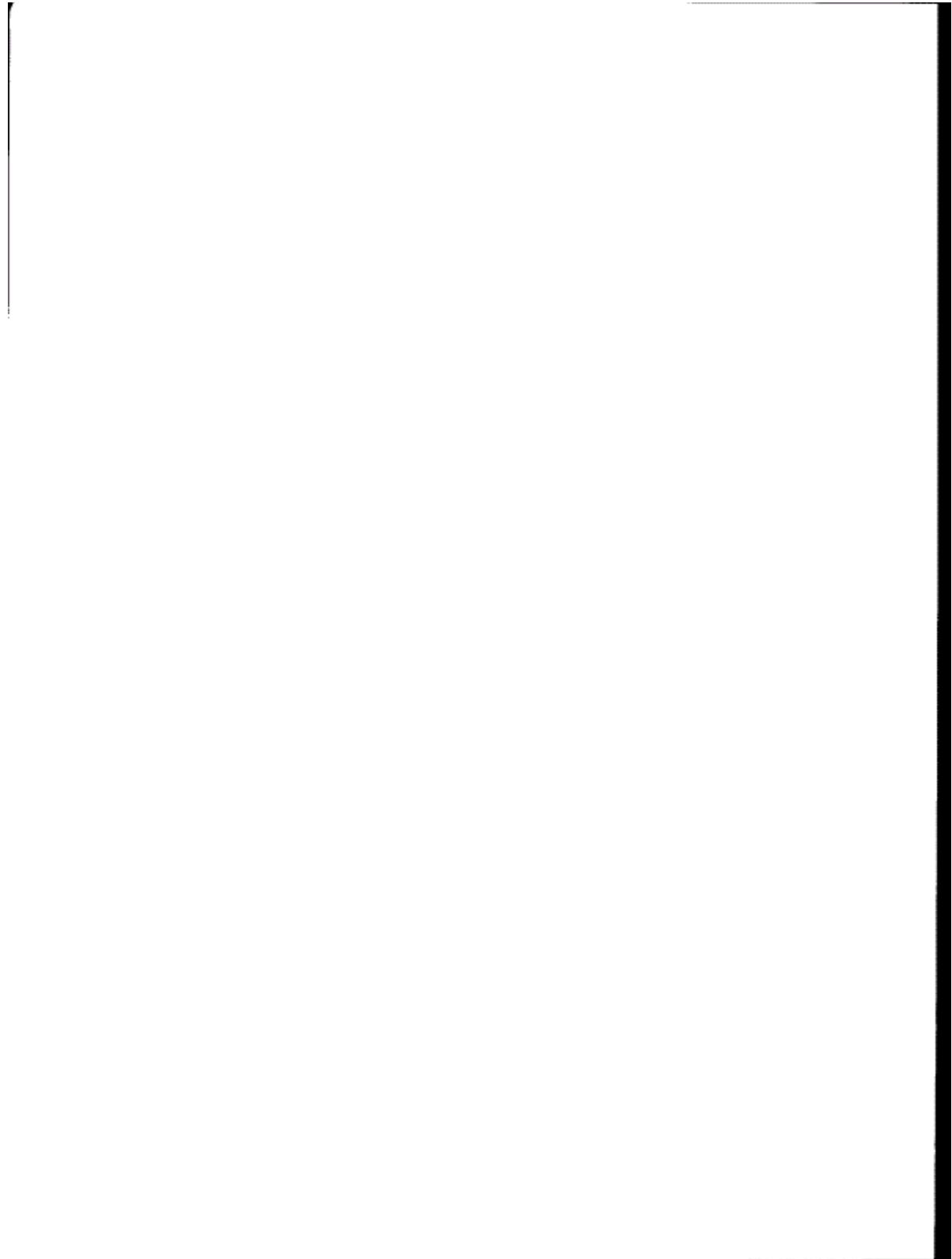




الفصل الثالث

شعرآل الحفظي

- ١- أشهر الشعراء .
- ٢- شعرهم في الميزان .
- ٣- التصوير الشعري ومحاتأصه .
- ٤- الأغراض الأدبية ومحاتأصها الفنية .



الشعراء :

ومن أشهر شعراء آل الحفظى في ربوع عسير وجبلها ووديانها ، وخاصة في حاضرة (رجال ألمع) ، منهم الشاعر الشيخ أحمد الحفظى الأول (١١٤٥ - ١٢٣٣ هـ) ، والشيخ ابراهيم الرزمي الحفظى (١١٩٩ - ١٢٥٧ هـ) ، والشيخ علي بن الحسين الحفظى (١٢١٧ - ١٢٧٥ هـ) ، والشيخ عبد الحالق بن ابراهيم الحفظى (١٢٢١ - ١٢٨٤ هـ) ، والشيخ أحمد الحفظى الثانى (١٢٥٠ - ١٣١٧ هـ) ، والشيخ علي زين العابدين الحفظى (١٣٠٥ - ١٣٧٢ هـ) ، وسواءهم من شعراء مضوا مع الخالدين وشعراء ما زالوا على قيد الحياة^(١) .

والمعنى هؤلاء الشعراء في ديوانهم ، الذى نشر عام ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، فقد صدر الجزء الأول منه ، على أن يتبعه الجزء الثانى بعد جمده كأشار إلى ذلك محمد بن ابراهيم عبد الرحمن بن ابراهيم من آل الحفظى في المقدمة ، وقد حاولت التعرف على موعد صدور الجزء الثانى من ديوانهم ، فلعلت أنه قد جمع والحمد لله ، وتسليم (نادى أنها الأدبى) ، على أن يقوم بطبعه ونشره ، وذلك قريباً إن شاء الله تعالى ، كما وعد بذلك النادى .

والجزء الأول الذى تحت أيدينا ، يعطى الوجه الحقيقى للشعر عندهم ومنهجه ، ومدرسته ، وأغراضه وخصائصه الفنية ، بما يدل على شعرهم بصفة عامة ولا زال حتى الآن منهم الشعراء في الجنوب الذين يسيرون على نهج آبائهم وأجدادهم ، بحيث لا تفوتهن المناسبات الأدبية والوطنية في التوادى والأدبية والثقافية ، وذلك مثل شاعرهم الأستاذ الحسن بن على الحفظى مدير مدرسة حسان بن ثابت (رجال ألمع) ، ومن شعره الذى ألقاه بمناسبة افتتاح نادى أنها الأدبى عام ١٤٠٠ هـ ، التى تشارك بها تهامة السراة في احتضان ناديه ، يقول :

يد من الدولة الغراء بيضاء مدت إليها فأيتها اليوم فبحاء
يد تشع على الآداب فانبثقت منها بناسخ ماء ما إن مسها داء
يد من الخالد المشل فضائله كثيرة ما لها عد وإحصاء
نادى أنها تراه اليوم مزدهراً وخالد الفيصل المقام بناء
يرسى القواعد للنادى ويرفقها صرحًا مجدها وزان الصرح إنشاء

(١) نفحات من عسير : جمه ونسقه محمد بن ابراهيم الحفظى ، وعبد الرحمن بن ابراهيم الحفظى : عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م
مطابع عسير في أنها .

إلى قوله :

تمامة وسراة الأزد في جدل
إنى سأعزف أنغامى بقافية
فى نشوة يطرب الأسماع إصغاء
أرسلتها من ذرى العلياء فى أفق
سامى الجلال ووهج العلم وضاء^(١)

الشعر في ميزان الرأى :

أشاد بأدبهم وعلمهم كثير من الأدباء ، نذكر منهم على سبيل المثال ، الأديب الشيخ عبد الله بن علي حميد رئيس بلدية أنها سابقا ، قال مشيدا بالحفظى ، وبما جمعه الأستاذ محمد الحلال من تراث ضخم لهم : لأولئك الذين طبقت شهرتهم الآفاق ، وصررت إليهم أكباد المطابا من كل حدب وصوب للاغراف من مناهل العلوم الرقة .. ولما كانت أسرة آل الحفظى عريقة في شتى المعارف والعلوم فإن التركية التي خلفها القوم حافلة بمؤلفاتهم العديدة .. بدليل انى اطلعت على ديوان ضخم عنوانه (الروض المرضي في ديوان آل الحفظى) ، يضم بين دفتيه ما يدل على علو كعبتهم ، وتعلّعهم في فنون العلم .. وغيرتهم على الدين ، وحرصهم على الأخذ بكل كتاب الله وسنة رسوله ، ومناصرتهم لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومؤازرتهم لآل سعود .. وبقى أن أحيل القارىء إلى هذه المجموعة من القصائد بهذه المقطوعة الفصيحة :

إذا كنت مشتاقا إلى ورد منهيل
يسل الصدى في سبب قل رائده
فندونك حوض من ثمير مسلسل
كأن رحى التحل يمزج رافقه
شيت تقاما الملائكة لنظمها
بعقد زرين التحر منها قلائد
ليحيى آثار قوم تقدموا
قد اقتصوا لكل فرد شوارده
وكم سنة أحبوا وكم بدعة نفوا
وكم أستروا حقا بمحق يسانده
فأرسوا منار الدين من بعد فترة
وضاءت بهم سبل الهدى ومقاصده^(٢)

ويشيد بشعرهم الشاعر نديم الرافعى فيقول :

ديوان شعر قد بدا للنور
فرهت بطلعته ریوع عسیر
يروى لنا أمجاد آحاد الولي
لم يرو مجد العرب كل خير
يضاء رمز قداسته القدير
نسج اليراع لآل مقرن بردة
فقدت على الأيام حالة رفعة
معزة وكراهة وسرور
صانوا المآثر والمفاخر للألى
تمدى عيون الشعر وهي قلائد
في مدح كل معظم مشهور

(١) كلامات وقصائد : نادي أنها الأدب ١٤٠٠ م مطباع عسیر ص ٣٥/٣٨

(٢) تحفات من عسیر : ص ١٤ ، ١٥

يعتز بالتهليل والتکییر
تضفی على الأبرار فيض شعور
واللوحی صدق القول في التبییر
خفاقة كالبدر في الدیبور^(۱)

في مدح بيت الجد بيت مليکنا
صاغه من درر البحور قرائج
إلهامها القرآن مصباح المدى
ما مات من بالوعظ خلد دعوة

خصائص شعرهم المحافظ :

آل الحفظى لم دیوان كامل صدر منه الجزء الأول بعنوان (نفحات من عسیر) جمعه المرحوم محمد ابراهيم زین العابدين الحفظى ، ونسقه للطبع عبد الرحمن بن ابراهيم زین العابدين الحفظى عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، وستعرض بعض شعرهم لتفق على الخصائص الفنية لمدرسة المحافظين في الجنوب . يقول الشيخ أحمد الحفظى الأول في قصيده (أئمة حق) ، وهي تربو على ثمانين بيتا ، ومطلعها :

على العارض النجدی أهدی سلاما
سلام على أعلامها وأکامها
سقاها الحیا الحسی ورعیا لحیها
سلام على الشیخ الإمام (محمد)
سلام على عبد العزیز وأصله
قام وقاموا واستقاموا بمحجة
ولا سیما عبد العزیز فإنه
حمی بیضة الاسلام بالییض والقنا
وما زال فی بعث الجیوش مجاهدا
بنفس وأولاد وأهل واحشة
 وأنفق فی ذات الإله شابه
وأشیبه داع وراع وساعیا^(۲)

فالموهبة الشعرية أصيلة في نفس الشاعر ، يسلل الشعر منها دفاقا بلا كلفة أو تعلم ، فكانت العاطفة في هذه القصيدة صادقة مشبوبة ، يدفعها الأخلاص والحب هؤلاء الأئمة الخلقين العادلين في حكم الرعية ، صبها الشاعر في ألفاظ قوية جزلة ، وأسلوب ناصع مشرق ، وصور أديمة ، تفيض حيوية ودقة ، وموسيقى شعرية مناسبة مع المعنى والغرض ، وقافية يلتزمها الشاعر حتى نهاية القصيدة ، يلتزم فيها الشاعر بعمود الشعر العربي ، لكن القصيدة هنا تميز بوحدة الموضوع والغرض ، بلا تعدد ولا مزاوجة .

(۱) المرجع السابق : ص ١٦

(۲) نفحات من عسیر : ص ٢٨

ولا تخلي القصيدة من ميل الى تكليف البديع نادرا ، والى الزخرف بقدر لا يفراط ، مثل
البيت الثالث ، وكذلك قوله : (ققام وقاموا واستقاموا بمحجة — محجة قرآن) ، والبيت الأخير في
شابة وشبيته ، وداع وراع ، ويقول الشيخ محمد أحمد الحفظي في قصيده (دين الله باق)
ومطلعها :

لنا نور الهدى والشر ولن
وولى الله كلا ما تولى
له كل العلو وليس يعلى
وشد إليه راحلة ورحلا
جديد ليس يخلق ذا ويبل
كذاك بالسن القراء يتل
ييان وهي بين الناس ثمّل
بلا علل لما علا وأمل
وفيه محمد كثيراً وقلما
بذا تجديدها فرعاً وأصلاً
محمد الذي للحق جل
وصلل مسند والسيف سلا^(١)

بها الخير العظيم وقد تحلى
وصار الناس إخواناً جهاراً
ودين الله باق في ظهور
فعرض عليه واستمسك بخير
وقول إلها غض طرى
مكين في الصدور له بيان
وهذه السنة الفراء فيما
وقد روت الصحابة كل عدل
وما قرر من الأعوام إلا
وفي هذا الزمان بلا خفاء
من الشيخ الإمام أبي حبس
وازره الإمام أبو سعود

وحكذا إلى نهاية القصيدة ، في قوة شاعرية ، وسلامة في التعبير ، وروعة في التصوير ، وسيلة في الألفاظ والتركيب ، بلا تعلم أو تكلف ، مع شرف الغرض ، وسمو الهدف ، ونبيل للغاية ، ووحدة الموضوع في القصيدة من أول بيت فيها إلى نهايتها ، وتلاذم في التصوير الأدبي بين المعانى والأفكار وبين الألفاظ والأساليب والصور الخيالية ، وانسجام بين العاطفة الدينية القوية وبين صورها في القصيدة مستخدما وسائل التعبير التى تناسب مع الغرض الدينى من القصيدة ، وهذه الخصائص الفنية تسير على منهج الحافظين وطريقهم الفنية .

وهذا الشاعر الشيخ محمد أحمد المخظى ولد في بلدة (رجال ألمع) في ١٢٢٨/٥/١٦ هـ ، وتلقى علومه على يد أبيه ، ثم رحل إلى الخلاف السليماني في سبيل العلم ، ثم إلى العين ليكمل علومه ، ثم إلى حضرموت ، ثم إلى بلادته ، وكان يخاطب برسالة مع الجيش السعودي ، ثم عين نائباً للقضاء ، ثم قاضياً في عسير ، وله (الألفية المخظوية) و (درجات الصاعدية إلى مقامات الموحدين) و (التفحات العتيبة في الخطب المنبرية) و

^{٩٩}) المرجع السابق : ص

(ذوق الطلاب في علم الإعراب) وغيرها . وتوفى في (رجال ألمع) يوم الاثنين غرة ربيع الثاني
عام ١٢٣٧ هـ رحمة الله تعالى^(١) .

ويقول الشيخ أحمد الحفظى الثانى ، يدعوا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في قصيده
(الشرع ينادى) :

حکما صحيحا يزيل الشك والربا
وحقه في ملوك الأرض قد وجها
إني جعلت لأغراض الدنا سببا
فصوري قد بقيت والجسم قد ركبا
من الخطايم بما يكفيهم نصبا
إلا لأغراض دنيا تحبس العطايا
ويطلب العز والأموال والرثى
أو تخذلوف رأيتم كلکم تبوا
وشيد المصطفى أمرى بكل نبا
ركنا منيعا وأعلى منى القبها
يا صنيعة العمر لما صرت مغريا^(٢)

الشرع نادى ملوك الأرض بل طلا
وقدم العرض لكن ما استجيب له
نادى بصوت بلغ للعباد معا
وها أنا طالب منهم محاسبي
والناس في غفلة عنى وقد شغلوا
والله ما سكتوا عنى ولا غفلوا
كل يريد من الحكم مقرية
إن تصروني فإن الله ناصرك
أنا الذي أسس الرحمن بيته
أنا الذي قد بناني المصطفى علما
وأنتم تهدعونى بعده على

ونصوصية الخيال في القصيدة بثت الحياة في القيم الإسلامية ، وحركت المعانى السامية
المجردة ، وأقام الشاعر منها شخصا ينagi أمنه وقومه ويعرض صفاته وأخلاقه ومبادئه وتشريعه
عليهم وبخثهم على التمسك به والتعلق بأهدايه ، والعمل على نصرته وموازنته وعدم خذلانه ،
وكيف تخذلوه والرحمن هو الذي وضع أساسه ، والمصطفى شيد بيته ، فأصبحت ركنا منيعا .

هذا تشخيص حى متحرك للقيم والمعانى المجردة منع المعانى وال مجردات حيوية وقوه تركت
أترا واضحها في التصوير الأدق ، الذى يهز العواطف ، وتحرك المشاعر بالحب للشريعة الإسلامية
والتعاطف معها في سبيل نصرة دين الله ، وتطبيق شريعته الغراء ، وفي هذا دلالة واضحة على
موهبة الشاعر الفذة وقدرته على التصوير الأدق ، وهو يترسم خطى مدرسة المحافظين .

الأغراض الأدبية في شعرهم :

يضم ديوان آل الحفظى (نفحات من عسير) أغراضًا شعرية كثيرة على نمط الشعر

(١) المراجع السابق : ص ٤٤ ، ٤٥
(٢) نفحات من عسير : ص ١٠٥

العرف ، الذى كان فى الدولة الأموية ، والدولة العباسية من أغراض اشتهرت فى شعرهم .
وعنوان القصيدة عندهم لا ينص صراحة على الغرض منها ، ولذلك فإن ساقف على
الغرض منها من خلال مضمونها ، وما تدل عليه الآيات والمعانى ، لأن شاعرهم لم يحدد الغرض
منها فى الديوان ، ولكن وضع لها عنواناً وموضوعاً يوهم الغرض أحياناً ، ولا يوهم حيناً آخر ،
ولذلك قمت بتصنيف الديوان إلى الأغراض الأدبية التى اشتهرت قدماً فى شعرنا العربى الأصيل .

أولاً — المدح وخصائصه :

وهو أكثر الأغراض الأدبية فى شعر آل الحافظى ، وكان المدح فى قصيدة (آئمة حق ص ٢٨) ، وقصيدة (تهنة بالفتح ص ٦٣) ، وقصيدة (وَدَ وإخلاص ص ٦٥) ، وقصيدة (أمصالح مشكاة ص ٦٦) ، وقصيدة (شهدت شواهد ص ٧٤) ، وقصيدة (تداعت دواعينا ص ٧٨) ، وقصيدة (من النعم العظمى ص ٨١) ، وقصيدة (زينة الأقوال ص ٨٥) ، وقصيدة (وسنة الله نصر الطائعين ص ٩٥) ، وقصيدة (رياض الأننس ص ١١٧) ، وقصيدة (من تبع الإخوة ؟ ص ١٢٠) ، وقصيدة (تهنة بالفتح .. ونصيحة .. وحكم ص ١١٢) ، وقصيدة (هزاعم جيش عباس بن طوسون في عسیر ص ١٢٦) ، وقصيدة (تهنة بالنصر ص ١٣٥) .

وكذلك قصيدة (جبل الفخر ص ١٨٨) ، وقصيدة (عبد العزيز المقدى ص ٢٠٦) ، وقصيدة (تهنة ص ٢٠٩) ، وقصيدة (ما كل يضاء شحمة ؟ ص ٢١١)^(١) .

ومن قصائد المدح السابقة قصيدة للشيخ ابراهيم الزرمى بن أحمد الحافظى ، الذى ولد في ١١٩٩/٣/٢٢ هـ ببلدة (رجال ألمع) ، ثم درس في (آئي عريش) على شيخه أحمد عبد الله الضمى ، حتى أجازه ، ثم رحل إلى اليمن ليأخذ عن علماء بنى الأهل .. وله مؤلفات في الزهد والنحو ، منها كتاب (عبق الجلاب) ، وكتاب (قيد الشوارد) ، وله رسائل وشعر كثير ، وقد ترجم له تلميذه القاضى العلامة الحسن بن أحمد عاكش في كتابه (حدائق الزهر)^(٢) .

وهذه القصيدة هي (تهنة فتح .. ونصيحة .. وحكم) ، قال الزرمى بمناسبة تغلب الأمير سعيد بن مسلط بن معه من قبائل عسیر ونهم (رجال ألمع) على الترك ، واخراجهم من (طب) سنة ١٢٢٨ هـ في عهد الامام تركى بن عبد العزيز مهنتا ومناصحا ، قال :

ألا إنى أهنى للأمير بنصر الله والفتح الشهر

(١) نفحات من عسیر .

(٢) المرجع السابق : ص ١١٥ ، ١١٦ .

جسم حفه شكر الشكور
دوم الشكر في كل العصور
وصيد أوابد النعم التغور

وذاك عليه بل وعلى من
فلله الشا وله سائلا
فإن الشكر للموجود قيد

إلى قوله :

ألا فتقطروا يا ناس مهمما
وبالماضين فاعببروا تفزوا
فيما سعدوا لأرباب العبور
وعينكم الأمير حباء رسى
وعوق في الحياة وفي المصير
سعيد طابق الاسم المسمى
وشاهد ذا الفتوح مع النصور
دوما بالأصائل والبكور^(١)

وتقوم هذه القصيدة على غرض واحد ، يجمع فيها الشاعر الصفات الكريمة للممدوح ، والشمائل الفاضلة ، وكرم الأخلاق وما حققه من نصر مؤزر ، وتتبع هذه الصفات من روح الشريعة الإسلامية وأخلاقها ، مما يدل على تدين الشاعر وحسن أخلاقه .

ولم تتجدد القصيدة من فلتات لا تناسب مع لغة الشعر الشاعرة كالأسلوب السهل القريب ، الذي قد ينزل أحيانا إلى مستوى الكلام العادي بين الناس في حياتهم اليومية ، مثل (الفتح الشهير) و (شكر الشكور) و (يا ناس) ، بل قد يجره القرب والتناول في التعبير إلى الوقوع في خطأ مثل قوله (بقت) فمحذف لام الكلمة بلا داع للمحذف مع أن الفعل لحقت به تاء التأنيث الساكنة ، ولا تمحذف معها اللام والصواب (بقيت منلوحة) وهذا مما يستعمله العامة خطأ ، وأن الشاعر اضطرب الوزن إلى هنا الخطأ ، وكلامها غير محمود ويؤخذ عليه .

وكذلك الشيخ علي بن الحسين الحفظى ولد بلدة (رجال ألمع) وعاش ما بين عامي (١٢١٧ - ١٢٧٥ هـ) ، وفي سبيل طلب تقليل الشيخ بين البلدان ، فقد ادر وطنه إلى المرواغة باليمن ، قضى بها سبع سنوات ثم عاد ليتول منصب القضاء في عهد الأمير عاصف بن مرعى ، واشتراك معه في الحروب ، وله شعر جزل في المراسلات^(٢) .

ومن قصائده في مدح قصيده بعنوان (هزائم جيش عباس بن طوسون في عسير) أنشدها الشاعر في عهد الإمام فيصل بن تركى ، حين غزت عسيراً جحافل الترك القادمة من مصر في أيام عباس الأول بن طوسون سنة ١٢٦٨ هـ ، وهاجت الكثير من البلاد : سراة وتهامة ، فهب أشداء العزم والباس ، أقواء الشكيمة الأبة أهل الأقليم جميا ، بقيادة الأمير

(١) المربع السابق : ص ١٢٤ ، ١٢٢

(٢) تحفات من عسير : ص ١٢٥

عائض بن مرمي لصد الجيوش المعادية ، حتى هزموهم شر هزيمة في عدة وقائع بأماكن كثيرة ، وبنسبة هذا الظفر ، قال علي بن الحسين هذه القصيدة في عام ١٢٦٩ هـ ، ومطلعها :

أبا (أم عبد الله) ^(١) والستند
ومرأوك أوصاد الكهوف توحشا
فقالت رويدا يا أبا عبد إيمان
أضاف بما ذرعا شديد التوعد
عمرهم جيش سيق من مصر معنفا
ويسي ذراي الأكرمين جهارة
فقلت لها من دونكين دونهم
وضرب بزيل الهام عما ربت به
ويظهر مكتنوات أججاف أكباد
قسى وانظرى يا أم عبد معاركا
وفيها ليوث الأسد من كل شيعة
يшиб لها الولدان من كل أمراء
يصالون نار الحرب حزنا لفسد
حياض المسايا أصلوت كل مورد
وأبا (أم عبد الله) ^(٢) والستند
ومرأوك أفياء النصوب وغرغد ^(٣)
فقالت رويدا يا أبا عبد إيمان
أضاف بما ذرعا شديد التوعد
عمرهم جيش سيق من مصر معنفا
ويسي ذراي الأكرمين جهارة
فقلت لها من دونكين دونهم
وضرب بزيل الهام عما ربت به
ويظهر مكتنوات أججاف أكباد
قسى وانظرى يا أم عبد معاركا
وفيها ليوث الأسد من كل شيعة
يшиб لها الولدان من كل أمراء
يصالون نار الحرب حزنا لفسد
حياض المسايا أصلوت كل مورد

إلى قوله :

وأشرف على واد البجامة ^(٤) فائلا
ودمعك سفاحا على الخد والشדי
سلام على عبد العزيز وشيخه
وتتابع رشد الإمام المجد
قام ف منهم عالمون ومقتدى
دعا الناس دهرا للهدى فأجايه
وقفاهما حذوا سعد بسيفه
مميز مجرد التقود من الردى
وعرج بها ذات اليمين وقد هوت
ونادي بأعلى الصوت بشري (لفيصل) ^(٥)
وأشرف على واد البجامة ^(٦) فائلا

وقصائد المدح عند آل الخطفي تقوم على غرض واحد غالبا إلا نادرا فلا تتجاوز أغراضها
آخر غير المدح إلا في قصيدة علي بن الحسين حيث ابتدأها بخوار دار بين أم عبد وأم عبد ،
وإن كان سبب الخوار هو تلك المعركة التي انتصر فيها الجيش السعودي على المغين ثم تسلل
الشاعر إلى مدح الجيش ، وما حقيقه من نصر مؤزر في ظل رعاية الإمام تركي بن فيصل .

(١) هي أم عبد الله بن مسعود من خالق المذنب ، وقد جرت عادة الأقدمين من شعاء العرب تصدير القصيدة بالخوار مع أم عبد وأم عبد في المناسبات ، وسلر الشاعر على هذا الخلو .

(٢) غرغد : شجر الموسج .

(٣) وادي البجامة جبل يمتد بين الربع الحال حتى سدير في الجنوب .

(٤) نفحات من عصر : ١٢٦ ، ١٢٧ .

ومثلها أيضاً هذه القصيدة التي سارت على منهج القدماء في المدح ، فتصدرت بعرض آخر مع المدح ، قصيدة (رياض الأنـس) للشيخ ابراهيم الرزمـي ، فقد استهلـها الشاعـر بـمشهد من مشاهـد الطبيـعة الساحـرة ، ثم انتـقل إلـى مدحـ الأمـام سـعـودـ الكـبـيرـ وـتهـنـهـ حين دـخـلـ مـكـةـ فـاتـحاـ سنة ١٢١٨ هـ قالـ في المـطـلعـ :

رياـضـ الأنـسـ مـزـهـرـةـ تـوـالـيـ
بـهـاـ قـطـفـ دـنـىـ ماـ إـنـ تعـالـيـ
تـحـاكـيـ الـبـحـرـ لـمـ تـقـ اـتـحـالـاـ
وـمـاءـ المـأـذـنـاتـ اللـوـائـيـ
وـقـ مـلـدـ الغـصـونـ سـعـتـ لـهـاـ
لـطـيرـ السـعـدـ إـذـ شـىـ المـقاـلاـ
فـأـطـربـيـ غـنـاهـ وـلـيـسـ بـدـعـاـ
وـلـوـ نـظـمـتـ فـيـ السـمـطـ النـقـالـاـ
وـإـنـىـ لـاـ وـقـدـ أـوـفـىـ عـلـىـ
بـشـيرـ لـلـكـابـةـ قـدـ أـرـالـاـ
بـمـقـدـمـ صـدـرـ أـرـسـابـ الـعـالـالـ
حـلـيفـ الـجـدـ مـنـ فـيـ اللهـ وـالـيـ
وـمـنـ فـيـ حـلـبةـ الـعـلـيـاءـ جـلـىـ
(ـمـحـمـدـ)ـ الـدـىـ حـازـ الـعـالـالـ
بـوقـتـ أـهـلـهـ عـنـاـ كـسـالـ

ثم يتـسلـلـ مـنـ (ـمـحـمـدـ) عـلـيـهـ الـحـلـلـ ،ـ الـذـيـ أـقـامـ الـهـدـىـ بـمـكـةـ الـمـكـرـمـةـ إـلـىـ مـحـىـ الـأـمـامـ سـعـودـ
إـلـيـهـ ،ـ لـيـعـدـ إـلـيـهـ الـجـدـ كـمـ كـانـ مـنـ قـبـلـ ،ـ فـيـقـولـ :

فـلـمـاـ جـاءـ مـنـ نـجـدـ (ـسـعـودـ)ـ تـوارـواـ لـمـ يـطـيقـوـهـ نـرـالـاـ
وـأـضـحـىـ الـدـيـنـ فـ طـرـبـ وـعـزـ
بعـضـ قـلـوبـ مـنـ يـهـوـيـ الـضـلـالـ^(١)
وـهـكـذاـ يـسـرـ فـيـ المـدـحـ إـلـىـ آخـرـ القـصـيـدةـ .

أما بـقـيـةـ القـصـائـدـ فـقـدـ خـلـصـتـ لـمـدـحـ مـنـ الـمـطـلـعـ حـتـىـ نـهـاـيـةـ القـصـيـدةـ ،ـ
كـاـ وـضـعـ ذـلـكـ مـنـ القـصـيـدـتـيـنـ السـالـفـيـنـ .

التـرـمـ شـعـراءـ آـلـ الـحـفـطـيـ فـ مدـحـهـمـ النـجـنـجـ الـقـدـيمـ فـ شـعـرـ الفـحـولـ الـذـيـ يـقـومـ عـلـىـ عـمـودـ
الـشـعـرـ الـعـرـبـ ،ـ وـعـلـىـ تـصـوـيـرـ الـخـصـالـ الـمـأـلـوـفـ فـ المـدـحـ مـنـ الشـيـمـ الـمـعـرـوـفـ عـنـ الشـعـراءـ الـقـدـامـيـ
كـالـشـجـاعـةـ وـالـجـدـةـ وـالـقـوـةـ ،ـ وـشـدـةـ الـبـأـسـ وـالـنـصـرـ الـمـؤـزـ ،ـ وـالـنـدـوـدـ عـنـ الـشـرـفـ وـالـكـرـامـةـ وـالـعـرـضـ ،ـ
ثـمـ تـصـوـيـرـ أـخـلـاقـ الـاسـلـامـ ،ـ الـتـيـ حـفـزـتـ الـرـجـالـ عـلـىـ الـنـصـرـ وـالـدـافـعـ عـنـ أـرـضـهـمـ ،ـ وـالـنـدـوـدـ عـنـ
نـسـائـهـمـ وـأـلـادـهـمـ ،ـ وـرـدـ كـيدـ الـمـعـتـدـيـ .

ثـمـ مـدـحـ أـئـمـةـ الـبـلـادـ ،ـ فـهـمـ أـئـمـةـ حـقـ ،ـ نـصـرـواـ الـدـيـنـ وـأـزـرـوهـ ،ـ وـثـبـواـ دـعـائـهـ فـ رـبـوـعـ الـبـلـادـ
بـالـحـقـ وـالـعـدـلـ وـالـمـساـواـ .

(١) نـفـحـاتـ مـنـ عـمـرـ :ـ صـ ١١٧ـ وـمـاـ بـعـدـهـ .

ويستعين الشاعر في هذا الغرض بالصور الخيالية المتعارف عليها في شعر المدح عند القدماء ، ليحافظ على منهج القدامى في التصوير الأدفى ، وذلک مثل هذه الصورة من قصيدة (أئمة حق) .

حيى بيضة الاسلام بالبيض والقنا وأجرى الى برك الغمام العواديا
وكذلك التصوير عند الرزمى من خيال قديم معروف ، يقول :

فإن الشكر للموجود قيد وصيـد أبـد النـعـم الفـورـ
ثم الصورـ الـخـيـالـيةـ فـقـصـيـدةـ الـأـخـيـةـ ،ـ مـثـلـ (ـالـلـيـلـ الـبـيـهـ)ـ ،ـ (ـعـرـمـ جـيشـ)ـ وـ
(ـيـهـتـكـ أـسـتـارـ السـاءـ)ـ وـ (ـوضـرـبـ يـزـيلـ الـهـامـ)ـ وـ (ـيـشـيـبـ لـهـ الـلـوـلـانـ مـنـ كـلـ أـمـرـ)ـ ،ـ وـغـيرـ
ذـلـكـ مـاـ لـمـ نـذـكـرـهـ فـيـ دـيـوـاـنـ الـكـبـيرـ الـذـيـ يـسـيرـ عـلـىـ هـذـاـ النـطـقـ الـقـدـيمـ فـيـ التـصـوـيرـ الـأـدـافـيـ .

ثانياً - الشعر الإسلامي :

وهو أكثر الأغراض الأدبية بعد المدح ، ويشتمل على قصائد كثيرة أهمها للشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى ، وهى (عصائب في نجد ص ٤٦) وقصيدة (تألق برق الحق ص ٥١) وقصيدة (إن التجائب ص ٥٤) ، وقصيدة (ودين الله ياق ص ٩٩) ، وقصيدة (الحج والحجاج ص ١٠٤) ، وقصيدة (في الصلح بين متحاربين ص ١٠٧) ، وقصيدة (جاءت الساعة في أشراطها ص ١٠٩) .

أما عبد الخالق الحفظى فله قصيدة (ماذا بعد الممات ؟ ص ١٣٩) ، وأما قصائد الشيخ أحمد الحفظى الثانى هي : (في وصف طه ص ١٤٥) ، وقصيدة (أسماء سور القرآن الكريم ص ١٤٨) ، وقصيدة (الشرع ينادي ص ١٥٠) ، وقصيدة (الله أكبر ص ١٨٦) ، وقصيدة (آخر سطر من عبس ص ١٩٠) .

وللشاعر الشيخ ابراهيم زين العابدين الحفظى قصيدة (عمرة المسجد ص ٢١٢) والشاعر عبد الخالق بن ابراهيم بن أحمد الحفظى الأول ولد عام ١٢٢١ هـ في بلدة (رجال ألمع) ، ثم تعلم على يد والده ، ليرحل الى (أى عريش) فيترود بالعلم على يد علماء آل عاكش ، وتولى منصب القضاء في عسير ، وبعد عودته من الحج توف أثناء الطريق بالقنفذة عام ١٢٨٤ هـ رحمة الله تعالى (١) .

وله قصيدة (ماذا بعد الممات ؟) يصور فيها ما يلاقيه الانسان بعد الموت من أهوال القبر ، ويستعرض آلامه وأحزانه ، فتفيض القصيدة بالشكوى والألم ، وبخيم عليها مسحة المؤسف من الله عز وجل ، الذى يرجو منه المغفرة والرحمة .

(١) نفحات من عسير : ص ١٣٤

ذكر الممات طوال الليل أرقى والخوف أزعجني والكرب آلمى
وعاذل لم يزل جداً يُؤيني دع عنك عذلك لي يا من يعاذلني
لو كنت تعلم ما في كنت تعزّف

إلى قوله :

ماذا ألوذ به في كشف مكريتي واستجير به من كل معضلة؟
سواءك يا من له ذليل ومسائلي وقد ترى يا إله الخلق مسائلي
فجحد على فليس الخلق ينفعني
واغفر لي الذنب واصفح عن خطأ زللي واستر على بستر مسل حل
وبدل السوء بالاحسان في العمل وامن على بعفو منك يا أملاني
ووجد على مذنب بالذنب مرتهن
فليس للعبد من يغفو برحمته ومن يجب لضرطه برافقه؟
سواءك يا سامع الشاكي لفاته ثم الصلاة على الراقي وعزّته
والصحاب ما غرد القمرى على فتن^(١)

وهي طويلة اكتفيت بمطلعها ونهايتها ، وتبين في قالبها الموسيقى على نظام المخمسات ،
فتمثل كل مقطوعة خمس شطرات ، يتفق حرف الروى في الأربع من كل مقطوعة ، ويتفق في
الشطرة الخامسة في جميع المقطوعات حتى نهاية القصيدة ، وفي هنا القالب تنوع في الإيقاع
والموسيقى ، وتطور في نظام المoshحات الأندلسية ، مع الاحتفاظ بالبحر العروضي في القصيدة
كلها .

سيطرت الحقيقة على القصيدة في التصوير الأدبي ، بما يتناسب مع الغرض وهو الشعر
الإسلامي ، أما الصور الخيالية فلا تهز النفس ولا تعرك المشاعر ، فهي كتل جامدة ، وصور
تقليدية مجردة من الحيوانية وعلى سبيل المثال قوله : (الخوف أزعجني والكرب آلمى) ، فلا نشعر
بحيوانية الخيال والمشاعر الفياسية ، وغاية الخيال تظهر حينما تخرب الاستعارة بالكتابية فنقول : شبه
الخوف بانسان مزعج ، والكرب بانسان مؤلم ، ثم حذف المشبه به ، وبقيت صفة من صفاتيه ،
وهي الإزعاج والألم على سبيل الاستعارة بالكتابية ، وليس هنا في خيال شعر يصلح للتصوير
الأدبي ، بل الصورة هنا إلى الحقيقة أقرب .

ولا يغضّ هذا من قدر الشاعر ، وإنما قد يرفضه ، وقد يسمو به لأنّ الغرض الذي ينظممه
الشاعر هو شعر إسلامي ، يقوم في مضمونه على الحقائق التي لا يشتط بها الخيال ، ويعتمد

(١) وهي قصيدة طويلة تفرد وحدها من بين الديوان بهذا القالب الموسيقي ، تتحات من عمير : ص ١٣٩ ، ١٤٢

على التصوير القريب بلا مبالغة أو غلو أو افراط ، والمقصود من الخيال وصوره في غير حقائق الاسلام أن يتحقق في السامع التأثير والاقناع ، والحقائق الاسلامية في ذاتها تتحلى في مضمونها على التأثير باعتبارها حقائق مذهبة لا يقدر عليها البشر ، ويسلم بها الانسان لقوتها في الحجة والاقناع ، فلا يحتاج كثيرا الى الخيال ، الذي يعتمد على الاجاء البعيد في الأضواء والظلال والاشعاع .

هذه الخصائص الفنية في الالقاظ والاساليب والحقيقة والخيال وصورهما والموسيقى والابداع هي من خصائص المذهب الادبي لمدرسة المخاطبين ، الذين اتبعوا مذهب القصيدة القديمة وخصائصها ، لكن من خلال شاعرية الشاعر ، ومهوبته الأصلية ، من غير تقليد أعمى ، يسوده الجمود والتجمد ، ويتسم بالحالة الجردة من الموهبة الشعرية ، كالشأن عند المقلدين من شراء التقليد لا المخاطبين .

ويسرى على هذا المنهج الشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى في هنا الغرض مثل قصيده
(تألق برق الحق) ، ومطلعها :

تألق برق الحق في العارض النجدى
نعم حياة الكون في الغور والنجد
يوانع أنواع من الثمر الرغد
وأورقات الأشجار واتهضت بها
دعانا إلى الاسلام دين إلهنا
هداانا به بعد الضلالة والمعنى
وأنقذنا بعد الغواية بالرشد
حيانا وأعطانا الذي فوق وهنا
وأمكنا من كل طاغ ومنتدى
وأيدنا بالنصر واتسعت لنا
ملك من كل طاغ ومنتدى
فتسأله إتمام نعمته بأن
يبيتنا عند المصادر كالورد^(١)

ثالثاً — في الرسائل والاخوانيات الشعرية :

ويأتي هذا الغرض الادبي عند شراء الحفظى في المرتبة الثالثة ويضم قصائد كثيرة من أهمها ما ينسب إلى الشاعر الشيخ محمد الحفظى الأول ، وهي قصيدة (والورد أهدى ص ٣٥) كتبها إلى صديقه السيد أحمد ابراهيم الآخرين ، وقصيدة (ومبض اليرق ص ٣٦) كتبها إلى ابنه محمد ، وهو مقيم بالقاهرة ، وأجاده عليها بقصيدة (الشمس أشرقت ص ٣٧) ، ومن قصائد الشاعر الشيخ محمد أحمد الحفظى كذلك (لك الحمد مولى الحمد ص ٥٦) ، كتبها إلى إمام البن (المنصور على) يدعوه لمناصرة أئمة الحق في نجد ، وقصيدة (أغراض الدعوة ص ٥٨) ، كتبها إلى الخلاف السليمانى بأى عريش في منطقة جيزان إلى الشريف على بن حيدر ، وقضيه

(١) نفحات من عصر : ص ٥٢ ، ٥١

عبد الرحمن البكيل ، وعلماء تلك المنطقة ، يدعوهم إلى استجابة الدعوة في نجد ، وقصيدة (حدا صيت الألحان ص ١١١) ، وكتها عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الحفظى رداً على قصيدة (سرى بارق الأشواق) ، التي كتبها قاضى مكة المكرمة الشيخ عبد الله سراج بن عبد الرحمن وبعثها إلى الشيخ محمد أحمد الحفظى ، ولكنها وصلت بعد وفاته ، فرد عليه ابنه عبد الرحمن بالقصيدة السابقة فقال :

حدا صيت الألحان فاحتدى بى قصدى وغنى جلا ترجيعه شجن البعد
وذكرنى عهلاً عفا حق وصله وقد كان بالأباء فى طلعة السعد

وكانت ردًا على قصيدة (سرى بارق الأشواق) ومطلعها :

سوى بارق الأشواق فاشتدت بى وجدى وذكرنى مسراه عرب الحمى النجدى
وأقلقنى وادى رجال وشاقى غير شذى منه يفوق على النَّد
وجاء فى هنا الفرض أيضاً قصيدة (أيهَا الْبَيْتِ ص ١٨٩) للشيخ عبد الخالق خاطب
بها ابنه أحمد الحفظى الثانى .

وأما الشاعر الشيخ على ابن زين العابدين الحفظى فقد ولد في بلدة (رجال ألمع) ، وتلقى
علومه على يد والده وأعمامه ، ثم رحل إلى المراوية بوادي سهام البهية ليتزود بالعلم ، فقضى بها
خمس سنوات تتمدد فيها على يد علماء الأهل ، ثم سافر إلى جزيرة جاوة فأقام بها سنوات ، ثم
عاد إلى بلده ليتولى القضاء ، وله مؤلفات في الفقه والنحو والشعر ، ومات وعمره خمسة وستون
عاماً^(١) وله قصيدة (دموع وأشواق) بعث بها إلى عممه وشيخه الأول يقول فيها :

هب النسيم قلبى كاد ينفطر والدموع يجري على الخدين منحدر
شوقاً إلى الين الميسون مسكننا من في (رجال) لنا الأسلاف قد عمروا
أيضاً وذكرنى عهداً لإخوتنا فهم جناني كذا السمع والبصر
مقدم التكر شيخى قدوق (حسن)^(٢) نجل الوجه به الأيام تزدهر
علامة شرف الإسلام محمد مدرس فضله في القطر مشتهر
يحيى التساوى فقها فهو (تحفتنا) (ومنهاجا) وكذا (الأنوار) لا نكر
مصالحتنا (حسن) أيضاً (نهايتها) (ارشادنا) من به الأزمان تفتخر^(٣)

(١) نفحات من عسير : ص ١٩٢

(٢) هو ابن عبد الرحمن محمد الحفظى .

(٣) نفحات من عسير : ص ١٩٣ — ما بين الأقواس أسماء بعض كتب الشافية .

وتحضى القصيدة على هذا النحو حتى نهايتها من التكليف والتصنيع ، الذي يظهر في أسماء بعض كتب الفقه للمذهب الشافعى ، ليس لكنها في نظم الآيات قسراً ، كما تسود طريقة التعبير في النثر على القصيدة لا طريقة الشعر فيها ، مما كان لها أثر على الألفاظ الأخرى في الآيات ، فنشر أن في الأسلوب قلقاً واضطراباً ، كما في قول الشاعر : (مقدم الذكر شيخى قلوق [حسن]) .

والمصطلحات العلمية واللغوية هي آفة الشعر ، تذهب برونقه ، وتطفيء ديناجته المشرقة ، وتجمد حيوانه النابضة ، كما في قوله : (علامة — شرف الاسلام — مجتها .. الخ البيت) ، فهذه المصطلحات (علامة — مجتها — مدرس) أفسدت الشعر وجعلته نثراً أدبياً ، وكذلك الأمر في أسماء الكتب ، التي أصر على ذكرها وهي : (التواوى — التحفة — الأنوار — الحسن — الإرشاد) وغيرها ، ألمحت حرارة المشاعر ، وثورة الانفعال ، وتعبرت العاطفة ، ففصلت الآيات في جمود وتحجر ، وفتور وضعف في المشاعر .

وهذا يدل على أن شعر آل الحفظى في ديوانهم لا يخلو من هنات العصر ، من التكليف والتصنيع ، وإن كان قليلاً بالنسبة لحسنات شعرهم بصفة عامة ، وليس هنا عيباً يؤخذ عليهم ، فهو أمر واقع حيث كانوا يمثلون بشعرهم مرحلة تاريخية ، لا بد منها في تطور الشعر السعودى في الجنوب ، ليneathي الشعر بعدها في المرحلة المتقدمة التالية ، التي سرتها في تطور المناهب الأدية الحديثة من بعدهم .

رابعاً — الشعر الوطنى :

الشيخ أحمد بن عبد الخالق بن ابراهيم بن أحمد الحفظى الأول ، وبعلق عليه أحمد الثانى ، ولد بقرية عثالف مستوطن أبيه ، ثم سافر إلى (أى عريش) ليتلقى العلم على مشايخه من آل عاكش ، ثم عاد إلى بلده لكنى يساعد والده في القضاء والإفتاء ، حتى قبض عليه الأتراك مع صحبه ، وأرسلوه إلى استانبول لمدة ست سنوات ، حتى عاد سنة ٢٩٣ هـ ، ولكنه ظل يدعو إلى الوحدة الإسلامية ، فاعتقلوا ابنه عبد القادر تنكيلياً بوالده ، لكنهم أفرجوا عنه بعد ذلك ، وظل الشيخ أحمد في عثالف أحدي قرى وادى حل ب الرجال ألمع ، حتى مات سنة ١٣١٧ هـ عن ٦٧ عاماً ، ومن مؤلفاته : (فتح المال) في تفسير القرآن الكريم ، وله رسائل في الفقه والأدب ، أما شعره فهو كثير ، كتب فيه بضعة أجزاء تحتاج إلى النشر^(١) .

والشعر الوطنى يكاد يكون مقصوراً على الشيخ أحمد الحفظى الثانى المترجم له سابقاً ،

(١) نفحات من حسر : ص ١٥٦

ومن أهم قصائده في هذا الغرض الأدبي قصيدة (ذكرى وعتاب ص ١٥٨) كتبها وهو بالمعتقل إلى بيته وأهله ، وقصيدة (لوعة وعتاب ص ١٦١) في الحنين إلى وطنه وقومه الأشواوس ، وقصيدة (الدهر والناس ص ١٦٣) يتذمر فيها من الحكم العثمانيين ، الذين ذاق منهم مرارة الاعتقال ، وعناب الوحشة والعزلة ، وقصيدة (بين الماضي والحاضر ص ١٦٤) يخن فيها إلى الماضي ذي العزة والفحار ، ويثن في الحاضر من مرارة العيش بعد التعميم ، وقسوة الأيام بعد الرخاء ، وقصيدة (محاكمة ص ١٦٦) وفيها محاكمة وحوار يشف عن ظلم العثمانيين له ولأصحابه ، وقصيدة (ذكريات ص ١٦٩) يتذكر فيها حالته حيناً كان عزيز الجانب في الماضي ، وحالته من الأسر في الحاضر ، وقصيدة (خماسيات ص ١٧٦ - ١٨٥) وكتبتها بعد الانتصار في حرب البلقان إلى قومه ابتهاجاً بعودته إلى وطنه ، وسار على نظام تغير القافية في المoshahat ، وقصيدة (خواطر من أرض الروم) وأرسلتها مع على بن طامي شعيب ، حين أطلق سراحه إلى بني عمومته ليغور فيها عن حينه إلى وطنه يقول فيها :

قد هشست بين حديثها وجرائمها
وتزبنت بيالها وكالها
فاقت يهجمها على أثناهما
عمداً فلم تخطئ برمي نباها
ولاحظها فالسحر من أكحالمها
عن حسنه سجدوا لعذب مقاها
كالعطر بين نسائها ورجالها
فشت غليل الشوق من سلسالها
حتى أتى ما صد عن أحواها
أنسي لفوس حلها ورجالها^(١)
شبك ترى ما كان من أشكالها
أو يقتدى بجرائمها وحالاتها
تبكي منازلها على خلامها
كيف النجاة لطامع في حالها
والنفس طول الوقت في أهواها
أيضاً كما أعمامتها آخرها
وإن كان ذنباً فهو من أعمالها

خطرت ومنت في للذيد وصالها
شمسم تبعت من سماء فضائل
درية نورية عريبة
ترمى بليل من قسى حاجب
قد أودع السحر الحال بلقطها
لو أسفرت في الجاهلية مرة
برزت من العلياء تشر عرفها
ورمت لنا طيب الحديث بلططفها
ما زلت أذكرها وأذكر حالها
ما جرى في حال أسر شائع
أسر به الأحوال صارت هكذا
لم توحد الأشياء حسب مرادها
صارت منازلها كأمس عابر
وأنا الأسر أسر سر مفكراً
في بلدة الروم أسيراً مبعداً
جعلت فروع أصولها أجدادها
مال وأرض الروم ماذا حل في

(١) حل : اسم مستوطن أية ، ورجال : وطنها الأصل وبينهما أربع كيلومترات .

لم يق في الدنيا سوى أحبابها
يا رب فاجعلنا على منوالها
من ذا سواك مفتح أقفالها
منكم وأما الغير لا أرض لها
تعطى لمن ترضى أيم وبالها
إلا بأمرك فالرضا أولى بها
لطلب الرحات من عذابها
أو اشتكي إلا إلى فعاتها
أفواهم والموت في أفواها
فالليث يكشر وهو من أهواها

وبصره ينهل عظم نصالها
والنفس لاعبة على أغفالها
لناته خمده على أحوالها
أو كت سيف حرب ذي أطواها
أو قد فعلت فواقرا يد ناهها
بل كت مفتقرة إلى أفعالها
يوم الأرض زلت زلاتها
إذ أخرجت أراضينا أتفالمها
لما ها الإنسان نادى ما ها؟
أن الإله لأرضه أوحى لها
لسرى الجزا في ذاك من أعمالها
يوما يراه وشهه أحوالها
أمسى السلام لسائل سؤالها
يوم القضا والنفس في أهواها
أو في التحايا من ذرا أجبابها
خطرت ومنت في اللذذ وصالها^(١)

لو يأخذ الله العباد بظلمهم
لكن رحمته لكل وسعت
لا تجعل (المحظى) محروما بها
طلب التلطيف والرحم سيدى
كل عيده بالسوء وإنما
لا ينفع العبد الضعيف لشه
وأنا الصبور وليس حال نازلا
أقسمت ألا أصغي لقول معنف
ما لي وللأعداء أشافت مفرقى
لا تغدر بيسم من ضاحك

والسيف يلمع ضاحكا من صقله
فعدونا الشيطان أضحي ضاحكا
ما لي وللدنيا أشانت كلما
هل كنت تبع حمير في وقها
أو كنت قد جمعت أجناد الورى
قطع الرقب وأسر كل مبعد
(رب العباد) أسيز ذنب خائف
ذاك المقام مقام صدق ظاهر
والأرض خاشعة لشدة هوفها
فيها تحدث للوري أخبارها
الناس أشانتا تراهم كلهم
من يعمل الخير القليل كذرة
يا نحل (طامي) أنتى أودعتكلم
والله أسلمه السلام من لظى
وعلى (عسر) جيهم من مفرم
ما دام ذكر الله أو ما تليت

هذه هي القصيدة كلها ، بدأها الشاعر على عادة الشعراء القدامى فاستهل المطلع بالغزل العفيف ، وثنى بالغرض المقصود ، وهو الحنين إلى أهله ووطنه و الماضي ، وأروع ما في القصيدة

(١) نفحات من عسر : ص ١٧٢ ، ١٨٣

شاعرية المطلع الغزلي ، الذي فاض بوجдан الشاعر الصادق ، وعبر عن لظى مشاعره المتأججة من لوعة الفراق ، فخطرت له في أبيه زيتها ، فسحرته بمحبتيها ، وبعثتها ، لتطفئه غليل الشوق ، لكن العاذل يترصد لقطع وصل الحبيبين ، ألا وهو الأسر ، الذي أنسى التفوس أعز البلاد ، وأجمل التكريبات في حل ورجال ألمع ، وهكذا يتسلل الشاعر من الغزل العفيف إلى الحنين للوطن ببراعة ولطف ، حتى لا يشعر القارئ بأن القصيدة تحني على غرضين ، وكان غزله بربنا ، يصور الخواطر النفسية ، وكيف تجاوب وجданه مع سحر الوصل ، وجمال اللحظ ، وعنواني الحديث ولطف الروح ، كما أغنى وجدانه أيضا بظلم الأسر في بلاد الروم ونار البعد عن الوطن ، ولوحة الفراق عن الأهل والخلان ، في تصوير أدى رائع ، وشاعرية قوية متقدفة ، وعاطفة صادقة مشبوهة ، وذلك في شعر يكاد يخلو من مسحة الكلفة والمبالغة ، حتى نشعر بأن أسلوب القصيدة وتراثها ، يبلغ من العنوية والسهولة مبلغ التعبير الدارج في النصوص التثوية المألفة ، ولولا توقد العاطفة ، وميزان الشعر من العروض والقافية ، لقلنا بأنها قطعة أدبية ، تدخل في باب التراث الفني الرفيع .

وسقطات القصيدة قليلة ، لا تغض من قوة الشاعرية ، أو تنقص من قدرة الموهبة الأصلية في الشعر ، فالقافية مثلا فيها ليست مركبا صعبا ، تنتهي إليها ، وهذه تعطي تعبيرا للشاعر إذا لم تستحب به الكلمة القائمة على الأداء ، وجد الشاعر مهربا من حقله اللغوي الضيق إلى كلمة أخرى يوصلها بالماء المضافة ضميرها ، يرجع إلى ما قبله ، وتلك توسيعة على الشاعر حتى لا يخضع لضرورة القافية .

وعدم خضوع الشاعر لضرورة القافية يدل على تمكّن الشاعر من معامل الاشتغال اللغوي ، واستخدامه استخداما جيدا في القافية ، وعبر أيضا عن قدرة الموهبة الشعرية عنده ، وتلك براءة يتصف بها توسيع الشعراء .

سرى الغموض في بعض المعانى للقصيدة مثل هذين البيتين :

طلب التلطف والترجم سيدى منكم وأما الغير لا أرضى لها
كل عيدهك بالسواء وإنما تعطى لمن ترضى أليس وبالما
فلا أدرى المعنى في قوله : (وأما الغير لا أرض لها) أيكون المقصود : أما غير الله فلا
تطلب التلطف والترجم منه ، وإذا كان كذلك فيكون الغموض واقعا ، لا يقف عليه القارئ
يسرا ، وذلك لا بسبب صورة شعرية موحية ، تبهه لوقت ما ، حتى يقع على المعنى فيرويه كما
يروى الظمآن ولكن بسبب التعقيد في التركيب ، حيث جعل الشاعر التلطف والترجم عند غير
الله لا أرض له ، فكان الغموض في اختيار لفظ (الأرض) وفي عود الضمير على اللفظ المؤذن
للأرض من أجل القافية . بينما هو يعود على التلطف والترجم ، وكلاهما مذكر ، ليعود عليهما
الضمير مذكرا لا مؤذنا ، والتقدير (وأما الضمير لا أرض له : أى للتلطف والترجم) .

و كذلك قوله : (تعطى من ترضى أليم وبالماء) ، فكيف يعطي الله تعالى أليم العذاب ، بل من يرض عنه الله ، يفضل عليه بالنعيم ، ومن يسخط عليه يصله بالعذاب الأليم ، وهذا تناقض في المعنى .

وما يذكر لبراعة الشاعر ، وموهبة الشعرية القوية أنه يستخدم البديع بلا كلفة ، بل يأتي منقاداً طائعاً للمعنى ، مع تكرار اللفظ الواحد يقول الشاعر في براعة : (وأنا الأسير أسيء سير مفكراً) .

وتفتهر البراعة أيضاً في الاقباس من القرآن الكريم والتضمين لصورة ومعانيه ، وتظهر روعة التصوير الشعري في اقباسه لسورة (الزرارة) في أربع أبيات ، مثل قوله : (والأرض خاشعة لشدة هوا) .

خامساً — الشعر التعليمي :

ظهر الشعر التعليمي في أربع قصائد وهي قصيدة (نصيحة لحاكم ص ١٧٤) التي رفعها رؤساء القبائل في عسير ، يترעםهم قاللها الشيخ أحمد الحفظى الثانى إلى السلطان التركى عبد الحميد عام ١٢٩٠ هـ ، ينصحون الحكم برفع ظلم العذابين عنهم ، وقصيدة (ذكر الحبيب ص ١٩٦) ، التي بعث بها الشيخ على زين العابدين الحفظى إلى ابنه إبراهيم ليحثه على طلب العلم لدى بنى الأهل فى وادى سهام باليمان ويقول فى مطلعها :

ذكر الحبيب لدى الساعات لم يزل وما غفلت ودمى فاض من مقليل
وبي من الحزن ما يكفى لمن تضر شواهد الحال بالتعديل تشهد لى

وقصيدة (حادى المطابا ص ١٩٩) أرسلها الشاعر على زين العابدين لابنه المذكور .

والشاعر الشيخ أحمد الحفظى الأول بن عبد القادر من بلدة (رجال ألمع) ، ولد فيها فى ١١٤٥/٤/١٥ هـ ، وتعلم على يد والده وأعمامه ، ثم رحل إلى (صبياً) لطلب العلم ، ثم إلى اليمن ليتعلم على أيدي علمائها ، وأخيراً عاد إلى بلده لينشر العلم وتعاليم الدين الخالق ، ولما ظهرت دعوة التجديد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمأذرة الأئمة آل سعود ، نشر الشيخ أحمد الحفظى فكرها، ودعا بها ، وتوفي عام ١٢٣٣ هـ عن ثمان وثمانين عاماً. ولهم مؤلفات كثيرة منها : (الأزهار الفاتحة في أسرار الفاتحة) ، (ضياء الشمعة في شرح خصوصيات الجمعة) ، (شرح عقد جواهر الثلال في فضائل الآل) ، أما شعره فكثير^(١) .

(١) نفحات من عسير : ص ٢٣ ، ٢٤ .

ولهذا الشاعر من الشعر التعليمي قصيدة (نصائح وحكم ص ٣٣) يقول فيها :

سم في سمات سناها السموات واعمل بأعمال أعلام العبادات
واحضر جموع جماعات الصلاة فما أحسن من فاته جمع الجماعات
وأجر للجبار معروفا يجبرك من جحور العذاب وإن جر الجسورات
وهكذا يسر الشیخ في قصيدة ، يتعرف فيها الأسلوب المتلکف والتركيب المتشلقة بألوان
الزينة والزخرف ، على عادة شعاء عصو لکی تصیر الآیات مثلاً أو حکمة ، يتذر بها في
المجالس ، ولا تخلو من موعظة وحكمة ونصيحة ، وهذا وحده هو جوهر الحسن فيها .

سادساً : الرثاء :

وجاء غرض الرثاء عند آل الحفظى في قصيدتين إحداهما للشیخ أحمد الحفظى ، يرث بها
والله المتوفى في ليلة عيد الأضحى عام ١١٨١ هـ ، يقول في مطلعها :

يا عين جودى بدمع قطره ديم يجري على الخد منثور ومنتظم
وابك على الفضل طول الدهر وانتهي حتى يرى الدمع يجري في الخنود دم^(١)
وقصيدة أخرى بعنوان (روضة الحق) للشیخ محمد بن أحمد الحفظى بعث بها إلى الإمام
سعود الكبير ، يرث فيها الإمام عبد العزيز طيب الله ثراه ، ويعلن عن دوام مناصرته للدعوة
التجديد يقول في مطلعها :
خليل هذه روضة الحق فأعدلا قلوصيكمَا في طلها وطلوها^(٢)

سابعاً - الوصف :

وغرض الوصف في ديوانهم يضم قصيدة (في طريقه إلى المعتقل) للشیخ أحمد الحفظى
الثانى ، أنشأها الشاعر وهو في طريقه إلى تركيا حين اعتقاله العثمانيون ، فوصف هذه الرحلة ،
وفيها يقول :

شكابة مشتاق لدار واعتقال
وأهل وإخوان وخجل ومنزل
لواحدهم حسن القرى والتجميل
مشى عنهم ليلاً فلما اعتلى على
لاقبس النيران من كل شاهق

(١) نفحات من عصر : ص ٤٢ ، ٤٣

(٢) المرجع السابق : ص ٧١ ، ٧٣

وَهُبْ نَسِيمُ الْبَانِ مِنْ أَيْمَنِ الْحَمِيِّ فَرَزَادَ فَلَمَّا أَنْ رَأَى حَنَّ لَى^(١)
وَقُصْبَلَةً أُخْرَى (تَحْيَةُ التَّفَنْدَةِ) وَهِيَ لَهُ أَيْضًا ، يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا :

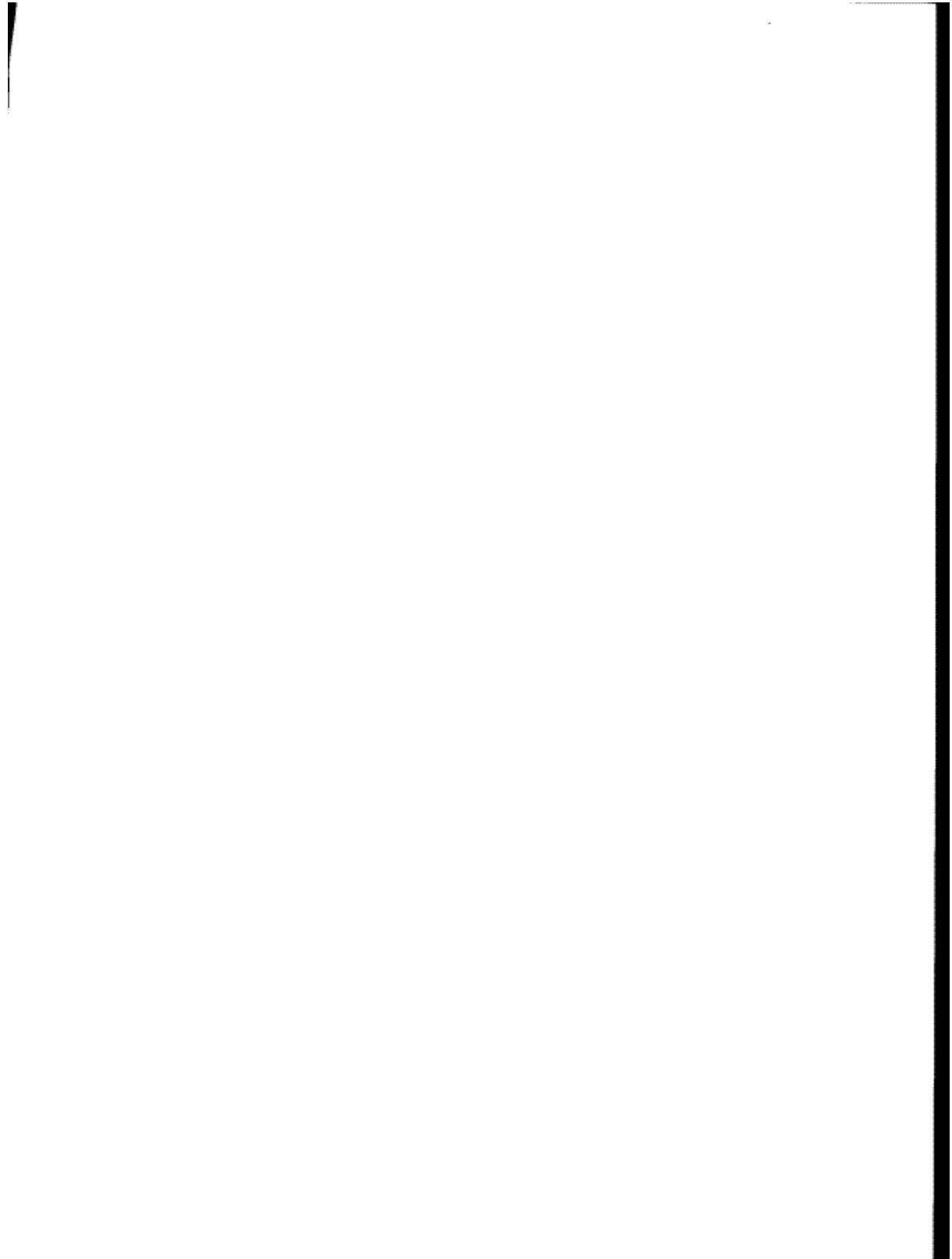
عَلَى الْبَنَدرِ الْغَرْبِيِّ أَهْدَى تَعْيَى مَضَاعِفَةً تَرَى بِصَافِ الْمَوْدَةِ
تَرْمَى رِجَالَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالتَّقْوَى وَكُلُّ أُولَى عِلْمٍ بِتِلْكَ الْمَدِينَةِ
بِهَا أَهْلَهَا كَالْغَيْثِ حَلَّ لِجَارِهِمْ وَوَافَدُهُمْ فِيهَا بِأَوْفَرِ نِعْمَةِ^(٢)



(١) تَفَحَّاتُ مِنْ عَسِيرٍ : ص ١٥٢ ، ١٥٣
(٢) الْمَرْجَعُ السَّابِقُ : ص ١٥٦ ، ١٥٧

الباب الثاني

مَدْرَسَةُ التَّجْدِيدِ الْمَحَافِظِ

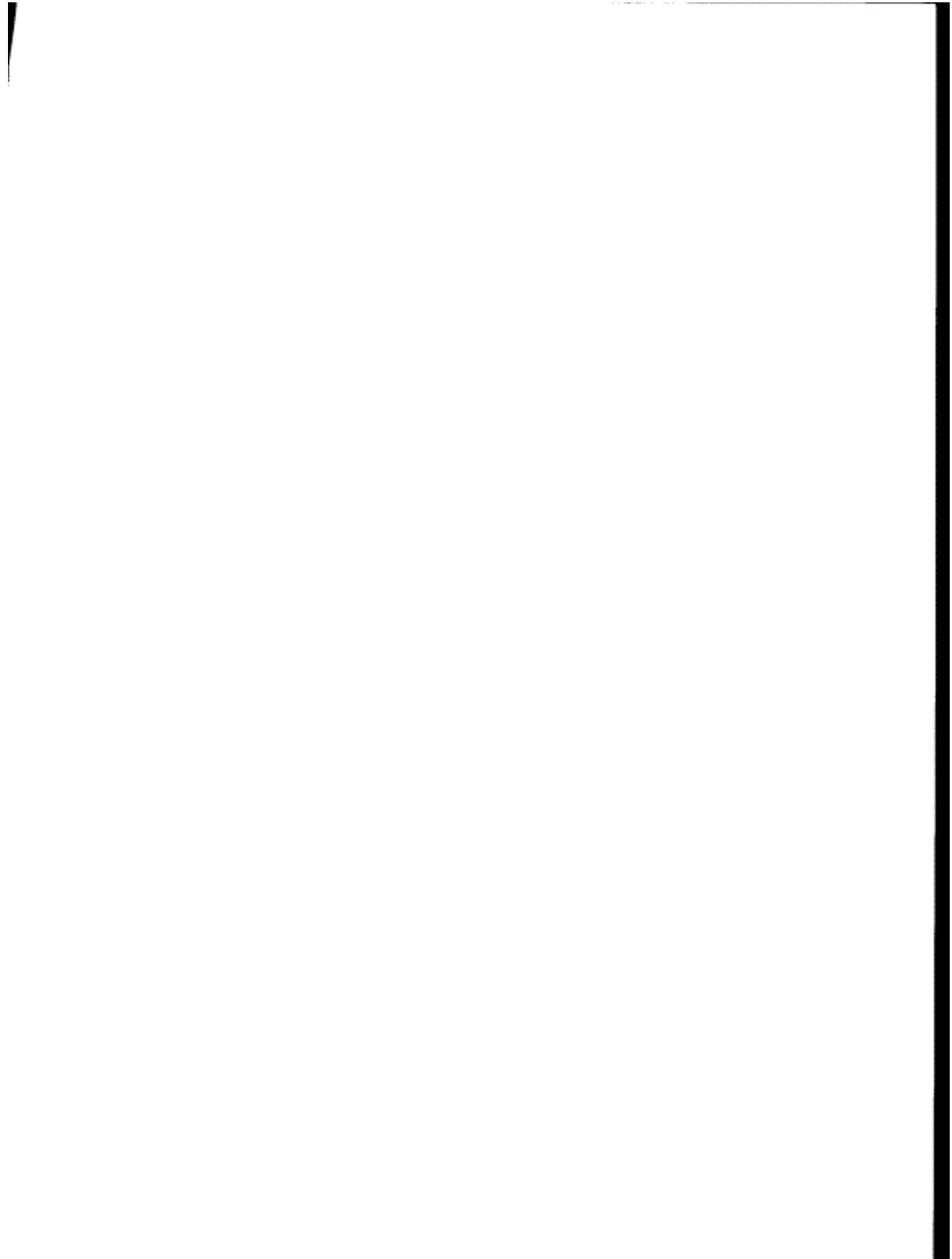


الفصل الأول

الخصائص الفنية

المدرسة التجريدية المحافظة

- ١- أصول المعاشرة على عمود الشعر العربي .
 - ٢- دعائم التجربة وخصائصها الفنية .
 - ٣- شرائع مدرسة التجارب المعاشرة .



أصول المخالفة على عمود الشعر العربي :

عمود الشعر العربي له قواعد وأصول اصطلاح عليها النقد العربي القديم الأصيل ، إذا ما توفرت في القصيدة ، أطلق عليها النقاد ، أنها عمودية ، وإذا التزم الشاعر بحدث بهذه القواعد والأصول أطلق عليها النقاد شاعراً محافظاً ، لأنه حافظ على عمود الشعر العربي في شعره ، وهذا كان لابد أن نعرف هذه الأصول في عرف النقد القديم :

فالأصول في عمود الشعر هي تلك التقاليد الفنية الموروثة في استخدام اللفظ والمعنى والخيال والصور والوزن والقافية ، ومنهج القصيدة عند الشعراء الجاهليين والاسلاميين في القصيدة العربية ، حتى صارت هذه التقاليد الفنية الموروثة عرفاً متيناً ، ومنهجاً متوارثًا لا يحيط به الشاعر ، وأصبح عمود الشعر مصطلحاً تقدماً مشهوراً ومتداولاً وخاصة عند النقاد العرب في القرن الرابع الهجري ، فقد نضج على أيديهم .

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي مقرراً عمود الشعر : (هو كل التقاليد الفنية التي التزمها القصاد في قصائدهم من الأفكار والمعانٍ والأخيلة والأوزان والقوافي ، والألفاظ والأساليب والصور وغيرها ، فهذه التقاليد جميعها هي عمود الشعر)^(١) .

وأصول التقاليد الفنية تقوم على خصائص فنية لكل من اللفظ ، والمعنى ، والصور ، والأسلوب ، والوزن والقافية ، والمنهج في القصيدة .

أما اللفظ فيقتضي الجرارة ، والاستقامة ، والمشاكلة للمعنى ، وشدة اقتضائه للقافية ، ومعنى جزالة اللفظ ألا يكون غريباً ولا سوقياً مبتلاً^(٢) ومعنى استقامة اللفظ هو تناسق حروفه في جرس متساوق ، وإيقاع رتيب ، فسلسل حيتنفذ من تنافر الحروف ، ومعاناة التقلل في اللسان وعلى السمع . واستقامته أيضاً تكون بدلالة اللفظ على أصله ومعناه في اللغة^(٣) .

ومعنى مشاكلة اللفظ معناه ، حيث لا يزيد على معناه أو ينقص عنه ؛ وشدة اقتضائه للقافية هي أن تقع الكلمة في موطئها من القافية والوزن ، فلا يقبل غيرها ، لأنها هي الموعود المتضرر^(٤) .

(١) فصول في الأدب والنقد : ص ٨١ .

(٢) الصناعين : أبو هلال العسكري ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق : ص ٨٢ ، وشرح ديوان الحمامة : المزروق ص ٩

(٤) الصناعين : أبو هلال العسكري : ص ١٢٨

وأما مفهوم : خصائص المعنى ، فلابد من تحقيق الشرف والصحة ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، و المناسبة المستعار منه للمستعار له ، ثم التحام أجزاء النظم والشامها^(١) .

ومفهوم الشرف في المعنى هو الاغرب فيه واختيار الصفات المثل ، والصحة فيه هو السلامة من الخطأ ، ومطابقة المعنى الموضوع له في اللغة .

ومفهوم الاصابة في الوصف هو ذكر المعانى العامة ، والابعد عن المعانى المجهولة والصفات الخاصة .

ومعنى المقاربة في التشبيه هو ما لا ينتقض عند العكس ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له هو ما تعارف عليه أهل اللغة في المجاز^(٢) .

وأما خصائص الأسلوب والنظم في الشعر فهي جودة السبك واحكام النسج وصحة التراكيب ، والتآخي بين المعانى والألفاظ فتوضع اللقطة بمحوار أختها ، وفخامة الأسلوب .

فالأخصى وابن سلام الجمحي يحرصان على فخامة الأسلوب ، ويقول أبو هلال العسكري : وليس الشأن في إبراد المعنى .. وإنما هو في جودة اللفظ وصفاته .. من صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف . ويقول ابن طباطبا : (وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتتفق في غيرها) ، ويقول المرزوق : (والتحام أجزاء النظم والشامها على تخبر من لذيد الوزن)^(٣)

ويقول الآمدي : (وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأقى وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها) . ويقول أيضاً : (صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود و تستحكم إلا بأربعة أشياء : جودة الآلة — واصابة الغرض — وصحة التأليف — والاتهاء إلى تمام الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها)^(٤) .

وأما مفهوم منهج القصيدة فهو حسن الانتقال من غرض إلى غرض ومن موضوع إلى موضوع . فينتقل الشاعر من ذكر الديار والأطلال إلى الحبيب والرحلة ثم إلى المدح وهكذا في براعة وحسن تخلص . يقول ابن قتيبة : (إن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن

(١) شرح ديوان الحماسة : المرزوق .

(٢) المرازة للأمدي ص ٣٣ ، وشرح الحماسة للمرزوق ص ٩ والطراز : بحثي العلوى ٢٤١

(٣) انظر : طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٠٢ ، والصناعتين : ص ٥٧ ، وعيار الشعر : ص ٦ ، وشرح ديوان الحماسة : ص ٨ .

(٤) المرازة : ٤٠١/١ ، ٤٠٢ .

والآثار ، فيكا وشكما ، وخطاب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها ، ثم وصل ذلك بالnisib فشكما شدة الوجد وألم الفراق وفطر الصيابة والشوق ليحمل خوه القلوب ويصرف إليه الوجه ، وليستدعي به اصغاء الأسماع إليه ، لأن النisib قريب من النفوس لانط بالقلوب ، فإذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء إليه ، والاستماع له ، عقب بامجاب الحقوق فرحل في شعره ، وشكما النصب والسهر وسر الليل وحر الهجير ، وانقضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، ودمامة التأمل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في السير ، بدأ في المدح ، فيبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح ، وفضله على الأشياء ، وصغر في قبرة الجزيل^(١) .

وأما خصائص القالب الشعري فهي أن يتلزم الشاعر في الوزن البحور التي سار عليها الشعراء القدماء والتي حصرها الخليل بن أحمد في البحور والأوزان التي اشتهرت عند العرب فنقوم القصيدة على بحر واحد من المطلع حتى الخاتمة ويلتزم الشاعر أيضاً مع البحر قافية واحدة متحدة الروي لا يعدل عنها في بيت واحد.

أما من خرج عن البحر الواحد كشعر التفعيلة والشعر الحر فهو متفرد على عمود الشعر العربي في قالبه الموسيقي وأما من عدلت قوافيه في القصيدة الواحدة كالشعر المرسل ، وبنظام المقطعات فهو أيضا متفرد على عمود الشعر العربي في قالبه الموسيقي لأنه خرج عن وحدة القافية في القصيدة ذات البحر الواحد .

هذه هي أصول عمود الشعر العربي وخصائصه الفنية بایجاز اصطلاح عليها النقد العربي القديم وقد وضحته بالتفصيل في كتاب مستقل^(٢) ، لأن الحاجة هنا تقتضي الإيجاز بقدر المطلوب .

دعاهم التجديد وخصائصه الفنية :

ومدرسة المجددين المحافظين تسير في مذهبها الأدبي الجديد على نحو من المزاوجة بين الحفاظ على عمود الشعر العربي السابق وبين التجديد بما يتناسب مع العصر والبيئة والثقافة والتقدم العلمي والفكري وغيرها من مقتضيات العصر وظروفه وأحداثه ، ولذلك نرى شعراء هذه المدرسة مع محافظتهم يغترفون من الثقافة الحديثة أكثر من غيرهم ، ويتجاوبون مع التيارات الفكرية والعلمية والأدبية المعاصرة ، وكذلك المشكلات الاجتماعية والعسكرية ، وال مجالات السياسية والاعلامية وغيرها .

(١) الشعر والشعراء : ٧٤ ، ٧٥ .
 (٢) كتاب : عمود الشعر العربي : دار الحارث بالطائف ١٤٠١ هـ.

وبهذا يتلقف الشعراء كل جديد في مجال الثقافة والعلم والفكر والفلسفة والسياسة والاجتماع ، والقضايا الإنسانية والعسكرية ، والمناهب الأدبية والنقدية المعاصرة ، بل يتتسارعون إلى ، ويقبلون عليه في نهم وشوق .

وساعدتهم على ذلك تيسير اقتناء الكتب والصحف والمجلات والدواوين من لبنان ومصر والعراق وتونس والمغرب وغيرها من شتى بقاع العالم .

وكان لأجهزة الإعلام المختلفة عن طريق السماع أو الرؤية تنقل إليهم الندوات ، والمحاضرات ، والمقالات ، والحوارات وغيرها مما يدور حول قضايا الفكر والأدب والمناهب .

وأخذ شعراء الجنوب يتجاذبون مع أعمال المازن وشكري والعقاد ، وطه حسين والزيات ، وأحمد أمين وزكي مبارك وسيد قطب ومحمد شاكر ، وأحمد الشايب وشوق صيف ، وعبد المتعال الصعيدي وسعيد العريان ، ومصطفى عبد الرازق ومحمد عبد المنعم خفاجي وحسن جاد وابراهيم أبو الخشب ، ومحمد سرحان وعبد السلام سرحان وغيرهم .

وتتابع الشعراء المعارك الأدبية والنقدية بين المفكرين والقاد ، وخاصة حول شعر شوق وحافظ ، وشعر مدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، ورابطة الأدب الحديث ، وشعر المهاجر ، العربية وغيرها .

وهذه مشاعرهم شعر الزهاري والرصاص في العراق والبارودي وسامuel صبرى والجارم ، وحافظ وشوق ، ومحمود طه وأحمد زكي أبو شادى ، وناجى ومحمود أبو الوفا وشكري والعقاد وغيرهم في مصر ، وابراهيم البازجي والأخطل الصغير ، وأبو ريشة وبليوى الجبل وفؤاد الخطيب في سوريا ولبنان^(١) .

وكان شعراء هذا المذهب الأدبي ينقسمون على أنفسهم ، فيشاركون مذهبًا يفضلونه على آخر ، وشاعرًا على آخر ، وناقذا على ناقد ، فمنهم من هام بشوق ، وآخر من أحب محمود طه أو ناجى ، ومنهم من ناصر مدرسة الديوان ، وآخر سار على نهج مدرسة أبولو وهكذا ..

لذلك كله ترى روح التجديد للمحافظين من شعراء الجنوب في الشكل والمضمون فكان شعرهم تجديداً محافظاً في المعان والأفكار ، وفي الأغراض والأهداف ، وفي المنح والأسلوب ، وفي الخيال والصور الأدبية وفي الموسيقى والإيقاع ، بما يتلاءم مع ظروف العصر ، وحاجات المجتمع الجديد المتتطور .

(١) انظر : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : د . بكرى شيخ أمين ، الموسوعة الأدبية : عبد السلام طاهر السادس .

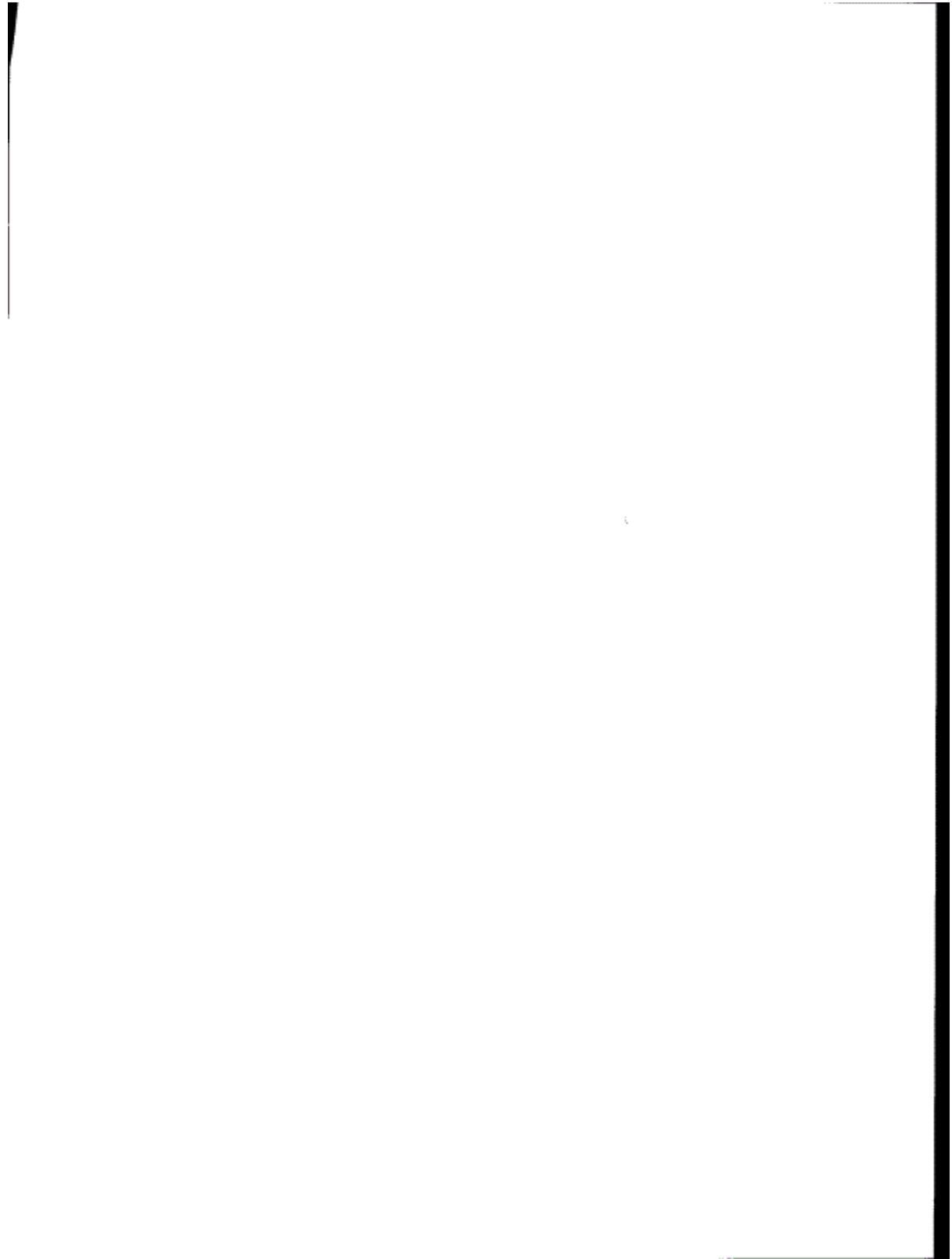
شعراء مدرسة المحدثين الحافظين :

وشعراء هذه المدرسة كثيرون وكلهم ينتشرون في مختلف المجالات والصحف والتلادى الأدبية الكثيرة في أهبا وجازان ونجران ، وخميس مشيط وبيش وغيرها .

ونذكر منهم على سبيل المثال الشعراء : أحمد بيهان وحسن يحيى ضائعي ، وعلى عبد الله مهدى ، وإبراهيم مفتاح وأحمد باهى ، وعلى أحمد حيقل ، وعمر صعابى ، وجران قحل ، وعمر سالم فرسانى وسواهم .

أما الشعراء الذين يمثلون هذا المذهب الأدق أصدق تمثيل ليس بما نشروه في وسائل الاعلام السابقة فحسب بل كانت لهم دواوين صدرت من أكثر من عشرين عاماً وهؤلاء هم الشعراء الذين سيكونون محل الدراسة التفصيلية الأدبية النقدية للتعرف على الخصائص الفنية للتجديد الحافظ ومن أهمهم الشاعر محمد بن علي السنوسى ، والشاعر محمد بن أحمد العقيل ، والشاعر زاهر عواض الألعنى ، والشاعر يحيى إبراهيم الألعنى .

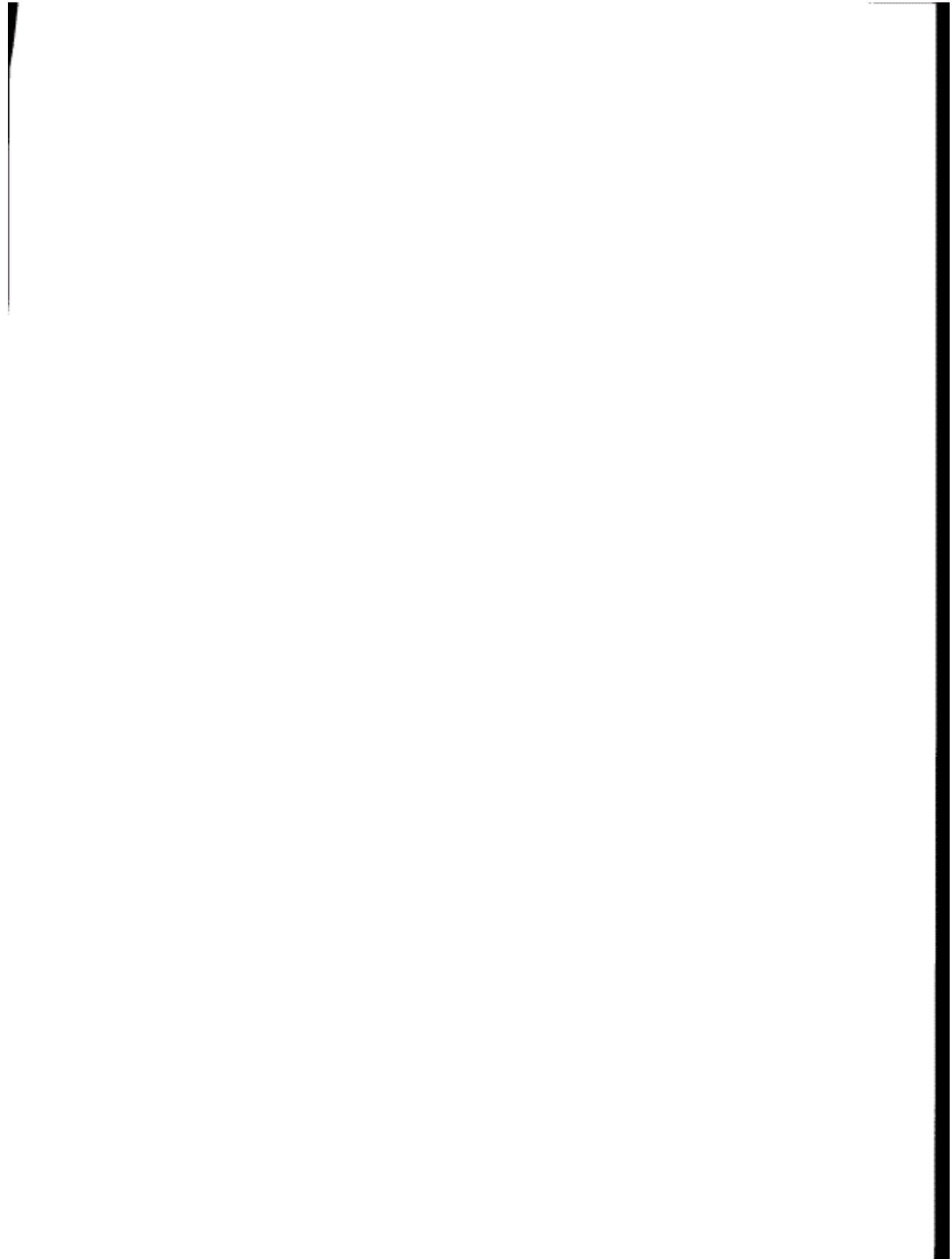




الفصل الثاني

الشاعر محمد بن علي السنوي

- ١- نشأة الشاعر وحياته .
- ٢- الأغراض الأدبية في شعره وخصائصها الفنية .
- ٣- التصوير الأدبي .
- ٤- خصائص الألفاظ والأدبيات .
- ٥- خصائص الوزن والقافية .
- ٦- التسخين في التصوير الأدبي .
- ٧- الروح الإسلامية في التصوير الأدبي .
- ٨- الصور المبنية وخصائصها الفنية .
- ٩- الوحدة الفنية .
- ١٠- موازنة وفتق .



نشأة السنوسي وحياته :

هو الشاعر محمد بن علي السنوسي ، ولد بمدينة جازان عام (١٣٤٢ هـ) وأبوه شاعر وفاض سبق أن تحدثت عنه في مدرسته ، ألحقه بمدرسة يديرها الأستاذ الشيخ علي بن حمد عيسى رئيس كتاب محكمة جازان في عام (١٣٨٠ هـ) فتعلم على يديه القراءة والكتابة والحساب ، ثم قرأ علوم العربية على والده ، وعلى الشيخ عقيل بن حمد ، ثم انكب على مطالعة مكتبة أبيه الراخدة بالعلوم والآداب ، فاتسعت مداركه عن طريقه الذاتي .

ظهرت ملوكه الشعرية ، ومويله الأدبية في وقت مبكر من حياته عام (١٣٥٩ هـ) وهكذا ظل يحصل فيه حتى سالى مكانة مرموقة بين زملائه الرواد في المملكة حتى نال الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي عقدها (مجلة الرياض) السعودية عام (١٣٧٥ هـ) في قصيده : (حطم المارد القيد) .

التحق الشاعر بالوظائف الحكومية ، فعمل في سلك الجمارك عام (١٣٥٧ هـ) وظل فيها يتقلل من منصب إلى آخر حتى صار مديرًا لها عام (١٣٧٠ هـ) ، وكان عضواً في المجلسين البلدي والأداري . ثم عمل رئيساً للبلدية جازان ، ثم مديرًا لشركة كهرباء جازان ، ثم تفرغ للأدب ولأعماله الخاصة وأخيراً هو الآن رئيس للنادي الأدبي الثقافي في جازان^(١) .

تأثر الشاعر بالفحول من الشعراء القدامى والمحديثين مثل أبي تمام والبحترى والشنبى ، وشوق وحافظ وغير أباطحة ، فصار على متواهم ونهج بهجهم .

ونشر شعره مبكراً في مجلة (الجامعة) وجريدة (البلاد) و (أم القرى) و (الحج) و (الأضواء) و (الرائد) وتلقى الإجلالات بشاعر الجنوب .

ترجمت بعض قصائده إلى اللغة الإيطالية ونشرت الترجمة في مجلة « المشرق » الإيطالية ، يقول عنه الدكتور كامل السوافري : والسنوسي غنى بشهرته عن التعريف وهو مكانته بين شعرائنا البارزين ، وهو أول شاعر يترجم بعض شعره إلى لغة أوروبية ، ومن أهم سماته أنه لا يتكلف ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل للمدح^(٢) .

(١) الحركة الأدبية : د . بكري شيخ أمين ، شعراً العصر الحديث ، عبد الكريم بن الحقيل .

(٢) نفحات الجنوب : ص ٧ التقديم .

حاز جائزة التكريم (ميدالية ذهبية) من جامعة الملك عبد العزيز ، وحصل على (ميدالية المتنبي) من وزارة الثقافة العراقية .

والستوسي رائد من رواد الأدب في المملكة العربية السعودية ، ويلقب شاعر الجنوب ، له حتى الآن خمسة دواوين شعرية هي على الترتيب حسب الظهور : القلائد عام ١٣٨٠ هـ — الأغاريد — أزاهير — البنابع — نفحات الجنوب عام ١٤٠٠ هـ .

وله دراسات أدبية في كتاب (مع الشعراء) ، وكتاب (رجال ومثل) تحت الطبع وكتب أخرى^(١) .

يقول عنه الأستاذ محمد سعيد العامودي : (إن للستوسي مكانة بين شعراءنا البارزين ، فهو صاحب القلائد ، وقد كان لديوانه (القلائد) وما يزال صدأ الطيب الجميل في أوساطنا الأدبية ، إنه أول شاعر من شعرائنا يترجم بعض شعره إلى لغة أوروبية .. إن أهم سمات شاعرنا الستوسي في اعتقدنا ، أنه لا يحاول أن يتكلف ، أو يظهر بغير حقيقته ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل لثناء أو مدح ، وإنما هو في كل ما طالعته من شعره ، لا أراه إلا حريصاً كل الحرص على التزامه لهذه السمة ، سمة الصدق في التعبير .. لعل ميزات الستوسي إكثاره من القراءة والاطلاع .. وإن لأغبط الستوسي حقاً ، أن أراه مولعاً إلى حد النهم بالقراءة والاطلاع^(٢) .

ويصف الشاعر السعودي عبد الله بن محمد بن خميس شعر الستوسي فيقول :

قد عرفت القريض غضا طريا يصطفيه جازان من عليائه
وقف الشاعر الحلق يروي بهجة العيد حسنه وروائمه
فوفقاً للأسماع نلقط درا أرخص الدر متمنى من غلاماته^(٣)

وكثيراً ما كان يحتفي به الشعراء والأدباء ، ويلتقطون جيئاً في مواكب الفن ، فيتطارحون الشعر ، وبخوضون في موضوعات شتى . فقد دعا الأستاذ عبد القدس الأنصارى (صاحب مجلة المنهل) لفيفاً من الشعراء والأدباء السعوديين في حفلة تكريماً لشاعر الجنوب الأستاذ محمد على الستوسي ، يقول أحد الشعراء المدعىون :

في ندوة سحر ساحر جمعتني دعوة كرمة من الأستاذ الجليل عبد القدس الأنصارى
(صاحب مجلة المنهل) بصفة من الشعراء والأدباء السعوديين في حفلة أقامها في داره العامر ليلة

(١) المرجع السابق : التقدم .

(٢) الأغاريد : تقديم محمد سعيد العامودي ص/ك ، لـ

(٣) نفحات الجنوب : ص ٨

الجمعـة المـواـفق ١٣٧٦/٦/٢ هـ تـكـرـيـمـا لـشـاعـرـ الجـنـوبـ الأـسـتـاذـ محمدـ بنـ عـلـىـ السـنـوـسـيـ ، وـكـانـ بـحـقـ حـفـلـةـ أـنـيـقةـ حـيـثـ تـبـولـتـ فـيـهاـ شـتـىـ الـأـحـادـيـثـ الـأـدـيـبـيـةـ وـالـاجـتـاعـيـةـ ، وـمـاـ زـادـ الـحـفـلـةـ مـتـعـةـ وـرـوعـةـ ، طـلـبـ الـأـسـتـاذـ الـأـنـصـارـيـ مـنـ الـخـفـيـ بـهـ إـنـشـادـاـ آـخـرـ مـاـ عـنـهـ مـنـ شـعـرـ الـحـدـيـثـ ، قـتـضـلـ وـأـسـعـنـاـ قـصـيـدةـ مـتـعـةـ مـنـ شـعـرـ الـوـثـابـ ، وـتـلـاهـ الـأـسـتـاذـ حـسـنـ عـبـدـ اللـهـ الـقـرـشـيـ ، فـأـنـشـادـنـاـ مـنـ ذـاـكـرـتـهـ الـقـوـيـةـ مـطـلـوـلـةـ مـنـ شـعـرـ الـوـاعـيـ بـعـنـوـانـ (ـسـجـينـ الـحـيـاةـ) .. وـكـانـ مـنـ أـبـرـزـ الـمـدـعـونـ إـلـىـ هـذـهـ النـدوـةـ الـأـدـيـبـيـةـ الـأـسـتـاذـ مـحـمـدـ سـعـيدـ الـعـامـودـيـ ، وـعـبـدـ الـجـيـدـ شـبـكـشـيـ ، وـحـسـنـ عـبـدـ اللـهـ الـقـرـشـيـ ، وـعـبـدـ الـفـتـاحـ أـبـوـ مـديـنـ ، وـأـمـدـ الـسـيـاعـيـ ، وـشـكـيبـ الـأـمـوـيـ .. فـإـلـيـ هـؤـلـاءـ جـمـيعـاـ أـبـعـثـ بـهـذـهـ الـقـصـيـدةـ (ـصـوـفـيـةـ شـاعـرـ) تـذـكـارـاـ هـذـهـ النـدوـةـ الـأـدـيـبـيـةـ وـتـقدـيرـاـ لـلـقـنـ فيـ شـخـصـيـاتـ رـوـادـ الـأـلـبـ الـخـالـدـ وـمـطـلـعـهـاـ :

ظـلـمـوـهـ فـعـاشـ فـىـ اـخـوانـهـ يـلـظـىـ عـلـىـ لـظـىـ أـخـرـانـهـ
أـىـ ظـلـمـ أـشـدـ فـىـ النـفـسـ وـقـمـاـ
مـنـ أـذـىـ صـحـبـهـ وـظـلـمـ زـمانـهـ
قـدـ رـمـاهـ الصـحـابـ بـالـكـبـرـ إـذـاـ كـاـ
نـ يـنـاجـيـ بـالـعـدـ طـهـرـ جـانـهـ

إـلـىـ قـوـلـهـ :

سـعـيـداـ يـمـتـهـىـ إـيمـانـهـ
صـغـرـ مـعـنـىـ النـعـيمـ فـىـ تـبـيـانـهـ
حـدـةـ وـالـلـيـلـ ضـارـبـ بـهـانـهـ
حـكـيـصـ العـبـيرـ مـنـ رـيحـانـهـ
كـلـ نـفـسـ صـوـفـيـةـ تـعـنـىـ أـ
عـاـشـ فـىـ نـجـوـةـ مـنـ النـاسـ يـسـتـ
مـسـتـلـذاـ كـرـازـةـ الـعـيـشـ فـىـ الـوـ
وـصـلـةـ الـصـوـفـ فـيـضـ مـنـ الـرـوـ
كـلـ نـفـسـ صـوـفـيـةـ تـعـنـىـ أـ

يـقـولـ صـاحـبـ مجلـةـ المـهـلـ عنـ الـحـفـلـ وـعـنـ قـصـيـدةـ مـحـمـودـ عـارـفـ السـابـقـةـ : (ـ وـقـدـ تـلـقـىـ صـاحـبـ المـهـلـ بـعـدـ يـوـمـيـنـ مـنـ الـحـفـلـ قـصـيـدةـ الـعـصـمـاءـ الـتـىـ تـلـىـ هـذـهـ ، وـهـىـ مـنـ وـحـىـ الـحـفـلـ وـمـنـ نـظمـ الشـاعـرـ مـحـمـودـ عـارـفـ عـضـوـ مجلسـ الشـورـىـ)^(٢).

والـسـنـوـسـيـ يـرىـ أـنـ فـنـ الشـعـرـيـ مـسـتـمـدـ مـنـ فـنـ شـاعـرـ الـعـرـبـيـةـ الـأـكـبـرـ أـنـيـ الطـيـبـ الشـنـبـيـ .

يـقـولـ :

يـاـ أـيـاـ الطـيـبـ الـخـسـدـ إـنـىـ مـسـتـمـدـ مـنـ فـنـكـ الـفـذـ فـىـ)^(٣)

(١) الفـلـالـدـ : ٦ / ٥٢

(٢) مجلـةـ المـهـلـ : شهرـ جـادـىـ الثـانـيـةـ سنـةـ ١٣٧٦ هـ

(٣) فـنـحـاتـ الـجـنـوبـ : صـ ١٣١

ويصور شاعريته في أبيات يصدر بها ديوانه الأول (القلائد) :

هذه المحن قلبى وأغارى
هي أحلامى وأمالى وكأسى وشوارى
وصبائق وأشجانى وجسى وعذلى
إنها صورة نفسى قد تجلت فى كتابى^(١)



(١) القلائد : ص ١

الأغراض الأدبية في شعر السنوسى وخصائصها الفنية

يتميز شعر السنوسي بأنه كثير الأغراض الشعرية العميقه ، ومتمدد الاتجاهات في الأهداف الدقيقه ، ومتشعب الموضوعات الأصيله والجديدة المعاصره ، التي عاش الشاعر تحيرتها الشعوريه من واقعه المعاصر ، واقعه الاسلامي والعربي والانساني والوجوداني ، وكان شاعر الجنوب يبحث لغزارة شعره وتتنوع الأغراض التي تبني مجتمعا إنسانيا فاضلا ، وتحث على التثام الامة الاسلامية ووحدتها في جهة واحدة لتواجه بقوة عصر التحديات الجماعية لا الفردية ، وعصر الماديات المشتركة في السوق الأوروبي المشترك وعصر الدول العظيمة في تعاون الدولتين العظيمتين أمريكا وروسيا ضد غيرها من الدول في الشرق وفي الغرب ، إنه شعر الأمة العربية الاسلامية التي يحيى فيها أمجادها وأمامها ، ويذند عنها ، ويدافع في سبيلها ، سواء أكان الشعر في العالم الاسلامي والعربي الكبير أو في قضاياه الاسلامية والعربيه المعاصره ، أو كان في وطنه السعودى الصغير ، أو كان من خلال وجودان العربي المسلم الثائر وجдан الشاعر السنوسي ، أو كان في غير ذلك من موضوعات وأغراض من وحي العالم العربي والاسلامي والاسناني الكبير . وهذه هي أغراضه الشعرية حسب أهميتها وغراحتها وعمقها ، في دواوينه الخمسة التي ذاعت في العالم العربي الاسلامي بل والأوروبي على السواء .

أولاً — الشعر الإسلامي :

هذا الغرض الأدبي يسيطر على شعر السنوسى في دواوينه الخمسة ، تجدر من واقعه الذى يعيش إيمانا بعقيدته ، وتحججاً لمقدسات الإسلام وشعائره ، واعتزازاً وفخراً بحضارته وانسانيته ، ومحباً بمبادئه وتعاليمه ، وكشفاً عن المثل العليا للبشرية إيماناً وقدوة ، وتصورياً لقيادة الإسلام ، ودفعاً عن تشريعاته وحرماته ، وثناءً على حماة الإسلام ودعاته ، وحرصاً على العمل به ، والجهاد في سبيله ، وحفزاً للهمم القوية والعزم الشديدة .

والشعر الاسلامي عند السنوسى عميق في جوانبه الكثيرة ، ومحب فى معاناته واتجاهاته ،
وواسع الأفق تزهـر تحت سمائه الاسلامية قضايا العالم الاسلامى والعرب ، والحق الانسانى بصفة
عامة ، لذلك تدفق شعره الاسلامي في اتجاهين كثيرين هما :

الاتجاه الأول :

وهو الشعر الاسلامي الذي يتناول الرسول محمدًا ﷺ ، وأصحابه رضى الله عنهم جميا ، والشرع الاسلامي وحضارته ، وتعاليم الشريعة الغراء ومحاجتها ، وهو الدين الحق والشامل ، الذي يصلح للناس والحياة في كل مكان وفي جميع الأزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد احتوى هذا الاتجاه قصائد كثيرة هي :

صور الشاعر لهذا الاتجاه في الديوان الأول (القلائد)^(١) في قصيدة (أم القرى) التي كانت من وحي المؤمن الاسلامي المنعقد في موسم حج عام ١٣٧٤ هـ يقول في مطلعها : نور على البطحاء لصاح الندى بهدى القرون ضباءة والأعاصرا أنسَتْ فِيهِ سَنَانَ الْقَبِيسِ الَّذِي يَنْصَاحُ مِنْ فَلَقِ الرِّسَالَةِ (فجره) في حالة يحيى الرؤوس جلالها لمعت على السواد المقدس شعلة مسَتْ شَرَارَتِهَا الْحَيَاةَ فأشعلت هرمت أشعها الظلام وزلزلت

وقصيدة (قوس حاجب ص ٨٢ ، ٨٧) ويصور فيها لمحات من التاريخ الاسلامي الحميد ، وقصيدة (ليلة المحرجة ص ١٩٢ ، ١٩٦) ومن قصيدة قوس حاجب :

بنى العربة إن الحادثات وإن (القصوة) اللغة الفصحاء وعصركم هزوا الجبرة من أركانها حرداً ذودوا عن الحق إيمانا بقوته واسترشدوا بهدى القرآن تتجددكم وجددوا عزة الاسلام إن لهم إن الحياة جهاد والجدير بها من غالب العاصفات الهوج والنوبا

جلت هي الريح نستشرى بها لها أصم لا يسمع (الأشعار) والخطبا وأشعلوا الشرق من أقطاره غضبا من غالب الحق عدواها به غالبا عزائم صرع الباغي بها وكبا في جيد كل عظيم منه وجها

(١) القلائد : محمد بن علي السنوسي : تقديم عبد القدس الانصاري ، مطبعة دار الكتاب العربي بمصر عام ١٣٨٠ هـ القاهرة ، في حجم متوسط يضم ٢٢٠ صفحة وهو أول ديوان يصدر للشاعر ، وهو رائد من رواد الأدب السعودي الحديث .

(٢) القلائد : ص ١٩/١٢

(٣) القلائد : ص ٨٥ ، ٨٦

وفي الديوان الثاني (الأغاريد) نجد قصيدة (هي الجزيرة ص ١ ، ٣) وقصيدة (أجنحة التاريخ ص ٤ ، ٥) ، وقصيدة (طيبة ص ٦ ، ٨) ، وقصيدة (خلق المسلم ص ٩ ، ١٢) ، وقصيدة (رمضان ص ١٣ ، ١٧) ، وقصيدة (هوية الإنسان ص ٦٢ ، ٦٤) يقول السنوسي في قصيدة (طيبة) التي فازت بجائزة وزارة الإعلام للتلحين والغناء ، منها :

هذه طيبة فحى الرسولا
هذه طيبة التي خصها الله
هب منها الهداء وانطلق إلا
ومشى فى ظلامها موكب الحق
عبد من فيها الوجود جمالا
إنها روضة أفاض الله عليها
فدع القلب يستجم ويرتدا

وفي (البيانيع) نجد قصيدة (الرسالة والرسول)، التي ألقاها في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين المنعقد بمكة المكرمة في ١٣٩٤/٣/١ إلى ١٣٩٤/٣/٥ هـ، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة الزاهر في العاصمة المقدسة، يقول^(٢):

تألق النور نور الحق والرشد
أيضاً تنفس الصبح من بدر ومن أحد
الحياة ونض الصخر بالبرد
يمحي القلوب ويشفي ثغر كل صدى
تمارجاً كامتزاج الروح بالجسد
(رسالة الله) زاه نورها الصمدى
خلقاً وخلقاً على السراء والنكد
(وحياً) يرتله شاد إلى غرد
تهدى إلى البر في قول ومعتقد
تأللات بمعان فندة جدد
صفاء لفظ ومعنى خالد أيدي
من الجزيرة من أرضى ومن بلدى
ومن رياها رياها الطاهرات ثرى
نور تألق من نور فرق به قلب
وفاض عبر شعوب الأرض مندفقة
جري فأخصبت الدنيا ندى وهدى
واشرقت (بابن عبد الله) واتلقت
(محمد) خير خلق الله قاطبة
نديم (جيوبيل) يسقيه فما لفم
أحلى من الشهد آيات مفصلة
تنزلت بالهدى والنور في لغة
ئيل الدهور ولا ئيل نضارتها

(١) الأغاريد :

(٢) الباتيغ : محمد بن علي السنوسي ، نادى جازان الأدنى — المدينة للطباعة — جدة وهى في حجم كبير ،
يضم ١١٠ صفحة ص ٤/٣ ذكرت القصيدة كاملة في كتاب (حضارة الاسلام في الشعر العربي
الحديث : تحت الطبع)

كانت ولما تزل نمحو أشعها ضلال كل ذوى أمت وذى أود حكم وعلم وأمثال فلسفة وحكمة لو وعاما ذو الضلال هدى وهكذا يمضى السنوسى فى ستة وتسعين بيتا ، يصور فيها الشريعة الاسلامية وساحتها ، وحضارتها ، وفضل محمد ﷺ على البشرية ، وما قام به السلف الصالح من ترسیخ الحضارة الاسلامية .

وليت الشاعر أتى بلفظ (صدر) مكان كلمة (ثغر) في البيت الرابع مع الاحتفاظ بصحة الوزن ، لكان الصورة الأدبية أدق وأعمق ، لأن رى الثغر ، الذى قد يكفى فيه بالليل وترتيب الجفاف ، لا يسمى إلى رى الجسد كله بما فيه القلب والعقل والعاطفة والوجدان ، فتدب الحياة فيه بعد ظمآن الموت ، وينبض القلب بالقوه فى تجويف الصدر ، فيدقن الجسد كله بالدم والحرارة والنشاط .

وكذلك قوله في البيت الثامن : (نديم جبريل يسوقه) ، فالشاعر يقصد جليس جبريل على حد قول النبي ﷺ (مثل الجليس الصالح إلى آخر الحديث الصحيح) ، وجليس لفظ يتضمن معنى أدق وأفضل ، وأوقع وأجمل في هذه الصورة الشعرية الرائعة ، فكلمة (جليس) وزان كلمة (نديم) ، التي وردت في مقام النبوة مع الوحي ، وهذا المقام الجليل تتلام معه كلمة توحى بالإجلال والتقدير ، وينتأى عن كل كلمة يتسرّب إليها أى احتمال لا يليق بها المقام الرفيع ، فالمعنى الذي يقصده الشاعر في الصورة الأدبية من وراء كلمة (نديم) هو مجالسة النبي جبريل في مدارسة القرآن الكريم ، وهذا جائز في باب المجاز والخيال ، لكن التصوير الحقيقى هنا خاصة أولى وأفضل ، فلابد لكلمة (جليس) — وهي لفظ حقيقي — في تصوير المعنى ، فقد أشرفت على الغاية ، لتعلم أن التصوير الأدبي باستعمال اللفظ الحقيقي قد يكون أبلغ في التأثير والاقناع من التصوير الأدبي باستعمال اللفظ المجازى الخيالى . وبهذا لا نترك لأعداء الإسلام منفذًا يتسللون منه في الجدل والتحلّل بلا وجه حق فيتذرعوا بالمعنى الذي يظهر على سطح لفظ (نديم) الذي يعبر عن واقعه الحسن ، المأهولة من (المأدمة) ، وأعتقد أن الشاعر لا يقصد هذا مطلقا ، وإنما الذي أقصده هنا هو من باب (سد الذرائع) أمام أعداء الإسلام .

وقصيدة (ثانى اثنين) في خمسين بيتا ، يصور فيها عظمي الصديق رضى الله عنه ومطلعها^(١) :

يا ثانى اثنين فى دار هى الغار إن اختبارك للمختار خمار
ويارفق المدى والليل متكر والأرض ترجم والأموال إعصار

(١) اليابع : ص ١٤/١٩

وهكذا يمضى الشاعر مع الصديق صاحبا للرسول ﷺ ، ومصدقا ومهاجرا ، ومؤازرا ، وخليفة للمسلمين ، وقائد لحروب الربدة ، ومتصررا على الاخلاق والتکوص ، ثم ينخطف الى عصرنا الحديث ليناجي منه أبا بكر الصديق ، ويستغيث ليقيم محنة المعروف حربا شعواء ضد الربدة في العصر الحديث ، وما أقسامها مرارة على المسلمين؟ !! يقول :

في ردة من ثياب العصر لباسه تحرر قيل عنها وهم آصار
تفرق الجميع والخلت شكيتهم وانهار إيمانهم بالله فانهاروا
نقلا الغرب إلحادا وزندقة ومن (غسله) نجوى ونشمار
ولا نقلده علماء وتقنية ولا انطلاقا له تقع وأثار
يا ثانية اثنين في ذكراك موعدة وفي جهادك للسارين أنوار^(١)

وقصيدة (رصيد الحياة ص ٢٠ ، ٢٢) ، وقصيدة (أذان الفجر ص ٢٣ ، ٢٥) ،
وقصيدة (نور القلوب ص ٢٦ ، ٢٧) ، وقصيدة (الحق المahan ص ٤١ ، ٤٢) ، وقصيدة
(تضامن الاسلامي ص ٤٤) ، وقصيدة (دعوة الحق) يقول :

على التاريخ أن يصفى إلينا
فنحن حاته سلما وحربا
ونحن هداته قولا وفعلا
أضاء على مبارنا خوما
وكنا خير أمته خلا
طريقا واضحا لا أمت فيه
فماذا ينقسم الأعداء هنا
سوى إيمانا بالله ربا
أبي الاسلام ينزنا الأعداء
لنا اسلامنا وضم هواهم
فقد وضع الطريق لكل سار
أترجمنى يد بالأمس كانت
ويغدر بي أخ قد كت أسمو
ومن هدى الجبرة وهى مهد
تعلمت الشعوب إلى شعاع
وكان الحق متراجعا مبينا
تصافحنى وملئنى يقينا
بـه ظنا وأحسبه أمينا
لنور (محمد) فى العالمين
ـ ما ظلمائنا والظالمينـ

(١) النابع : ص ١٩

وكان لهم منارا في خضم وكان حياً أغاث الظامنـا^(١)
وفي ديوانه الأخير (نفحات الجنوب)^(٢) قصيدة (أيها الإنسان) يقول^(٣):

أيها الإنسان في كل مكان يا أخي قلباً ولياً وكياناً
حبك الإنسان في أي لسان حبك الأوطان لا يعميك عن
وانتزع عنك طباع الحيوان أجعل الحب شعراً ثابتاً
بالندي من سعادتك الراحان وليفض قلبك خيراً ولتفوض
فات ودع عنك الحران وتكلم بلسان هادئ في الخلا
أرعا نفرض رأياً بالسنان ثابت الأرض وما زلت في
ورني بفكير وبيان حطم المدفع لا تحمله ثم حما
ولتكن مفتاح خير وهدى ولتكن مغلاق شر ودخان
نحن إن فكرت شيء واحد نحن إنسان أنا تؤمن
ما الذي تطلب مني إنتا فأنا فأملاً الأرض سلاماً ورضي
علنا نجنا عليها في أمان سوف تطربنا غداً أحشاؤها
يساوي رب العصا والصلجان

في هذه القصيدة ينادي السنوسي الشاعر الإنسان ، مهما اختلفت أجنباه في جميع أنحاء العالم ، ليُعشّق السلام ، وينشر رايته ، ويعيش في ظله ، ويحتل قلبه بالحب لأخيه الإنسان ، ليكون الشعار الدائم لكل إنسان الذي يوتّره أي فرد عن حب الآمانية في الأوطان ، لأن الوحشية والكره والخذل والعداوة ليست من طبيعة الإنسان ، ولكنها في تكوين الحيوان ، ولنكسر السلاح ، ونختم المدافع ، وندفن الأحقاد والشّرور ، ونبدد دخان الحروب ، لفتح الصدور للحوار الفكري ، والرأى الجديد بلغة صريحة ، وأسلوب واضح مكشوف ، فهو السبيل إلى الحب والسلام ، ودونه الحرب الرؤام ، فتفيض الأرض سلاماً ووثاماً ، وتزدهر حباً وأماناً ، لأنها في العد القريب ستطوي العالم في أحشائهما ، فيستوي بين جوانبها الغنى والفقير ، والشّكىء على عصاه ، والذى يضرّ بالصلجان .

أدب إنساني عالمي استمد السنوسي إنسانيته العالمية من رسالة الإسلام العالمية ، التي

(١) البنایع : ص ٢٩/٢٨

(٢) نشر عام ١٤٠٠ هـ — مطبوعات نادي جيزان الأدنى — مطبع الروضة بجدة وهو في حجم متوسط يضم ١٣٦ صفحة أهداء إلى والده القاضي العلامة الشاعر الأديب عل بن محمد السنوسي تغمده الله برحمته ص ٥

(٣) نفحات الجنوب : ص ٦٠/٥٩

تجاویت مع کل الأجناس من بني الإنسان ، فشرعية الإسلام هي التي كرمت الإنسان لأنه (إنسان) قال تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) ، (ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ، (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأشي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أنتم) .

ومن تکرم الاسلام للانسان ، أنه جعل من طبيعة تکونه الانس والرؤام والخبة والسلام ، قال تعالى : (وإن جنحوا للسلم فاجح لها وتوكل على الله) ، وما يتعارض مع طبيعة الانس فيه مرفوض مذموم ، وهو العداوة والبغضاء ، والخذل والجفاء ، والظلم والاعداء ، قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعذاب) .

وكذلك قصيدة (أخي المسلم) يقول في مطلعها^(١) :

أخي المسلم الداعي إلى الرشد والمهدى
حرى بداعى الرشد إن يك أرشدا
لقد طال سعاك الحميد فلا تكون
عنيفاً فإن العنف يغري المتردا
وكن هادئاً في قوله وفعاله
رفيقاً فإن الرفق ما زال أحدا
وصيحة طه المصطفى وهو قدوة
لكل دعاء الرشد شيخاً وأمردا
فحذ بيده الغاوي ومهد سبيله
إلى الرشد يمشي مستقيماً مسدداً

الاتجاه الثاني :

ويتناول فيه السنوسي الجهد في سبيل الاسلام والدفاع عن مقدساته وتراثه ، والذود عن المسلمين في أنحاء العالم الاسلامي ، ودفع الظلم عن الانسان في كل مكان ويتناول أيضا قضية الحرية ، وتحرير أراضي المسلمين والأراضي المقدسة ، وتحث المسلمين على الجهاد في سبيلها ، والوقوف صفا واحدا أمام الطغاة المستعمرين المستبدین ، ثم قضية المواجهة بين أفراد الأمة الاسلامية ، والتعاون بين شعوب الأرض ، والتضامن في سبيل نصرة الاسلام ورد حقوق الانسان .

والشعر الاسلامي في هذا الاتجاه ليس أقل من الاتجاه الأول بل كثير وكثير ، فأمام الديوان الأول (القلائد) فقد اشتمل على قصيدة (حطم المارد القيد) بمناسبة (جلاء) الاحميز عن جزء من أجزاء الأمة الاسلامية العربية ، عن مصر عام ١٩٥٤ م ، وقد فازت بالجائزة الأولى التي أقامتها مجلة (الرياض) في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤ هـ ، ومطلعها^(٢) :

(١) نفحات الجنوب : ص ٩٧/١٠٠

(٢) القلائد : ص ٢٠/٢٣

ويك غرد فقد أضاء الصباح
س انبلاج ومن هواها انصباح
ربخ واهتف بهزك الارتفاع
رى على ضفبته والأفراح
ونجها بالسفينة الملاح
يمسد البرق فى مداها الرياح
عاليا ملؤها العلا والنجاح
ى وقد صفت من الشرق راح
يزين السماء منها وشاح

هتفت والشعور روح وراح
الصباح الذى له من منى النف
قف على قمة الزمان مع الشا
وتأمل شواطئ النيل والشى
هدأت ثورة الخصم وقررت
وثبت (مصر) وثبة فى ساء
إنها وثبة يرن صداتها
هزت (الغرب) فى مخالفتها الكبر
وعلت راية العروبة شماء

إلى قوله :

يدعم الحق فى سناء الكفاح
بجيأة كرية لا تباح
فرات ولا (الفرات) قرار
(البيضاء) روض ولا (البيضاء) مراح
رق فيه الصبا ورف الأفراح
وشدت على القلوب الصفاح
وأمان غير وضاء وصالح
وطوى السماء منا جناب
مهج حررة النبات صحاح

عبروا عن مرادهم فى (جلاء)
طلبو الموت فى ثراها فقازوا
حطم المارد القيد فلا النيل
لا (قناة السويس) حوض ولا
قد تلظى اللهيب فى كل فج
واعتصمنا بعروة الوحدة الوثقى
وأضاءات لنا الطريق معان
وانطلقنا عبر أقدامنا الأرض
هدف واحد تلاقت عليه

وهكذا إلى آخر القصيدة فى فرحة الانتصار لعضو من أعضاء جسد الأمة الإسلامية
« مثل المؤمنين في توادهم وترابتهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكت منه عضو تداعى
له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ، وقصيدة (العالم العربي ص ٦٢ ، ٧٢) يخض فيها
الشاعر العالم العربى على الوحدة أمام أعدائها ، والتمسك بأمجاد الأمة الإسلامية والسير على
منهج السلف الصالح .

وقصيدة (تأمين وتصميم) بمناسبة تأمين قناة السويس فى مصر ومطلعها^(١) :

أجل إنها الحرب الصليبية الأخرى وإن جعلوا حوض القناة لها سترا
لم تك إسرائيل إلا ذريعة قد اتخذوا منها لأهدافهم جسرا

(١) الفلاند : ص ١١٥/١٢٤

وجرد لها اليمان والعزم والصبر
وأن له في كل معركة (بدرا)
وقد صكت الآذان خطبتك البترا
إلى بلد كانت لقوتهم (قبرا)
يقود (سعود الشرق) رايته الخضرا
يصب على أعدائها الوبيل والقهراء
ويغضهم في كل مؤتمر (جهرا)
وحياتنا والحق لا يقبل الحجرا

فجند لها الأرواح والمال والقوى
وثق أن للإيمان بالحق قوة
تلت (انطوف) و (موليه) رهبة
تعاونوا كأتعى الذئاب وأجلوا
وفي الجانب النجدى حشد وفائق
تحفر عملاق الجزيرة وانهى
يساورهم في كل ركن وبقعة
لها الحق في برتوكلا وبلادنا

وهي قصيدة طويلة تصور وحدة الأمة الإسلامية العربية أمام أعدائها في كل عصر ، يقول
الستوسى فيها أيضا :

ترى كل شبر من مواطنها (مصر)
أخرى في ضفاف النيل ليتك أمة
ونحن على الأحداث أبناء وحدة
تبض دما حرا (عروتها) الحمرا
على (القدس) في (الأرض) الشهباء تعية كبرى^(١)
وقصيدة (بطولة الجزائر ص ١٤٩ ، ١٤١) ، وقصيدة (يقطة العربية) . ومنها :

بطل الشرق نخوة وحمة
حتى صقرا ملقا بمناجيه
على قمة المعالى السنبله
وديانها الفيح من رياها الرويه
أمل العرب في الخطوب الدجيه
إرث آباء الكرام المعاوires
حالة الحقائق السلفيه
ضاربا حولها نطاقا من الاسلام
نقيا لما رأوها نقيه

وهي قصيدة طويلة تصور يقطة الأمة العربية إلى أمجادها وإلى عقيدتها الإسلامية ومنهج
شريعتها المستقيم ، الذي أقام أعظم حضارة في تاريخ العالم كله .. وكذلك قصيدة (جنكير
خان ص ٢٠٤ ، ٢٠٧) يصور فيه الشاعر كفاح الجزائر ، ومشاركة الأمة الإسلامية لها
في جهادها المقدس ضد أعداء الإنسانية والاسلام في جهادها المريم ضد فرنسا المستعمرة
الغاصبة .

(١) القلائد : ص ١٢٠

وأما القصيدة التي في ديوان (الأغاريد) هي قصيدة (انتصار الحرية ص ٢١ ، ١٨) ، وأما القصائد في ديوان (أزاهير) فهي قصيدة (اليوم الحالم ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٠) وقصيدة (خواطر لاجىء ص ٤٤ ، ٤٧) ، وقصيدة (يوم الكرامة ص ٥٣ ، ٥١) ، وقصيدة (جهاد واتحاد ص ٥٤ ، ٦٠) ، وقصيدة (حديث فدائي ص ٦٣ ، ٦١) ، وقصيدة (يا فتح ص ٦٤ ، ٦٧) ، وقصيدة (فرحة اليمن ص ٦٨ ، ٧١) .

وأما ديوان اليابس نجد قصيدة (عقدة الأسى ص ٣٨ ، ٤٠) وقصيدة (المدنية العسكرية ص ٤٣) ، وقصيدة (التضامن الإسلامي ص ٤٤) ، وقصيدة (الزعيم العظيم ص ٤٧ ، ٤٨) ، وقصيدة (الأزر والنخيل ص ٤٩ ، ٥٠) ، وقصيدة (الكيان الكبير ص ٥١ ، ٥٤) ، وقصيدة (فيصل المهدى والسوعد ص ٥٥ ، ٥٨) ، وقصيدة (وافيهلاه ص ٥٩ ، ٦٢) ، وقصيدة (المغرب الأقصى ص ٧٩ ، ٨١) ، وقصيدة (المعهد العلمي ص ٨٥ ، ٨٦) .

وأما القصيدة التي في ديوان (نفحات الجنوب) فهي (ارتفاع الراحلة ص ٩١ ، ٨٩) وهي تصور كفاح المسلمين ضد أعداء الإنسانية والاسلام نظمها الشاعر في ١٣٩٨/٥/٩ م ومطلعها :

ثورة الشعب من رحاب مصوع ثورة نورها من الحق يسطع
إنها ثورة الغيارى على الإيمان والعرض تستباح وتصرخ
إلى قوله :

فأفيقى (أديس أبابا) أفيقى فجرنا يصدع الظلام ويصفع^(١)
وحينما ينادي السنوسي بقصيده (انتصار الحرية) في الجزائر ، أعد هذا شعرًا إسلاميًا ،
لأن الجزائر كان عضواً مثليًا من الاستعمار الفرنسي في جسد الأمة الإسلامية ، ثم أصبح بعد
تحريره عضواً حياً قويًا فيها ، يقول الشاعر^(٢) :

مرحباً (بالجزائر) العربيه دوله حرة الكيان فيه
وسلاماً لها شباباً وشيشاً ولبنائهم في وصيشه
إلى أن يقول :

عزّة (غافية) وإباء (مضري) وخواص (طريقه)
سلام لهم وطوى لأرض أجيهم سهولها السندينه
سلام (لدولة) يفخر الضاد ويزهو بها ويشدو تحبه

(١) نفحات الجنوب : ٩١/٨٩

(٢) الأغاريد : ٢١/١٨

فهذا الشعر وإن كان يتجه إلى إقليم عرق مسلم معين كالجزائر أو اليمن أو فلسطين أو السعودية أو غيرها إلا أنه جزء من الأمة الإسلامية الكبرى الذي يتعمى إلى الوطن الإسلامي العربي الكبير ، مهما اختلف الجزء في شكله وحجمه وبنائه الدولي ، فإنه يمثل عضوا من جسد الأمة الإسلامية وإن كان مختلفا عن بقية الأعضاء فاليد غير القدم والعين خلاف السمع ، لكن الجسد الواحد لا يستغنى ببعض عن الآخر ، فالعين لا تخل محل السمع ولا الرجال تخل محل النساء وهكذا ، قال تعالى (وإن هذه أمتك أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) ، (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ، (كتمت خير أمة أخرجت للناس ثأرمنون بالمعروف وتبهون عن المنكر وتوئمنون بالله) .

وحين يترجم السنوسي في صور شعرية (حديث فدائي) يتحول هذا الحديث إلى شعر إسلامي ، يقول :

إنت تقؤل إن بدئ قصيرة
وان عشيق بشس العشيو
وان مدافعي خطب طوال
وأسلحتى (تصاريح) مثيره
وانى لن أعود إلى بلادى
ولسن ألقى مقانعها التضيره
كذبت فإنى وأنا الفدائى
سليل أوى عبيدة والمغيشه
جعلتك يا ابن اسرائيل رعا
تعيش من المخاوف فى جزيرة^(١)

وجعلت من الشعر الإسلامي أيضا الشعر الذي يقوله الشعرا مدحاً أو ثناء في القادة والزعماء ، الذين كان لهم دور بارز وفعال في كيان الأمة الإسلامية ، بحيث يمثل جهادهم وكفاحهم طورا تاريخيا بارزا من تاريخ الإسلام ، وتترك بصماتهم دلالات واضحة في تاريخ أمتنا الرشيدة ، ليبقى خالدا بخلود الإسلام ، ويظل علما شاغلا من أعلامه وقد حفر الملك الرعيم فيصل طيب الله ثراه مجلدا خالدا في التاريخ الإسلامي ، كالشمس التي تغشى الأبرار حينها تستبطن أغوار الحقيقة ، فالحقيقة أكبر مما نعرف ويعرف الجميع . فالله وحده هو الذي يوجه جنده الخلقين للدفاع عن دينه ، يقول السنوسي في قصيدة (فيصل المدى والسويد) :

هو فيصل علم المدى والسويد فاصدح بالحنان البيان وغرد
إلى قوله :

يا صاحب الرأى الصريح اذا رأى رأيا تبلور فى الفعال الأجد
إن الكنانة نورها يلك (أنسور) ودمشق حافظها يلوح باليد

(١) أزاهير : ٦٢/٦١

ترمى العدو وتسحق الغر الردى
 شملعروبة فى الصراع المجهد
 أن العروبة لن تلين لعند
 فالحق يهزم كل طاغ مفسد
 للشر يشذح رأسه كالأسود
 فى كل معرك هناك مشهد
 فاسلم فانك للعروبة فيصل هرت به الدنيا أجل مهند^(١)

حتى الرثاء لتلك الشخصية الفذة في عالمنا المعاصر ، والتمزوج الرائع في تاريخنا الإسلامي
 ينبغي ألا يكون رثاء شخصيا ، لأن هذا التمزوج ذاب في الأمة الإسلامية كلها ، لذلك لا يصح
 أن نزهه لشخصه وإنما نزه الأمة الإسلامية كلها ، ومن هنا كان منطقيا وواقعيا أن يكون الرثاء
 لشهيد الإسلام والعروبة – (فيصل) طيب الله ثراه – شاعرا إسلاميا ، لا رثاء شخصيا فرديا ،
 يقول السنوسي في قصيده (وفيصل) :

رَدَّ فِي سَمْعِي فَكَذَبَتْ صَدَاهُ
 بِنَأْ رُوعَ قَلْبِي وَشَجَاهَ
 يَغْمُرُ الْعَالَمَ وَالْدُنْيَا شَذَاهَ
 وَهُوَ حَىٰ فِي قُلُوبٍ وَشَفَاهَ

إلى قوله :

فِي أَيْدِيهِ الَّتِي خَلَدَهَا
 أَمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي أَقْصَى مَدَاهُ
 لِبَنِي الْعَرَبِ جَمِيعًا فِي حَدَاهُ
 عَالَى الصَّوْتِ فَخَاقَهَا عَدَاهُ
 عَجَباً هَلْ يَقْتُلُ الْبَنْ أَبَاهُ
 يَدِهِ التَّارِيخُ فِينَا وَبِنَاهُ
 فِي لَيَالِيهِ وَبِاً فَجَرَ دِجَاهُ
 كَيْفَ بِاللَّهِ طَوَاهُ وَاحْتَواهُ
 وَرَعَى (فَهَدَا) أَخَاهُ وَحَمَاهُ
 مَرَغَتْ فِيهِ أَنْوَفُ وَجَاهَ^(٢)

وبهذا يكون هذا الاتجاه جديدا في بنائه وأفكاره ومعانيه والغاية منه .

(١) البنایع : ٥٨/٥٥

(٢) البنایع : ٦٢/٥٩

ثانياً - الشعر الوجданى :

هو الغرض الثانى عند السنوسى ، جاء بعد الشعر الاسلامى مباشرة ، ولم يكن هذا الغرض غرلا بالمعنى المعروف في الشعر العربى القديم ، فالفرق بينهما كبير في نظرى ، مما يجعل هذا الغرض يتصل بالوجدان : وجدان الشاعر أكثر من الوصف الغزل الخارجى للمرأة ، فقد كانت القصيدة الغزلية قدماً تعتمد على أساسين هامين :

أحدهما : انبهار الشاعر بمقاتن المرأة ، وسحر أجزاء البدن فيها ، فيأخذ في تصوير هذه الأجزاء جزءاً ، وقد يتعرض لما هو أخطر من ذلك ، فيصور العلاقة بينه وبينها تصويراً ظاهراً مكشوفاً ، وواضحاً مفضوهاً ، من غير رعاية لحرمات ، أو محرمات ، وهو الجانب الحسى في الغزل القديم كما في غزل امرئ القيس ، وكثير عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وغيرهم .

وقد تطور هذا الغزل الحسى إلى غزل آخر عرف بالغزل (العذرى) في تاريخ الأدب العربى ، ترفع قليلاً عن الفحش الظاهر في التصوير الشعري ، لكنه وقع فيما هو أخطر من ذلك ، وهو (الفتنة) أي فتنة العاشق في سبيل المعشوق ، وفتنة المعشوق في سبيل العاشق ، فيذهبان معاً ضحية للحب العذرى ، مثل عذريه جميل وبشينة ، وفيس بن ذريع وغيرهما .

والغزل الحسى والعذرى كلاماً مسرف في اتجاهه ، فاللأول مسرف في الجانب الحسى المرذول والمبتذل ، والثانى مسرف في الجانب المجرد الذى يؤدى إلى الفتنة . وكلامهما أيضاً بعيد كل البعد عن الالتزام الاسلامى في معالجة عاطفة الحب ، وضبط شهوات النفس ، لتنسجم مع الفطرة السليمة ، في معالجة هذا البناء الاجتماعى عند الفرد .

ثانيهما : والأساس الثانى وهو أثر الغزل الحسى والغزل العذرى بالمعنيين السابقين في وجدان الشاعر ، وهذا نتيجة للأساس الأول ، فالوجدان عند الشاعر في الغزل الحسى وجدان ليس مخوموماً ، ولا حاراً متدققاً ، لأن صاحبه قد أرضى نزواته وشهواته من مقاتن المرأة في تصويره الحسى الماجن ، فقطفي كل صورة من شعره جمرة من وجданه وهكذا ، وإذا ما انتهت القصيدة صورة صورة ، لا تجد عرقاً ينبعض من وجدان ، في نفس الشاعر ، وتلك طبيعة الشهوة البهيمية ، التي يجب أن يعرف عنها المسلم .

أما الوجدان عند الشاعر العذرى ، فهو وجدان يغتلى ويغور ، ويتهب فيحرق العروق ، التي تبيض بالحياة ، لأن الشاعر لم يضبط وجدانه المسرف ولم يحدد مساره وطريقه ، فهو أشبه بنار تندلع في هشيم الجسد ، فيأقى عليه ، فلا يترك أثراً ولا بقية .

وكلاماً أيضاً وجدان هابط ، لا يسمى إلى شرف الإنسانية ، ومعدوم لا ينبعض بالحياة ، لأنه هبط بالشاعر الحسى إلى مستوى الحيوان ، فلا يكون في عداد الأنس الذين يعيشون

بوجданهم الصادق والمتزن معا ، وكذلك أسرف الشاعر العذري فأفناه الغلو والبالغة والأغرق فهما معا لا يتلاءمان مع الطبيعة البشرية والفطرة الإنسانية ، لا الغريرة الحيوانية ولا الشهوة البهيمية ، ولا التجدد الآدمي ، ولا الانعتاق المطلق .

وشعر الوجدان والتأمل عند السنوسى يختلف كثيرا عما سبق في الأسسين ، فلا هو هذا ، ولا هو ذلك ، فلا هو غزل حسى ، ولا هو غزل عذري ... وإنما هو وجدان شاعر ، استفرق في تأملاته العاطفية ، بلا هبوط ولا إسراف ، بل في اتزان الشاعر المسلم ، الذى يعبر عن وجدانه في صدق فنى ، وترفع عن الصفات الحيوانية الصرفة ، وعن الإسراف البالغ ، لأنه وجدان شاعر يحب وبهوى ، لكن في أدب وخلق ، وعفة واتزان ، وهذا ما أردت به (شعر الوجدان) والتأمل في أعماق النفس .

وعلى هذا فشعر الوجدان يشمل جوانب أخرى غير حب المرأة ، تقوم على الحب المجرد ، الذى يشمل ما في الوجود كله ، مثل حب الحياة ، وحب الناس ، وحب الطبيعة ، وحب الإنسان وحب المبادئ السامية ، وغيره ، لكن كل هذا من خلال الوجدان الذائق للشاعر ، لا من خلال موضوع يصطبهن بوجданه ، فلو كان الوجدان من خلال موضوع ما ، لاتقلنا من شعر الوجدان إلى غرض أدى آخر غير الشعر الوجдан .

والشعر الوجداني جاء في ديوان (القلائد) ممثلا في قصيدة (عودة الماضي ص ٤١ - ٣٤) يصور فيها وجدانه في الماضي ، في تأملات عميقه ، يلتقطها الشاعر من وراء الحس الظاهر وهي تسير على نظام المقطعات ، وهو أقصى ما يخرج فيه الشاعر على القالب الموسيقى القديم وبعد هذا الخروج المحافظ جديدا في شعره كله ، يقول :

في لحظة من لحظات المسوى والنفس في فردوس أحلامها
مهز أشجانا وهمو جوى على لياليها وأيامها
تلوذ الماضي بها وائزروي في صور الذكرى و (أفلامها)
ماضى برغمى قد مضى وانطوى بلحن أيامى وأنغامها

* * *

لاح لمينى وفي ناظرى ظلال أيام براها الضنى
وفى سماء الفكر من خاطرى أصوات (حب) قرمزي السنـا
أحبابه فى عالم ساحر وردية أحلامه والمنـى
صباية من حلم عابر دنا كلمع البرق ثم انشـى

* * *

هيجت قلبا لج في كبره
جد وملء الكف من بدره
مالى وقد مالت على صدره
إذا هفا يوما إلى زهره
جفا الهوى والنفس تشتاقه
ما يستثير القلب إشراقه
أغصانه خضرا وأوراقه
أبنت معانيه وأخلاقه^(١)

وهكذا يتأمل الشاعر في أعماق نفسه عن وجдан يلتهب في ذكريات الماضي ، فيعيد صورها ويستعرض (أفلامها) على حد تعبيره من غير ابتدال في وصف حسى للمحظوب ولا تفاني في سبيله حتى التبليل والرهبة لا هذا ولا ذلك ، وإنما هي هبوب عاصفة الذكريات الماضية لتوجج نار الوجدان بمقدار عبورها ، ليعود كأن ، بل أكثر ثباتا وازانا ، لأن قلبه الذي يضم وجدانه لج في كبو ، وعاف الهوى ، ومع غزيرة الشوق في النفس كفطرة انسانية ، فالقلب والوجدان ثابت لا يذلل للحب والهوى ، ولا تستوي جهاته ، لأن المعانى السامية والأخلاق الفاضلة هي التي تضبط الوجدان ، وتسمو بالقلب والعاطفة في اتزان خلق المسلم كما ينبغي أن يكون ، أليس هذا اللون جديدا في الغزل يسمو به ويرتفع إلى غرض جديد هو شعر الوجدان والتأمل . وكذلك قصيدة (فارس الأحلام ص ١٠٢ - ١٠٨) من قصص المجد ، وقصيدة (دارة جلجل ص ١٠٩ - ١١٤) صور من الأدب العربي القديم يصورها السنوسى من خلال وجدانه ، وقصيدة (قصة شعرية) يترجمها الشاعر من خلال وجدانه عن الكاتب العالمى (مكسيم جوركى) ليضعها فى إطار الشعر العربى ، بعد أن صبغها بفن الشعري ووجدانه الذائق ، لتقرب من الذوق العربى الشفاف وأطلق عليها (أشودة الصقر ص ١٣٠ - ١٤٠) يقول فى آخر مقطوعة منها :

واستمرت أشودة الصقر تنساب
بألحانها على الأكون
يطرب النفس وقمعها وتشير الفكر
أصداها وتحى الآمان
في تلاحمها من السحر ألوان
ومن فضة الجمال معان
نعم ساحر الصدى ونشيد
من صمم الشعور والوجدان^(٢)

أما (الأغاريد) فنجد قصيدة (إغراء الحب ص ٣١ - ٣٢) ، وقصيدة (باقة إلى عاشرة ص ٣٦ - ٣٧) ، وقصيدة (ماء ونار ص ٣٨ ، ٤٠) ، وقصيدة (أشودة ص ٤١ - ٤٣) ، وقصيدة (إفادة ص ٤٧ - ٥٠) ، وقصيدة (عصفور قلبي ص ٥٤ - ٥٧) ، وقصيدة (حية ص ٧٧ - ٧٨) .

(١) القلائد : ٤١/٣٤

(٢) القلائد : ١٤٠/١٣٠

وأما شعر الوجدان في ديوانه (أزاهير) ، فقد ضم قصيدة (أخت القمر ص ٣٥ - ٣٧) ، وقصيدة (حسناء الريف ص ٣٨ - ٤٠) .

وأما ديوانه (النابع) فنرى شعر الوجدان والتأمل في قصيدة (أمامك الدنيا ص ٣٠ - ٣٢) ، وقصيدة (الموج والشاطئ ص ٣٣ - ٣٤) ، وقصيدة (المنظار الكاشف ص ٣٥) ، وقصيدة (لمع السراب ص ٣٦ - ٣٧) ، وقصيدة (الحب الكاذب ص ٧٥) ، وقصيدة (الفيلسوف والطائر ص ٨٣) ، وقصيدة (شد الحزام ص ٩٣) ، وقصيدة (كيف أسلوك ص ٩٥) .

وأما ديوان السنوسى (نفحات الجنوب) فيضم قصيدة (عصفور شبابي ص ٢٤ - ٣١ في عام ١٣٩٦ هـ) ، وقصيدة (وحشة قلب ص ٣٢ - ٣٦) في عام ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (رماد شهاب ص ٣٧ - ٤٠) في عام ١٣٩٧ هـ ، وقصيدة (وجدتها ص ٤١ - ٤٣) في عام ١٣٩٧ هـ ، وتأمل فيها الشاعر ، وبغوص في أعماق وجданه ، ليصور في دقة أحلام الصباية في المرة الأولى :

طواها الأسى واليأس حتى كأنها بقايا حطام من رماد شهاب
فالملك يا نفس تعبدن ذكرها وتودين عن جسر الختن خوابى
ويصور في المرة الثانية ضالته ، التي يبحث عنها ، ليصل إلى القاعدة التي يستقر فيها آمنا
مستكينا ، فوجدها في الدين والخلق القوم ، يقول :
من أى قاعدة وأى رصيف تجربى سفين مشاعرى بمحروف
فيبحث عنها في قلبه وهو ينزف بالأسى ، أو في أدبه ، وهو يلتفح باللظى ، أو نظره وهو
يعيش بالقذى ، أو فكره وهو محروم بالهوى أو سمعه وهو مقصوف بالردى ، أو من طبعه وهو
موقوف ، أسير للتيار ... ليس في هذا كله ... لكنه وجده في قوله :

لا لن أضل فقد وجدت سكينتى فى الدين وهو دليل كل كفيف
فانضج نهاك به وقلبك إنه رى الصدى وجنة الملهوف
واجعله نهجا فى الحياة وواعدا تحياه لاكتا وراء رفوف
فالدين ظل الله فى ملكوتة والله بالانسان جد رؤوف
من قال إنه أفيون السوري فهو الشقى بعقله المخطوف^(١)

(١) نفحات الجنوب : ٤٣/٤١

وقصيدة (القلب الكبير ص ٥٤ - ٥٢) ، وقصيدة (طبيب العيون ص ٥٥ - ٥٨) ويقول فيها :

من لحاظ حورية التكوان
ولم تكحل بغير الفتون
أسرار عالم مكتون
وأطياف صبوني وشجعون
وأغلى من كل شيء ثمين
على الكون والرؤى والفنون
وفي عرها العميق سفيني
نشوى من حسن ذاك الحسين
حزامن أسى لذاك الحزيم
رحمة لا شامة بالثيم
وهماش فني متهد
من الماء بالشبا المسنوون
رقة لا تعليق هس الجفون
من عتاب الهوى ولوس الخدين
وهداه ومعجزات الأنبياء
وأنت الطبيب فالطيف يعني^(١)

وقصيدة (الظل والضوء ص ٦٨ - ٧٠) ، وقصيدة (قصيقي فيك ص ٩٥ - ٩٦) ، وقصيدة (مسافر ص ١٠١ - ١٠٣) .

وما فاض به وجдан الشاعر قصيدة (حب ونار) يقول فيها :

ودين من الأهواء يجتلى ويختار
كما انعكست فوق البحيرة أنوار
كما انكسرت من مقلة الشمس أزهار
كقطر الندى يلقاء فى الروض نوار
ودغدغنى منها اهسام وإسفار
وبي وله يحتاجنى منه إعصار

يا طبيب العيون شكوى عيوني
وهي عين لا تعرف النظر الشر
قرفق بها ففى نومها المكون
إن فيها أحلام قلبى وأشواق
وهي أغلى من العشيرة والممال
إنها يا طبيب ناذقى الكبرى
وهي جسرى إلى الحياة ومنطادى
وهي تصبو إلى الحسين فما تفك
وهي ترسو إلى الحزيم فتبكي
وهي ترسو إلى الشين فقدى
وهي تواقة إلى كل سطر في كتاب
وهي ماء فكيف تستخرج الماء
كيف تحرى السكين فيها وفيها
وهي من لحظة تذوب حياء
فلتكن فى يديك أسرار عيسى
يا إلهى سملت للطلب عينى

لعينيك فى قلبى رمز وأسرار
يرخسى منها صفاء مشعشع
ويحرى منها حياء مهذب
ويسرق منها لقاء محب
إذا عانقتى رفة من جفونها
تطلعت مشبوب الجوانح والجموى

(١) نفحات الجنوب : ٥٨/٥٥

ورفرف من شوق جناح ومنقار
صحا فإذا الرؤيا قفار وأثار
وصوتك يقصيني فأصحر وأختار
على كيد كانت من الحب تهار
جحيم وفي عيني غيم وأمطار
خيار ولو خيرتني كيف اختار؟
لدى الدجى والنور والماء والنار^(١)

وحومت كالطير الذى شفه الصدى
فررت فرار الحلم من عين نائم
فدونك يدنى إليك فأنتشى
فيما أنت يا أنت البخلة بالموى
لمرأك فى قلبى نعيم وفي دمى
رضيت بما يرضيك قسراً وليس لى
تحيرت فى أمري وأمرك واستوى

فالشاعر هنا يقتل وجданه ، وتذهب مشاعره في ساحة شاعرية يتأمل فيها أحاسيسه ،
ويتجاوب مع وجدانه ، وجدان الحب الظاهر لا في وصف حسي بغير الشهوات والنزوات كما في
الغزل الحسى ، ولا في غزل عذري ، يعزله عن الناس والحياة والأعمال ، بل الشاعر كما تعرفه
لا يزال يخوض غمار الأعمال ، وإدارة المؤسسات بقدرات الرجال ، وعزيمة المؤمنين .

ولذلك كان غزله تاماً ووجданاً يعبر فيه عن حب الإنسان الذي يوفر آناء الإنسان ،
ويحافظ على مشاعره وانسانيته ، ويتصفح خصائص الشعر الوجداني عند السنوسى على نحو
الآتي :

١ - السحر في عينها ترك قلبه في حيرة وتأمل ، وصرع عقله برمذه ولغزه ، ليظل حائراً
لا يستقر على الحقيقة ، مما شب هواه ، وأثار وجدانه لكنه هو مصنون بالعفة ، ووجدان
مأسور بالدين وحسن العاملة ، كذلك السحر في حمالها رقيق طاهر كأنعكاس أنوار الحياة على
صفحة الماء الرقيق الظاهر .

٢ - ليست حبيبة فاجرة عانسة ، لأن السحر في حياتها وأخلاقها المهدبة كحياء
الأزهار من مقلة الشمس ، وهذا ما يستبد بعقله ويأخذ بمجامع قلبه ، لا تبدل ، ولا فحش —
لكنه كالندى حين يصافع الورود والأزهار في وقت الصباح .

٣ - أما تراسل الأجنفان ، وبريق الابتسام ، وبريد جمال الوجه يشب في وجدان نار ،
ويغتل صدره جوى ، ويحتاج جسده إلى إعصار فيه نار ، فيشفى غلته بالرؤيا والنظر ، كما يحوم الطير
من بعيد ، ليلطف حرارة الشوق بنشاطه وجهده كما تلطف رفرقة الجناحين حرارة الجسد وطيب
الأحساء ، وليس هذا على سبيل الحقيقة والواقع لأن دينه وخلفه يمنعه من ذلك ، لكنه على سبيل
الحلم والخيال والتأمل والوجدان ، يقول :

فررت فرار الحلم من عين نائم صحا فإذا الرؤيا قفار وآثار

(١) الأئمدة : ٤٠/٣٨

٤ — فتنة الحبيب تقربه إليها ، فيزداد وجداً على وجد ، إلا أن صوتها الانسانى يوقفه إلى ما يجب عليه من حقوق الحب الظاهر ، فيعود ثانية إلى حبيب الوجدان ، ليناجيها بالبخل على كبد ذاب حباً ، ونفس انها رت وجداً ، فرؤيتها نعيم ، لكنه يترك وهنا في الجسد ، وحيرة في العقل ، وعيناً تسحب في الدموع ، وتذهب في الغيم ، وأصبح من الحياة في حياة استوى فيها الظلام والنور ، والماء والنار .

٥ — لا تهدى في القصيدة لفظاً فاحشاً ، ولا عبارة بدئعة ، ولا تصويراً وضيعاً ، ولا شهوة محمرة ، ولا نزوة حيوانية ، وإنما غاية الصيابة عنده وجдан يغلى وشعور فياض ، وتأمل وحيرة ، وسياج من التشريع والخلق يمنعه إلا بمحنة ، ولا عيب في حب الشاعر ، فهذا أمر فطري ، ولكن العيب والأسى في اتخاذ الحب طريقة لا يرضى عنه صاحبه ، ولا ترضاه القيم الفاضلة ، ويختضع له معدباً تائهاً على وجه الأرض .

وترى السنوسى إذا أسرف على نفسه في الغزل يكون محفظاً في تصويره ، يقول في (حسناً الريف) :

رقيقة تهتز أعطاها
ترعرعت بين ظلال الريف
تحفة مني إلى (غادة)
في الشمس والظل ثمت واستوت
تحفال من دل ومن صبوة
لا ما رأث عينى على ما رأت
مشلا لها فى حسناً الشوان من غير راح
باخ لها الحسن بما لا ياخ
عيان ما عين المها والقطبا
وغرة من غير (تسامة)
تربيع السحر بها واستراح^(١)

وهذه القصيدة هي الفريدة من نوعها في شعر السنوسى ، قصدت ذكرها حتى لا أترك احتفالاً من بعدى ، وقد اجتمع فيها من التصوير الحسى للمرأة ما لم يجتمع في غيرها من شعره الوجدانى ، ومع ذلك تجد أن التصوير فيها لا يبعد منهج الشاعر في غزله من التحفظ وطرح الفحش والإبتذال المعروف في شعر الغزل الماجن ، وعلى سبيل المثال : فاهتزاز الأعطاف (لا الردف) ، وخصوصيتها ، لا عن مجنون وخلاعة وفحش ، بل عن طبيعة أصلية نشأت عليها ،

(١) أزاهير : ٣٨٠/٤

وتكونت من النعيم والوفرة والسخاء ، فقد عاشت في بيئة مترفة مشوشة ، غنية بالزروع والأشجار والثمار ، تداعبها نسمة الوادي بأوتار الرياح ، وهي تروح وتغدو بين أشعة الشمس ودفتها ، وبين حنان الظلال ورقة ، وترهو بسحرها في دلال النساء ، وصبية الحسن ، ونشوة الجمال ، لا نشوة الحمر ، ولا دلال الراوح ، وقضاءت عيون المها والطبا ، أما جمال عينيها وجف غصن البان عند قدها الطرى ، وتصلب الرماح بجوار خصوبة قامتها ، وأما وجهها ، فلا يحتاج إلى صناعة النساء اليوم من التسريحات والتشكيلات ، لأن السحر قد أقام عندها واستراح .

هذه الأوصاف التي تصور جمال المرأة لا يستغني عنها الشاعر وإنما الذي أسف فيه شعراء الجمون أنهم صوروا نزواتهم وأبرزوا شهواتهم عند كل وصف ، وشاعرنا السنوسى ليس من هؤلاء الشعراء ، بل ترفع في غزله وخلقه عن ذلك ، وهذا أطلق على شعره في الغزل شعر الوجдан والتأمل .

ولهذا كان الشعر الوجданى والتأملى لا يشمل الغزل وحده ، ولكن قد يصور فيه الشاعر تأملاته فى الحياة ، كما في قصيده (أمامك الدنيا) يقول^(١) :

أمامك الدنيا ترقق القلب والعقل
فيما خاطرى رفقا ونظري مهلا
تحير فيها المصلحون وأعجرت
نهى الفيلسوف الفذ والشاعر الفحلا
خضوعا لها مهما تكبر واستعمل
طلاسم تعنى الفكر فهمافينحنى
يعيش بها الإنسان طفلا وإن بدا

إلى قوله :

ولذ بمحى الآيام وارض بما قضى
به الله واعلم أن حكمته أعلى
غير الهدى تغدو جحينا به نصل
نهى الفلدين فضل في الحياة لأنها
وشق أن من أعطى الحياة جاهما
ومثل قصيدة (الموج والشاطئ) ، وقصيدة (ل مع السراب) التي يقول فيها :

أرح عينيك من لمع السراب
وقליך من أيامه العذاب
 وعد عن قشور وإن تراءت
 رقاقا في الضباب وفي السحاب
 فقد فاض الطلاء على حياة
 تفيض بها الكؤوس بلا شراب
 يضوع عبرها من غير عطر
 وترخرر كالبحور بلا عباب
 وزهرت بالرياض بلا زهور
 وباهروا بالشارب بلا لباب

(١) البنابع : ٣٠/٣٢

يشب شبابها من غير شب ويدو شيئاً مثل الشاب
تنيه بها الجسم بلا علوم وتفخر الفهوم بلا كتاب
موهبة تررق العين حسناً خضاب في خطاب في خطاب
فقد صبغ السراب حياة عصر مخضبة الأظافر والإهاب
وصرت أشك حتى في مياه أناخوض بها ولو بلت ثياب^(١)

ثالثاً - شعر الطبيعة :

تعاطف السنوسى مع مفاتن الطبيعة ، ومظاهر الحياة الجذابة ، في ابداع أدق ، وموهبة شعرية صافية ، وقريحة وقادة ، وعاطفة مشبوبة بالمدينة التي نشأ فيها لا ينساها ، بل تزجع ذكرها شاعرته من حين آخر ، فمرة يناجيها ، وثانية يتعاطف مع جبل (فيفاء) فيها ، وثالثة يعني له ، ويفرد به ، ويعزف بأوتارها لحن الخلود ، في شعره الحالد ، لتظل القرية وجبل فيفاء وأغانيها مشدودة بالأرض ، بل تسمو خالدة في أشعار الزمان ، ويعصير لحناً يعزف ، ووترها يضرب ، في كل قرية وجبل ، وأغنية حبية إلى نفس عاشقها ، وحصاد أرضها ومائتها وبنتها هو شعر السنوسى الذى يتضجر عن تجربة ذاتية للشاعر .

فاما القصائد التى جاءت في ديوان (القلائد) منها (اللحن السجين ص ٧٢ - ٧٥) ، وقصيدة (شذى الرياض ص ٧٦ - ٨١) ، وقصيدة (موكب السحاب) في سماء عبامة وخاصة أيام فصل الربيع يقول ، منها :

هب والأفق ديمة وغمامة وجبين السماء بادى الجهامه
إلى قوله :

علم تسبح الكواكب فيه
ضرته الرياح فاستقبل الأرض
ثائر والسكنون يضفي على الكرو
جلل الأرض والسماء واعياً
غدق أيقظ الحياة على الأرض
سال عبر الفضاء ذوب ليس
وجرى في الشعاب تبرا مذاباً
دودة عند جدول وغدير
ومتروج تهدلت تملأ الوادي
وتسويف النسم سلامه

(١) البنابع : ٣٧/٣٦

ورقت بها دموع الغمامه
وطمس حوالها المها تقطف الزهر
وشتا في الفروع صادح أياك
وقصيدة (ساعة في الريف ص ١٥٨ - ١٦٢) ، وقصيدة (ليلة الرابية ص
١٧٠ - ١٧٢) ، وقصيدة (الجنوب الخصيب) منها :

نحبى الشعر شطاناً وغابا
محبّرة تفيض بها عبابا
صدى حلواً وأنغاماً عذاباً
معطرة مخدرة كعاباً
نواهد عز خاطبها وغاباً
نى وأحلامها وأكرّها رغاباً
لا كشف النقاب لها تقاباً
عذاري لم يفض لهن ختم
فهل لي أن أراك وقد تجلت
بك الأحلام رائعة عجباً^(٢)

وأما في ديوان (الأغاريد) فقد ضم قصائد هي : قصيدة (عودة إلى الطبيعة ص
٢٢ - ٢٥) ، وقصيدة (جبل فيفاء ص ٢٦ - ٣٠) ، وقصيدة (حديث من الظهران
ص ٦٥ - ٦٨) ، وقصيدة (أغنية فيفاء ص ٧٩ - ٨١) ، وقصيدة (يا ربِّ الحياة ص
٨٥ - ٨٢) .

وأما ديوان (أزاهير) فذكر السنوسى فيه قصيدة (جازان أغنية ص ٣٠ - ٣١) ،
قصيدة (شمعة على الطريق ص ٣٢ - ٣٤) ، وقصيدة (عرس الفجر ص ٤١ - ٤٣) ،
قصيدة (تحية إلى أبيها ص ٧٤ - ٧٦) .

وأما ديوان (البنابع) فاشتمل على قصيدة (الليل والريف ص ٩٠) . وأخيراً ديوان
(نفحات الجنوب) يضم قصيدة (نفحة الياسمين ص ٦٢ - ٦٤) ومنها :

عرفتك يا نفحة الياسمين كما يعرف العطر جانى الزهر
فأجبت فيك جلاء الحياة وعز الإباء وطهر المفتر
وأكبرت فيك ضياء النهى ولمع الذكاء وصفو الفكر

(١) القلائد : ١٠١/٩٦

(٢) القلائد : ١٧٨/١٧٣

أشاعرة أنت واستضحكـت
ثلـت بـالـحـانـهـ الـحـالـاتـ
ورـفـتـ كـالـطـيـرـ بـيـنـ الشـجـرـ
يرـقـهـ نـفـهـ صـافـيـاـ
شـهـيـ الـحـلـوـهـ عـذـبـ الشـجـرـ^(١)

وقصيدة (لؤلؤة الخليج ص ١١٢ - ١١٩) ألقاها الشاعر في قاعة المعارضات بالجليل الأعلى لرعاية الآداب والفنون بدولة البحرين الشقيقة ، وذلك في الأمسية الشعرية ، التي أقامها المجلس تكريماً لأعضاء الوفد الأدبي السعودي ، أثناء زيارته للدول الخليجية ، وكان الشاعر أحد أعضاء الوفد ، وهم : الأستاذة أمـهـ فـرـحـ العـقـيلـانـ ، المستشار الثقافـيـ بالـرـئـاسـةـ الـعـامـةـ لـرـعاـيـةـ الشـابـ ، والأـسـتـاذـ الشـاعـرـ حـسـنـ عـبـدـ اللهـ القرـشـيـ ، السـفـيرـ بـوزـارـةـ الـخـارـجـيـةـ ، والأـسـتـاذـ الشـاعـرـ محمدـ عـلـىـ السـتوـسـيـ رـئـيسـ النـادـيـ الثـقـافـيـ بـجـيـزانـ ، والأـسـتـاذـ الشـاعـرـ الـباحثـ الـمـحـقـقـ أبوـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ عـقـلـ الـظـاهـرـيـ ، رـئـيسـ نـادـيـ الـرـياـضـ الـأـدـبـيـ ، والأـسـتـاذـ مـحـمـدـ هـاشـمـ رـشـيدـ ، عـضـوـ النـادـيـ الـأـدـبـيـ بـالـمـدـيـنـةـ الـمـوـرـةـ ، والأـسـتـاذـ الـأـدـبـيـ حـمـدـ الـقـاضـيـ ، مدـيـرـ تـحـرـيرـ مجلـةـ (ـ الـجـلـةـ الـعـرـبـيـةـ)ـ يـقـولـ فـيـهاـ :

ما بين كاظمية وبين زرود
أطـرـقـتـ أـصـغـىـ لـلـخـلـيـجـ تـهـزـهـ
نـغـماتـ طـرـفةـ وـارـجـازـ لـيـدـ
والـبـحـرـ تـلـمـهـ الـرـيـاحـ فـيـشـىـ
بـالـلـؤـلـؤـ الـمـشـوـرـ وـالـمـضـوـدـ
وـالـمـسـكـ مـنـ دـارـسـ مـعـطـارـ الشـذـىـ
يـهـفـوـ السـيـمـ بـهـ وـنـفـحـ الـعـوـدـ
وـالـسـفـنـ تـخـرـ وـالـضـفـافـ بـيـنـهـاـ
عـزـفـ الـقـيـانـ وـزـعـرـدـاتـ الـغـيـدـ
إـلـىـ قـوـلـهـ :

يـجـرىـ العـبـابـ بـهـ فـجـرـىـ حـفـلاـ
عـهـدـىـ إـلـىـ التـيـجانـ كـلـ يـتـيمـةـ
مـلـءـ الـعـيـونـ سـنـاـ كـلـ مـجـيدـ
أـيـامـ كـانـ الدـرـ سـلـعـةـ تـاجـرـ
وـرـكـازـ سـلـطـانـ وـذـخـرـ عـمـيدـ
حـرـ الـأـصـوـلـ كـرـيـةـ أـعـراـقـهـ
يـحـظـىـ بـتـقـدـيرـ الـمـلـوـكـ وـعـرـهـمـ

وقصيدة (أبو ظبي) ألقاها الشاعر في قاعة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدولة الإمارات العربية المتحدة (بـأـيـ ظـيـ) فـيـ ٢٣/٧/١٣٩٩ هـ ويـقـولـ ، منهاـ :

(١) أـزـاهـيرـ : ٦٢

(٢) نـفـحـاتـ الـجـنـوبـ : ١١٩/١١٢

فالسحر فى تلك الحاجز مختبى
 لتعيد قلب الشیخ يخفق كالصدى
 عینیك تشهدی فغنى واطرسی
 إلا الحوى العذري والحسن الأبی^(۱)
 صحراؤنا العذراء لا ينبع بها
 ودائماً تغیره الطبيعة لأنها أحیها ، وتلوّح له بالمشاركة لأنها امترجّ بها وتهبس إليه بأسرارها
 فيفيض بها في شعره ، وتخنو عليه ، فتذهب عاطفته ، وتشرق له باتساعتها وزروعها وأزهارها
 وثمارها فيخلدها في شعره ، لأنها تستحق الخلود ، فهي تعطى وتنشر الرخاء ولا تضرر كيداً ولا
 أذى لأحد لأنها مسرح الجمال ، وموطن المتعة والانبهار ، كيف تكون؟ والشاعر على أرضها
 قطع عمره فلم يتبعش وتقصّر عن أداء واجها ، وتفجرت أحشاوها بالعطاء الجليل لينعم الإنسان
 عليها فهي جديرة بالحب من الإنسان ، وحرية بالمشاركة والتعاطف والحنين ، وفي النهاية نحن
 البشر منها واليها (منها خلقناكم وفيها نعيديكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) ، والقرآن أعطى صورها
 بأنها كانت حي يعطي كعطايا الإنسان وتضمن حين تدخل السماء قال تعالى (ومن آياته أنك
 ترى الأرض خاشعة فإذا أزلتنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لحي الموق انه على كل
 شيء قادر)^(۲) ، (وترى الأرض هامدة فإذا أزلتنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج
 برج)^(۳)

وكتيراً ما يعود السنوسى الى الطبيعة ، وفي (عودة الى الطبيعة) يقول :

قریسی قریسی الوديعة يا عـ ش وـ ما مـ قـ مـ جـ حـ اـ حـ
 طبع الله حـ بـكـ العـذـبـ فـى قـلـبـى
 ولـمـ يـمـحـهـ سـوـىـ اللهـ مـاحـى
 يا رـىـ لـجـ بـىـ هـواـهـ فـماـ يـ
 فـكـ نـشـوانـ منـ هـوـىـ مـلـحـاجـ
 كـمـ تـرـشـفتـ منـ جـمـالـ لـيـالـيـكـ
 فـنـوـنـاـ منـ الصـباـ وـالـمـراحـ
 وـتـنـشـفـتـ منـ حـلـالـ مـجاـلـمـكـ
 فـنـوـنـاـ منـ الشـذـىـ الفـرـوحـ
 فـىـ الدـجـىـ وـالـنـجـومـ تـغـزـلـ أـحـلاـ
 مـ العـذـارـىـ عـلـىـ صـدـورـ الـبـطـاحـ
 وـالـضـحـىـ وـالـعـيـومـ تـرـسـمـ فـىـ الـواـ
 وـالـنـسـيمـ النـشـوانـ يـخـضـنـ الزـهـرـ رـفـقاـ كـطـيـةـ الـفـلاحـ
 الـذـىـ قـلـبـهـ أـرـقـ مـنـ الـطـلـ وـأـصـفـىـ مـنـ الـزـلـالـ الـقـرـاحـ
 وـالـذـىـ يـزـرـعـ الـحـقولـ بـذـورـاـ وـزـهـورـاـ بـهـمـةـ وـكـفـاحـ
 وـالـذـىـ يـمـلـأـ الـقـلـوبـ شـعـورـاـ بـجـمـالـ الـطـبـيـعـةـ الـمـراحـ

(۱) نفحات الجنوب : ۱۲۳/۱۲۰

(۲) سورة فصلت : آية ۳۹

(۳) الحج : آية ۵

إلى قوله :

فريضى قريضى الوديعة يا عـ
ش فؤاد وبا مقر جناحـى
كلما ضمنى دجاجك ورفـت
نفحات الصبا على الأدواـجـ
وانتشـى الكـون بالـعـبـيرـ وـراـجـ
يـغـمـرـ الأرضـ بـالـتـعـيمـ غـزـيراـ
وـهـزـ القـلـوبـ بـالـأـفـرـاجـ
نعمـتـ روـحـىـ الـكـثـيـةـ بـالـصـفـوـ
وصـحتـ منـ الـأـسـىـ وـالـجـرـاجـ^(١)

وهكذا إلى آخر القصيدة ، في طبيعة هادئة ودية ، يختزن القلب بدقها وحنانها ويستقر الإنسان ويسعد في أحشائها ، لأن الله فطر القلب على محبتها ، فلن يتزحزح من موطنـهـ
مهما عصفـتـ العـواـصـفـ ،ـ فـمـنـ رـحـيقـ الـلـيـالـىـ يـرـتـشـفـ الـجـمـالـ منـ الصـباـ وـالـمـرـاحـ فـتوـناـ وـأـلـوانـاـ ،ـ
وـيـسـتـشـقـ مـنـ الـخـدـائـقـ الـطـيـبـ الـفـواـحـ وـالـنـشـرـ الشـذـىـ ،ـ وـفـيـ اللـيلـ تـحـسـ النـجـومـ أحـلـامـ العـذـارـىـ
حـفـائـقـ الـخـيـرـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ ،ـ وـالـضـحـىـ وـالـغـيـومـ تـرـسـ ظـلـلاـ سـاحـرـةـ بـالـنـدـىـ الـفـواـحـ ،ـ وـالـسـيـمـ
رـقـيقـ طـيـبـ كـرـفـةـ الـفـلـاحـ ،ـ فـالـطـبـيـعـةـ عـنـدـهـ هـيـ الـمـلـمـةـ وـالـقـدـوةـ تـلـمـعـ الـرـقةـ وـتـطـبـعـ فـيـ الصـفـاءـ ،ـ
فـالـرـاقـةـ اـرـتـشـفـهـاـ مـنـ الـزـهـرـ ،ـ وـمـنـ الـطـلـلـ ،ـ وـالـصـفـاءـ اـنـسـابـ فـيـ مـنـ الـأـمـاءـ الـعـذـبـ الـزـلـالـ ،ـ تـخـاـوبـ بـيـنـ
الـأـنـسـ وـبـيـنـ الـطـبـيـعـةـ ،ـ فـيـهـزـ الـكـونـ طـرـيـاـ بـالـعـبـيرـ ،ـ وـيـتـدـقـ السـيـلـ يـخـالـلـ فـيـ السـهـولـ ،ـ وـتـغـمـرـ
الـأـرـضـ بـالـتـعـيمـ ،ـ وـتـهـزـ الـقـلـوبـ بـالـأـفـرـاجـ وـالـسـرـورـ .

تلك هي خصائص الفن الرفيع في شعر الطبيعة الساحرة ، التي أحبها الشاعر وأحبته ،
وتعاطفـ معـهاـ وـتـعـاطـفـ مـعـهـ ،ـ وـهـامـ بـهـاـ فـأـلـمـتـهـ أـسـرـارـهـ ،ـ وـأـنـسـ إـلـيـهاـ فـفـاضـتـ عـلـيـهـ مـنـ خـيـرـاتـهاـ ،ـ
فـبـادـهـاـ مـنـ شـعـورـهـ شـعـراـ خـالـدـاـ لـتـبـقـيـ خـالـدـةـ مـاـ دـامـتـ الـحـيـاةـ .

والستوسى يعشـقـ وـطـنـهـ ،ـ الـذـىـ نـشـأـ فـيـ وـتـرـعـعـ ،ـ فـيـتـغـنـىـ بـسـهـولـهـ وـجـالـهـ ،ـ وـحـواـضـهـ
وـبـوـادـيهـ ،ـ فـيـشـدـوـ بـمـدـيـنـةـ جـازـانـ وـيـقـولـ :

جيـزانـ يـاـ درـةـ الـجـنـوـبـ
الـبـاسـمـ النـاعـمـ الـخـصـيبـ
مضـمـعـ مـنـ هـوـىـ وـطـيـبـ
وـسـحـرـهـاـ الـفـاتـنـ اللـعـوبـ
منـيـةـ النـفـسـ وـالـقـلـوبـ
لـلـفـنـ وـلـلـسـبـ وـالـحـبـ^(٢)
ويـحـنـيـ أـبـاهـاـ عـرـوـسـ الـجـنـوـبـ فـيـقـولـ :

(١) الأغاريد : ٤٥/٢٢

(٢) أزاهير : ٣١/٣٠

وَنِي وَلِهِ نُوْهُمَا وَالْجَذَاب
أَلَّا يَءُ مُشَوَّرَة فِي الشَّعَاب
وَأَشْقَنَ وَالصَّبَح كَثُ الصَّبَاب
بِرُوحِ الصَّبَا وَعَيْرِ الشَّبَاب
كَنُومِ الْجَدَالِ فِي حَضْنِ غَاب
يَفْوَقُ الْمَدِي قَدْرَهَا وَالْحَسَاب
وَخَسِبَاهَا صُورَة فِي كِتَابٍ
عَلَى قَابِ قَوْسِينَ مِنْ كُلِّ بَابٍ
وَأَقْسَى غَلَائِلِهِ وَالْقَابٍ
فَشَفَ السَّنَا وَتَحْلِي الْبَابِ
كَأنَّكَ فِيهَا عَلَى رِسْوَةِ

وَجَلْ (فِيَاء) مُتَحَفٌ رَانِعٌ يَلْهُمُ الْسَّنَوْسِي فَنَهُ، فَهُوَ مُصَدِّرُ الشِّعْرِ يَنْفَثُ لَسَانَهُ
سَحْراً، وَقَلْمَهُ بِيَانًا، وَخَوَاطِرُهُ فَكْرًا وَعِبْرًا، وَوَجْدَانَهُ خَيْلًا وَانْطَلَاقًا:

فِي اطَّارِ مِنْ نَصْرَةٍ وَاحْضَالٍ
بِغَيْضِ مِنْ السَّنَا وَالْجَلَالِ
لَهُجَةُ الْفَكْرِ وَانْطَلَاقُ الْخَيْالِ

تَسْوِرُهَا مِنْ وَرَاءِ السَّحَابِ
فَلَاحَتْ لَعِينَتِي دَارِاهَا
تَأْلِفُنَ وَاللَّيلُ وَصَفُ الدَّجَى
نَشَاوِي تَرْفَرَفُ أَنْفَاسِهَا
تَسَامَ بِأَحْضَانِهَا الْأَمْنِيَاتِ
وَأَهْبَاءَ مِنْ وَطَنِي دَرَة
تَرَى الشَّمْسُ فِي جَوَاهِ لَوْحَةٍ
وَتَبَدُّو الْكَوَاكِبُ فِي أَفْقَاهَا
تَبَرَحُ فِيهَا جَهَالُ السَّمَاءِ
وَيَسَّاحَتْ بِأَسْرَاهَا الْكَائِنَاتِ
كَأنَّكَ فِيهَا عَلَى رِسْوَةِ

مُتَحَفٌ مِنْ أَشْعَةٍ وَظَلَالٍ
سَابِعٌ فِي الْفَضَاءِ يَغْمُرُهُ النَّهَارُ
مَسْرَحُ الشِّعْرِ وَالْبَيَانِ وَمَسْرِي

وَيَقُولُ فِي (أَغْنِيَةِ فِيَاء):

لَسْتَ فِيَاءَ أَنْتَ جَنَّةٌ
إِنَّهُ فَوْقَ يَسَانِي
كُلُّ شَيْءٍ فِيَاءَ حَلَوٌ

رابعاً : المدح :

شِعْرُ الْمَدْحِ عِنْدَ الْسَّنَوْسِي مُحَدَّدٌ، لَمْ يَسْتَغْرِقْ كَثِيرًا مِنْ دَوَائِيْهِ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ نَوَّهَ النَّقَادُ
بِأَنَّ الشَّاعِرَ لَا يَتَكَلَّفُ الْقَوْلَ، وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَعْتَقِدُ، وَلَا يَمْدُحُ إِلَّا مِنْ يَسْتَحِقُ الْمَدْحَ،
وَلَا يَشْتَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَا هُوَ أَهْلُ الشَّنَاءِ وَالتَّقْدِيرِ، وَلَا يَمْدُحُ إِلَّا مِنْ يَرَى أَنَّهُ أَهْلُ الْمَدْحَ، وَإِذَا
مَدْحٌ كَانَ صَادِقًا فِي مَدْحِهِ، قَوِيَّ الْعَاطِفَةِ فِي ثَنَاهُ وَتَقْدِيرِهِ، فِي تَجْرِيَةِ شَعْرِيَّةٍ مُتَدَفَّقَةٍ قَوِيَّةٍ عَمِيقَةٍ

(١) أَزَاهِيرٌ : ٧٦/٧٤

(٢) الْأَغْنِيَادُ : ٣٠/٢٦

(٣) الْأَغْنِيَادُ : ٨١/٧٩

خصبة في معانها وخياطها وصورها الأدبية كالشأن في سائر الأغراض الأدبية في شعره .

فأما المدح في ديوانه (قلائد) فقد اشتمل على قصيدة (درة الناج ص ١ ، ٢) يمدح فيها الملك سعود في ملوكه وحكمه ، وقصيدة (البيعة ص ٣ ، ٥) يمدح فيها الملك سعود وولي عهده الفيصل ، وقصيدة (خطاب العرش ص ٦ ، ٧) يمدح فيها ملوك العرش السعودي ، وقصيدة (وعد ملكي كريم ص ٨ ، ٩) يمدح الملك سعود رحمه الله تعالى .

وأما المدح في ديوانه (الأغاريد) لمجده في قصيدة (أجتحة التاريخ ص ٤ ، ٥) ، وقصيدة (وردة ص ٨٩ - ٩٢) مهداة للشاعر الكبير عبد القدس الانصارى ، وقصيدة (سوزان ص ٩٣ - ٩٦) مهداة للشاعر عبد الله القرشى تحية لديوانه (سوزان) ، وكذلك (نشيد الجيش العرى السعودي ص ٩٧ ، ٩٩) ، وقصيدة (لم يفتلك القطار ص ١٠٠ - ١٠٢) مهداة لصديقه الأستاذ شكب الأموى .

وأما ديوانه (أزاهير) فقد ضم قصيدة (البليل الحيران ص ١٧ - ١٩) مهداة إلى سمو الأمير عبد الله الفيصل ، وقصيدة (من شعاع القناديل ص ٢٤ ، ٢٥) مهداة إلى الشاعر الكبير الأستاذ أحمد قنديل ، تحية لروحه الشاعرة ، وفكاهته الساحرة .

وأما ديوانه (البنابيع) فتجد قصيدة (لقاء القائد بالشعب ص ٤٥ ، ٤٦) ، وقصيدة (البح الأخضر ص ٦٧ - ٧٠) تحية وتهنئة ، مهداة لصديقه الشاعر محمد حسن عواد بمناسبة انتخابه عضواً بالجامعة الأعلى للعلوم والآداب والفنون ، ورد عليها العواد بقصيدة يمدح فيها السنوسى بعنوان (مواطن العطاء في الإنسان) يقول في مطلعها :

واللوشى جاء منقماً ومنمنما
والظرف طالعنا بها متيسماً
واللمس كان موشحاً والحسن كان
مصرحاً واللطف كان مسلماً
غراً من جيزان يرقصها النهى
تبها وتنعمها الحياة تقدماً
أ (محمد بن على) العالى الذرى
نسباً سلمت إذا ابن آدم سلماً^(١)

وأما ديوانه (نفحات الجنوب) فقد ضم قصيدة (نايف في جازان ص ٤٤ - ٥١) استقبل بها السنوسى سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية لمنطقة جازان ، للتعرف على مطالبه واحتياجاتها ، في شعبان ١٣٩٨ هـ ، ومنها :

لك يا صاحب السمو مواقف أنت فيها ملء النهى والعواطف
كان عبد العزيز يرنو بسور الله لما ولدت سماك نايف

(١) جريدة البلاد بتاريخ ١١/١٧/١٣٩٤ هـ

غمرت بالشذى الشواطئ والأریاف
تحملت فى سبيل الرعايا
وهكذا كل حاكم مستنصر
قالها قبل أن أقول أبو حفص
أنا لو ضاع فى العراق بغير
جحت يوم الحساب والحضر خائف

إلى قوله :

إن جازان سلة الخبر ما زالت
قيدت خطوات وشلت قواها
فلماذا جازان يedo مياما
وهي أم الحقول والزروع والضرع
وهي مرسى الجنوب تكثّف بالتفريغ
خن في عصر نهضة وانطلاق
وحرى بأمة أنت منها

وقصيدة (رشة عطر ص ٧٥ ، ٧٦) أهداها السنوسى لأخيه غازى القصبي ، تحية
لحدائقه النفيسة ديوانه (أبيات غزل) في عام ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (ضياء الدين رجب) ،
لكتاب أثرين وأنسى من خلال مدح السنوسى له .

وال مدح في شعر السنوسى اصطبغ بصبغة طرفة ، وارتدى ثوباً جديداً ، فلم تغلب عليه التزعة الفردية ، ولم تسقط فيه عناصر المدح القديمة الشخصية ، فالممدوح كاهن هزير لا يشق له غبار سيفه بثار ، وكالبحر جودا ، وكالشمس رفعة ، والقمر ضياء ، يفك العانى ، ويغدو عن الجانق ، وهو الكريم الشجاع الهمام ، ذو المروءة ، والتجلدة ، وسليل المجد والرفعة والشرف ، وهكذا مما استغرق في الشعراء القدامى :

لكن السنوسى لم يسلك هذا الطريق من المدح ، بل كان المدح عنده يأخذ اتجاهين :

أحدّها: المدح للملوك والقادة، ولم ينبع فيه منهج السابقين من المدح الفردي والشخصي، وإنما خرج عنه، وجعله مدخلاً اجتماعياً لا شخصياً ومجيداً للقيم والمبادئ المتمثلة في المدح لا ثناء على الفرد وحده بصفاته الذاتية، ليقوم المدح عنده على المشاركة بين المدح وبين شعبه ورعيته، وهو شعور متجاوب بين الحاكم والمحكم في بناء الوطن الحبيب، وهكذا السنوسي كان في مدحه للملك عبد العزيز طيب الله ثراه، وأباه الملك سعود في القلائل،

(١) نفحات الجنوب :

ومدحه للملك فصل بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في قصيده (لقاء القائد بالشعب) يقول فيها :

يا أبا خالد يحييك شعب
أنت أعطيته الرعاية والعطف
أنت أعطيته السعادة والعز
أنت حققت حلمه وأمانيه
كل يوم لنا ابهاج وعيدي
أى شعر يوفيك حفك والشعر
أنت فوق القصيدة فوق الأناثيد
غير أن الشعور يخند الشعر
وإذا الروض جاده القطر
عشت يا فصل العربية للشعب
بأياديك نهضة وإشادة
عيى وإن أجاد جياده
خلالاً وعزراً ومجاده
سيلاً إلى العلا مستجاده
غنى كل طير ورغردت كل غادة
إماماً وفي يديك القيادة^(١)

وأشاد السنوسي بالملك فوصل في قصائده كثيرة ذكرها في مكانتها من الغرض الأول وهو الشعر الإسلامي ، لأنني رأيت فصلاً فيها قد أصبح شخصية عالمية ، وزعامة إسلامية كبرى ، ذاتت فيها فردية في قضايا الأمة الإسلامية ومبادئها السامية ، فأصبحت هذه القصائد ، لا تمجد شخصه ، وإنما هي تصوير لواقعنا الإسلامي والعربي ، وتعبر عن مبادئ الشرع الإسلامي ، فخررت عندي بذلك على قصائد المدح المعروف ، والتي دخلت فيها القصيدة السابقة (لقاء القائد بالشعب) لأنها أدخلت في باب المدح ، لكنها مع ذلك ليست مدحًا فردية لكنه مدح تجاوالت فيه أصداء الراعي مع الرعية يمسكون جميعاً بالقيم والمبادئ في سبيل نهضة بلادهم ووطنهم السعودي ، فهو مدح جديد وهو (المدح الاجتماعي) .

ولست مع الدكتور بكرى شيخ أمين في أن السنوسي كان معظم شعره في الغزل والمدح
كسائر الشعراء في عصره فنقول ما نصه :

«فريق من الشعراء انحاز إلى الموضوعات التقليدية فكانت معظم قصائده في الغزل أو المدح أو في غيرها كابن عثيمين ، وعبد الله الفيصل ، وغادة الصحراء ، ومحمد بن علي السنوسي ، وفؤاد شاكر ، وأحمد الغزاوي ، وأحمد جمال^(٢).»

والسنوسي ليس كذلك ، فقد رأينا أن معظم الأغراض عنده غالب عليها غرض الشعر

(١) البنائي : ص ٤٥/٤٦

(٢) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : ص ٢٧٤/٢٧٥

الإسلامي ، ولم يكن عنده غزل بالمعنى التقليدي الذي ذكره ، ولكن غزله صبه الشاعر في شعر وجداً تأمل جديد وكذلك المدح لم يكن تقليدياً كما قرنه بغيره من الشعراء ، بل صبغ مدحه بصبغة جديدة في ثوب طريف وهو المدح الاجتماعي لـ الفرد .

ثانيهما : والاتجاه الآخر في مدحه جديد كلـه ، في طريقة عرضه وفي موضوعه ، وفي طريقة أدائه ، وفي مرجـه بالطبيعة ومظاهر الحياة ، فهو مدح للعلم والشعر في ذات عالم وذات شاعر ، أخذ إطاراً محدوداً محلياً ووطنياً ، لا إطاراً عالمياً حضارياً كما سترى في غرض عند الشاعر أطلقت عليه شعر الحضارة والعلم وسيأتي بعد ، ومن شعره في هذا الاتجاه الثاني قصيدة (البيلـ الحيران) التي أهدـها الشاعر إلى صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر المبدع (عبد الله الفيصل) قال^(١) .

رب لحن جـاهـ لا يـبـدـ
خـسـدـ الطـيـرـ فـيـ رـاهـاـ ولاـ
وـورـاءـ السـنـاـ فـؤـادـ شـقـىـ
قلـتـ لـلـصـادـحـ المـرـفـرـفـ فـىـ
ولـكـ الـظـلـ وـالـشـذـىـ وـالـأـزـاهـيرـ
والـزـلـالـ الـغـيـرـ وـالـنـورـ وـالـنـوارـ
وـالـنـدـىـ وـالـنـسـيمـ وـالـأـفـقـ الـطـلـيقـ
وـالـنـدـىـ وـالـنـسـيمـ وـالـأـفـقـ الـطـلـيقـ
وـسـاءـ كـمـاـ تـشـاءـ وـأـفـاقـ
ولـكـ الـأـسـ مـشـرـقـ يـمـاـ النـفـسـ
فـشـدـاـ شـاكـيـاـ وـرـددـ صـوتـاـ
ماـجـ فـيـ رـجـةـ السـكـونـ وـفـاـ
كـانـ (ـوـحـىـ الـحـرـمـانـ)ـ مـنـ فـضـهـ السـمـعـ وـمـنـ أـنـغـامـهـ وـالـقصـيدـ
فـىـ طـرـازـ مـنـ بـيـانـ رـشـيقـ
وـمـنـهـ عـلـىـ التـحـورـ عـقـودـ
وـلـهـ فـىـ فـمـ المـغـنىـ أـنـشـيدـ
وـهـوـ كـالـأـءـ سـلـبـيـاـ وـكـالـنـورـ

(١) ردًّا على قصيـدـتهـ (ـحـيـقـ)ـ الـتـيـ أـهـدـاهـ إـلـىـ الشـاعـرـ السـنـوـسـيـ فـيـ جـرـيـدةـ الـبـلـادـ — عـدـدـ ٢٩٣٠ـ بـتـارـيخـ ١٣٨٨ـ هـ وـمـطـلـعـهـ :

أـنـاـ فـيـ حـيـقـ أـمـوتـ وـأـحـيـاـ كـلـ يـوـمـ وـأـدـمـعـيـ فـيـ شـهـودـ

كان (ابن المعتر) يعتر بالشعب وإن رفرفت عليه البنود
ومضى واسمه يردد في التاريخ لخنا بزينة الترديد
وحياة هنا أجمل وأبقى يا أمير العلا رعنك السعود

فالسنتوسي هنا لا يمدح سمو الأمير الشاعر بصفات المدح التقليدية المشهورة عند الشعراء
القديامي ، ولكننه يمدح عبقريته الشعرية ، وإلهامه الأدبي في القصيدة ، فالشعر الجميل لا يبيد ،
لأن عميد الشعر صاغه للقلوب من وحي عبقريته ، التي امتنجت بالطبيعة والحياة ، فهي خير
وسيلة للوحى والآلام ، لأننا لا ندرى لغة التغريد عند الطيور ، ولا ما وراء السنما ، ولا في حنایا
الظلام والظلل ، والشذى والأزاهير ، والرلال التغير والنور والتوار ، والنبع الصاف ، والندى والنسم ،
والافق الطليق ، والفضاء الواسع ، والماء والأفاق ، والأمس المشرق ، والنهار الصاف ... لا ندرى
ما وراء ذلك ، لكن (وحي الحerman) صور كل ذلك من فيض الشاعر السمح ، وأنقامه في
بيان رشيق ، لا غموض فيه ولا تعقيد ، فأصبح في ثبور الفاتنات أغاني وأناشيد ، وعلى ثخورهن
عقود ولائي ، وفي الحياة كان ماء عنديا سلسيليا ، ونوراً مشرقاً مصقولاً ، لأنه لحن الخلود ،
الذى يبقى يردد التاريخ ، كما ردته من قبل ألحان الخليفة الشاعر (ابن المعتر) ، يرن صداته
حالداً في جنبات الخلود .

وأظنك أنت معى الآن فيما اتجهت اليه ، وهو أن هذا المدح جديد في أسلوبه ومنهجه ، حيث تقصص مظاهر الطبيعة ، لتعبر بروحها كما يهدف الشاعر ، ولها من الإيماء والألغاز والأسرار ما يثير العقل ، ويستبد بالقلب ، ومن وحي الطبيعة وأسرارها كان ديوان الشاعر (وحي الحرمان) ، وليس فيه نبوغ من مقومات المدح القديم ، اللهم إلا أن الشاعر شبه الملوك بالملوك ، شبه الأمير عبد الله الفيصل بالأمير العباسى عبد الله بن المعتز ، إن كلاً منها ملك شاعر سطر التاريخ خلماً الخلود بشعرهما وابداعهما الفن .

ومن شعر المدح للستومي في هذا الاتجاه قصيدة (من شعاع القناديل) التي أهداها الشاعر إلى أخيه الشاعر الكبير الكبير أحمد قنديل يقول⁽¹⁾ :

حلوة هذه القناديل حلوه
مرح آسر ولفظ ضحوك
كلما تمحو بالهزيل والجد
تطلوي في دعابها حكم الـ
صاغها شاعر يرفف كالطير
شعره مثل رواء ورنة العود غنوه

۲۵/۲۴ : ازاهیر (۱)

وكذلك قصيده (وردة) التي أهداها إلى الأستاذ الكبير عبد القدس الأنصارى تحيه
لكتابه (تاريخ جده) ومطلعها :

أضاف إلى سنا التاريخ جده كتاب صيغ في (تاريخ جده)

إلى قوله :

كتابك تختة للتاريخ فـا
رفقت به إلى الدنيا عروسـا
تألق حسنـها وأضاءـه حتى
ففاض على جوانـها غزيراـ
وصفق قلبـه الجياـش شـوقـاـ
وغـازـلـ فـى شـواطـئـها الـأـسـانـ
وغرـدـ لـلـجـمـالـ وـقـدـ تـجـلـ
بلغـتـ أـبـاـ نـبـيـهـ ذـرـيـ المـعـالـ
وـمـنـ حـمـلـ بـرـاعـ وـكـانـ جـلـداـ
وـأـسـلـوـاـ وـخـفـيـقاـ وـجـودـهـ
لـأـعـتابـ مـقـدـسـةـ وـسـدـهـ
أـعـادـ شـابـهاـ لـلـبـحـرـ مـدـهـ
وـمـدـ ذـرـاعـهـ خـيـراـ وـزـنـدـهـ
إـلـىـ ثـغـرـ الـحـجازـ وـهـرـ قـدـهـ
تـرـفـ نـضـارـةـ وـتـمـوجـ رـغـدـهـ
يـضـمـ الرـوـضـ سـونـهـ وـرـنـدـهـ
بـنـفـسـ الـمـعـالـيـ مـسـتـعـدـهـ
عـلـىـ تـبـعـاتـهـ أـعـطـاهـ مـجـدـهـ⁽¹⁾

وفي هذه القصيدة يمدح السنوسى العلم والتاريخ في شخص العالم المؤرخ ، لا على طريقة
المذاхين التقليدين للقدماء ، ولكن في نهج جديد ، وأسلوب طريف ، فكتاب الأنصارى تختة في
التاريخ أسلوباً وتحقيقاً وجودة ، وعروس زفت إلى الدنيا على أبواب الأرض المقدسة الطاهرة ، وفي
حسن من حصولها ، فأشراق جمالها على الحياة ، وأعادت للبحر سعادته وقوته ، ففاض غزيراً على
جوانبه ، يصفق قلبه شوقاً إلى ثغر الحجاز في رقصات رشيقه ودلال مع الشواطئ ، يرف
تضارة ، ويوج ثراء ، ويعرف أوتار الجمال ، فتهاز الأزهار والسوßen طرباً وشوقاً ، لأن كتابه قد
بلغ المعالى ، بهمه العالية ، ومنحه التاريخ مجدًا وخلوداً .

لا تجد وصفاً من أوصاف المدح التقليدي في هذه الأبيات التي اقتصرت عليها ، وبقية
القصيدة التي تسير على هذا النهج والأسلوب والطريقة الجديدة في المدح والثناء .

وكذلك مثل قصيدة (سوزان) فهي كما يقول السنوسى باقة من شعور كريم ... مهدأة
للصديق الشاعر حسن عبد الله القرشى تحيه لديوان (سوزان) ومطلعها :

(سوزان) هذا الاسم من ركبـهـ ياـ ماـ أحـيـلـاهـ وـماـ أـعـذـبـهـ
مـنـ ذـوبـ السـكـرـ فـذـابـ حـتـىـ كـدـتـ أـشـرـبـهـ

(1) الأغرايد : ٩٢/٨٩

وهكذا الى آخر القصيدة ، وكذلك قصيده (البحر الأخضر) مهداة للصديق الشاعر محمد حسن عواد ومطلعها :

الْأَرْضَ يُحِيَا السَّحَابَ إِذَا هَرَرَ وَخَبِلَهَا قَلْبًا وَيُنْطَقُهَا فَمَا^(١)

وهكذا في قصائد كثيرة وردت في البنایع والأغارید والأزاهیر والقلائد ، تسیر على هذا الخط من المدح في ثوب طریف واتجاه جدید .

خامساً - الشعر الاجتماعي :

و هذا الغرض لا نستطيع أن نحكم عليه بأنه غرض أدق قد يتحقق بل هذا الغرض لا يلبي
أن يكون جديداً ، لأنه يصور المجتمع الذي يخالطه الشاعر ، ولاشك أن هذا المجتمع مختلف عن
المجتمعات التي سبّتها بما يتناسب مع المرحلة التاريخية ، التي يعيشها الإنسان ، فإنّسان اليوم
الاجتماعي غيور بالأمس ، والمجتمع في المستقبل مختلف كثيراً ، لأنّه يمثل مرحلة تاريخية نابعة من
عصره و مجتمعه ، ولذلك كان هذا الغرض جديداً في أسلوبه و توجهه و معاناته و موضوعاته .

و جاء هذا الغرض في بعض دواوينه مثل قصيدة (صورة شعرية ص ٤٤ ، ٤٦)^(٢) ، و قصيدة (اليتم السعيد)^(٣) ، و قصيدة (أمني)^(٤) ، و قصيدة (لكل صابون ليفة)^(٥) ، و قصيدة (كوك الشرق)^(٦) .

وفي (صورة شعرية) يقول السنوسى في مقدمتها : (مهداة الى كل وزير في بلادى الفتية) منها :

يا معالي الوزير إن الوزارة يرقب الشعب نورها وصداتها مثل ما ترقب المراصد تماماً ومن الشعب تستمد المعالى علم رائع السنابيل منارة أينما حل ليله وهناره تحجلى نوره وترعى مداره ما لها من جلالة وفضاء

(١) البنایع : ٦٧/٦٩

الأغاريد : ٤/٤ (٢)

(٣) الأغاريد : ٦/٨٨

۱۲/۹ : ازاهیر (۱)

(٢) الاعتراض على المدعي

میانجی

والوزير العظيم يختضن الشعب
يتبني أحلامه وأماناته
يسهر الليل كى يتحقق رؤيا
واضعا عينه على كل فرع
يقصى ويستحث ويوصى
ويجد الموظفين بروح
ب وأماله ويلقى دثاره
بروح قوية جباره
قومه فى تقدم وحضاره
 وجهاز وشعنة واداره
وهرز الكراسى الدواره
منه وهاجة نشع حراره

وهكذا الى آخر القصيدة ، التي يصور فيها كل وزير في أي بلد كان ، ولا في تصويره ما يشير الى الحدود الوطنية ، ولا الى بلد معين ، بل جعل صورته الشعرية الى كل مسؤول وزير كان او غيره ، في تصوير عام يشمل كل من يتحمل مسؤولية الشعب ، وينوب عن الجميع في كل مشاكله ويسهر على راحته ، ليتحقق آماله وأمانيه ، ويدفع الأذى عنه ، ويرفض التأخر والرجعية ، وذلك بروحه القوية الجباره ، ومدده البناء الوهاج ، حتى يدفع أمنه قدما الى الأمان ، لترقى الى مدارج الرق والحضارة .

وهذا تصوير اجتماعي لكل وزير ، بل لكل مسؤول في أي موقع من مواقع العمل والانتاج ، في أي بقعة من بقاع العالم ، ولذلك احتل شعره الاجتماعي مركزا عالميا ، فهو شعر انساني عالمي يروح اسلامية عالمية ، تحب الخير للإنسان في أي مكان ، فكان السنوسي الشاعر السعودي الوحيد التي ترجمت قصائده الى لغة أوروبية ، وعلل هذا الجانب الانساني الاسلامي العالمي في شعره هو الدافع الأساسي لانتشار شعره في العالم الغربي بلغة أخرى غير لغته العربية .

^(١): ومن روائع شعره الاجتماعي قصيده (اليتم السعيد)

راح يرهو عليه ثوب جديد
(برعم) من براجم الـجـيل مازا
أيقظته أشعة (الـعـيد) يسا
فصحا تـشـرق البراءة فى عـيـ
هـب من نومـه يغـنى كـما غـنى
وارتسـى ثـوبـه القـشـيب وهـزـتـ
فـمضـى يـمـلا الشـوارـع رـقصـا
مرـحـا فى طـفـولة يـسـتحـبـ الرـ

★ ★ ★

٨٦/٨٨ الأغاريد :

صورة شعرية طريفة ، تحيّست في ثغرية شعرية عميقة وصادقة لكل يتم ، لا في شخص يتم الذي تسلطت عليه مناقد الادراك عند الشاعر أثناء التقاطه الصورة الحية النابضة ، فالتميم صورة الشعاء قدماً وحديها ، ولكن السنوسى تميز عن غيوبه من الشعاء في طريقة العرض ، ومعالجة الموضوع ، من أهم المميزات :

أولاً : أقام الشاعر حواراً قصصياً بينه وبين اليتم ، الذي خدعاه عن اليم مظهراً وشكله ، وصرفه عن الحقيقة فرحة وبهجته بالعيد ، حتى تورط الشاعر في سؤال ، قد تكون عاقبته غير محمودة لو كان الولد يبتليه بائساً شقياً ، لأنّ صورة اليتم في القصيدة تحرك في إطار مجتمع مثالي ، يؤمن بواجهة خلو الضعفاء والمساكين ، فلا يرضون لأنفسهم أن يتجدد عضو مشلول في جسد الأمة الواحدة التي توحد بينها صفة الإنسانية والعلم والمعرفة ، وحيثنا يكون المجتمع كذلك ، يصرير مجتمعنا أخلاقياً مثالياً رفيعاً ، لا تخدع فيه بائساً ولا شقياً ، بل تترفّع على الجميع ألوية السعادة وبنود الحبوب ، يقول اليتم :

أنا يا سیدی یتیم ولکنی سعید لا باس او شرید
لکنی وارف و مائی مسکو ب وزادی مرفه منضود

ثانياً : أن الشاعر جعل سبب السُّبُّاب في سعادة اليتيم لا ترجع إلى العطف والحنان ، ولا في كفاية الزاد والكساء ، ولا في بمحبة العيش والثراء ، وإنما ترجع إلى العلم ، فهو وحده كفيل بتحقيق السعادة للبيت ، فالعلم والمعرفة تعمّر القلوب والعقول ، فتفنيض بالير والخير والمردة والرغبة ، لأن العلم هو الغنى الحقيقي ، والثراء الدائم ، الذي يظل كنزنا خالداً لصاحبه .

والعلم والشريعة والقرآن يسمو باليتيم محمد عليه السلام إلى شرف الرسالة ، فيكون خير البشر

جيمعاً وأشرفهم وأفضلهم عند الله عز وجل ، وعند الناس خلوداً وبقاءً وتشريعاً ونوراً ومعرفةً واستقامةً وبناءً وتقديماً وحضارةً .

أنتي أنتي لا أنتي فلقد بـت بأمالى معنى
الـنى يا للـنى من زورـق مارـسا يومـا ولا نـحن وصلـنا
يصور صديقا ، يـمـنـى له مـوـفـور السـعـادـة ورـاحـة البـال ورـضـى التـفـسـ، لأنـه يـطـوى بين
أـحـشـائـه قـلـبا فـاسـدا ، وـصـدـرا يـغـتـلـي حـقـدا ، وـفـقـسا تـفـيـض حـسـرة وأـمـلا ، وـفـكـرا مـحـمـومـا بالـبغـضـ
والـكـراـهـة .

ثم يتمنى لعدوه أن يصره الله بالحق ، وأن يدبر يديه لا بالسلاح والنار ، ولكن بالدليل والعلق والبرهان ، وإلا كان فظا غليظ القلب ، جهولاً لدوادا .

ثم يتمنى رئيسة حكمة وللمرؤوسين نشاطا وأمانة ، كل يؤدى واجبه ، مهما كان
الإنسان مظلوما .

ثم يتمى لوبيده أن ينشأ نشأة صالحة مثله ، ينزع في شبابه عن إجلال وحب وريادة متزفغا عن صفات الأمور ، عاشقاً للمعاني النبيلة والأخلاق السامية .

وفي المقطع الأخير يعنى المجتمع أن يكون رائد الفكر قوى المشاعر ، ميقظ الوجود ، يرفض الزيف ، ويعشق الجهد ، ويسمو إلى المعالى في فكر أصيل ، ومنهج قويم ، وضمير حى ظاهر ... يعنى كل ذلك لكن الألماني زورق تلاعيب به الأدوات وتعصف به الرياح ، ويرتطم بالصخور والعقبات عبر الأزمان والأجيال يقول في المطلع الأخير :

أثنى أن أرى مجتمعى لوذعى الفكر مصقول الشعور
يرفض الزيف نهاد ويرى وعيه اليقظان ما خلف القشور
يعشق الجد ويعنى للعلا مستقل الفكر شفاف الضمير
الذى يا للمنى من زورق لم يزل يجرى بنا عبر العصور

(١) أَذَاهِيرٌ : ص ٩ وَمَا بَعْدُهَا

منظـر ، فـهـو كـالـحـربـاء ، يـتـلوـن حـسـب أـغـرـاضـه وـحـاجـاتـه بـأـلـوانـكـثـيـة ، يـلـحـبـاء قد استـحبـتـ منه ، لأنـه قد بلـغـ في طـبـعـه المـزـ، وـخـدـاعـه العـلـقـمـ ، وـنـفـاقـه الـلـاذـعـ حدـاـ ، انـدـفـعـ به إـلـى مـوـاطـنـ الحـرـبـاء وـالـاعـتـداءـ ، حـينـ أـخـذـ المـنـافـقـ مـكـانـ الـحـربـاء وـدـورـهـ لـيـؤـدـيـ وـظـيـفـتـهـ التـيـ خـلـقـتـ منـ أـجـلـهـ (وـخـلـقـ كـلـ شـيـءـ فـقـدـرـهـ تـقـدـيرـاـ) ، (إـنـاـ كـلـ شـيـءـ خـلـقـنـاهـ بـقـدـرـ) ... يـقـولـ السـنـوـسـيـ (١) :

أـصـدـقـائـيـ أـمـ أـصـدـقـاءـ الـوـظـيفـةـ
الـأـلـىـ عـهـرـاؤـنـ بـالـشـلـ العـلـيـاـ
وـتـلـهـونـ بـالـمعـانـ الشـرـيفـهـ
وـصـوـلـيـةـ غـلـاظـ سـخـيفـهـ
مـنـهـ فـشـىـ مـكـفـوفـهـ
وـنـفـاقـ مـلـونـ تـخـجلـ الـحـربـاءـ
وـتـنـدـلـ وـتـسـكـكـنـ وـتـمـاعـ
فـاـذـاـ وـلـتـ الـوـظـيفـةـ وـلـواـ
خـلـقـ يـشـمـرـ مـنـ كـرـيمـ النـفـسـ
يـاـ لـنـفـسـيـ مـنـ أـنـفـسـ تـقـذـفـ الـحـبرـ
وـعـلـىـ كـلـ جـانـبـ مـنـ قـذـاـهـاـ
خـضـتـ فـيـ بـحـرـهاـ وـكـنـتـ غـرـيراـ
أـوـجـهـ كـالـبـلـاطـ لـاـ تـبـتـ الرـهـرـ
وـقـلـوبـ مـثـلـ الـكـهـوـفـ ظـلـاماـ
غـيـرـ أـنـيـ وـإـنـ تـأـلمـ قـلـبـيـ
لـسـتـ خـبـاـ وـخـبـ قـدـ يـخـدـعـ
الـبـرـ وـهـذـهـ حـكـيـاـةـ مـعـرـوفـهـ

* * *

سادساً : شـعـرـ الـحـضـارـةـ الـحـدـيـثـةـ :

وـمـنـ الـأـغـرـاضـ الـجـديـدـةـ فـيـ شـعـرـ السـنـوـسـيـ ، مـاـ أـنـشـدـهـ فـيـ التـقـدـمـ الـعـلـمـيـ وـالـأـدـبـيـ الـحـدـيـثـ ،
وـمـظـاـهـرـ الـحـضـارـةـ الـمـعاـصـرـةـ ، فـيـصـوـرـ هـذـاـ التـقـدـمـ مـنـ خـلـالـمـشـاعـرـهـ وـخـواـطـرـهـ ، فـيـ تـجـرـيـةـ شـعـورـيـةـ
مـشـحـوـنـةـ بـالـعـاطـفـةـ الـقـوـيـةـ التـيـ تـجـاـوـيـتـ مـعـ أـحـدـاثـ عـصـرـهـ ، وـاسـتـجـابـتـ لـوـسـائـلـ التـقـدـمـ
الـحـضـارـيـ ، فـأـخـذـتـ مـوـقـعـهـ مـنـ شـعـرهـ ، بـعـدـ أـنـ أـخـذـتـ مـوـقـعـهـ مـنـ حـيـاتـنـاـ كـلـهاـ الـعـمـلـيـةـ وـالـنظـرـيـةـ
عـلـىـ السـوـاءـ ، فـالـشـعـرـ الـقـوـيـ النـابـضـ وـالـصـادـقـ هوـ قـطـعـةـ مـنـ الـحـيـاةـ التـيـ يـعـانـ تـجـربـتـهـ الشـاعـرـ ،
وـمـقـطـعـ مـنـ شـرـيـطـ الدـنـيـاـ لـهـ مـنـزـلـةـ كـبـيـةـ بـمـقـدـارـ مـاـ يـسـهـمـ فـيـ تـطـورـ الـحـيـاةـ وـيـشـارـكـ فـيـ بـنـاءـ حـضـارـهـ
كـجـزـءـ مـنـ أـجـزـاءـ التـارـيخـ الـبـشـرـيـ إـلـىـ أـنـ يـقـضـيـ اللـهـ أـمـرـاـ كـانـ مـفـعـولاـ .

(١) أـزـاهـيرـ : صـ ١٣/١٤

فاما الديوان الأول (القلائد) فتجد قصيدة (في موكب الفن ص ٤٢ - ٥١) يصور فيها السنوسي شخصيات رواد الأول الخالد ، تقديراً لفهم الشعرى الذى يمثل حضارة الأدب السعودى المعاصر ، وكانت هذه الندوة فى هذه المرة فى دار الأستاذ عبد القدوس الأنصارى صاحب مجلة المثلث تكريماً للسنوسي فى ١٣٧٦/٦/٢ هـ ووفقاً كوكبة من شعراء الأول وأدبائه سبق ذكرهم ، وقصيدة (أحمد أمين العالم والأديب المصرى الكبير ص ٨٨ - ٩٥) يسمى بما قدمه الرجل للعلم والأدب والنقد فى عصره ، وهذه أبيات منها :

فليسوفا أو شاعراً أو أدباً
وتلقى سلم النهى والخطوب
من حياة الريع خصباً وطيباً
وهى تستقرط الحياة جبوها
العلمىًّا مجداً يخلدان الغروب
ومضت تنشر اللواء القشيبة
من فنون النهى وتغنى الجديباً
ويستخلص النضار المشوياً
جنحت روحه وهبت هبوباً
تراثاً يجبي النهى والقلوب
أعجز العلم كشفه والطبيباً
مكاناً من الخلود رغيباً
والدهر يمشي ديباً^(١)

ثم المجد أن تعيش غريباً
تحدى عواصف الفكر والرأى
يا حياة كانت على العلم أركى
فجرت فى مسارب الكون نبها
(فجرها) و (الضحى) على الأفق
حملت من رسالة الفكر نوراً
تستبرر الحصول من كل فن
دقة العالم الذى يزن اللفظ
وخيال الأديب وهو شعور
أيها الباحث المجدد للشرق
عجب هذه الحياة وسر
فى رحاب الوجود تحمل ذكراك
عالياً عالياً تمر به الأيام حسرى

وقصيدة (المثلث ص ١٧٩ - ١٨٦) بمناسبة اليوبيل الفضي للمجلة وما شاركت به فى بناء حضارة المملكة فى الفكر والأدب ، وقصيدة (مولد النور ص ١٩٧ - ٢٠٣) بمناسبة افتتاح محطة الكهرباء بجازان فى الليلة الأولى من شهر ذى القعدة عام ١٣٧٨ هـ ومنها :

ولم ترجمز هناك ببروق
كمود الصباح منها العمود
على كل (قائم) عنقود
فماذا إذن وكيف الرقود
وعلى ثغرها المشح نشيد

قلت ماذا أرى وقد برق النور
تسامي إلى الفضاء ويعلو
تندل بها المصايد (كالطلع)
لا فقيل ولا ذبال ولا شمع
هست كهرباؤنا وأجابت

(١) القلائد : ٩٣/٨٨

والعلم حاكم لا يحيى
نورا مطفئا ما ترى
ومن قوة حواها الحديد
وما فوقها لمن يستفید
عقل عظيمة وجه ود
في رموزها جمال فريد
شهادها سيد البلاد سعود
والهافتات والتعيید
والانطلاق والتشبيید
والملك وما روتته الجند
تبدي حديثها وتعيید
(فيصر) في جلاله و (الرشيد)
هارون ولا سار في القطار (الوليد)
وعلى الشمع كان يقرأ (يزيد)
نورا لا يعتريه الخند
الأفلاك سيارة مدها بعيید
وهياوت حواجز وحندود
والآلات والفن سيد ومسود
البنایم كل يوم ترى
ولا ضاق بالحياة (لبيد)^(١)

إننى شلة تحكم فى العلم
موقدا ما تشاء منى إذا أحبت
أنا من (طاقة) يولدھا الماء
جل من سخر السموات والأرض
إن (فلتا) وإن (واتا) و (أميرا)
تلك أسماؤھم تشير إلهم
أى عصر هذا وأية دنيا
المطارات والقطارات والأضواء
والشرق الحديث والعمل البناء
قد قرأت عن الحضارة والعمران
 واستمعنا إلى التاريخ والأسفار
ورأينا حضارة ما رأها
إى ورد لم يركب (التكسي)
سهر الليل بالقاديل كسى
أين تلك العصور من عصرنا العلمي
ويصوغ الأقمار نجوى مع
خضعت للنورى المسافات فيه
وتساوى بنعمتة العلم
وأجرت هذه الحياة كما تخوى
لو رأها (ليد) ما سمع الدنيا

وهكذا إلى آخر القصيد من مطلعها حتى نهايتها تصور حضارة العلم الحديث وما قدمه للبشرية من وسائل التقدم والرقي التي لا تحتاج إلى جهد في أناقة ورقه وانتظام فقد تعددت وسائل الحضارة في القصيدة التي تفجرت عن الكهرباء وهي التكسي والقطار ، والهاتف والمطار والطيران وتبعيد الطريق وتشيد العمارت المؤسسات ، والأقمار الصناعية العابرة للقارات والخيالات ، والطاقة والذرة ، والآلات والمعدات الحديثة ، وغيرها من وسائل التقدم العلمي والحضاري في تصوير أدى رائع وخيال خصب موفور وأفكار عميقة رحمة وصور شعرية غزيرة بالأضواء والألوان والظلال ، والإيماء والأشعة التي تحفظ الأ بصار ويغوص في أعماقها العقل — عقول عظيمة وجهود — في رموز لها جمال فريد ، والرموز هي (الفولت — الوات — الأمبير) . أي عصر هذا وأية دنيا ١٩٩٩

ال قالائد : ٢٠٣ / ١٩٧ (١)

وقصيدة (جامعة سعود ص ٢١٢ - ٢١٩) التي توارت وراء جامعة الرياض حيناً، ليعود سعود إليها كما كانت من قبل جامعة الملك سعود بعد خمس وعشرين عاماً من افتتاحها وذلك في الاحتفال بالذكرى، الفضي، لها في عام ١٤٠٢ هـ ، ومطلعها:

العلم أقوى سلاح في بد الأئم
وأملاً حجاك به نورا فإن له
فجرا من الحق يجلو كل ميهم
أحفاد قوم محى أمية الأمم
وجددوا عزة الأجداد وإنكموا
كانوا أساتذة الدنيا وسادها
في الحرب والسلم والتشريع والنظم^(١)
وأما الحضارة في (الأغاريد) في قصيدة (طموح ص ٥١ - ٥٣) ، وقصيدة (إلى
غزارة الفضاء) ، ومنها^(٢):

عيشوا على الأرض أحبابا وإخوانا
وطهروها من الأحقاد والخذلان
وأنفقوا ذهب الدنيا وفضتها
وانقدوها من الوحش الذي ابتليت
وامشوا على ظهرها هونا فما برح
ليس الحضارة (صاروخنا) و (قبلة)
إن الحضارة أسماءها وأرفعها
أن تحسن المشي فوق الأرض إنسانا
ولا المدن (أقدارا) و (أفرانا)
تحس في خطوك بغيها وعدوانها
به الخضارة أمادا وأزمانها
للسخير والبر أرواحا وأبدانها
طريقكم في سبيل الحق أغوانها
ونسقونها أزاهيرا وريحانها

(محمد) رائد الدنيا وقائدها
شريعة كشعاع الشمس نيرة
فأعاد إليها شعوب الأرض واعتصرت
من المدينة من أطواودها انطلقت
(مدينة التور) عاد التور متطلقاً
إلى الخفة أحنيساً وألواناً
الناس في ظلها كالملحش ألسنان
بحلها وهمت أمّا وإيماناً
لا من (نيورك) ولا (موسكو) وإنفاناً
من لا ينك قوياً مثل ما كانا

وفي (أزاهير) من الحضارة العلمية (رحلة القمر ص ٢٦ ، ٢٩) ، وفي (البنيانع)
قصيدة (تحية المعهد العلمي ص ٨٥ ، ٨٦) ، وفي (نفحات الجنوب) قصيدة (جزيرق ص
٧٤ ، ٧١) في آلة التلفاز ص ٢١ ، ٢٣) في عام ١٣٩٧ هـ ، وقصيدة (على آلة التلفاز ص ٧٤ ، ٩
١٣٩٧ هـ ومطلعها :

الفلاتن : ٢١٢ / ٢١٩ (٣)

الأغاني : ٧٣/٧٦ (٤)

على آلة (التلفاز) للفن ألوان
بها ابسمت أنها وأشرق جازان
بشاشته البيضاء حور وولدان
وكم رفع الإنسان علم وإيمان
طالعنى والجو برق وهناء
لقيت بها صحبى وبينهم مسافات أبعاد طوال وأزمان^(١)

وقصيدة (المهل في عامه الثاني والأربعين ص ٧٧ - ٧٩) في عام ١٣٩٧ هـ ، باعتبارها تؤدي رسالتها العلمية والأدبية والحضارية ، في اثنين وأربعين عاما مضت عليها ، وقصيدة (هوم الحياة ص ٩٢ - ٩٤) يصور فيها الحضارات المعاصرة ، من فلسفات شيوعية ورأسمالية ، وكيف هوت وسقطت أمام حضارة الإسلام ، وثبوتها في كل عصر ، فالسكينة والنور واليقين في الإسلام ، ومطلعها :

يا هوم الحياة إن فؤادي
إنى في سكينة من هدى الدين
ونور اليقين ذخري وزادى
كب الله لحياة ورثى العياد
فتحى يا (فلسفات) العياد
من (شيوعية) يصير بها الانسان
ترسا في آلة الحداد
و (رأسمالية) يزيد بها الانسان
بؤسا في سعيه لازدياد
أنا آمنت بالذى خلق الكون وما فيه من هدى وفساد^(٢)

وقصيدة (على ضفاف دجلة) ألقاها الشاعر في قاعة ابن النديم بمقر اتحاد الأدباء العرب ببغداد ، في الملتقى الأدبي الذي أقامه اتحاد تكريما لأعضاء الوفد الأدبي السعودي ، وكان السنوسي أحد أعضاء الوفد^(٣) .

أما قصيدة (العقد العملاق) يقول فيها السنوسي ، منها :

عاش لل الفكر عيشة الزهاد
ثروة ثرة من العلم والجد
سم تحلى بها رفيق العمال
علم تنتهى إليه ذرى الأباء
علم و النابغين والمراد
كان في الشرق قلعة من قلاع الـ
شكراً جارة لصد الأعداد

(١) نفحات الجنوب : ٧٤/٧١

(٢) نفحات الجنوب : ٩٤/٩٢

(٣) نفحات الجنوب : ١١١/١٠٤

ق والحق منطق العقاد
عبدالله ذي قوة واعتداد
السبيل وفاض العباب من كل واد
قطارات الندى على الأورداد
نشر النور في سواد المداد
 جاء برهانه كالفجر هادي
 د ونبراس كل هاد وشاد
 سحي وتأريخها تبز الأيدادى
 ك وتزهو به على كل ناد
 لأحسن الأنى يذيب فؤادى
 ت) النشاوى و (الترجمات) الجياد

لم يكن ينحني لغير جلاله
قلم رائع البيان وعقل
إن أفاض الحديث قلت جرى
وإذا أوجز الكلام ترمت
وإذا ما عدا يوضح فهما
وإذا ما مضى يجادل حصما
حجوة النابغين في أدب الصا
كم له من يد على اللغة الفصي
تحمّى في ذراه من كل أفالا
مات يا للمصاب .. الله .. إن
لا لم بيت أبو (العقربي)
إلى قوله :

ياع) يهز من فم رعاد
فيه فأضحي صدى لذاك الجواب
ق في كل مذهب واعتقاد(١)

وأفاقتوا على الحقيقة (والمذ
كان صوت العقاد يصهل من
رحم الله ذلك الكاتب العما

لا أظن أحدا يقول ان هذه القصيدة في رثاء العقاد ، فنبرات الحزن والأسى والدموع التي تسير في ركاب الرثاء لا تمحى بها هنا ، وإنما الذي نراه ونسمعه هي شموخ العقاد العملاق الذى ما زال حالياً في التراث الحضارى من بعده ، الذى ملأ الأفق ، مما جعل السنوسى ينسى الغرض وهو الرثاء ، ويصور ما هو أهم وأجدى للبشرية ، وهو الأعمال الجبارة التي شيدها العقاد في الفكر والعلم والأدب والفلسفة والاسلام واللغة الفصحى وسوها من موسوعات العقاد ، في كل مذهب واعتقاد .

هذا يا أخي لا تلمى إن قلت إن هذه القصيدة وأمثالها والتي تسير على نهجها مدحًا أو رثاء هي أدخل في غرض الحضارة لا في غرض الرثاء ، كما لا أرضي أن تكون هذه مرحلة متطرفة من مراحل تطور الرثاء ، لأن شعر الحضارة في العصر الحديث ينبغي ألا يكون عرضاً أدبياً تابعاً بل يجب أن يكون عرضاً أساسياً يقف شامخاً بجوار الأغراض الأدبية الأخرى ، كيف لا؟ وقد أصبحت وسائل التقدم الحضاري تسد الأفق ، وتسطير على الحياة وتأخذ المزيلة الرفيعة في قلوب الناس وعقولهم إنها ليست عرضاً مستقلاً فحسب بل هي أساس الأغراض ومصدرها ، وفي النهاية غرض الأدبية الحديثة .

الأغاريد : ٦١/٥٨ (٣)

ومثل هذا الغرض الجديد في شعر السنوسى يسمى بالشاعر إلى منزلة رفيعة بين شعراً العصر الحديث ، الذى يعيش مع عصره بعقله وقلبه ووجوداته وعاقبته وأدبه وتصویره الشعري .

سابعاً - الوصف :

والوصف من الأغراض الأدبية في شعر السنوسى ، نجد في ديوانه (الأغاريد) قصيدة (يا قلمى ص ٣٢ - ٣٥) ، وقصيدة (الكتاب ص ٦٩ - ٧٢) ، وفي (أزاهير) نجد قصيدة (الحسان المقيد ص ٧٢ ، ٧٣) يقول في (قلمى) :

مع أن خصائص الوصف تقوم على تصوير ظواهر الأشياء من غير استبطان لأعماقها ، وتحاول معها لهذا انصرف السنوسي عنه إلى الأعراض الحياة النابضة ولم يجد إلا في ثلاث قصائد . لكن الشاعر تحاول مع القلم وكأنه صديق له وتحيى بناجيه ويُثِّلُ إليه آلامه فهو هواء ونفعه الشجاعي يبته همومه ، فيُصْنَعُ إليه بلا سأم ولا ضجر ، وهو خير من يحمل الأمانة في سبيل الحق والعلم والأداب والقيم ، مهما لقى في سبيل ذلك من العنٰت والآلام وتجشم الضراء والأسقام ، يسير إلى غايته مرفوع الجبين في ظلام الليل وعقبات الحياة لتحقيق المهدى الواضح أمامه كوضوح النجم في الظلام الدامس .

(١) الأُغْارِيد : ٣٣/٣٥

فالشاعر جعل من القلم شخصا يحس ويتألم ويتحمل الأمانة ويدافع عنها في سبيل الحق والقيم ، إنه إنسان عاقل له رسالة يؤديها في الحياة كالشاعر تماما ولو لا أن القلم لا يدخل في مظاهر الطبيعة لقلنا بأن القصيدة من شعر الطبيعة لما فيها من تشخيص قوى نابض ، وهذه أهم سمات الوصف عند السنوسى .

ثامنا — الرثاء :

والرثاء هنا يشير على النطق التقليدي القديم غالبا ، على العكس من القصائد التي رث بها الشاعر الملك فيصل في (وفيفاته) فقد غلب على القصيدة معالجة القضايا الاسلامية والعربية ، ولذلك أدخلتها في غرض الشعر الاسلامي .

وكذلك قصيدة (العقاد العملاق) ، فقد أخضعها السنوسى بموهبته الشعرية وثقافته الواسعة إلى شعر الحضارة والفكر التقدمي المعاصر ، لذلك أدخلتها في شعر الحضارة كما سبق .

أما غرض الرثاء فيظهر عنده في (القلائد) مثل قصيدة (دمعة وفاء ص ٢٠٨ — ٢١١) في ذكرى القعيد محمد سعيد باهير ، الذي كانت حياته في جازان مثلا رائعا للتضحية في سبيل الوطن ، ونموذجًا ساميًا من التفاني في خدمة الصالح العام .

وق (البنابيع) قصيدة (أبو حسن ص ٦٣ — ٦٦) يقول الشاعر في مقدمتها (دمعة حزن وأنة أمى على فقيد الأدب والنيل والشهامة والمعالى المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان الذى وافته المنية في القاهرة بتاريخ ١٣٩١/٢/٢ هـ) يقول :

(أبا حسن) لا الحزن يجدى ولا الدمع وإن كان في قلبي لودهما لذع تصامت لما قبل مات (محمد) سرور قلوبكم به جبر الصدع فلما تبيت الحقيقة لم أجد ملاداً سوى ما سنّه الله والشرع إلى الله إننا راجعون وكلنا سينذهب لا فرد سيفنى ولا جمع أبا حسن ما العبر إلا مسافة من المهد حتى اللحد غايها القطع مشيت إليها في أناة وحكمة يخطو رصين لا غبار ولا نفع وكانت الجلل سيرة وثبات لا يهم بها الرأى ويعشقها السمع مضيت كلام يمضي الشجاع مخلفا وراءك ذكرا دونه الومض واللمع وأنت العاصى الذى شاد مجده بنفس لها في كل مكرمة صنع تساميت حتى بات كل مشفق يجلك إجلال الهوى والهوى طبع يرى فيك أخلاق الكرام تجسست أبا حسن غاص السرور الذى جرى على كل قلب من تدفقه نبع بك اتصلت ينדי بها النبت والزرع وضوع روض كان في كل مهجة

وهكذا إلى نهاية القصيدة في وصف محاسن المدح الشخصية وشمائله التي اتصف بها في حياته ، وعظاميته التي شاد بها مجده وخلقه الكريم الذي يتسامي به الأصل والفرع ، وغيرها من الصفات ، التي لا يجدى على صاحبها الحزن ولا يرده الدمع ، ولا يعبر الصدع ، وليس أمام الإنسان إلا أن يلوذ بربه ويرجع ، ويصرير ولا يجرع فالبقاء لله وحده سبحانه وهذه صفات فردية تتصل بشخص المرتى ، ولم يصورها الشاعر في قيم مطلقة بل كان الحزن في الرثاء يتجه إلى شخصه لا إلى الاشادة بالقيم وتحجيمها لذاتها ، كما في قصيدة رثاء الملك فيصل والعقاد وغيرها ، وعلى ذلك يكون هذا الغرض الأدلى من الأغراض القديمة التي سار فيها الشاعر على منهج القدماء في فن الرثاء .

تاسعاً — المحماء :

والمحماء عند السنوسى من الأغراض التى تناولها فى شعره ، لكن فى ثوب جديد يخرج عن المحماء التقليدي عند القدماء ، لأن الشاعر لا يهجو شخصاً بعينه ، ولا يهجو بالفاظ واضحة فى السباب ، أو صريحة فى الشتم ، فيهجو الانحراف الذى يخالف ما عليه المجتمع من تقاليد وعادات ، ويذم التفسخ الذى يخرج به عشاشه عن العرف السائد ، وذلك فى قصيده (القدر الفنان) يقول فى مقدمتها : (رمنا بها إلى بعض الشباب المتسخ)⁽¹⁾

رأبته وهو يمشى مشى فنان
كأنه فارس فى وسط ميدان
يز عطفيه إعجاباً بخلاته
وعسج الشعر من آن إلى آن
في (بدلة) تبرز الأعطاف مائلاً
أركانها وزواياها (كفستان)
فقلت ماذا أرى يا قوم هل مسخت
طبع صحبى وإخوى وأقران
إن أرى بينكم قرداً فكيف أرقى
وكيف أستمود لبس إنسان
فنال شيخ طريف الروح يعجبه
جلك الفكاهة في جد وإتقان
لا يأخى إنه (قرد) منقفة
أحلاقه عقري الفكر والشان
وسوف تسمع منه كل رائعة
من البيان المصفى والنبي البيان
(فكان ما كان مما لست أذكره)
من الهراء ومن إسفاقه الدان
 وبالطراوة في أسلوبه القانى
فقلت للشيخ إعجاباً بكتبه
القرد قرد وإن رقت شمائله
 وإن تعلم نطق الإنس والجان
لبعضك الناس منه مثل (طرزان)
يلغو وبليهو ويتألق من عجائبه
بالمضحكات كأجل قرد فنان

(1) أزاهير : ١٥/١٦

فالستوسي هنا ساخر أكثر منه هجاء ، وهجاوه ليس على النهج التقليدي من التصریخ بالمهجو حتى يلصق العار باسمه وشخصه ، ولم یتخد لفاظ السباب والقبح والفحش مادة لتصویره الأدبي ، وإذا اضطر إلى ذلك اكتفى بالتكيبة والرمز والابحاء إلى ما يريد في لفظ عف ، وتعیير غير مسف ، یترفع السنوسي عن ذکرہ فيقول مثلا (فكان ما كان مما لست أذکره) .

وكذلك فالشاعر أدار حوارا في الهجاء بينه وبين شيخ صاحب تجربة وخبرة في السخر والفكاهة ، ليفيض شعره بالحركة والحيوية ، ويكون أقدر على تصوير السخر وأوقع في النفس .

وكذلك جعل الشاعر الهجاء في قضية عامة ، طرحت على العرف السائد في عادات قومه وتقاليدهم ، فهو يهجو القضية ذاتها ، ولا يهبط إلى هجاء شخص بعينه ولا إنسان باسمه ، وإنما يهجو صورة هذا التغير ، ويسخر من ذلك التطوير ، الذي خرج على عادات قومه وتقاليدهم .

والسخر أقوى من الهجاء في الشعر ، بل هو المرحلة المذهبة من مراحل تطور الهجاء في أدبنا العربي ، لأن الهجاء شم وإذاع للتشفي ورعد الخصم بألفاظه المعروفة بلا حجة ولا تعليل ، فالمهجو هكذا أمره من الأوصاف الخبيثة مما لا يحتاج إلى برهان .

أما السخر فهو هجاء يقوم على المقدمات والأسباب ، ويستقر في النفس عن تعليل وتدليل ، ويأخذ بالقلب والعقل معاً عن حجة واقناع .

وابن الرومي كان يمثل مرحلة التطور في الهجاء العربي ، حيث تطور الهجاء على يديه في بعض القصائد والمقطوعات إلى السخر ، وإن ابن الرومي قد برع في الهجاء المكشوف ، والبديء في قصائد أخرى ، لكنه يعد أول شعراء العرب الذين نقلوا الهجاء إلى طور آخر أحلى منه وهو (السخر) ، وشعره الساخر أشتهر بين الأدباء والنقاد ومنه قوله في البخل :

يقتصر عيسى على نفسه وليس يباق ولا خالد
فلو يستطيع لقتيرو تفس من متخر واحد
ولقد ميزت بين الهجاء والسخر والضحك والعبث واللعب بصورة واضحة ، حتى
لا اضطر إلى التكرار⁽¹⁾ .

عاشرًا — الأناشيد :

للسنوسي مهاراته الشعرية في الأوزان الخفيفة العذبة السائرة ، والتوقعات الموسيقية ، التي تحمل المعانى الإنسانية والوطنية ، والاسلامية ، فيتغنى بها أبناء الوطن لخفتها وعذوبتها : وما تحمل

(١) البناء الفني للصورة الأدبية في شعر ابن الرومي : للمؤلف

من شحنات قومية ووطنية وإسلامية ، وما تهدف إليه من سمو الهدف ورفعة المقصود ، وذلك في أناشيده التي سارت مع الزمان والمكان في المناسبات الوطنية والرسمية ، مثل (نشيد الجيش العربي السعودي) :

نَحْنُ أَبْطَالُ الْجَزِيرَةِ
نَحْنُ جَيْشُ الْحَقِّ
قَدْ رَفَعْنَاهُ عَلَى
وَجْهِ الْأَمْمَةِ
نَحْنُ أَبْطَالُ الْجَزِيرَةِ
نَحْنُ جَيْشُ وَحْدَةِ اللَّهِ وَهُبَّا
وَمَضَى بِضَرْبٍ فِي الْآفَاقِ ضَرِبَا
نَحْنُ أَبْطَالُ الْجَزِيرَةِ
وَكَذَلِكَ نَشِيدُ (الْخَرْسُ الْوَطَنِي ص ١٠٥ - الْبَيَانِيْعُ) ، وَنَشِيدُ (طَلَبَةِ مَدَارِسِ الْخَرْسِ
الْوَطَنِي ص ١٠٦ ، ١٠٧ - الْبَيَانِيْعُ) .

وله أناشيد أيضاً في ديوانه (نفحات الجنوب) مثل (نشيد العروبة) ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ونشيد (الفرسان) ص ١٢٩ ، ونشيد (فرحة العيد) ص ١٣٠ ، يقول في (نشيد العروبة) :

أَحَبُّ الْحَجَازَ أَحَبُّ الْيَمَنِ وَنَجْدًا أَحَبُّ وَأَهْمَوْيِي عَدْنَ
وَأَعْشَقُ لِبَنَانَ مَأْوَيَ النَّجْمَ وَأَهْمَوْيِي الْكَانَةِ أَخْتَ الْمَرْمَمِ
بِلَادِي بِلَادِ الْمَهْدِيِّ وَالشَّيْمِ
وَفَاسِ وَوَهْرَانَ وَالرَّافِدَيْنَ وَعُمَانَ وَالْقَدِيسَ صَنَوْ الْحَرْمَ
وَأَصْبَرُوا إِلَى جَلَقَ وَالْكَوْيَتِ وَأَهْمَوْيِي النَّامَةِ ذَاتِ الْخَضْمِ
بِلَادِي بِلَادِ الْمَهْدِيِّ وَالشَّيْمِ
بِلَادِ الْعَرَوِيَّةِ أَنِّي تَكُونُ بِلَادِي الْعَزِيزَةِ ابْنَاءِ وَعَمَّ
أَحَبُّ هَوَاهَا وَشَطَّانَهَا وَأَهْمَوْيِي مَنَازِهَا وَالْقَمَمِ
بِلَادِي بِلَادِ الْمَهْدِيِّ وَالشَّيْمِ
وَصَنَعَاءَ صَنَعَاءَ ذَاتِ الْذَرِيَّ وَمَسْقَطَ مَهْوَيِي النَّدِيِّ وَالْكَرْمِ
يَرِفُّ عَلَى جَانِبِيَّهَا الشَّذِيِّ وَيَهْفُو الصَّبَا نَحْوَهَا وَالنَّسْمِ
بِلَادِي بِلَادِ الْمَهْدِيِّ وَالشَّيْمِ (٢)

(١) الأغاني : ٩٧/٧٧
(٢) نفحات الجنوب : ١٢٨/١٢٧

الحادي عشر - الشعر الوطني :

وتناول السنوسي في الشعر الوطني بناء الوطن السعودي والسمو به في منازل الرق والحضارة وحث أبنائه على المشاركة في البناء والاسهام في التقدم ، والعمل المتواصل في المشروعات الضرورية التي تدفع بالامة إلى الرخاء والكفاية . واشتمل ديوانه (القلائد) على قصيدة (نداء ص ١٠ ، ١١) لأبناء المملكة العربية السعودية ليشاركون في فجر النهضة يقول في مطلعها :

بني وطني إنا على فجر نهضة تصد الدجى أني تدجي وتصدع
ومنها :

فسيروا كما سار على الدهر واصنعوا
مضي السلف الأبار يعيق ذكرهم
من الحاضر الزاهى بناء مرفع
وما الفخر بالماضى إذا لم يكن له
نصبوا بأكف الأسد من أسمهم العلي
خذوا بأكف الأسد من أسمهم العلي
نصبوا فain الحاضر اليوم أوسع
يد الدهر لا تسخو بمجد العاجز
ضعيف ولا تتدى ولا تبرع
وما قيمة الأوطان إن لم يكن لها
(رجال) يلذون الشقاء لينفعوا
جرت حكمـة الدنيا على الناس أنها
تصد لمن صدوا وتسعى لمن سعوا
حصدنا الضنى لما زرعنا له المـنى وجـل حصاد المـراء من حيث يزرع^(١)

وقصيدة (قطوف وأصداء) قالها الشاعر بمناسبة أبناء المشروع الزراعي في جازان ، التي كانت حدث التوادى والأهmar ، واستحوذت أصداء هذا المشروع على اهتمام الجمهور ، لما ينطوى عليه من بشائر النهضة والعمـران ، ومن خلجان القلوب المتعطشة إلى الحياة السعيدة والمجد الأثـيل ، فكانت هذه القصيدة تحية للفجر المرتقب والأمل المنـشـود يقول فيها^(٢) :

أـمـلـ لـاحـ فـيـ سـماءـ الـوـجـودـ ذـهـبـيـ السـنـاـ رـكـىـ الـسـورـودـ
لبـسـتـهـ تـأـلـقـاـ وـأـذـالـتـ فـيـ (ـجازـانـ)ـ ضـافـيـاتـ الـبـرـودـ

ومنها :

تـبـارـىـ إـلـىـ اـحـتـضـانـ الـوـلـيدـ
شـاقـهـاـ مـولـدـ (ـالـهـبـوـضـ)ـ فـهـبـتـ
وـجـلـتـهـ طـوـالـعـ الـيـنـ وـالمـجدـ
وـأـظـلـتـ (ـرـؤـاهـ)ـ أـضـوـاءـ (ـفـجـرـ)
لـغـدـ أـسـعـدـ وـعـيـشـ رـغـيدـ

(١) القلائد : ١٠/١١

(٢) القلائد : ٢٤/٣١

هاتف في مواكب (النهاية الكبيرة) وفي مطلع النجاح الأكيد
يعلن الفرحة التي أعلنته بـلسان العل رحال السود
تلك بشري التي بإقبال عصر من عصور الققدم المشود
أشعرت في جلاله الأرض بش را ومشت في ركابه المشهود
إثنا هذه (الزراعية) أصل لفروع ولينة لمشيد
في تضاعيفها بشائر مشروع لعناب من المياه برود
أصبحت كالجنان وارفة الظل على منهل شهى السورود
نحن في فرة التطوير والتكونين والاتصال والتتجدد
فاحشدوا حوها الكفايات وامضوا نحو مستقبل أغير مجید
واستحسنوا الخطى هو واشتياقا

وقصيدة (آل سعود في التاريخ) يشيد فيها بآل سعود وما حققوه للوطن من مجد وتقدير
ورق وحضارة بعد كفاح طويل وجهاد في سبيل الله ، يقول^(١) :

أثره على الشرق للدنيا وللدين
مدعوم بالهدى والحق متسلح
أحياناً بالنفوس وأحياناً في أعنتها
سما (بالـ سعود) فرعه ورسى
أبطال معركة الاسلام في زمان
يضمرون ثرى الأوطان من دمهم
وينترون على الآفاق (أمثلة)
بعرشهم رفع الاسلام رايته
وأشرق الحق كالصحيح المبين سما

إلى آخر القصيدة وقد اقتصرت على بعض أبيات منه ، وكذلك قصيدة (القاهرة) ، وهو جيل يبلغ ارتفاعه حوالي (٢٩٠) كيلو متراً ، وقد أشتهر هذا الجيل بتصوفة مسلكه ، ووعورة أخلاق ساكنته ، وهم قبائل بدوية تدعى الريث ، لعبت في تاريخ الجنوب أدواراً عديدة غايتها السلب والنهب وكان آخرها حركة المفرد والعصياني التي قامت بها القبائل عام ١٣٧٥ هـ في عهد جلاله الملك سعود المعظم ، وهذه القصيدة صدى من أحداث الماضي والحاضر^(٢) ومنها :

القلائد : ١٢٤/١٢٩

القلائد : ١٥٧/١٥٠ (٢)

كصدى (الرعد) يملأ الأقطارا
فصلا عربيا يخلد الأشعارا
جلالا وعزة وانتصارا
وأذل الـمعصاة والأشرارا
أوقدوا فتنة فكانت وقودا
للظاهرا تاجها واستعرا
أيقظت في (عامة) و (عسير)
أنفسا حرة وقوما غيارا
عقدوا الراية السعودية الخضراء وساروا في ظلها أحرازا
يعلون الولاء مخدا لعرش رفع الله سمكه وأدارا
أقبلوا في قاتل وحشود تحذت حبها (سعودا) شعرا
إنها دولة لها جعل الله من الحق الحق أنصارا
هي لم تأثم أئمة ولم تخل عليهم روبيه واصطبغها

إلى آخر القصيدة وقد اقتصرت على بعض أبيات منها ، وهي تصور رأب الصدع في هذا الجبل وعودة الريث إلى المشاركة في بناء الوطن الحبيب .



التصوير الأدبي في شعر السنوسي

خلعت صحفة المملكة العربية السعودية على شاعرها السنوسي « شاعر الجنوب » فهو بحق رائد من رواد الشعر الحديث في المملكة ، ورائد الشعر في الجنوب منطقة عسير . يقول أحد رواد الشعر الحديث في المملكة يصف زميله في الريادة الحديثة وهو الشاعر الكبير محمد حسن عواد بصفة السنوسي :

ولطالما عبق (الجنوب) وطالما صدح (الجنوب) بلحنـه وترـمـاـ(١)
وهذه المزلاة السامقة ترجع إلى موهبته الشعرية الرائدة ، وشاعريته القوية المتقدمة ، فقد كان أكثر شعراً الجنـوبـ شـعـراـ ، إذ صدر له حتى الآن خـمـسـةـ دـوـاـوـينـ : القـلـائـلـ — الأـغـارـيـدـ — أـزـاهـيرـ — الـيـنـابـيعـ — نـفـحـاتـ الجنـوبـ ، وما زـالـ يـنـشـرـ الجـديـدـ من شـعـرـهـ فـيـ الصـحـفـ والمـجـالـاتـ والـنـدوـاتـ حتـىـ الآـنـ . يقول عنه صاحب مجلة (المهل) الأستاذ عبد القدوس الأنصاري :

(قدم الصديق الأديب الأستاذ محمد بن علي السنوسي من جازان وهو شاعرها) . ويقول الشاعر محمود عارف : (في ندوة سحر ساحر جمعتني دعوة كريمة من الأستاذ الجليل عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة (المهل) بصفة من الشعراء والأدباء السعوديين في حفلة أقامها في داره العامرة ليلة الجمعة الموافق ١٣٧٦/٦/٢ هـ تكريماً لشاعر الجنوب الأستاذ محمد بن علي السنوسي) (٢) .

ولقد كان للديوان الأول (القلائد) وحده صدى عميق في أرجاء العالم العربي ، هرـ به مشاعـرـ الأـدـبـاءـ وـالـنـقـادـ وـالـشـعـرـاءـ حتـىـ أـخـذـ مـزـلـةـ السـامـقـةـ بينـ شـعـرـاءـ العـصـرـ الحديثـ المـجـدـيـنـ عـلـىـ مـسـطـوـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـ) . يقول عنه الشاعر الدكتور مختار الوكيل :

(إن شـعـرـ السنـوـسـيـ يـمـتـازـ بـذـلـكـ الصـفـاءـ الـرـوـحـيـ الـأـصـيـلـ ، وـيـبـرـزـ لـنـاـ صـوـفـيـةـ عـذـبةـ رـقـيـةـ مـسـتـحـبةـ ، وـلـعـلـهـ أـقـرـبـ ماـ يـكـونـ شـبـهـاـ بـشـاعـرـيـنـ مـنـ إـخـوـاتـ الشـعـرـاءـ الـمـصـرـيـنـ هـمـ الـأـسـتـاذـ حـسـنـ كـامـلـ الـصـيـرـيفـ ، وـالـأـسـتـاذـ صـالـحـ جـوـدـتـ ، وـهـاـ مـنـ رـفـقـيـ فـيـ رـحـابـ أـبـوـلـوـ) (٣) .

ويقول الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أيضاً :

(١) جريدة البلاد : ١٣٧٤/١١/١٧ هـ

(٢) مجلة المهل : جمادى الثانية ١٣٧٦ هـ

(٣) نفحـاتـ الجنـوبـ : الـقـدـيمـ

(هو شاعرنا الذي تعزى به المملكة العربية السعودية ، وتضعه في الصف الأول من بين شعرائها الأبرار .. شعراً الشباب المبدعين .. شعراً الأدب الرفيع ، وللسان العف ، والضمير النقى من الشوائب والأوضار)^(١) .

والستوسى الشاعر في مدرسة التجديد الحافظ هو خير من يسير على المنهج في المذهب الأدبي هذه المدرسة الجديدة في الشعر السعودى الحديث ، فهو في تجديده يحافظ على الأصالة العربية الإسلامية في المعانى والأغراض — والألفاظ والأساليب ، والنظم والتراكيب — والخيال والصور — والوزن والقافية — والاتجاه والمذهب — وسوى ذلك من خصائص هذه المدرسة التي سبق أن وضحتها بالتفصيل .

خصائص الألفاظ والأساليب :

والستوسى مع تطلعه المستمر إلى التجديد يحافظ على أصالة العربية الإسلامية في شعره ، فما زالت ألفاظه جزءاً فخمة قوية ، وكلماته عذبة سهلة مناسبة كأنسياب الماء الصافى الزلال ، وأساليبه متينة محكمة ، وتراتكيمه رصينة متلاحمة ، ونظمه دقيق متغير بالمعانى والإيحاءات الشاعرية . يقول الأستاذ محمد سعيد العامودى :

وأعتقد أن لثقافة الستوسى المتعددة الجوانب أثرها في شعره بصورة عامة إلى جانب موهبه الفنية المعطاءة ، ولعله من هنا يبدو لنا ما نلمسه في شعره غالباً من بعض في الأسلوب ، وحيوية في الألفاظ وعمق في المعانى ، وسمو في الأغراض)^(٢) .

فالأسلوب النابض هو المندفع بالشاعر ، والمتغير بالشاعرية والألفاظ الحية هي التي أخذت مكانها من النظم ، فمتحركة الحركة والحيوية ، وانتقلت بذلك إلى عالمها المحس لا المجرد في أوضاع اللغة مع سلامتها من الوحشية والغرابة ، وتنافر الحروف وثقلها . لأنها نبت من عاطفة شاعر متتمكن في اللغة .

« ما أروع الشعر ، ينبع من عاطفة شاعر متتمكن في اللغة ، جامع لأعناء الأسلوب العربي الرابع ، مع سعة أفق وذهن وإخلاص مبدأ ، وصدق عاطفة ، وصحة بيان .

وهذه الصفات اللامعة احتشدت كلها في هذا الديوان الأخر (القلائد) الذى يخرجه للناس شاعر ضليع ، ذو قوة في البيان وإشارة في الفكر ، وروعة في المنطق ، وجدة في الأسلوب »^(٣) .

(١) مقدمة القلائد : ص - ذ

(٢) مقدمة الأغاريد : الأستاذ محمد سعيد العامودى - ل

(٣) مقدمة القلائد : الأستاذ عبد القديس الأنصاري - ز

وحياناً نقلب النظر في تأمل مع ما ذكرناه من شعره متوقف على هذه الخصائص الفنية للألفاظ والأساليب ، ولا يمنع هذا من وضع اليد والحس عليها هنا من خالل هذه الأبيات لتأكد ما سبق ولشخص المعالم بالتحليل والنقد ، يقول السنوسى في الطبيعة :

يا ريا لج في هواها فما يت فلك نشوان من هوى ملباح
كم ترشفت من جمال لياليك فنونا من الصبا والمراح
وتشئت من جلال مجاليك فنونا من الشذى الفواح
في الدجى والنجمون تغزل أحلا م العذارى على صدور البطاح
والضحى والغيمون ترسم في الوا دى ظلالا ندية الأدواح
والنسيم النشوان يخضن الزهر رفقا كطيبة الفلاح
الذى قلبه أرق من الرلال القراء وأصفى من الطل

إلى قوله :

كلما ضنى دجاجك ورفت نفحات الصبا على الأدواح
وانشى الكون بالعيير وراح السيل يختال في السهول الفساح
يغمى الأرض بالنعمى غيرا وبهز القلوب بالأفراح
نعمت روحي الكثيبة بالصف ح وصحت من الأنسي والجرح^(١)

ترى الجرالة والضخامة في الألفاظ ، في موسيقى قوية تدخل الآذان بلا استثنان في :
(نشوان — ترشفت — فنونا — الصبا والمراح — جلال مجاليك — الشذى الفواح — أحلام العذارى — صدور البطاح — ندية الأدواح — النسم النشوان — الرلال القراء — إلى آخره من الألفاظ) .

وكذلك التركيب محكمة رصينة ، والأساليب قوية متناسكة فلا ترى فيها فلقا ، ولا اضطرابا ، ولا ضعفا ولا عهطا ، ولا لحنا وسوقية .. فالنجمون تغزل أحلام العذارى على صدور البطاح — والضحى والغيمون ترسم في الوادى ظلالا ندية الأدواح .. وهكذا وهكذا .

أما صور الخيال التقليدية في هذا النص فناهيك عنها ، إنها تطل برأسها في كل بيت ، فالصور القديمة تراها في (يا ريا لج في هواها) — (ترشفت من جمال لياليك) — (فنونا من الصبا والمراح) — (تشئت من جلال مجاليك فنونا من الشذى الفواح) — (تغزل أحلام العذارى على صدور البطاح) — (ترسم في الوادى ظلالا ندية الأدواح) — (والنسم النشوان

(١) الأغاني : ٢٣ ، ٢٤

يحضن الزهر) — وهكذا تكون الخصائص الفنية التي تدل على الأصلة الأدبية في الألفاظ والأساليب والصور القديمة . وأقرب شعره إلى الأصلة العربية الذي تسير على منهج الفحول من الشعراة القدامي ديوانه الأول (القلائد) يقول في (شذى الرياض) ، منها :

هب نفع الصبا فقم حى نجدا
واعتصر من هواك لخا ذكيا
ريقا كالنسيم صفوا وبردا
ومجرى الجياد قسا وجردا
(امراً القيس) والنوابغ عهدا
سرح الخاطر المشوق وجدد
تلث آثارهم وهدى مفا
طيفا وردد الفكر أصدا
نفحات من الفراديس رفت
كلما هبت الصبا هبت (الروح)
أرج شرق العبير وروح
أبع منها الهواء عطرا وذابت
أقحوانا وأرجوانا ورندا
فوق صدر الفضاء مسكا وندى
عطر الكون بالجمال وندى
يسكب التور والعطور وينضى
من ظلال التخيل والروض بربدا

حي لحن الصباح وأبسط ذرا
وامترج بالصبا الشغوف وقبل
نفسا قبل الحمائل خدا
نسج الفجر في غالاته الطل
وحراك السناء حريمها وسدى
واصطفاه (رسالة) من ريا
ترد (النيل) و (الفراتين) و (الأر
ز) و (عمدان) و (الخليج) و (بردى)
وتزود الضفاف بهمس (لزيتو
ن) نجوى و (لجزائر) وعدا^(١)

وهكذا إلى نهاية القصيدة (وهي طويلة) تعود بما إلى عصر أى تمام والبحترى وابن المعتز
والمنبهى وغيرهم من فحول الشعراء .

الوزن والقافية :

الستوسى يعشق أوزان الخليل وقوافيها ، وبعد الخروج على عمود الشعر في الموسيقى تمرداً على الأصلة ، وتمرقاً لطبيعة الشعر الأصيل التميز على النثر الأدبي ، والشعر المثير ، وإذا ما تجوز في موسيقاها ، كما يتتجاوز شعرا عصرا ، تراه ينزل إلى مستوى المoshحات الأندرسية كالمخصوصات ، والمقطوعات الشعرية ، التي تختلف فيها القافية في كل مقطع مع الاحتفاظ بالبحر

(١) القلائد : ٨١/٧٦

العروضى حتى نهاية القصيدة فى كل المقطوعات ، هذا أقصى ما يخرج به الشاعر عن السمت الحالى ، وذلك مثل قصيدة (عودة الماضى) تسير على نظام المقطوعات وسبق ذكرها^(١) ، وقصيدة (أنتى)^(٢) وقد مرت هي كذلك .

ولا يكتفى السنوسى بالمحافظة على القالب الموسيقى ، والالتزام به فحسب ، بل كثيرا ما يقلقه الخروج عليه ، والتفرد على الخليل بن أحمد ، من شعراء التفعيلة الذين يطربون وراء كل هيبة ، ويرددون صدى كل ناعق ، فيهم عم عليهم وعلى عشاق الشعر الحر ، تارة بالاقسام عن اللحن الشعري القوى الذى يعبر فيه الشاعر عن أصالة العربية في الشرق والغرب :

نَفْخَةٌ مِّنْ لُغَةِ الْأَنْسَانِ فِي شَرْقٍ وَغَربٍ
 يَهُمُّهُمُ الْقَلْبُ مَعَاهُمَا بِلَا حَرْفٍ وَلَا كَبْرٍ
 وَيَسْعَيْهَا غَيْرُ مَحْتَاجٍ إِلَى ضَمٍ وَنَصْبٍ
 وَلَلِّي أَنْغَامُهَا الْحَالَةُ يَهْفُو وَيَلْبَسِي
 وَيَنْسَاغِيْهَا إِذَا نَاغَتْ بَحْثَنَانٍ وَحَدَبَّ
 إِنَّهَا أَفْصَحُ مِنْ أَفْصَحِ صُحُّ شِعْرِ الْمُتَبَشِّبِيِّ
 وَرَدَ إِنَّهُ ابْنَى إِنَّهُ (عَصْفُورُ قَلْبِي)⁽³⁾

ويعبر عن أصالة الشاعر أيضاً في قصيده (الكلمات والشاعر) :

في عالم الكلمات دنيا
 في ظلها للفكر منطلق
 في عالم الكلمات دنيا
 كم بت في أحضانها
 وأشهر الأشواق منطلقها
 وأذيب أنفاسى وأمزجها
 وأذهب للظامن حما
 والشاعر الفنان دنياه
 من الكلمات تحجا⁽⁴⁾
 للشعر والشعراء عليا
 وللأرواح لقيا
 سقرا لها منى ورعيها
 أستلهوم الأضواء وحيها
 بها فكرا ورأيها
 بها راحها وأدريها
 وللغايات قين وعيها

وتارة يتفجر السنوسى ثائراً على الشعر الحر ، وعلى شعراء التفعيلة ، والخارجين على الشعر

(١) القلائد : ٤١/٣٤

۱۲/۹ : آزادی (۲)

الأغاريدي : (٣)

(٤) مجلة الأديب : ١٣٩٤

العمودي ، وذلك في ثورة عنيفة ، وليب مشتعل ، شاعرا وناقدا ومؤرخا وثائرا . يقول في قصيده :

(الشعر الحر) ^(١) :

لا العود عودي ولا الأوتار أوتاري
من أين جهنم بهذا الطير ومحكموا
إذ أرى في جناحيه وسحته
وصرت أسع ألفاظا مقلولة
أبستموني ثيابا لا تشرفني
سود وحمر وصفر لا انسجام لها
ماذا تقولون : تجديد؟ لقد هلت
ما الشعر؟ هل هو ألفاظ مسيئة
الشعر هندسة كبرى تقاد ترى
والوزن للشعر روح وهي إن فقدت
قصيدة النثر مثل المشي جامدة
ورب حرف صغير الشأن يرفضه
تأني الحروف التي صبغت ثماذجها
إن تلقي معكم في سبق خاطرة
لكل فن أصول يستقبل بها
تبينوا بعض ما تبغون وانطلقوا
وجبونا غشاء لا جمال له
إن كان لابد من فن تجده
 وأنطقوا الصخر في ترنيم قافية
حرية الشعر في إشراق فكرته
وأن يكون لكم في كل معرك
أما كفى أنا فقر ومحنة
والشعر نور ونار والنفوس لها
ورب ذى قلم أعطى لأمه

فالسنوى شاعر عمودى ، يسير على درب القدماء في المحافظة على البحر العروضى
الخليل ، والالتزام بالقافية ، لأنها روح الشعر ، ودونها يكون جسدا بلا روح ، وجادا لا يشعر

(١) البنایع : ٩٦/٩٨

ولا يحس ، بل تراها تقوم على توقعات جامدة أشبه بالمشى الذى لا يثير انتباها ، ولا يوقظ حسا .

أما إيقاع الشعر فهو كرقص الغادة ، تعرف بسيقانها موسيقى شجية تثير المشاعر ، وتستلهم الوجدان ، لأن الشعر هندسة كبرى ، وانسجام بين الألفاظ بعضها مع البعض الآخر ، وترتبط بينها وبين معاناتها .

بينما الشعر الحر يقوم على حشد الألفاظ بلا روابط وانسجام بين إيقاعاتها ومعاناتها ، بما يتحاتف مع طبيعة الشعر ، ومنطق العقل ، لأنه غريب على الذوق العربي الأصيل ، يحمل في طياته سمات الغرب ، ويترنف بدم (اليوت) لا بسمات الشرق ونشوة الفواح ، الذي يعيق الدنيا بطيب (بشار بن برد) ، فالشعر الحر ثرثرة وهدر وغثاء لا روعة فيه ولا جمال ، ولا رواء ولا إكبار ، وإذا كان للشعراء من دور لإبداعه في التجديد ، فليتسابقاً ويتنا夙وا إلى التجديد في المنبع والمضمون ، لا في اللغو والعبث ، وليتبارروا في المعانى البكر ، والأفكار الجادة البناءة ، لا في هدم مبادئ الشعر ، و TZرق طبيعته ، ليكون الشعر جندياً ، يدفع بالآلة إلى الحضارة والرق في عزم وشجاعة وقوة ، لنجاحف على الأصلة العربية الإسلامية ، ونترفع عن التقليد الأعمى للغرب في كل شيء ، مما لا يتناسب مع الروح الشرقية وعراقتها ، فقد كان الشعر ولازال ناراً ونوراً ، وينبني أن يكون كذلك ، لأن الإنسان لا يزال يعشق نور العلم ، ويدفع عن نفسه بنار الحرب ، فكثيراً ما أعطى الشعر ، ولا يزال يعطي الشاعر لأمه لبناء الأخلاق والأجيال ، أكثر مما تعطيه الأرض من الطعام والشراب فهما معاً قوام الحياة وركيزة الحضارة الإنسانية .

وهذا يحافظ السنوسى في مذهب الأدبى على الأصلة العربية الإسلامية في شعره ، كما رأينا ، وهو في نفس الوقت يعشق التجديد في المضمون والمعانى والأفكار ، واللغازى والأعراض ، والخيال والصور . وسيق الحديث عن التجديد في الأعراض ، فقد لبست معظمها ثوباً جديداً قشياً في معاناتها ومضامينها وموضوعاتها وغايتها ومغزاها . وستتحدث عن التجديد في الخيالات والصور الأدبية في مجال التصوير الأدبي .

التخيص في التصوير الأدبي :

خيال السنوسى بعث الحياة في المعانى وال مجردات ، وحرك الأفكار والجمادات في صور أدبية حية تموح بالحركة والحياة ، وتبعد بالحيوية والقوة . وتشع منها الألوان والأضواء والظلال ، وترتسم في شكل يتناسب مع طبيعة الغرض ، وحجم يتفق مع المجرى وغير ذلك من عناصر التصوير الأدبي الغنى بالخيال الخصيب العميق .

فالجليل (فيفاء) ليس صخراً ولا حجراً ، ولا تراباً ولا مدرراً ، ولكنه بخيال الشاعر إنسان

قوى يتحدى العواصف والزلزال ، وشجاع شاغر يصاول العوالي والمعالي ، يتربع عن الأرض وهو منها وعليها ، ليعشق النجوم في السماء وهو غريب عنها وتحظاها ، وزراجم في ذلك كواكب السماء ، وهم أحق وأجدر من في الأرض .

مهابته مشربة في صلف وغورو ، وغموخ وكرياء ، قد تجلت هامته بالحضور اليائعة ،
وتعتمت بالزهور القواحة ، وهكذا يكون دور الخيال في التشخيص وبث الحياة وبث الروح
يقول السنوسى :

(جبل) تعشق النجوم مجاله
يزحم النيرات منكه الضخم
مشرب إلى السماء برأس
أخضر السفح أزهر السطح مصقو
ل المعاشي زاهي الرف والتلال^(١)

فنانص التصوير الأدبي تظاهر في الحركة التجددية في استمرار من استعمال الفعل المضارع (تعشق — تصبو — يزحم — يحثك) الذي يدل على الحدوث والمستقبل والاستمرار، وتظاهر في الألوان الزاهية: في حضرة الجمال وذرى المعالى والسفوح الأخضر، والسطح الأزهر، وصفل الحواشى، وزهو الرب والتلال، ولعنان السها، وبريق الهلال، وتظاهر في حجم الجبل فهو ضخم من الرواسى يتربع على الأرض متطلع إلى المعالى وإلى السماء، وتظاهر في شكل (فيما) فهو إنسان لا جبل له منكب يشرئب برأسه في همود وتعال وكير وصلف وغور قد تعممت هامته بالخضرة، وفاحت منها نشر الزهور، وهكذا أحكمت الصورة الأدبية بعنانص التصوير الشعري التي تأثيرها بالألوان والأضواء والحركة والحجم والشكل⁽²⁾.

أما ليل السنومي في الريف غير الليل في المدن ، فهو ملك ضيق الجناحين يضم الحياة والأحياء في دفء وحنين ، يسرى إلى النفس ليداعب العينين بالنوم ، وهو فيلسوف في سكونه ووقاره ، يتأمل ويتدبر أحوال الناس فيطرق عجلاً وخجلاً من هفواتهم ، وهو شاعر عقري سابق في وجه وإلهامه ، لا يدرك عن عمره شيئاً ، وهو طاهر متجرد عن المقادس والمعاطن ، وعاشق ذايب غارقاً في حبه ، لا يعنيه شيء كان أو لم يكن ، وهو صامت يخلق بالأرواح في العالم الغنّي بالجميل ، يسرى هدوءه وسجوه بين الأحشاء في نعومة وصفاء ، ليولف بين روح السماء

٢٧ : الأغاريد

(٢) ميرت بين الرواية في الصورة الأدبية وبين العناصر فيها — انظر كتاب: الصورة الأدبية — تاريخ ونقد، دار الحارث بالطائف عام ١٤٠١ هـ

وجسم الأرض متجسداً في أحلى المعانٍ وأروع الصور . يقول السنوسي في (الليل في الريف)^(١) :

فافح ذراعيك للأرياف واحتضن
ضاق الجنادين بغرى العين بالوشن
ما يرى في حياة الناس من درن
في لجة الوحي لا يدرى عن الزمن
بطهره وزمايشه عن الإحسان
فليس يعني شيء كان أو لم يكن
من الكون ثرى بالجمال غنى
صفو يضيء به الاحساس في البدن
وتنتسى في معانيه وصورته
الليل في الريف غير الليل في المدن
 واستقبل الليل فيها إنه ملك
 كأنه فيلسوف مطرق عجباً
 أو شاعر عقري الفكر منتمر
 أو خاطر في ضمير بات منفصل
 أو عاشق غارق في حب فاتنة
 صمت يخلق بالأرواح في أفق
 يضفي المدود عليه من نعومته
 وتنتسى في معانيه وصورته

الروح الإسلامية في التصوير الأدبي :

الخيال في الشعر قد ينحت صورة الأدبية من صخور الطبيعة وجبارها وأنهارها وبخارها ، وأرضها وسمائها ، وطمورها وبلابها ، وزروعها وأشجارها ، وقد ينسجها الخيال من تاريخ أمّة قد انثارت حضارتها ، وحطّم الفساد فموتها ، وأذلّ الضلال أنوفها .

وقد يفتح صورة من حضارة خالدة ، ورسالة طاهرة ، شع نورها في جنبات الدنيا ، وتردد صداها بين جوانب الحياة ، وهذا الخيال هو الذي سيطر على شعر السنوسي ، فتوى الصورة عنده تستمد روافدها من نبع الإسلام الصاف ، وتتلامس عناصرها من نور الحضارة الإسلامية ، ويكون ذلك بالضرورة إن كان الغرض إسلامياً ، مثل قصائده في الشعر الإسلامي التي سبق ذكرها في فصل الأغراض مثل قصيدة (الرسالة والرسول) ، وقصيدة (ثانى اثنين) ، (أذان الفجر) ، (دعوة الحق) وغيرها .

وحينما يتخيل السنوسي (الجزيرة) العربية ، يصورها بقوله :

(١) البنایع : ص ٩٠

هي الجزيرة فاقبس أنها الساري
هدي من البيت أو نورا من الغار
واستلهم الرشد من آى ومن سور
وضاءة وأحاديث وأثار
ترفقت في شفاه الصناد وامتزجت
بقلبه وحررت كالسلسل الجارى
وطلعت أمة كالشمس عالية
هي العروبة ذات الحمد والغار
مجد يدعنه الإسلام لا صنم
من الأساطير مشدود بأحجار^(١)

وهكذا إلى آخر القصيدة حيث يريد الشاعر أن يتحدث عن الجزيرة العربية ذاعها وعن
أهلها الذين اشتهروا بالكرم والنجد والمرودة ، فإذا خياله يجتزأ التاريخ بسرعة فينسى منه كل شيء
إلا نور الإسلام الذي تبدلت أمامه أساطير الجزيرة ، وتجسدت عروتها في البيت الحرام والوحى
والغار ، والقرآن والحديث ، والسير والأثار ، وغيرها من الصور الرائعة التي نسجها من نور
الإسلام لا من أساطير الجزيرة ومتناها وغيلاتها وجنتها وشياطين الشعراء .

وربما يرد على الخاطر أن الشاعر مضطر إلى صبغ صورة الخيالية بالروح الإسلامية حين
يكون الغرض في الشعر الإسلامي بالذات ، فهذا القول مردود لأمررين :

أحدهما : أن الشاعر قد يستغني عن التصوير الخيالي بالتعبير المحققى كما هو الحال في
شعر آل الحفظى السابق ، وعندهم قد خلا الشعر من الصور الخيالية الرائعة ، التى تواظط
الاحساس وتلهب العواطف ، وليس السنوسى كذلك ، بل نسخ خياله بالصور الأدبية من النبع
الإسلامى الصافى .

ثانيهما : وهو أدل من الأول أن الصور الخيالية التى نبعث من الروح الإسلامية عند
السنوسى سيطرت على شعره كله فى جميع الأغراض حتى فى شعره الوجدانى وغزله العفيف ،
فترى الصور الإسلامية تطل فى الغزل من حين آخر ، يقول فى (رحلة القمر) :

قال لي وهو ساخر وهو لا يحسن السخر
أيها الشاعر الكبير أمّا جاءتك الخبر
وصل القوم للسماء وظافوا بها زمر
واستفاقت حبيبة
لم يعد حسن وجهها
بعد ما ديس وجهه
ومشي فوقه البشر

(١) الأغرايد : ٤/١

قلت مهلا خاتمى من هواء وهندر
ذاك شيء علمته
منذ وعي قلبي الفكر
كانت الأرض والسماء
أاما تقرأ السور
فتقى الله رقه فاندحى الكون وانتشر

إلى قوله :

سوف تبقى حبستى أبداً تشبه القمر^(١)

فهو مستمد من قوله تعالى : (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانوا رقا ففتقناها وجعلنا من الماء كل شيء حتى أفلأ يؤمنون)^(٢) .

ومن قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحها)^(٣) .

ويقول السنوسي في (حسنة الريف) :

تحمال من دل ومن صبة في حسنا الشوان من غير راح^(٤)
فهي ترهو بعماها وتحمال بدلاتها ، وتعيس بحسناها كالنشوان لا من خمر وراح ، فقد حرمتها
الاسلام ، ولكن من سحر حلال وجمال مشروع ، وليس هذا القول مردودا بقول السنوسي في
آخر بيت لهذه القصيدة وهو :

فإنها في مهجنى منية وفي فنى لحن وشهد وراح

فالراح في البيت الأخير على العكس من الراح في البيت الأول ، الذي لا يتحمل في معناه
غير الخمر ، بدليل أن الشاعر نفاه بكلمة (غير) ، أما الراح في البيت الثاني ، فيتحمل الطيب
أو الراحة أو الخمر ، واحتاله الخمر بعيد ، لأن المقصود من الخمر أثرها في نشوة القلب والعقل
والبدن ، ولا عيبة في تذوقها بالقلم ، لأن التذوق بالقلم ليس هو مقصودها ، فالشاعر يريد من
الراح الثانية مجرد الطعم والتذوق وليس السكر في الصورة ، بدليل أن الشاعر جعل اللحن أيضا
من منقوصات القلم (وفي فنى لحن) بينما الأذن هي لحن وتطرّب لا القلم ، إلا إذا قصد الشاعر
أن يتحدث القلم عن طرب الأذن باللحن الجميل .

(١) أزاهير : ٢٩/٢٧

(٢) الأنبياء : آية ٣٠

(٣) النازعات : آية ٣٠

(٤) أزاهير : ٣٩

وأما سمات السنوسى فى الليل ، فيخلق خياله بين دياجيو لينسج صوره ما طواه الليل
بين صفحاته من نور الاسلام وحضارته يقول فى قصidته (الليل والشاعر) :

هدا الليل فاهدى يا مشاعر
 هدا الليل وانصوت في دياجيه
 بيات قللي يخن شوقا إلى الماضي
 أنا من أمة رعى الله ماضيها
 كان منها الهادى إلى الحق والخامى
 كان منها محمد وأبو بكر
 وعلى طلحة والمشى
 ودعيني من الرؤى والخواطر
 قلوب كلامه ونواطير
 وروحى تمن حزنا لحاضر
 لقد كان جوهرا من جواهر
 حماه من كل طاغ وفاجر
 وعشان والـزبـير وعامـر
 وأبو حفص والـشـهـيد ابن يـاسـر^(١)

الصور الخيالية :

للسنوسي صورة الأدبية التي صاغها على النهج القديم على نحو ما عند الشعراء الفحول ، ويسقى أن ذكرت بعضها في الحديث عن الأسلوب .

وله أيضا صورة الخيالية الجديدة والمتكررة ، التي نبعث من حياته وعصره ، وتغيره الذاتية التي تعبّر عن شخصه ، فهي توحى بأنه أول من استولدها على ثُمَّط لم يسبق إليه ، وذلك حين يتصور رفع الصائم عن الكذب والزور والإثم بصورة المستاك مما يضر الفم والأنسان والجسد كله ففيقول :

واستاک اذ یستاک من کذب وزور واحترام^(۲)

وحيث يصور العبرة الفاتحة في أناقتها ورشاقتها وتقاسيمها وتوقعاتها يصورها بلحن مناسب ، وتقييم موسيقى مراق ، وجلال ملائكة طاهر ، لا جمال بشري .

خطوات مسوقات وجسم في تقسيمه لحون مراقه غيره آسر ودل فنون وحال ملائكي الطلقه⁽³⁾

وحين يخلق خياله في أهيا ، وهو مخلق بالطائرة في الفضاء ، يتورها من وراء السحاب في
أوله وشوق ، والطائرة تطوي الأفق طي السجل الكتاب تهادي في حمامة ، لستوي على الجو

۱۰۷

(٢) الأغاريض :

(٣) الأغاريد :

اندفعا كالعقاب ، وتطفو فوق الذرى كالحباب ، وإذا بدارات أنها كالآلئ المشورة في الشعب ... صورة أدبية بدعة للطائرة ، وهي تعمم في سماء أنها ، وتطوى السحب طيما ، وهي من الصور الحديثة والجديدة في شعرنا العربي الحديث يقول السنوسى في قصيدة (تحية إلى أنها) :

رسورتها من وراء السحاب
وقد طار في نحوها طائر
تهادى ومحمّم ثم استوى
وحروم يلوى الذرى الشامخا
فلاحت لعيوني دارعها
تألقن والليل وحفل الدجى
وأشرقت والصبح كث الضباب^(١)

ومن الصور البدعة التي اخترعها خيال السنوسى في شعر عسير من الأدب السعودى
صورة (المنظار الكاشف) :

فاحا لي وهو يستزيد المرايا
شكل نظارتيك حلو الزوايا
قلت لكها ترينى قشورا
حين أرنو ولا ترىنى الخفايا
لم ؟ لم يخترع لنا العلم منظارا
يرينا ماذا تسر الحشايا
قال : لو كان ذاك أفترت الدنيا
هبه . قد كان . لا . ولن ترقى بعد إذا ما كشفت عيًّا^(٢)

وهي من الصور الأدبية الكلية ، التي تعرى عن لقطة واحدة من مشاهد الحياة بعمق ودقة ، مع أنها تضم بين أجزائها صورا جزئية لا تقوم بذاتها ، ولكن يحتاج القارئ في فهمها أن تكون متلاحمة مع ما قبلها وما بعدها ، لمعطى تصويرها كلها دقيقة عن المنظار الكبير ، وما يوحى بالطلاء الكاذب ، حين تصور الأشياء على غير ما تراه العين الحادة القوية ، حتى تنقل الشيء المرئي بدقة دون خداع وتربيط للحقائق .

ويوم أن يكون للمنظار الكاشف دور في إظهار ما يخفيه الإنسان ستكون نهاية التاليف
والنفاد ، لأن البشر ، لا يخلو من عوارض النقصان ، الذي هو من طبيعة الإنسانية ، عند ذلك
لا تجد صاحبا ولا صديقا ، ولا معينا ولا أخا .

(١) أزاهير : ٧٤

(٢) النابع : ٣٥

لذلك كان الاسلام حكماً بني احكامه على التنفيذ والعمل والتصرف والفعل والسلوك ، لا على النية وحدها مجردة من العمل لأن الانسان قد يضمر شرًا آخر ، فإن رجع عنه أو يبقى في صدره ولم يخرج إلى خير التنفيذ لا يعاقب عليه صاحبه ، إلا إذا تحولت النية إلى سلوك ، وحيثند يستحق الانسان العقاب .

صورة أدبية كلية بدعة رائعة ، لأنها أوحى إلينا بتلك المعانى البكر عن طريق ذلك المنظار الكاشف ، وهي آلة حديثة من وحي علم العصر الحديث .

ومن الصور الكلية الفريدة في شعر الجنوب ، صورة (لمع السراب)^(١) :

أرج عينيك من لمع السراب
وعد عن القشور وإن تراءت
فقد فاض الطلاء على حياة
يوضع عيرها من غير عطر
وتزهو بالرياص بلا زهور
يشيب شبابها من غير شيب
تبه بها الجسم بلا علوم
موهنة تروق العين حسنا
فقد صبغ السراب حياة عصر
وصرت أشك حتى في مياه
أخوض بها ولو بلت ثياب

وفي قصيدة (وحشة قلب)^(٢) يقول في مطلعها :

عالم صاحب ودنيا عنيه
ميكانيكية الحياة مخيفه
كهربيتنا سلوكها سلوك
أحرق الروح والمعانى اللطيفه
كل شيء فيها تعقد حتى
إلى قوله :

حرت يا نفس فيك فالتمسى دريا
وعيشي أحلامك الفيلسوفه
تعسفت من حضارة ما لها قلب
ولا للسلام فيها وظيفه

(١) جريدة المدينة المنورة رقم ١٣٩٣/٤/١٧/٢٣٧٦ هـ

(٢) نفحات الجنوب : ٣٦/٣٢

صور أدبية رائعة نجع من تجارب الشاعر في حياته ومن واقع عصره ، الذي يعيشه بوجданه ومشاعره ، وجدان الشاعر ، ومشاعر الأديب ، عاش السنوسي رحباً من حياته مدبراً لشركة كهرباء جازان ، تتصدّع أذنيه حركة الماكينات المولدة للكهرباء بأصواتها القاسية العنيفة ، وأسلاكها المعقدة الكثيفة ، فيكاد الإنسان أن يفقد نفسه وسط هذا الزحام الصاخب ولا تردد إليه حتى يعود إلى سحر الطبيعة والحياة الفطرية ، التي نأت بعيداً عن تعقد الإنسان باسم الحضارة والتقدم .

هذا المقطع (الميكانيكي) الصغير المعقد ، انتقل إلى العالم الصاخب ، والدنيا العنيفة ، فأصبحت هي الأخرى (ميكانيكية) مخيفة ، كهربت سلوكها سلوك الإنسان ، فأحرقت القيم والمبادئ الإنسانية في الحياة لا الأسلاف ، فتعقد فيها كل شيء ، حتى الأكل والشرب والتنفس ، لهذا أصبح القلب في وحشة والنفس في حيرة من هذه الحضارة التعيسة ، فلا قلب فيها ينبض بالحياة ، ولا مكان فيه للأمن والسلام .

صورة بد菊花ة جديدة نجع من واقع عصر الشاعر وحياته ، وتجربته مع الحياة ... إنها صورة قائمة حزينة ، تعبّر عن وحشة القلب ، وغريبه في هذا الزمان .

وعناصر الصورة قد تلاحمت من هذا القناع ، فالحركة بطيئة من كثافة المدات في الكلمات (حروف اللين) . وألوانها قائمة ، فالصاخب والعنف والميكانيكية والخوف والكهرباء والحرق ، والتعقيد والحقيقة والفلسفة والتعasse .. كلها توحى باللون القائم ، والضباب الخير ، والتيه الضليل . وطعم ذلك كله مر وعلقم ، ورائحته تشمئز منه النفوس ذات عادم يختنق النفس .

تلك عناصر التصوير الأدبي من حركة ، ولون ، وطعم ، ورائحة في هذه الصورة الأدبية البكر الرائعة .

وفي قصيدة (الظل والضوء) يقول السنوسي^(١) :

أعيش في الظل أو في الضوء سيان خرافه كل مفتون بها فان
الظل والضوء ألوان وأصبغة لا باهت ثابت منها ولا قان
فهم ووهم ولا شيء خلا فهما الوهم من مارج والفهم روحان
فان ركبت جناحا وانطلقت به ملائكة غير آفاق وألوان
فلا تظنن أن الأرض قد ذهبت أو أنها خللت من كل إنسان

(١) نفحات الجنوب : ٧٠/٦٨

الأرض ثابتة والنفس ذاهبة
وأنت منها ، وفيها عائد ثانٍ
ضحك من زمن هرزاً وسخرية
ورماً ضحك المجنى للجبان
ترف شم الرواسى نمرة وندى
وملء أعماقها نيران وبركان
وتغضب القمة القعس إن سقطت
فيها السور وأضحت وكر غربان
فعش حياتك مرفوع الجبين ولا
تكن عبداً في أي ميزان

التقسيم العقلى يفسد الشعر ، ويقلله من عالم العلم والمنطق ، والتدليل الصريح
على الحقيقة في الشعر يتناقض مع منهجه للأربين لا ثالث لهما ، مما : فهم أي (عقل وحق) ،
ووهم أي (وسوسه وباطل) ، فالأول مصدر الدين والروح ، والثانى يتفجر من مارج من نار .

فالعجب ليس في هذا التقسيم العقلى ، ولكنه في الشاعر ذاته ، كيف نبضت صورته
الشعرية هنا بمشاعره ، واصطبغت بوجданه المحموم ، وسرى الروتين العقلى فيها ، كما يسري النسم
على الظل والندى والشذى ، فيضطجع الجو أرجياً ريقاً كرقة مشاعره في هذه الصورة الشعرية
البدعة .

كما نجد ابداع السنوى في تصوير التناقض على نحو غير مألوف ومتعارف ، فيصور
الإنسان الضعيف المغلوب على أمره ، المهزوم من دهره بصورة القوى المنتصر ، الذى لا يأبه
لأنداته ، فيضحك وهو الضعيف الجنى عليه من الدهر وهو القوى الجبان استهزاء وسخرية .

وكذلك يصور هذا التناقض بصورة الجبل الذى ازدهى بالحضر ، وتوقر بالنصرة ، وتلطف
بالماء والندى ، ولكنه في باطنه يتفجر هبساً وبركاناً ، ويندلع موتاً ونيراناً .

وكذلك تغضب الشواخ ، موطن النسور ملوك الطيور ، حين يعيش في جنابها
الغربان ، وبين أوكارها الحسين من الطيور ، لأن شموخها ينادي شواخ الطيور ، ويأبى في جناباته
سواقطها ، التي تهدى السكن والأمن في أوكاره .

صورة أدبية رائعة تفيض بعناصر التصوير بما يتناسب مع الظل ، وهو (الباطل والفساد
والشيطان والضلال) ، وما يتلاءم مع الضوء ، وهو (الحق والعقل والدين والخير) ، فيمنح
الشاعر صورة الأدبية عناصرها الشعرية بما ينسجم مع الظل أو الضوء : فالوهم نار ، لونها أحمر
حارق ، وريحها سموم لافع ، وطعمها لاذع يكوى ، والفهم روحانى ، لونه لطيف ، وريحه نسم
عليل ، وطعمه حلو كحلابة الإيمان ، والوهم أيضاً كالبركان في أعمق الجبال ، والبركان نار
وطيب ، لها لونها وطعمها وريحها كما سبق ، والفهم كذلك كالنصرة والحضر ، والماء في شم
الرواسى ، لونها أحضر ، وطعمها للذيد ومتعد ، ورائحتها طيبة زكية ، وحركتها تناوح مع النسم في
الصباح ، وتنعائق مع الرياح في النهار والليل .

إنها صورة شعرية اكتملت فيها عناصر التصوير الأدبي من لون ، وحركة ، وطعم ، ورائحة ، مثل القطعة الحية من الطبيعة الساحرة ، والحياة النابضة .

ومن الصور الجديدة البدعة التي تسير مع عصر الشاعر ، وتحاوب مع أصداء الحياة العالمية ، وما يموج فيها من طغيان وظلم ، للذين أرهقت أرواحهم ، وانتزعت أموالهم ، واستعمروا أوطانهم بالباطل ... وباسم المبادئ الإنسانية المتخضرة ، وباسم حرية الإنسان في عصر استعمار الإنسان لا حرية ، يقول السنوسى في (الحق المahan)^(١) :

يجزى الضمير ويجرح الإحساس
حق يهان فلا يثير الناس
وعجيبة أن تستمر عصابة
تطأ المدى وتلتوث الأقدام
رعنا أسكرها الغرور فأمعنت
بطرا وزادت حسنة وشراسة
تلهم وتعث لا تقيم لنطق
وزنا ولا لمبادئ مقياسا
ومنظمات الحق .. كل جهودها
للحق لا تتجاوز القرطاسا
لا مجلس الأمن استعاد وقاره
وأقام هيته وثار حماسا
كلا ولا جمعية الأمم انتهت
يوما إلى حكم برد شعماسا
ويقال إن العصر تقيم الوزن والقسطناسا

الوحدة الفنية :

قضية الوحدة في القصيدة من أهم قضايا النقد الحديث ، الجديرة بالدراسة والتطبيق في الشعر ونقدة الحديدين ، فقد شغلت النقاد والشعراء على السواء ، وخاصة بعد المنافسة بين المذاهب الأدبية الحديثة ومدارسها النقدية ، مثل مدرسة الحافظين ومدرسة الديوان ، ومدرسة أبوابو ، ومدرسة المهاجر ، وكذلك المذهب (الكلاسيكي) ، والمذهب (الرومانسي) ، والمذهب (الواقعى) ، وغيرها ، ووقف الجميع في صمود يدافع عن الوحدة الفكرية في بناء القصيدة ، بل باللغ بعضهم في تطبيق الوحدة العضوية على الشعر الغنائي أيضا ، كالشأن في الموضوعي والمسرحى والتمثيلى ، وأن منهج القصيدة القديمة التي تقوم على تعدد الأغراض والموضوعات لا يتناسب مع هذا العصر ، الذى يتسم بالتقدم في العلوم والفنون والآداب على أساس من الذوق الرفيع ، والفكر العميق ، والعقل التجربى .

لذلك كان من الضروري أن تكون القصيدة الشعرية صدى لهذه الحضارة العميقة ، فتقوم على أساس من الوحدة الفكرية والموضوعية في بناء فنى متكملا ، وتصوير أدبي ، تنسجم فيه

(١) البنابع : ص ٤١

الصور الجزئية والألفاظ والأساليب والإيقاع والموسيقى مع المعان والأفكار والغرض والعاطفة والتجربة الشعرية ، في تلاحم قوى وتلاؤم انساني ، فلا يصطدم الذوق الأدبي حين يتذوق القصيدة باضطراب في أسلوبها أو تناقض في معاناتها ، أو تعدد في أغراضها ، أو يفرغ بنشاز في إيقاعها أو يقلق في موسيقائها ، ولا يشعر بهتك يند تلاؤم الصورة مع الخيال والعاطفة والمعان ، وغير ذلك مما يؤثر في تمزيق الوحدة الفنية في القصيدة فتهاجر في ميزان النقد المستقيم .

وعلى ذلك فالوحدة الفنية هي : أن تتلاءم التجربة الشعرية والعاطفية والخيال والمشاعر والأحساس والمعان والأفكار والغرض والمغزى وغير ذلك مما يتصل بالمضمون والمحنوي للقصيدة فيتلاءم هنا كلها مع البناء الفني لها ، وهو انسجام الألفاظ والأساليب والصور الجزئية والتجسيم والشخصين ، والإيقاع الداخلي والخارجي والموسيقى الخارجية في الوزن والقافية ، لتتلاحم هذه العناصر كلها في انسجام وتناسب ، واتساق وتلاؤم ، كالشأن في الخلق السوي ، الذي تكاملت أجزاؤه في أحسن تقويم^(١) .

والستوسي في شعره يتلزم الوحدة الفنية غالبا ، فتقوم القصيدة عنده من المطلع إلى آخر بيت على غرض واحد ، تدور حوله الأفكار والمعان ، وتحجاوب مع المشاعر والعاطفة والخيال في البناء الفني للقصيدة وحيثما يتلاءم المضمون في العمل الفني مع الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى والإيقاع .

ولا تجد قصيدة في دواوين الستوسي الخمسة قد تعددت فيها الأغراض ، بل تحقق الاتساق والتلاحم بين الغرض وبين تصويره الأدبي . وهذا لا يحتاج إلى ذكر أمثلة وشواهد ، فقد سبقت قصائد كثيرة في باب الأغراض ، وبقية القصائد في الدواوين تسير على هذا النهج من الوحدة الفنية .

لكن الذي يحتاج إلى التنصيص عليه ، هو ما يخرج فيه الشاعر عن الوحدة الفنية من صور لا تتلاءم مع الغرض في القصيدة ، وهذا قليل ومتناهى بالنسبة لمنهج في الالتزام بالوحدة الفنية في شعره ، وسأوضح بعض الشواهد على ذلك بالتحليل والنقد .

صور غير ملائمة :

الرثاء غرض أدبي ينحصر في بوتقة التجربة الجزئية وفي محى العاطفة الشعرية القائمة ،

(١) انظر كتاب : البناء الفني للصورة الشعرية : دار الحارثي بالطائف . فقد وضحت فيه الوحدة الفنية دفعا للشكرا . نشر عام ١٤٠١ هـ

فقط أسى ، وندوب ألمًا وحزنا فإذا ما جاء الشاعر بلفظ أو صورة من حقل الاعجاب والبهجة والسرور ، يبدد ثقل الوحيدة الفنية ، ويذهب بتلاحمها .

وهذا ما حدث للستوسي عندما كان يرثي معالي الشيخ محمد سرور الصبان ، الذي وافته المنية في مصر بتاريخ ١٢/٢/١٣٩١ هـ يقول^(١) :

تصامت لما قيل مات (محمد) سرور (قلوب) كم به جبر الصدع
فلا محل لذكر سرور القلوب هنا ، لأنه يبدد قنام الحزن المتلامم مع الرثاء ، وكذلك قوله في نفس القصيدة :

أبا حسن غاض السرور الذى جرى على كل قلب من تدفقه نبع
وضوح روض كان في كل مهجة بك اتصلت يندي بها النبت والزرع
فالسرور وإن غاض بيته ، لكنها ترق بالبهجة ، مما لا يتناسب مع الرثاء والحزن ،
وكذلك الروض الذى كان يفوح طيبه في حياة المرق ، فيزدهر به النبت والزرع ، يبدد قنام الحزن
في القصيدة ، لأن نشر الروض وازدهار الزرع والنبت ، كان يعني ألا يكون لها مكان من
التصوير الأدى ، لعدم التلاقي بحال مع الرثاء والحزن .

وما يؤخذ على الشاعر تمزيقه جمال التصوير الشعري بكلمة ليست هي من حقل الشعر ،
 وإنما هي من حقل العلوم ، ومن مجال العقل لا العاطفة ، مثل كلمة (مقاييس) :

يا فتنة القلب ومهوى البصر جاوزت مقاييس جمال البشر^(٢)
وكذلك الكلمتان (إيجاز - والختصر) ، فهما يختصان بعلوم البلاغة ومنطق العقل أكثر من
التصوير الشعري يقول^(٣) :

ورق في خصرك حتى استمئن إيجازه في قدرك الختصر
وكذلك مما يبدد التصوير الأدى العربي الأصيل استعانته بعض الكلمات الأجنبية ، التي
يمجها الذوق العربي السليم ، مثل كلمة (الديزتو)^(٤) :

(١) البنایع : ٦٣

(٢) أزاهير : ٣٥

(٣) أزاهير : ٣٥

(٤) أزاهير : ٣٤

تُحرى عليك (الديزتو) تخال والفرد فهـا

وكذلك قوله :

زاره ساكن (الألب) (أبollo) رائدا ينشد الجمال المـالـي

موازنة ونقد :

الستوسي شاعر محافظ في تجديده ، يتجاوب مع الواقع الذي يعيشـه ويـحيـاه ، فالـشـعـراءـ القـدـامـيـ صـورـواـ النـغـمـ والـغـنـاءـ فـيـ الشـعـرـ العـرـبـ الـقـدـيمـ ، وـخـاصـةـ الشـاعـرـ المـصـورـ اـبـنـ الرـومـيـ ، وـتـنـاوـلـهـ كـذـلـكـ شـعـراءـ فـيـ العـصـرـ الـحـدـيـثـ مـثـلـ الـعـقـادـ وـالـماـزـفـ وـابـرـاهـيمـ نـاجـيـ وـغـيرـهـمـ^(١)ـ وـتـأـثرـهـ كـثـيرـاـ بـاـيـنـ الرـومـيـ فـيـ تـصـوـيـرـهـ الغـنـاءـ السـاحـرـ الجـذـابـ فـيـ قـولـهـ يـصـورـ صـوتـ (ـوـحـيدـ)ـ المـغـنـيةـ :

هـاـ وـقـرـيـةـ هـاـ تـغـرـيـدـ
مـنـ سـكـونـ الـأـصـالـ وـهـىـ تـمـيـدـ
لـكـ فـيـهاـ لـاـ يـسـرـ وـرـيـدـ
وـسـحـوـ وـمـاـ بـهـ تـبـلـيـدـ
كـافـ كـأـنـفـاسـ عـاشـقـيـهاـ مـدـيـدـ
وـبـرـاهـ الشـجـاـ فـكـادـ يـبـدـ
مـسـتـلـدـ بـسـيـطـهـ وـالـشـيـدـ
سـمـ مـصـوـغـ يـخـتـالـ فـيـ الـقصـيدـ
رـاجـحـ حـلـمـهـ وـيـغـرـىـ رـشـيدـ
بـهـاـ مـنـهـ حـيـثـ تـرـيـدـ
وـتـرـ الرـجـفـ فـيـ سـهـمـ سـدـيـدـ
عـيـبـاـ أـنـهـ إـذـ غـنـتـ الـأـحـرـاـ
رـظـلـواـ وـهـمـ هـاـ عـيـدـ^(٢)

فالصـوتـ الشـعـجيـ مـعـ هـدـوـئـهـ مـتـصلـ لـاـ يـنـقـطـعـ ، وـمـعـ سـمـوـهـ حـىـ غـيرـ مـتـلـدـ ، مـدـيـدـ
كـأـنـفـاسـ الـعـاشـقـينـ ، سـاعـدـ فـيـ مـدـهـ طـوـلـ النـفـسـ ، وـأـرـقـ الدـلـالـ ، وـلـطـفـهـ الـولـهـ ، حـتـىـ كـادـ أـنـ
يـخـفـيـ ، فـيـمـوـتـ طـوـرـاـ وـيـحـيـاـ طـوـرـاـ ، وـيـعـانـقـ النـغـمـ عـلـىـ مـسـرـحـ الـغـنـاءـ فـيـتـخـذـ قـبةـ تـحـيطـ بـالـسـامـعـينـ ،

(١) عقدت موازنة نقدية في كتاب : البناء الفنى للصورة الأدبية عند ابن الرومي . نشر عام ١٩٧٦ م

(٢) المرجع السابق ص ٢٢١ ، ٣٦١

في صورة حية نابضة ، ينسجم فيها الوشى المناسب مع الألوان ، ويتجاوب فيها اللحن المتأوج مع موجات الهواء ، فيترافق معه القصيدة ، ويختال فيه الشيد ، فيستبد بالقلوب ، ويشتفف الآذان ، فيعيشها المستمع ، ليقع في غرامه لا في غرامه . وبصور ابن الرومي الغناء أيضاً في صورة أخرى فيقول :

كل طفل يدعى بأسماء شتى
 ذات صوت عزوه كيف شاعت
 يشتهي فينفس الطل عنـه
 صين من طبع صوتها كل لحن
 بين عود ومهر وكران
 مثل ما هرت الصبا غصن بـان
 في تثنـيه مثل حب الجمان
 معها من لـون تلك الأغانـى^(١)

ويأتي السنوسى في العصر الحديث ليصور هو أيضاً الغناء في سحر وقـة متـأثراً بـ ابن الرومى
 فيما سبق ، لكنه يتجـاوب فيه مع أصـداء عـصـرـه ، فيـقـولـ الشـاعـرـ فيـ صـوـتـ (كـوكـبـ الشـرقـ أـمـ
 كـلـشـمـ) :

قصـريـهـ بالـلـانـ وأـوتـاريـ
 صـفـوـ النـدىـ والـشـذـىـ وـالـكـثـيرـ الـجـارـىـ
 يـذـوبـ بـينـ يـدـيهـ كـلـ قـيـشـارـ
 وـفـيـ الضـحـىـ يـتـرـدـىـ ثـوبـ أـقـمارـ
 عـلـىـ شـفـاهـكـ مـنـهـ ذـوبـ مـضـمـارـ
 يـمـوجـ بـينـ أـغـارـىـ دـوـنـ وـأـشـعـارـ
 أـرـدـانـهـ الرـجـعـ فـيـ غـيـنـاءـ مـعـطـارـ
 وـبـالـلـانـ الـمـصـفـىـ وـالـجـوـىـ النـارـ
 يـمـثـلـهـاـ مـنـذـ أـرـمـانـ وـأـدـهـارـ
 أـنـفـامـ إـسـحـاقـ أـوـ أـلـانـ مـوزـارـ
 قـلـباـ يـقـلبـ وـأـفـكـارـ بـأـنـكـارـ
 إـلـىـ حـبـبـ فـيـ مـنـاجـةـ وـأـسـرارـ
 أـوـ قـلـتـ يـاـ عـينـ لـمـ عـهـدـ بـإـشـقـارـ
 فـيـشـتـىـ كـلـ نـجـمـ فـيـ الدـجـىـ سـارـ
 فـعـلـ الـهـوىـ وـالـتصـانـيـ بـيـنـ سـارـ
 تـسـمـوـ بـهـ ثـمـ تـدـنـوـ ذاتـ مـنـقـارـ
 حـرـىـ الـلـوـاعـجـ مـنـ شـوقـ وـتـذـكارـ

يـاـ كـوكـبـ الشـرقـ طـالـ اللـيلـ بـالـسـارـىـ
 وـسـلـسـلـ فـيـهـ صـوـتاـ مـلـءـ نـيـرـتـهـ
 وـرـدـدـيـ فـيـ دـجـاهـ شـدـوـ سـاجـعـيـهـ
 مـدـيـهـ فـيـ اللـيلـ يـنـدـاحـ الصـبـاحـ سـناـ
 فـنـانـةـ الـضـادـ كـمـ لـلـضـادـ مـنـ نـغـمـ
 جـلـوـتـهـ فـجـلـوـتـ الـفـنـ مـرـفـعـاـ
 صـوـتـ إـذـاـ حـرـكـتـهـ فـيـ الدـجـىـ سـجـبـتـ
 يـلـقـاـكـ بـالـسـحـرـ فـيـ الـأـلـفـاظـ مـنـطـلـقاـ
 وـغـنـةـ مـاـ وـعـتـ أـذـنـ وـلـاـ سـمـعـتـ
 كـأـنـماـ فـيـ أـغـانـيـهاـ وـفـيـ فـهـاـ
 عـزـوهـ فـهـزـ الشـرقـ أـجـمـعـهـ
 يـصـغـىـ إـلـيـهـ كـمـ يـصـغـىـ الـجـبـبـ
 إـنـ قـلـتـ : يـاـ لـيلـ قـالـ اللـيلـ مـنـ طـربـ
 تـعلـوـ بـهـ طـبـقـاتـ الـجـوـ صـادـحةـ
 آـلـاـ تـضـخـمـهـ آـلـاـ تـرـقـهـ
 كـأـنـهـ فـيـ يـدـيهـ غـصـنـ نـاضـرـةـ
 كـمـ بـاتـ يـصـغـىـ إـلـيـهـ كـلـ ذـيـ كـبـدـ

(١) المرجـعـ السـابـقـ صـ ٢٢١ـ ، ٣٦١ـ

فراغ يطغى صدأه وهي صادحة
غنت للشرق ألحان الخلود هوى
من كان يجهل شوقيا وقد صدحت
ولا يرى في غناها ذو الحجى حرجا
قرية النيل ما للنيل واحدة
غضضت بعينيه أنوار الهوى وذوت
بكته خضر أوراق وأزهار
والاح في صفحتيه ذعر شاكله
ما كل طير هزاها حين تسمعه كلا ولا كل ذي ريش بطيار^(١)

صورة أدبية كلية رائعة لتصوير النغم والغناء ، تسير على النهج الفني لصورة ابن الرومي ،
فكلاهما يهزان الوجود والنفس هزا قويا ، لدقتهما في التصوير ، وقوتهما في التأثير ، وقد اتفق
الشاعران في خصائص ، وافتراقا في أخرى ، فاما الخصائص التي اتفقت عند الشاعرين —
والفضل من سبق — هي :

أولاً : كلاهما وصف المغنية بالجمال ، وصورها بصورة جميلة في الطبيعة الساحرة ،
فمعنى ابن الرومي (وحيد) ظبية وقمرية في الليل ، ومعنى السنوسى كوكب الشرق في الليل
الساري وقمرية النيل .

ثانياً : سحر الغناء عندهما يناسب إلى الأسماع ، ويتسلى إلى القلوب في خفاء ، حتى لا يشعر
السامع بمصدر اللحن ، فالمعنى (وحيد) ثابتة الأوصال مناسبة العينين بلا جحظ ولا حملة ،
ولا معاناة في إخراج الصوت ، ولا انتفاخ في الأداج والعروق ، فيخرج النغم هادئاً متصلًا ، لا
انقطاع فيه ولا عواصف ، بل يتصاعد ساجياً ممدوداً دافها كأنفاس العاشقين . وأما ألحان
(كوكب الشرق) فتنسل كالندى الصاف ، وتندوح كالشذى المعطر وتتدبر كالكثير الجارى ،
 فهو ينداح في الليل ممدوداً ، حتى يفجر إشراق الصباح ونور الضحى .

ثالثاً : الشاعران مزجا سحر النغم بالسحر المذاهب في مظاهر الطبيعة فالصوت عزه
(وحيد) كيف شاءت ، يستجيب له كل المعايير والألفاظ طائعة منقاده ، مثل ما يستجيب
غصن البان لربيع الصبا ، ويهرز طرباً له ، فيتشنى ذهاباً وإياباً ، ويتناثر العطل كحبات الفضة ، أما
نغم (كوكب الشرق) فينساب في الليل والدجى والصبح والضحى ، ويعلو طبقات الجو ،
فيتشنى النجم طرباً ، وينقاد طوع أمرها كالغضن اللين ، الذي يترافق مهتراً على أنغام الطير
الصداح ، وهو كالسيل في تدفق الأنهر ، وكلماء في النيل عذوبة ، وليس كل طير يمتع في الغناء

(١) البنایع : ٨٧/٨٩

قصة النفاق تأصلت في المناق كالشأن في شجر الخلاف ، فمنظره ساحر فنان ، ومخبوه مرخداع ، كالغصن الأخضر أخاذ الشكل والرونق مرير الذوق كالعلقم .

ويدل على أصالة النفاق في المناق ، ما توحى به الصورة من التجدد والاستمرار عن طريق الفعل المضارع (يورق — ويأي) وكذلك القصر ب تقديم الخبر (وما له ثم)^(١) .

يقول عبد القاهر : « انظر إلى المعنى في الحالة الثانية ، كيف يورق شجره ويشعر ، ويفتر ثغره ويسم وكيف تشارل الأرى من مذاقه كما ترى الحسن في شارته »^(٢) .

وصورة أخرى لابن الرومي في النفاق يقول :

ملك النفاق طباعه فتشعبا وأني السماحة لؤمه فاستكلا
فري غورا ظاهرا من تجنه نكدر قبح شاهدا وغيها
ولشر من جربته في حاجة من لا تزال به معنى متعبا

أما شاعرنا السنوسي فيصور النفاق في قصيده (لكل صابون ليه) :

سمات ملونات وأخلاق
ونفاق ملون تحجل الحرباء
تنسل وتسكين وتناع
إذا ولت الوظيفة ولوا
خلق يشمئز منه كريم النفس
يا لنفسى من نفس تقدف الخبر
وعلى كل جانب من قذاهما
حضرت في بحرا وكتت غيرا
أوجه كالبلاط لا تنت الزله
وقلوب مثل الكهوف ظلاما
غير أني وإن تالم قلبي
لست خبا والحب قد يخدع

وصولية غلاظ سخيفه
منه فتشى مكسوفه
وتغدو لكل صابونة ليه
وأثاروا عليه حربا عنيفة
والطبع والخصال المنيفة
عداء من الثياب النظيفه
قدر يركم الأنوف وجيفه
قططاً موجها وكانت حصيفه
وان كانت المياه كثيفه
والضحى يغمر الوجود خيفه
 فهو ما زال كالظلل الوريفه

(١) انظر كتاب : شاعرية ابن الرومي بين الأصالة العربية والدعوى الرومية دار المرتع - الرياض ١٤٠٢

(٢) أسرار البلاغة : ص ٩١

(٣) القصيدة كاملة سبقت في الشعر الاجتماعي

ولا كل ريش يستطيع الطير في الهواء ، فهو صوت فريد في مجال اللحن والغناء .

ومع ذلك فقد غلب على تصوير ابن الرومي للغناء التجدد عن مظاهر الطبيعة وخاصة في القصيدة الأولى ، وساد عند السنوسي تجسيم الغناء في مظاهر الطبيعة .

أما ما اختلف فيه الشاعران فهو مدى استجابة المستمعين للغناء ، فجمهور (وحيد) تجاوزوا حب الطرف والغناء إلى ما هو أكثار من ذلك من الغرام والإغراء ، مما يخشى على العاقل الذي رجح عقله ، ويختلف على الرشيد ، لأنها تصيب القلوب بحبها فالجمهور عندها مزرع إيمان ضعيف العقيدة ، يخشي على دينه ، ويختلف من الوقوع في حبال الشياطين .

لكن جمهور كوكب الشرق يحب غناءها الجرد عنها ، فذو العقل لا يتردّي في حرج من غنائهما ، وذو الورق والاتزان يجد في وقارها واتزانها ما تستجيب له نفسه يقول :

ولا يرى في غناها ذو الحجي حرجاً وذو وقار ولا يزري به زار
لأنها غنت للشرق الإسلامي ألحان الخلود في حضارة الإسلام وغنت للعروبة ، التي سما بها
الإسلام في سماء الجسد ، كما غنت للرسول ﷺ الذي نزل عليه الوحي ، وصاحب الغار والذي
أقام حضارة الإسلام بعد الهجرة النبوية المباركة .

فجمهورها قوي في إيمانه متمسك بعقيدته ، يزداد إيماناً حينما ينساب الغناء في حضارة
الإسلام فتسيد بقلبه تلك الحضارة فيزداد افتئاماً بعقيدته وجهاً لا لكوكب الشرق ، التي لم
تتخد الدلال وسيلة للإغراء في الغناء ، كما اتخذه (وحيد) مغنيه ابن الرومي .

ومن الصور التي تأثر بها السنوسي صورة المذاق في الشعر العربي القديم ، ذكر عبد القاهر
الجرجاني في تعلييل بلاغة الكلام قول ابن لنكك :

ففي شجر السرو منهم مثل له رواه وما له ثمر
وقول ابن الرومي :

ففدا كالخلاف يورق للسعين وبائى الإمام كل الإباء
وقوله الآخر :

وإن طرة راقتكم فانظر فربما أمر مذاق العود والعود أحضر⁽¹⁾

(1) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ص ٩١ تحقيق محمد رشيد رضا

والتأثير ظاهر بصورة المنافق بين الشاعرين وبخاصة في صورة ابن الرومي الأخيرة ، فالمنافق في مكراه ، ودهائه ، ورداة طبعه كالشعلب يؤثر منفعته ، ولا يسعى إلا ل حاجته الذاتية ، فهو ثعلب في طباعه يسير هادئاً لينا في خفاء وتحفظ كالقطط الآليف . والمنافق في لومه كالكلب المسعور يهش للقادم ساحة ، ويداعيه غدراً ، ليقضى على فريسته كالذئب في غدره وخيانته ، فهو في الظاهر مستوى الخلقة ، متكامل السمت ، يستر وراء الغرور والوقار ، ويتشدق بالنصيحة ، ويبلغ بالحكمة ، لكنه من الباطن يفجر عن غدر ونكد ، وينطوي على حقد وشر ، فلا يسلم من يتعامل معه من مخالب الغدر ، فيظل يعاي منه آلاماً ومرارة ومتاعب .

والمنافق عند السنوسى كالحرباء ، بل الحرباء تحجل منه ، وتعرض عنه مكسوفة ، وتلك طبيعة المنافق في تكوينه ، يليس لكل حال لبوسها ، ويقلب حسب الأغراض والأهداف ، كما تأقلم الحرباء حسب اختلاف البيئات ، وتغاير الألوان في الجبال والرمال ، لتكون قطعة متاجنة مع الأرض التي يعيش عليها .

لكن الصورة عند ابن الرومي أدق وأعمق حين صور المنافق بالشعلب والكلب المسعور ، لأن المنافق غالباً ما يخدع الناس لحسن ظنه فيه ، ويتال منهم كما ينهش الكلب المسعور فريسته ، بعد المدوه والمسالمة وحلوة اللسان على العكس من الحرباء فتلعون ولا تؤذى أحداً .

أما السنوسى يصور المنافق حين يتعامل مع الآخرين ، الذين لا يسلمون من شو وأذاه ، كمن يلطم الشاب البيضاء بالحبر الأسود ، والمنافق أشد من الوباء الذي يبعى في خفاء ، فيزكم الأنوف بمرضه ، ويقتل النفوس بجيفته المتناثرة .

ويصوّره أيضاً بأرض بور ، بل كالبلاط الذى لا ينت زهراً ولا يجلب خيراً ،مهما فاضت المياه ، ويصوّر قلب المنافق في ظلمه وظلماته كالكهوف المظلمة تخشى الدgence باستمرار ، فتأوى إليه الحيات والعقارب ، والحيشرات السامة ، ومع كل ذلك فهو ضعيف لا يقوى على مواجهة الحق ، رقيق كالظلال الورقية تمرق التسليم اللطيف .

وتلك صورة جديدة تفرد بها السنوسى عن سابقيه ، وكذلك موضوع القصيدة ، كانت منه لفحة لطيفة وطريقة حين طوع المثل العام ، الذى يجري على كل لسان وهو (لكل صابونة ليقه) ليجعل منه موضوعاً شعرياً وغريضاً أدبياً ، ليفيض الشعر عليه بالإيحاء والقوة والشاعرية ، والموضوع في ذاته صورة جديدة للمنافق في عصرنا الحديث .

والسنوسى بهذه الصورة الطريفة للمنافق ، التى أطرب فيها ، حتى صارت قصيدة ، تضع الشاعر في مكانه البارز بين شعراء عصره ولا تقل عن صورة المنافق في الشعر القديم ، وإن اتصفت بالإيجاز والقصر ، لأن للشعراء السابقين فضل السابق ، ولشاعرنا السنوسى فضل الزيادة

فـ صوره الجديدة التي تناسب مع عصره ، ولو خلت منها قصيده لما وجدت طريقها إلى قلب القارئ ، ولا أخذت مجدها في النقد والموازنة الأدبية .

وبهذا يكون الشاعر السنوسي أشهر شعاء الجنوب في منطقة عسير ، بل شاعر الجنوب كما أطلقت عليه صحفة المملكة ومن الرواد الأول لشعراء المملكة الذين كان لهم دور كبير في القرفة السريعة للشعر الحديث حتى تعددت مدارسه ومذاهبه الأدبية ، وكان أيضاً أشهر شاعر في مدرسة التجديد الحافظ في مذهبها الأدبي لشعر الجنوب خاصة وشعر المملكة عامة .

ولقد كانت الدراسة السابقة للسنوسي التي قامت على التحليل والنقد ، والاستقراء والموازنة ، ووضعت هذه الدراسة الفنية علامات بارزة على الطريق من أهمها :

أن السنوسي كان مجدها في معظم الأغراض الأدبية وفي الموضوعات وكذلك في معظم الأفكار والمعانٍ وخاصة بالنسبة للشعر السعودي خاصة ، والشعر العربي بصفة عامة .

« إن للسنوسي مكانة بين شعرائنا البارزين ، فهو صاحب « القلائد » ولقد كان لديوانه القلائد وما يزال صداه الطيب الجميل في أوساطنا الأدبية ، إنه أول شاعر من شعرائنا يترجم له بعض شعره إلى لغة أوروبية .. إن أهم سمات شاعرنا السنوسي في اعتقادى أنه لا يحاول أن يتكلف أو يظهر بغير حقيقته ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل الثناء أو مدح ، وإنما هو في كل ما طالعه من شعره لا أراه إلا حريراً كل الحرص على التزامه بهذه السمة ، سمة الصدق في التعبير »^(١) .

ويكفي للشاعر الفذ أن يكون في شعره صادقاً يعبر بصدق عن شاعريته وهل يحتاج التجديد في الأغراض الأدبية إلا الصدق الفنى ، الذى كان من أبرز مظاهر التجديد في الشعر الحديث بعد الركود والجمود في العصر السابق الذى قضى تماماً على الصدق الفنى في الشعر . وقال باحث عن السنوسي : « ومن أهم سماته أنه لا يتكلف ، أو يقول ما لا يعتقد ، أو يمدح من لا يرى أنه أهل للمدح »^(٢) .

ويقول صاحب المنهل : وأعتقد أن ديوان القلائد لصاحبه الشاعر الأستاذ محمد بن علي السنوسي (والاسم هذا كالمسمى) .. سببت صدوره أن الشعر العربي الأصيل الذى جمع بين المبنى والطراوة والتجديد في المعنى هو حى ولا يزال حياً ذا تأثير فعال في المجتمع والأفراد .. يؤثر

(١) الأستاذ محمد سعيد العامودي — مقدمة الأغاني بد . ل

(٢) د . كامل السويفي

النفوس الظائمة إلى الحياة الطاغية أزا ، ويدفعها إلى محيط العمل والنشاط دفعا ، ويؤكد فيها جذوة الحرية والحماسة ، وبخلق فيها الحركة والانطلاق إلى الأمام على الدوام .. ويساند حركات الاستقلال والاستبسال في نيل المطالب العليا ، كما كان من قبل ألف عام .. أيام البحترى وأى تمام ، وأيام أتى الطيب التنبى ، وأخيرا أيام البارودى ، وشوق ، وحافظ ومن سار على دربه من فحول الشعراء «^(١)».

والستوسى كان مجدها في تحفظ التصوير الأدلى كما رأينا ذلك في مكانه ، فقد بعث الحياة والقوة في الألفاظ الشعرية وأساليبه وأعاد لها عراقتها الأصيلة كما كانت عند الفحول من الشعرا ، كما أنه طوط الأسلوب في جزالة وعذوبة وقوه وإيماء لقضايا عصره وفكرة واتجاهاته . وكذلك كان حاله عميقا خصبا يمنع صوره الأدبية جدة وابتكارا ، مما دفع النقاد إلى أن يسجلوا له هذه الخطوات المباركة في التجديد ، يقول أحدهم :

« إن شعر الستوسى يملأ نفسي ويشعرنى أنه يخرج من نفس عربية مؤمنة صادقة قوية اليقين بعروتها وإسلامها »^(٢).

ويقول الأستاذ محمد سعيد العامودى :

« وأعتقد أن الثقافة الستوسى المتعددة الجوانب أثرها في شعره بصورة عامة إلى جانب موهبته الفنية المعطاء .. ولعله من هنا يبدو ما تلمسه في شعره غالبا من نبض في الأسلوب ، وحيوية في الألفاظ وعمق في المعانى ، وسمو في الأغراض »^(٣).

وأما الموسيقى الشعرية فقد اتخد الشاعر القالب الموسيقى العرق العمودى ، فاللزم بحرا واحدا وفاية واحدة في القصيدة الواحدة ورأينا ثورته العنيفة على الشعر الحر ، في القصيدة التى سبق ذكرها والتي أعلن فيها أن طبيعة الشعر العرق الأصيل تأتى بذلك كل الإباء وإذا كان ولابد من التجديد فيكون في المعنى والمضمون بما يتناسب مع العصر الحديث وقضاياه الكثيرة .

ولم يتزحزح الستوسى عن القالب الموسيقى إلا قليلا وذلك في نظام المقطمات القائمة على البحر العروضى مع تعدد القافية في كل مقطع من مقاطع القصيدة ، وليس هذا غريبا على طبيعة الشعر العرق بل هو مثل نظام الموشحات الأندرسية مثل قصيدة (أتمى) السابق ذكرها .

(١) الأستاذ عبد القدس الأنصارى : مقدمة القلائد : ج

(٢) مقدمة : نفحات الجنوب ص ٨

(٣) مقدمة الأغاريد ص . ل

وأشاد بشعر السنوسي الشاعر الأمير عبد الله الفيصل بقصيدة عنوانها (حية) يقول في مطلعها :

أنا في حية أموت وأحيا كل يوم وأدعى في شهود^(١)
ويصف الشاعر محمد حسن عواد أحد رواد الشعر العربي في السعودية شعر السنوسي ويشيد بروعة شعره في قصidته (مواطن العطاء من الانسان) منها هذه الأبيات :

الوشى جاء منقماً ومنمنا والظرف طالعنا بها متسبما
واللمس كان موشحاً والحسن كان مسلماً
غراء من جيزان يرقضها النوى
أنسيت أنك آنذاك منشاً في إني وأنت مواطنى ومسايرى
لكن سوك من الذين تعاظموا من كل من جعل التشاعر مهنة
فقد امتطوا عوجاء حين تأثروا
والفن يرفض أن يكون مرغماً
مسخ الفتى منهم رواه شابه
ورسالة التجديد عند لفيفهم
هي ذى المفاهيم التى أصلحتها
هم هؤلاء - ولست أنت - هم الأول
عش للوفاء (أبا على) مثلما
ولأنت من أهله فابق أرومة
فكانه هرم وما بهرمـا
(خطب) يراه مذماً ومحرماً
نقداً وكان كما عرفت مسمماً
قد خوصموا نقداً مضى متوجهـا
يرجو الوفاء من الوفاء وفوق ما
عربـة نسلت عزيزاً مسلماً^(٢)

والسنوسي .. « شاعر ضليع ، ذو قوة في البيان ، وباشرقة في الفكر ، وروعة في المنطق ، وجلدة في الأسلوب ، هو شاعرنا الذى تعتز به المملكة العربية السعودية ، وتضعه في الصاف الأول من بين شعرائها الأبرار شعراء الشباب المبدعين .. شعراء الأدب الرفيع ، واللسان العف والضمير النقى من الشوائب والأوضار^(٣) .

(١) جريدة البلاد : عدد ٢٩٣٠ - ١٣٨٨/٧/٨ هـ

(٢) جريدة البلاد ١٧/١١/١٣٩٤ هـ

(٣) عبد القدس الأنصاري : مقدمة القلائد : ذ

لِفَضْلِ الْثَالِثِ

الشاعر محمد بن إبراهيم العقيبي

- ١- نسأة الشاعر وحياته .
- ٢- الأغراض الشعرية والتصوير الأردني لها .
- ٣- الملح وفضائله الفنية .
- ٤- الشعر الوطني وفضائله الفنية .
- ٥- الشعر الإسلامي وفضائله الفنية .
- ٦- الشعر في الحضارة العالمية وفضائله الفنية .
- ٧- الشعر الوهداني وفضائله الفنية .
- ٨- الوصف وفضائله الفنية .
- ٩- المؤلفات .



نشأة العقيل وحياته :

هو الشاعر محمد بن أحمد العقيل ، ولد في مدينة (صبيا) عام (١٣٣٦ هـ— ١٩١٦ م).

تلقي علومه على أحد المدرسين ، وعلى والده ، وعلى الشيخ عقيل بن أحمد في الفقه والنحو والصرف وعلم المعان وعلم البيان وغيرها من علوم العربية .

تقلب في وظائف مختلفة في الهيئات الحكومية ، و Ashton في المملكة بكتاباته الصحفية التي كانت تستهوي القراء والعلماء والباحثين ، يقول الأستاذ حمد الجاسر في ذلك :

« لقد عرفت الأستاذ العقيل أول ما عرفته مؤرخاً وباحثاً حينها كان يمد مجلـة (العامـة) منذ تسعـة عشر عامـاً بأبحاثـه التي كـنت أـحس وأـنـأـها بأـنـي أـجـدـهـ فـيـ غـيرـهـاـ منـ أـحـاثـ كـثـيرـ منـ كـتابـاـ،ـ مـاـ تـرـحـرـ بـهـ صـحـفـنـاـ،ـ ثـمـ يـقـولـ :ـ إـنـيـ أـوـفـيـتـهـ حقـهـ فـيـ كـتابـ :ـ (ـمـؤـرـخـوـ الـجـزـيرـةـ)ـ ..ـ »^(١).

واشتهر العقيل بمؤلفاته وتحقيقاته ، منها : (الخلاف السليماني) في ثلاثة أجزاء ، وتحقيق ديوان « القاسم بن علي بن هشيميل » ، « التصوف في عامـة» ، وديوان «السلطانين من شعـراءـ الـقرـنـ السـادـسـ» ، وديوان «الجراح بن شاجر الأروى» ، وكتاب «شعراء الجنوب» بالاشـتـراكـ معـ محمدـ بنـ عـلـيـ السنـوـسـيـ^(٢).

وفي عام (١٣٩١ هـ— ١٩٧١ م) صدر ديوان (الأنـقامـ المـضـيـةـ)ـ نـشـرـ دـارـ الـجامـةـ بالـرـيـاضــ وـمـنـ الـغـرـبــ أـنـ صـاحـبــ كـتابــ شـعـرــ العـصـرــ الـحـدـيـثــ الـذـيــ كـانــ طـبـعـهــ الـأـوـلــ عـامــ ١٩٣٩ــ هــ ١٩٧٩ــ مــ لــمــ يــذـكـرــ هــذـاـ الـدـيـوـانــ ،ـ بــلــ أـغـفـلــهــ تــمــاـمــاـ مــعــ الـعــلــمــ بــأـنــ دـيـوـانــ الـعــقــيلــ مــنــشــورــ قــبــلــ ذــلــكــ بــثــانــيــ ســنــوــاتــ^(٣).

(١) الأنـقامـ المـضـيـةـ:ـ المـقـدـمةـ صـ ٦

(٢) انظر الترجمة في « مؤرخو الجزيرة » : حمد الجاسر ، وكتاب شعـراءـ العـصـرــ الـحـدـيـثــ :ـ عـبدـ الـكـرـيمـ الـحـقـيلــ ٢٠٨ــ وـغـيرـهـاـ

(٣) الأـسـتـاذـ عـبدـ الـكـرـيمـ الـحـقـيلــ:ـ صـاحـبــ كـتابــ شـعـرــ العـصـرــ الـحـدـيـثــ فــ جــزــيــةــ الـعــربــ

وَقَسْمُ الشَّاعِرِ دِيْوَانَهُ إِلَى فَصُولٍ ، أَعْطَى لِكُلِّ فَصْلٍ عِنْوَانًا عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِّ : سَعْدِيَاتٌ — فِي رَبْوَةِ الْوَطَنِ — عَرَبِيَاتٌ — حَضَارَةٌ — الْغَزَلِيَاتٌ — نَحْيَاتٌ — الْوَصْفُ — أَنَاسِيدٌ .

وَالْعَقِيلِيُّ شَاعِرٌ مُعْرُوفٌ بَيْنِ شَعَرَاءِ الْمُلْكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعْدِيَّةِ بِشِعْرِهِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُشْرِقِيِّ الْأَنَاصِعِ ، الَّذِي يَغْلِبُ الْاِلْتَزَامُ بِتَصْوِيرِ الْمَعْانِي السَّامِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مِنْ نَفْسِ مُؤْمِنَةٍ مُفْعُمَةٍ بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ ، وَالْأَخْلَاصِ الْمُلْمَسِينِ ، وَالْوَقَاءِ لَوْطَنِهِ وَالْقَائِمِينَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ شَعَرَاءِ الْجَنُوبِ الَّذِينَ كَانُوا هُمْ دُورٌ كَبِيرٌ فِي مَدْرَسَةِ التَّجَدِيدِ الْأَخْفَاظِ ، يَقُولُ الْأَسْتَاذُ حَمْدُ الْجَاسِرُ :

« وَلَكُنْ إِذَا قَصَدَ بِالشِّعْرِ التَّعْبِيرَ عَنِ الْمَعْانِي السَّامِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ الْبَيْلَةِ وَالْإِصْفَافِ بِهَا ، فَفِي شِعْرِ الْعَقِيلِيِّ مَا يَعْرُفُ عَنْ عَمَقِ إِيمَانِهِ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَصَدِيقُ إِحْلَاصِ ، وَوَقَاءُ لَأْمَنهِ وَوَطَنِهِ ، وَصَادِقُ لَوَاءِ لَمَنْ لَا يَلْهُمُ اللَّهُ أَمْرَ هَذِهِ الْبَلَادِ لَوَاءِ قَائِمَا عَلَى الْخَمْيَةِ الْخَالِصَةِ ... وَلِعَلِّ نَظَرَةِ الْعَقِيلِيِّ إِلَى الشِّعْرِ تَفَقَّدَ مَعَ نَظَرَتِهِ إِلَى الْأَدْبِ ... وَمِنْ ثُمَّ يَصْحُ القَوْلُ بِأَنَّهُ يَرِيُ الشِّعْرَ مَا عَبَرَ عَنْ كَرِيمِ الْخَلَالِ ، وَأَبْرَزَ بِمَحَالِ الْحَسْنِ وَقَوْمِ مَعْوِجِ الْخَلْقِ سِيرَا عَلَى أَنَّ الْغَيَايَاتِ — لَا الْوَسَائِلِ — هِيَ أُولَى مَا يَجِبُ أَنْ يَعْنِيَ بِهِ وَيَتَجَهُ إِلَيْهِ وَلَا شَيْءٌ سَوْيَ ذَلِكَ »^(١) .

وَالشَّاعِرُ الْعَقِيلِيُّ تَنَاهَى فِي (الْأَنْغَامِ الْمُضَيَّةِ) أَكْثَرَ الْأَغْرَاضِ الْأَدِيَّةِ الَّتِي سَيَطَرَتْ عَلَى الشِّعْرِ فِي الْجَنُوبِ ، وَسَنُوَضِّحُ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ وَخَصَائِصُهَا الْفَنِيَّةِ فِي الْمَوْضِعِ وَالْمَعْانِي وَالْأَلْفَاظِ وَالْأَسَابِيبِ وَالْخَيَالِ وَصُورَهِ الْأَدِيَّةِ وَالْمُوسِيقِيِّ الشَّعْرِيِّ وَغَيْرُهَا مِنَ الْقِيمِ الْفَنِيَّةِ فِي الْعَمَلِ الْأَدِيِّ .



(١) الأَنْغَامُ الْمُضَيَّةُ : حَمْدُ الْجَاسِرُ ص ٧

التصوير الأدبي للأغراض الأدبية

أولاً — المدح وخصائص التصوير الأدبي :

تناول الشاعر العقيلي في ديوانه غرض المدح في قصائد كثيرة ذكرها في موطنين : أحدهما : تحت عنوان (السعوديات) وتشمل هذه القصائد قصيدة (على صهوات الجو ص ١٣) ، وقصيدة (تألقت في سماء الشرق ص ١٨) ، وقصيدة (عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٣) ، وقصيدة (يوم على صفحة التاريخ ص ٢٧) ، وقصيدة (باقة شعر ص ٣٠) ، وقصيدة (موكب الناج ص ٣٥) ، وقصيدة (نعية الناج ص ٣٨) ، وقصيدة (في سنا تاجه وصوبلانه ص ٤٠) ، وقصيدة (لث الود ص ٤٣) ، وقصيدة (أبو الشعب ص ٤٦) ، وقصيدة (الفرحة الكبرى ص ٤٨) ، وقصيدة (تلاؤ الحق ص ٤٩) ، وقصيدة (يا ابن عبد العزيز ص ٥١) .

ثانيهما : تحت عنوان (تحيات) ويضم هذه القصائد وهي : (حي الشباب ص ١٢٣) يحيى شباب مدرسة جازان عام ١٣٦٨ هـ ، وقصيدة (نعية الجيش ص ١٢٥) ، وقصيدة (عين من أخلد ص ١٢٧) ، وهي عين ماء جازان ، وقصيدة (قصر الأمارة في جازان ص ١٣١) ، بمناسبة اضاءة القصر بتور الكهرباء ، وقصيدة (نعية الشعر ص ١٣٦) قالها العقيلي في تكريم الأستاذ الشاعر عبد الله بن خميس يمدحه في جازان بتاريخ ١٣٨٨/١٠/٢ هـ ، وقصيدة (زهرة ص ١٣٨) يمدح بها الشاعر الأستاذ حسين سرحان .

يقول العقيلي في إحدى قصائده التي يمدح فيها صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم ،
ومطلعها :^(١)

شذى يتعالى بالتجلة أو شدوا
ورن بها جازان علوية الشذى
سماوية الأنفاس وقدسية النجوى
طا ومضات البرق في كل مطلع
سطوعاً وصوت الرعد مرتجزاً دوى
 وأنسام أزهار الفرداديس نفحـة

(١) الأنجام المصيـة : ص ٤٦/٤٣

إلى قوله :

طلعت بعهد عقري طرازه
مواسم للإصلاح في كل مرفق
مضت لم تشاهدنا الجزيرة أو ترى
أعياد أعمال تفوق الوري شاؤاً
تطاول أمجاد أوراق الدنا صفوها
ها في تقضى عهد سالفها صنوا
إلى أن يقول :

لـك الـود مـنـا خـالـصـا لـا يـشـوـبـه
يـمـجـدـ فـيـكـ الـفـكـرـ رـيـانـ مـشـرقـاـ
وـيـكـبـرـ فـيـكـ الـعـقـلـ وـالـخـلـقـ الـأـقـوىـ
وـعـزـمـاـ لـإـنـاهـضـ الـبـلـادـ بـهـمـةـ
(ـسـعـودـيـةـ)ـ التـصـمـيمـ (ـنـجـديـةـ)ـ الـعـزـوـيـ

وهكذا يسير المدح على المنط من المدائح ، التي تقوم على استقلال القصيدة على غرض واحد من المطلع ، حتى نهاية القصيدة بلا تعدد في الأغراض ، وهذا منهاج في القصيدة ، يخالف منهاج القدماء فيها ، حيث تعددت فيها الأغراض كما هو معروف في الشعر العربي القديم .

ومن الخصائص الفنية في مطالعه أنه يشرك الطبيعة في الاتساع بالمدح فهو تغني معه بالثناء على المدح والحفاوة به ، وذلك في الأبيات الأولى من القصيدة .

وكذلك فالقصيدة التي معنا تعتمد على ذكر الصفات الخاصة بشخص الملك فيصل المعظم ؛ فهو عقري جند نفسه لاصلاح بلاده ، وسمت أعماله فيها إلى درجة التمجيد والبهجة

والسرور مثل بهجة الأعياد ، وقد سبق سلفه فيها تقدماً ورقياً . كما يتصرف أيضاً بالفكر العميق المشعر ، والعقل الكبير ، والخلق القوي ، والعنم الشديد لإنهاض بلاده بهمة اشتهرت بها الأسرة السعودية ، وتصميم نجدى في المضاء والإنجاز .

وذلك صفات شخصية يمدح بها الملك لا يبعدي أثرها إنهاض المملكة العربية السعودية ذلك الوطن العربي السعودي فقط ، ولذلك أدخلت هذه القصيدة في غرض المدح .

أما التصوير الأدبي عند الشاعر في المدح فقد امتازت الألفاظ والأساليب بالجرارة والفصاحة ، والأسلوب بالوضوح والسلامة من الخطأ ، وإن كنت أرى أن بعض الأساليب تجد قلقاً في مكانها من البيت بلا احكام قوى في التركيب مثل قوله : (وأعياد أعمال تفوق الوري شاؤاً) والمعنى وأعمال سارة كالأعياد البهيج ، ولكن هذا المراد من العسير اخراجه بسرعة من هذا الأسلوب وهو أعياد أعمال .

والتصوير الأدبي يعتمد على العقل والتفكير أكثر من اعتماده على الخيال بتصوره البينية ، ومن التعبير العقلاني الحقيقي قوله (لا يشوبه رباء ولا ينثاث بالريف والدعوى) فالشوب والريف

والدعوى تعبيرات عقلية لا خيالية ، وحين تنالق صورة خيالية عنده مثل (شذى يتعالى بالتجلة) نعم فيها بالجمود لا الحركة والمحورية فالشذى يتضوّع أو ينساب أو يعيق أو يسمو ، ولا يتعالى بالتجلة ، فليس ذلك ماؤلغاً مع الشذى .

وأما الموسيقى الشعرية فالشاعر ملتزم بالعمود الشعري والقالب الخليلي من المحافظة على الحرف والقافية.

ثانياً - الشعر الوطني، وخصائصه الفنية:

و لهذا الغرض في الديوان تحت عنوان (في ربوع الوطن) وضم قصائد وهي : قصيدة المشاعر المقدسة ص ٥٥) ، وقصيدة (الجزيرة العربية ص ٥٨) ، وقصيدة (جازان ص ٦١) ، وقصيدة (صبيا ص ٦٤) ، وقصيدة (جبل فيفا ص ٦٦) ، وقصيدة (البلاد العربية ص ٦٨) ، وقصيدة (بين جمال الطبيعة وجلال البحر ص ٧١) ، يقول العقيل في قصيدة (الجزيرة العربية)^(١) :

شبـة الجـيرـة منـعـة وإـيـاء
وـفـضـاء أـرـض قـدـ تـأـلـقـ وـازـدـهـيـ
أـرـزوـ إـلـيـكـ فـأـسـتـشـفـ جـالـهـ
أـعـزـ بـالـمـاضـيـ الـعـظـيمـ وـأـنـتـشـيـ
أـرـضاـ عـلـىـ التـارـيخـ مـنـ أـمـجـادـهـاـ
خـفـقـتـ بـأـعـلـامـ الـفـتوـحـ فـحـدـثـتـ
حـلـمـتـ مـصـابـحـ الـحـضـارـةـ لـلـلـوـرـيـ
تـوـسـدـيـنـ ذـرـاعـ أـحـرـ زـاحـرـ
مـتـلـلـئـ الـأـلـوـاجـ فـرـأـدـ الـضـحـيـ
بـرـتـادـ مـنـ الـلـحـظـ أـضـفـيـ زـرـقةـ
وـحـىـ الـعـروـيـةـ مـنـبـراـ وـلـوـاءـ
أـفـقاـ يـشـعـ رـسـالـةـ وـهـنـاءـ
شـاءـ تـوـحـىـ الـعـرـزـ الـقـسـاءـ
أـمـلاـ بـاتـ يـفـرعـ الـجـوزـاءـ
عـبـقـ يـوـدـهـ الـزـمـانـ ثـنـاءـ
أـمـاـ وـعـمـتـ الـوـجـودـ رـخـاءـ
تـبـنـىـ الشـعـوبـ وـتـشـرـ الـآـراءـ
كـالـتـرـ ذـوـاـ وـالـشـعـاعـ رـوـاءـ
مـتـأـلـئـ ضـافـ الـجـلـالـ مـسـاءـ
مـنـ (ـالـزـورـدـ) يـغـمـ الـأـحـاءـ

الآراء قوله:

حي الخليج وهي بحراً ماؤه در على وجهه الحضم ترائي حيث المعادن والكنوز دفينه والزيت منجس العيون سخاء وهكذا إلى آخر القصيدة ، التي يحدد معالم وطنه العزيز والمقدى ويوضع حدود الجزيرة ،

٦١/٥٨ ص ، الألغام المضيئة :

وهي البحر الأخر الراخر بالبر والشعاع المتألق ، والمحيط في الجنوب ، والخليج العرف ، الذى فاض بكتوزه ، ومعادنه الشمينة ، وتفجر البرول من أحشائه فعم التلاء في الوطن وسادت حضارته قديماً وحديثاً .

والقصيدة هنا وغيرها من القصائد في هذا الغرض تقوم على غرض واحد فقط ، تدور معانيه حول موضوعه ، كما هو واضح من قصيدة الجريدة العربية ، فاتجهت عناصر القصيدة ومعانها وخواطر الشاعر في الموضوع وتلك هي الوحدة الموضوعية التي التزمها الشاعر في أغراضه الأدبية .

والآلفاظ والأساليب جاءت هنا جزلة قوية عذبة ، والتراكيب محكمة قوية رصينة ، وأما الخيال كان عميقاً ، وما زالت الحبيبات العقلية تستحوذ على شعره مثل لفظ (حيث) ليس من حقل الشعر ، وإنما هو من آلفاظ العقل والأسلوب العلمي لا الأدبي .

ثالثاً — الشعر الاسلامي وخصائصه الفنية :

تناول العقيلي هذا الغرض الأدبي تحت عنوان (عربات) ويشتمل على قصائد هي : قصيدة (هزوا اللواء ص ٧٥) ، وقصيدة (تحية الأقطاب الكبار ص ٧٩) ، وقصيدة (يوم الجزائر في جيزان ص ٨٢) بمناسبة استقلال الجزائر ، يقول العقيلي في (تحية الأقطاب الكبار) بمناسبة الاجتماع التأريخي في جدة عام ١٣٧٤ هـ لأقطاب العالم العربي الكبار^(١) :

روعة الفتح وشاع الجلال
ورزا التاريخ في ذروته
وخطا خطوة جبار إلى
هتفت أصواته قاصفة
أى روح أيقظهما فسمت
نفثوا في كل صفع قوة
فأقضوا مضجع البغي على
في الجنوب الحر في الأدن في الد
لم يفق من غشية المول على
خطط محكمة التدبير في

قد أعادوها على أسمى مثال
ساطعاً والشرق وهاج الحال
ساحة العز وأجواء الكمال
تملاً الدنيا بأمجاد الفعال
تلعب الشرق حماساً واشتعال
للكفاح الحر في دنيا النضال
قدم العهد وإفساح المجال
مغرب الأقصى وفي سوح القتال
صفعة إلا وأخرى في القذار
سرعة التنفيذ من جد النضال

(١) الأنعام المضيفة : ٨٢/٧٩

إلى قوله :

وثبة عظمى إلى أسمى مجال
وينوا صرح العلا سامي الشال
واحتفى العرب به أى احتفال
فيض أصواته (شموس) وجلال
منهج الرأى وميدان القتال
عمق المجد ولاء الخصال
وططن الأكبر أرواحاً ومال
كرم الأهداف لا حلف الضلال
ناصع التاريخ في أزكى الحال
يشبت الذات على أسمى مثال
في صراع الكون إن جد النضال
وارتعاشات بها التاريخ صالح
هزت الأمة لأجيال طوال

حيوا أقطاباً كباراً وثموا
دعمنا الوحدة من أساسها
في اجتماع وجه الغرب له
أطلع الشرق بهم في أفقه
سادة من أعظم القيادة في
يُنصح الأخلاص من أعطافهم
نذرنا الأنفس للندود عن الـ
وبناء الوحدة الكبرى على
مستمددين على إخلاصهم
إليها التيبة العظمى من
وبناء لوحـود صادق
وانتفاضات حياة حرة
هرت الأمة من أطرافها

إلى قوله :

شهدت مكة في ساحتها
تحقق الأعلام نشوء عزة
وتميد الأرض فخراً والجلال
شموس الغر من يعرب قد
الأبيات كلها تدور حول الغرض منها وهو وحدة الأمة الإسلامية في كفاحها ضد
أعدائها ، فأقضوا مضاجع البغاء وارتجف الغرب ، في تصوير أدى يقوم على ألفاظ جزلة وكلمات
فخمة ، وأسلوب قوى ، أحکم صنته ، وعاطفة صادقة مشبوبة ، ومشاعر حية نابضة ، لكن
لا أدرى كيف يُنصح الأخلاص من الأعطاف ؟

أما الموسيقى الشعرية في القصيدة فلا تناسب مع الحماسة في الغرض ، الذي يقوم على
حفر همم القادة ، والأمة العربية ضد الغرب أداء الإسلام والعربية ، وهذه الحماسة تقضى بحراً
كثير التفاعيل ، وقد كان هذا على نحو ما ، لكن الذي لم يكن الإيقاع المناسب للغرض ،
فالحماسة تقضى إيقاعاً عنيفاً يتصف بالحمل ، وموسيقى داخلية ثائرة تفجر بركاناً مليئاً ،
والعنف والعاصفة ، والثورة والبركان تتناق مع كلية حروف اللين والمدات في داخل الأبيات ، التي
تحدث رخاوة وهدوءاً وبطأً وامتداداً ، انظر إلى حروف اللين في البيت في أصواتها الرخية التي
تحتاج إلى نفس طويل لا أنفاس حماسية متتابعة مما يجعل اللسان يتغير في النطق بهما بما لا

يتناسب مع السرعة في الحماسة فمثلاً في البيت الأول فيه (شاع الحال — أعادوها على — أسمى — مثال) ثمان مدادات في بيت واحد ، وفي البيت الثاني (رنا — التاريخ — في — ساطعاً — وهاج — الحال) سبع مدادات بالإضافة إلى تغير اللسان بشذتين في التاريخ وفي وهاج ، مما يزيد الشاقق والبطء وهكذا في كل الأبيات حتى نهاية القصيدة وكان الأولى بالشاعر تبعاً للحماسة أن يستبدل كلمات يجعل السكون فيها محل حروف اللين وكلاهما واحد في مقاييس التفعيلة والوزن ولكنهما مختلفان في الایقاع المناسب للغرض فاللين يتناسب مع الأغراض التي تحتاج إلى تأمل وطول نفس كالرثاء والاعتذار وشعر الوجدان أما التسكين لما فيه من القطع والعنف لا الرخوة والامتداد يتناسب مع الحماسة والمدح والفخر ، وأغراض القوة كلها .

وكذلك كان الأمر في القافية ، فقد أدخل حرف اللين مما يبني أن يكون في الحماسة من القوة والدققة العنيفة التي لا تتأقى من حرف اللين في القافية وإنما يوحى بها السكون الذي يحيط الأصوات ولا يحيط فيه ، وإذا أعدنا النظر إلى القافية كلها لكان الأمر كذلك مثل (مثال — الحال — الكمال .. الخ) .

رابعاً — شعر الحضارة وخصائصه الفنية :

وجاء هذا الغرض في الديوان تحت عنوان (في الحضارة) وتشتمل على قصائد ، منها قصيدة (برسى شيلى ص ٨٩) وهو من أشهر شعراء الانجليز ١٧٩٢ ، ١٨٢٢ م ومن دواوينه (أدوبس) ومن أشهر كتبه (ثورة الاسلام) ومطلعها^(١) :

روح على الفن من إشعاعه ألق يلوح في مضات الفكر يأتلق
وشعلة من ذكاء ظل يلهبها قلب غدا بأوار الحب يحرق
وقصيدة (قمة افرست ص ٩٢) بمناسبة اكتشاف القمة الخالدة ، وقصيدة (القبلة
الذرية) ومطلعها^(٢) :

صدى نبا قد ردته الجوانب وسر اكتشاف حققه التجارب
أصاحت له الأفلak والدهر واجف وحارث له الأفكار والكون واجب
به رجحت للسلم في الكون كفة وأدرك أسمى غاية النصر غال
قوى طاقة النز الذى فى اكتشافها تحقق من أسمى المطامع جانب
قوى لو بها راموا البناء أحدثت أموراً تعم الكون منها الغرائب

(١) الأنقام المضيئة : ٩٢/٨٩

(٢) الديوان : ٩٨/٩٣

قوى من شعاع لا تقاوم إذا بدت
 إذا فجروها غيم الجو فجأة
 وأظلم فرس الشمس وامتنع الضحى
 ودوى انفجار ترجم الأرض رهبة
 أمن (ذرة) لا تبصر العين جرمها
 هباء من الأجرام طار مفرقا
 تنوول قوى حصادة أنفس الورى
 تضاءل عنها الكهرباء وسرها
 وسوجب تيارتها والسوال

إلى قوله :

أفق العدل أم في العرف أم أى شرعة
 ترى يستجاز الظلم في حق أمة
 سالمة أخذت عليها النوايب
 ويقضى على حق الليوث بذلة لتحسى على أوطانهن الشعالي
 ومن شعر الحضارة قصيدة (باكستان ص ٩٨) قالها العقيل حين زار الملك فيصل
 باكستان عام ١٣٨٨ هـ ، ومنها قصيدة (ديجول ص ١٠١) الرئيس الفرنسي في ذي الحجة
 عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة (الحياة) للشاعر الانجليزي (رسكن) عام ١٣٨٨ هـ .

ومن خصائص شعر الحضارة عند العقيل أن موضوعاته متعددة فنارة يصور في شعره
 العربي أدب الحضارة والرق في إنجلترا ، وحضارة الإسلام التي فرضت وجودها كحقيقة مقررة
 على أعداء الإسلام وذلك في قصidته (برسى شيل) الشاعر الانجليزي الفذ الذي سجل حضارة
 الإسلام في كتابه (ثورة الإسلام) وهذا يدل على سعة ثقافة شاعرنا العقيل . وكذلك الأمر
 بالنسبة للشاعر الانجليزي (رسكن) .

ونارة يصور في شعره الحضارة المادية العلمية في عصر التقدم النزري وذلك في قصidته
 (القبيلة الذرية) فيرى أنها ستكون من دوافع السلم لا الحرب ، بل ينبغي أن تستخدم الطاقة
 الذرية في تقدم الأمم وحضارتها لا في دمار الحروب والقضاء على التقدم البشري لأنها في ذاتها تقدم
 علمي حضاري فكيف تستخدم في التدمير والإرهاب .

ونارة يصور في شعره حضارة الإسلام في باكستان التي أوجبت على زعماء الأمة الإسلامية
 أن يتعاونوا ويفعلوا صفا واحدا ضد أعدائهم ، وهذه الروح الوثابة تبدو في أسمى مظاهرها حين
 التقى الملك فيصل رحمه الله تعالى بالأمة الإسلامية في باكستان ليوثق هذه الروابط الإسلامية
 العالمية ، وذلك في قصيدة (باكستان) .

ونارة يصور في شعره الحضارة الغربية البناءة في شخصية زعيم من زعمائها (ديجول)
 الرئيس الفرنسي الذي أعلن شعار الإسلام في هذا العصر ، فقد انتهى عصر الحروب

والاستعمار والظلم والاستبداد بالشعوب الضعيفة ، والانسان اليوم في أشد الحاجة إلى بناء الحياة على أساس السلام والتقدم والرفاهية وترسيخ الحضارة العلمية التي تسمو بالأمم وتحقق للانسان حريته واستقراره وتزفف عليه السعادة والرفاهية ، وذلك في قصيدة (ديجول) الذي أنسدتها العقيلي في ذي الحجة عام ١٣٨٨ هـ .

وتلك التجارب الشعرية تدل على سعة ثقافة الشاعر العقيلي واهتمامه بقضايا الانسان بصفة عامة ، ومواكبة الحضارة والرق البشري في أي موقع من موقع الانسان في العالم ، والدقة في اختيار الموضوعات تدل على ذكاء الشاعر وعمقه ، وإدراكه الواعي والدقيق للقضايا التي تبني عليها حضارة الانسان في العصر الحديث .

والتصویر الأدبي في شعر الحضارة جديد في صورة الخيالية البدعة من حيث المضمون وخصوصية الخيال وروعته فالقبيلة الذرية اكتشاف علمي جديد يقتضى من الشاعر خيالاً واسعاً وخصوصاً عميقاً ، يستمد التصویر الأدبي رواقه القوية من خصوصيته وعمقه .

والإيقاع الموسيقي هنا يتلام مع الغرض فكان رافداً قوياً من روافد الابداع في التصویر الأدبي وقوة الإيقاع في القصيدة ترجع إلى تناسب حروف اللين الكثيرة مع التروي والتأمل وطول النظر في مجال العلم وساحة البحث والتفكير .

وقد يصور الشاعر الحضارة العربية في الوطن السعودي من خلال التقدم في الفكر والعلم في هذا البلد الأمين ، وذلك حينما يمدح رائداً من رواد الفكر والعلم والأدب والنقد وهو الأستاذ حمد الجاسر يصور ذلك كله في قصيده (يا ومضة الفكر) يهدّيها إلى عالمة الجزيزة حمد الجاسر في ٢٤/٧/١٣٩٠ هـ (١) ومطلعها :

يا قمة شامخة في الذرى وكوكباً بين مسار الخلود
ومضمة للفكر وهاجنة تضيء في العصر ضياء البدور
وفيض علم راخر دافق مستفحلاً التيار طامئ المددود
شموخك اليكر سنّا روعة علوية من نجوات الحدود

يا قلماً كالبراق في ومضة ورعشة النجم وسحر المساء
كالجدول المنساب في رقة وكالأنصار عاصف الهواء
يعطى الضاد بأمجاده في العلم والبحث وكشف الخفاء
 يستطيع الآثار مستلهماً روائع التاريخ فيها مضاء

(١) الأنقام المضيئة : ١٣٣/١٣٥

إلى قوله :

من رادة العلم ورواده
ومن حداه العلم في كل ناد
من عشر حيائهم منجم
ثر يمد الفكر منه امتداد
تراث علم خالد في السورى
وارث فن نوره في اتقان
ونبع خير وجمال سمت
بها نفوس وتعالت بلاد

* * *

إليك أستاذى صدى نعمة
من قمم الإلهام تستنطق
لتفحها الأرواح تستنشق
تبقى على الآماد في نصرة
يشع من لأنها رونق
قد رسمت لكم فيها سيرة
وضيافة أو خلق مشرق
وتقوم هذه القصيدة في قالبها الموسيقى على نظام المقطوعات وهو خروج مخافظ .

خامساً - شعر الوجдан وخصائصه الفنية :

تناول العقيل هذا الغرض في ديوانه تحت عنوان (الغزليات) ، وتشمل قصيدة (الغرام الأول ص ١٠٩) وهي أول قصيدة للشاعر في عام ١٣٥٩ هـ ، وقصيدة (نظرة في الفسق ص ١١١) في عام ١٣٦٠ هـ ، وقصيدة (كنت يا دار ص ١١٢) ، وقصيدة (على ضفاف فوار انطلياس ص ١١٥) أنشدها العقيل في لبنان وهو يعالج ، وكان في صحبته صديقه الأستاذ محمد الجاسر ، وقصيدة (الباخرة العربية كليوباترا ص ١١٨) .

يقول العقيل في (كنت يا دار) حين مر على دار غرامه الأول فشجاه دثورها ، فأنشدها وأهداها إلى السيد محمد عقيل بن أحمد ومطلعها^(١) :

كنت يا دار على رغم البلى
هيكل الحب وغراب الموى
حرما للحسن قد شع على
ساحة الطهر وقد حام السنما

* * *

(١) الأنقام المضية : ١١٥/١١٢

طالما رفت قلوب وهلت
مهج صوتك في جنح الظلام
حومت خفاقة تمنعها
هيء الوجد ويسديها الغرام

* * *

كان مصباحك قبلًا نابضا
وعياعا في الدياجى يهتف
إذا لأنأ في أفق الدجى
دنت الأرواح منه تلهف

* * *

تملاك لحظ عربدت
تحسى حستك سكري لا تقيق
غرقت في نشوة الحب وقد
طاف جام الحسن يطفو بالرحيق

* * *

فلك أنت الشمس أفتلت
طالما شعت على تلك الخدور
حجب الموت سناها فهوت
وكذا تغرب في الأفق البدور

هكذا وردت القصيدة في الديوان مقطعة الأبيات إلى شطرات كل مقطعة بيتان متثورة في
أربع شطرات ، والمقطع متحد القافية و مختلف فيها مع بقية المقطعات الأخرى ، وهذا أقصى
ما يخرج فيه الشاعر على القالب الموسيقى العمودي ، وخروجه في القافية لا في الوزن والبحر
حيث التزمه في شعره كله . وتخيل أن الشاعر بهذا التفتيت للأبيات والتفرق فيها يريد أن يضفي
على المقطعات هيلمانا أكبر ليكون المقطع في أربعة أسطر لا في بيتن على سطرين ، ولا أظن أن
الشاعر يريد أن ينهج طريق شراء التفعيلة في اكتنال المسافة في السطور والاطنان من غير داع في
كتفتها . لأن الشاعر معند بمدرسته المحافظة على شكل القصيدة ومنهجها الموسيقى .

والتصوير الأدلى في القصيدة بناء فنى قوى يستمد قوته من العاطفة المشبوبة ، والشاعر
العميقه المتدققة ، والألفاظ الرقيقة العذبة ، والأسلوب السهل المناسب ، والخيال القوى
الخصب ، والموسيقى الممتدة الجذابة . فالدار الدثورة لا زالت هيكل الحب ومحراب الحوى ومحى

للحسن ، وساحة للطهر ، ترف حوطها القلوب خفاقة يُوججها الشوق ، ومنعها هيبة الوجود ، مصباحها قلب نابض يهتف شعاعها بالحياة فستجيب لها الأرواح في لففة وشوق ، تعود إلى الماضي والذكريات وإذا بالحقيقة ضاعت بين الدثور والغرام قد انطوى في الغيوب ، واحتفي في الخذور ، وهكذا الشأن في البدور حينما يلفها الأفق وراء الغروب .. صور خيالية رائعة تعد أروع الصور في شعر العقيل .. حيوية وحركة وقوة وتأثيرا .

وهكذا يمضى الشاعر في الشعر الوجداني وهو من أقوى الأغراض الأدبية في ديوان الشاعر من حيث التجربة الشعرية الصادقة والعاطفة المشبوبة والمشاعر الحارة المتداضة ، والروعة في التصوير الأدبي وخصوصية الخيال ، في صورة الأدبية النابضة البدية .

سادساً — الوصف وخصائصه الفنية :

و جاء هذا الغرض بعنوان (الوصف) وتشتمل على قصيدتين الأولى قصيدة (كراج النحل ص ١٣٩) والثانية قصيدة (قلم ص ١٤٠) ومطلعها :^(١)

هنا قلم شخت الشباء تحيل به الفن يسمو والبيان يصل
ترشف أضواء الكواكب واثنتي يداعب ومض البرق وهو صقيل
بحوم بأفاق الخيال ملائماً ويمرح في دنيا الهوى ويقبل
ويدع في تصوير آلوان شعره ظلالاً وأضواء تكاد تجول
خطوط من الإلام في الشعر صورت عواطف تسمو بالخجا ومبول
ها من جلال الفن ما يبرر النبي جلاً ومن زهو الحياة دليل
ها روعة الليل البهيم إذا دجى ومن بهجة الصبح المبين شكول

وهكذا إلى آخر القصيدة يصور فيها القلم يصف شكله ودوره في جودة الخط وجمال التصوير ، وما يصلح فيه العلم والبيان الذي تبدد أنواره ظلام الجهل مثل الكواكب التي تبدد الظلام ومض البرق وسط الغيم ، كما يخلق مع الخيال ويسجل أحاديث الهوى وشجون الحسين ، ويدفع الشعر آلواناً وظللاً فيسير بين الناس ينقل إليهم عواطف الشعرا وخواطرهم وموتهم فإذا أخذ بالعقل ومستولى على القلوب بجلاله وسحر فنه ويؤثر الروعة في الليل البهيم ، وينشر البهجة في الصبح المنير ، وغير ذلك من معانٍ القصيدة وأفكارها العميقـة في صور أدبية رائعة وخيال عميق ، وألفاظ عذبة رقيقة ، وأسلوب واضح محكم لا قلق فيه ولا اضطراب يلتزم فيه بخصائص مدرسة التجديد الحافظ على منهج القصيدة العربية القدمة .

(١) الألغام المضيئة : ١٤٣/١٤٠

سابعاً - الأناشيد :

ويشمل هذا الغرض نشيدين : أحدهما (نشيد المملكة العربية السعودية ص ١٤٣) ،
و الثانيهما نشيد (أبناء الجزيرة العربية ص ١٤٥) ومطلعه^(١)

نَحْنُ أَبْنَاءُ الْجَزِيرَةِ
أَمْجَدُ الْأَحْيَاءِ فِي التَّارِيخِ سَيِّدُ

نَحْنُ نَسْمُو لِلْمَعَالِ
نَحْنُ نَسْعَى لِلصَّلَاحِ

نَحْنُ أَصْلُ الْعَرَبِ فِي كُلِّ الْبَلَادِ
رَانَا صَفْوَةُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ

إِنَّهُ سَامِيُّ الْفَعَالِ
خَيْرُ دَاعٍ لِلْفَلَاحِ

وهكذا إلى آخر النشيد في خفة وزن وحلوء أسلوب وشرف المعنى وسمو الهدف ، وجمال
التصوير ، ليدل على أن العقيلي يستطيع بملكته الشعرية أن يتناول كل الأغراض في شعره يتناول
القصيدة ، والمقطوعات الغنائية الخفيفة مع فصاحتها وسلامة الأعراب فيها .



(١) الأَنْعَامُ الْمُضْيَةُ : ١٤٥

الفصل الرابع

الشاعر زاہر عواض الالمعی

- ١- نسأة الشاعر وهمياته .
 - ٢- الأغراض الشعرية وخصائصها الفنية .
 - ٣- التجربة السعودية .
 - ٤- المناسبات في الشعر .
 - ٥- الصفت الفنية .
 - ٦- الألغااظ والأسراليبي .
 - ٧- الخيال وصوره الجزئية .
 - ٨- الوحدة الفنية في شعر الاهر .

—

—

—

—

نشأة الشاعر وحياته

هو الشاعر الدكتور زاهر عواض الألعنى ، من مدينة (رجال ألمع) في الجنوب ولد عام (١٣٥٣ هـ) .

وفي مقتبل شبابه انخرط جندياً في سلك الخدمة العسكرية (بجازان) عام (١٣٧١ هـ) ، ومن خلال عمله كان يواصل دراسته عند بعض المشايخ في جازان ، وخاصة بعد فراغه من العمل اليومي .

وفي عام (١٣٧٦ هـ) استقال من الجنديية ، ليتحقق بمعهد (شقراء العلمي) ليكون طالباً فيه عام (١٣٧٧ هـ) .

وبعد أن استكمل دراسته في المعهد العلمي التحق بكلية (العلوم الشرعية) بالرياض .
وحيثما تخرج من الكلية انتدب للتدريس (بمعهد أنها العلمي) في عام (١٣٨٩ هـ) ، ثم ارتقى مديراً (لمعهد نجران العلمي) في عام (١٣٨٥ هـ) .

وفي زحام الحياة والعمل حصل على (الليسانس) من (كلية الشريعة) بالرياض في عام (١٣٨٦ هـ) ثم (الماجستير) من كلية (أصول الدين) بجامعة الأزهر في عام (١٣٨٩ هـ) .

وبعد حصوله على (الماجستير) عين أستاذًا بكلية (العلوم الشرعية) خلال عامي (٩١ - ٩٢ هـ) ، وفي أثناء ذلك حصل على درجة (الدكتوراه) من كلية (أصول الدين) جامعة الأزهر .

وبعد حصوله على (الدكتوراه) تقلد منصب العمادة لشؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية .

والشاعر زاهر له مؤلفات مطبوعة وخطوظة : منها كتاب (مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزبنة بنت جحش) ، (مداخل الأصول الفقهية) ، (أصحاب الأحدود) ، (مناهج الحدل في القرآن الكريم)^(١) .

(١) انظر شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقبيل : ص ١٤ ، وديوان (الألعنات) التقديم

وَفِي عَامِ ١٣٩١ هـ) صُدِرَ لِهِ الْدِيْوَانُ الْأَوَّلُ (الْأَلْعَبَاتُ) فِي حَجْمٍ مُتَوْسِطٍ ، ١٥٦ صَفْحَةً ، طَبَعَ دَارُ الْقَلْمَنْ في بَيْرُوت ، وَقَدِمَ لَهُ الْأَسْتَاذُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الرَّفَاعِي . الطَّائِفُ فِي ١٣٩١/٦ هـ .

وَفِي عَامِ (١٤٠٠ هـ) صُدِرَ لِهِ الْدِيْوَانُ الثَّانِي (عَلَى درَبِ الْجَهَادِ) فِي حَجْمٍ مُتَوْسِطٍ ، ٢٢٠ صَفْحَةً ، مَطَابِعُ الْفَرَزِدِقِ التِّجَارِيَّةِ بِالْمُكَلَّكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ .

يَقُولُ الْأَسْتَاذُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الرَّفَاعِي فِي تَقْدِيمِ الشَّاعِرِ : صَاحِبُ هَذَا الْدِيْوَانِ عَصَامِيَّةً مُتَجَدِّدةً ، بِدَأْ حَيَاتَهُ مِنْ أَوْلَى درَجَاتِ السَّلْمِ ، ثُمَّ أَخْدَى يَتَدَرَّجُ صَعْدَاهُ كَلِمَا ارْتَقَى درَجَةً حَفْزَتَهُ نَفْسُهُ الْطَّمْوحُ إِلَى أَخْرَى أَعْلَى ، فَانْدَفَعَ وَفِي نَفْسِهِ مَضَاءً وَعَزْمًا وَمَاءِمَهُ هَدْفُ ، وَلَا أَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَرْجِمَةِ حَيَاتِهِ الْمُشَبَّثَةِ فِي هَذَا الْدِيْوَانِ فَهُوَ يَبْدِأُ حَيَاتَ الْكَفَاحِ جَنْدِيَّا فِي أَوْلَى سَلَمِ الْجَنْدِيَّةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْإِرْتِقاءِ لَا فِي سَلَمِ الْجَنْدِيَّةِ ، فَقَدْ غَادَرَهَا إِلَى حَيَاتِ الْتَّعْلِمِ وَالْعَلِيَّمِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْقَدْ رُوحَ الْجَنْدِيِّ عَزِيزَةً وَتَصْمِيمًا وَتَطْلُعًا إِلَى مَرْتَبَةِ أَعْلَى^(١) .

وَيَقُولُ الشَّاعِرُ فِي تَصْدِيرِ الْدِيْوَانِ الثَّانِي : هَذَا هُوَ دِيْوَانُ الثَّانِي يَضْمِنُ بَيْنَ دَفَّيْهِ عَشْرَينَ قَصْصِيَّةً حَرْفَهَا نِبْضُ قَلْبٍ يَعْتَصِرُهُ الْآمُّ لِمَا عَلَيْهِ حَالُ أَمْمَتَنَا الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَمَعَانِيهَا وَمَضَى فَكْرُ تَؤْرِفَهُ هُمُومُ الْأَجِيَالِ الْمُسْلِمَةِ الَّتِي تَرْنُوا إِلَى تَحْرِيرِ أَرْضِ الْإِسْلَامِ مِنْ قَبْضَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَتَطْبِيقِ شَرْعِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَرْجَاءِ .. وَهِيَ فِي مَجْمُوعِهَا مَرَأَةٌ تَعْكِسُ مَا يَعْتَلِجُ فِي قُلُوبِ بَنِيِّ الْعَرَوَةِ وَالْإِسْلَامِ مِنْ آمَّ وَآمَالٍ . وَمَا تَطْلُعُ إِلَيْهِ أَجِيَالُهَا مِنْ حَسْنٍ مَآلٍ^(٢) .

(١) مقدمة ديوان الألعاب

(٢) على درب الجهاد : ص ٥

الأغراض الأدبية

تعددت الأغراض الأدبية في شعر زاهر ، وإن غلب على الديوان الثاني (على درب الجهاد) الشعر الإسلامي ، واحتل هذا الغرض مكان الصدارة من شعره كله ، ثم تأقى أغراض أخرى دونه من أهمها شعر القوميات والوطنيات ، وشعر الطبيعة ، والرثاء ، والمدح ، وشعر الحضارة .

وهذه الأغراض الأدبية ، منها ما هو قديم سبقه إليها الفحول من الشعراء القدماء ، ومنها الجديد ، الذي تجاوب به الشاعر مع قضايا عصره ، وعالمه الإسلامي والعربي ، أو كان الغرض صدى لواقع البيئة التي يعيشها الشاعر في عالمه المعاصر ، وسأوضح ذلك عند تناول كل غرض أدنى على حدة في مكانه باذن الله تعالى .

أولاً — الشعر الإسلامي :

هو الغرض الأدبي الغالب على فنه الأدبي ، وسيطر على عطاء الشاعر في كل مناسبة إسلامية ، أو قومية ، أو وطنية ، فالممناسبات كانت من أهم الدوافع ، التي جعلت الشاعر من الشعراء المتزمنين في الشعر السعودي خاصة والإسلامي بصفة عامة ، وهناك دافع آخر توقف عنده من وراء هذا الدافع وهي :

- ١ — روح الجندي والعسكرية ، التي بدأ بها حياته العملية قبل أن يكون طالبا للعلم ، فأحياناً في نفسه غريزة الحث على الجهاد في سبيل الإسلام والمسلمين .
- ٢ — حضور مؤتمرات الحجيج في مني وغيرها ، وخاصة في الحفل الذي يقيمه جلاله الملك سنوياً في « منى » فييتهز الشاعر هذه الفرصة ليعبر عن مشاعره الإسلامية في هذا الموكب العظيم ، الذي يفجر المشاعر عند كل مسلم ، وبمحرك الأحساس ، وبلهب العواطف الجياشة ، ويز الوجدان والضمير ، نحو التضحية والفداء في سبيل الإسلام والمسلمين .
- ٣ — تخصصه العلمي والعملي في حياته العملية ، فقد حصل على أعلى درجة علمية ، وهي « الدكتوراه » في الشريعة الإسلامية ، وعمل أستاذاً في كلية « العلوم الشرعية » ، ثم عميداً لشؤون المكتبات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٤ — التحدى السافر من تكاثف الصليبية المسيحية مع الصهيونية العالمية أعداء الإسلام

ضد المسلمين وعقيدتهم ، مما أدى إلى السيطرة على أراضيهم واستغلال أموالهم واحتلال القدس الشريف ، فانطلق الشاعر يبحث الأمة الإسلامية على التضامن في سبيل التحرير الكامل للقدس الشريف والأراضي الإسلامية العربية .

والشعر الإسلامي يضم هذه القصائد في ديوانه « الألبيات »^(١) منها قصيدة « مؤتمر الحج الأكبر ص ٣٣ ، ٣٨ » ألقاها الشاعر في الحفل السنوي الذي أقامه جلالة الملك فيصل ابن عبد العزيز ، تكريماً لحجاج بيت الله الحرام في « منى » ١٣٨٩/١٢/١١ هـ ، وقصيدة « من رحاب الله ص ٣٩ ، ٤٨ » أقيمت في الحفل السنوي الذي أقامه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز تكريماً لحجاج بيت الله الحرام « بمنى » في ١٣٩٠/١٢/١١ هـ ، وقصيدة « جحافل الحج ص ٥٤ ، ٥٦ » أقيمت في الحفل التقافي ، الذي أقيم في « معهد شقراء العلمي » في ١٣٧٨/٦/١٣ هـ ، وقصيدة « دولة الإسلام في ماضيها الحميد ص ٧٢ ، ٧٦ » ، أقيمت في حفل كبير « بمعهد أبها العلمي » في ١٣٨٤/٧/١٨ هـ .

أما قصيدة « من ريا أم القرى ص ٨٢ ، ٨٧ » ، أقيمت في الحفل السنوي الذي أقامه جلالة الملك « فيصل بن عبد العزيز » تكريماً لحجاج بيت الله الحرام في « منى » في ١٣٨٨/١٢/١١ هـ ، وقصيدة « نحبة المعهد ص ٩١ ، ٩٢ » أنشدها الشاعر عندما زار أحد المعاهد العلمية ، فأعجب بشبابه النابئين ، وليس فيهم الطموح ، فحيى المعهد بها ، وقصيدة « نحبة الإسلام ص ١٠٨ ، ١١٢ » أقيمت في حفل ثقافي كبير « بمعهد شقراء العلمي » حضره عدد من رجال التربية والتعليم ، وقصيدة « وحدة العرب ص ١٣١ ، ١٣٥ » ، أقيمت في حفل ثقافي كبير أقامه « معهد أبها العلمي » عام ١٣٨٣ هـ .

أما الشعر الإسلامي في ديوانه « على درب الجهاد »^(٢) فقد اشتمل على قصائد منها : قصيدة « عودي إلى درب الجهاد ص ٩ ، ١٧ » ألقاها الشاعر في « منى » عام ١٣٩٩ هـ ، يناشد فيها ليلاه العودة إلى أصالتها ، ويحذرها من كيد أعدائها المربصين بها ، ولا يرى لها انفكاكاً عن دينها ووحدتها ، لأنها معدن التضحية والقداء ، ويناشد المسلمين نبذ الفرقة والخلاف وتحرير المسجد الأقصى ؛ وقصيدة « في رحاب البيت ص ١٩ ، ٢٥ » أقيمت في موسم الحج « بمنى » لعام ١٣٩٤ هـ انطلاقاً لما يعيش في صدر الشاعر من حب لبيت الله الحرام تتجلى في وصف المشاعر المقدسة ومواكب الحجيج ؛ وقصيدة « مشاعر الأحلام ص ٢٧ ، ٣٧ » ألقاها الشاعر في مؤتمر الأدباء بمكة المكرمة عام ١٣٩٤ هـ بدأها بطلع غزو

(١) في كل صفحة منه ستة عشر بيتاً تقريباً

(٢) تضم الصفحة الواحدة خمسة أبيات تقريباً

عنيف ، ثم يشيد بالرسول الأعظم ورسالته الخالدة ، والقصيدة تعكس معانٍ الحب الصادقة في قلب الشاعر .

أما قصيدة « وحدة العرب ص ٣٩ ، ٤٦ » ، وهي في تصور الشاعر تختلف عن المفاهيم القومية الضيقة ، فبوضوح الأسس السليمة التي يمكن أن تقوم عليها هذه الوحدة ، لتلتقي مع الوحدة الإسلامية الشاملة ، فوقع الأمة الراهن من أهم ما يشغلها ، والقصيدة تعكس جانباً كبيراً من الدعوة إلى الوحدة والاهتمام بها ؛ وقصيدة « ضيوف الرحمن ص ٧٥ ، ٨٢ » أقيمت في « منى » عام ١٣٩٤ هـ لافتتاح مشاعر الحجاج حول قضايا الساعة ، والإشادة بأبطال الإسلام ومنهم المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه ، فقد خصه بأكبر جزء من القصيدة .

وأما قصيدة « في ريا الحرمين ص ٩٥ ، ١٠٥ » ألقاها الشاعر في منى عام ١٣٩٥ هـ ، يصور فيها أثر فرقة المسلمين واحتلافهم فيما بينهم من المأسى التي تخز في قلب الشاعر ، فيبحث المسلمين على المسك بأهداب الشرع الشريف ، وتحضهم على نبذ الفرقا والخلاف ، وذلك في الحفل الذي يقيمها جلالة الملك سنتها « بمنى » ؛ وقصيدة « دعوة الحق ص ١١٧ ، ١٢٩ » يتباهى فيها الشاعر إلى الله تعالى أن يوقظ أمّة الإسلام ، ويعلم شعثها على الكتاب والسنة ، وعلى اقتفاء آثار الرسول الأعظم عليه السلام وخلفائه الراشدين في سبيل نصرة الإسلام ورفع رايته ، ولم ينس كعادته أن يذكر المسلمين بما يحيط بهم من أحطمار تهذدهم ، وتهدد عقيدتهم وكيانهم ، وقصيدة « فجع الأيام ص ١٣١ ، ١٤٠ » ، يوثق فيها الشاعر فقد العروبة والإسلام الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه ، ويشيد بآثاره ومناقبه التي قدمها في خدمة الإسلام والمسلمين في كل قطر ، ويهب بالزعماء أن يقتدوا أثراً في مواقفه الإسلامية والسياسية الرائعة .

وأما قصيدة « في مشاعر الحج ص ١٤١ ، ١٥٧ » ألقاها الشاعر في « منى » عام ١٣٩١ هـ يهيب فيها بال المسلمين لنصرة دين الله وإحياء شريعته ، ومحاربة الفساد والإلحاد في كل قطر من أقطار المسلمين ، ويدركهم بما يجري في المسجد الأقصى من عبث وفساد الصهاينة ، كما يذكرهم بما جرى للدولة الإسلامية الشقيقة « باكستان » من الغزو الوثنى الذي دبره أعداؤها ، وعاضده الكفار الملحدة ، وما يجري على مسلمي « زنجبار » و « الفلبين » من التكبيل العنصري ، والاضطهاد الصليبي ؛ وكذلك من « قصيدة في حرب رمضان ص ١٥٩ ، ١٦٦ » ألقاها الشاعر في « مكة المكرمة » عام ١٣٩٣ هـ ، وتحطيمه لخط « بارييف » ، وبمحث المسلمين كعادته على استعادة القدس الشريف ، وتحريره من احتلال أعداء الإنسانية « اليهود » .

وأما قصيدة « رسالة الإسلام الخالدة ص ١٦٧ ، ١٧٧ » ألقاها الشاعر على جموع

الحجيج ليت الله الحرام في الحفل الذي يقيمه جلالة الملك في كل عام ، وأشاد في هذه القصيدة بعظمته الاسلام ومجده وفتوحاته العظيمى وقهره للفرس والروماني أغنى دول العالم في فجر الاسلام ، كما أشاد بانتصارات المسلمين في « حطين » و « ذات الصوارى » ، وتحث المسلمين على استعادة مجد الآباء والأجداد من أبطال الاسلام ، وقصيدة « يا قادة الاسلام ص ١٨٧ ، « ألقاها الشاعر في » مني « عام ١٣٩٨ هـ على وفود الحجيج يشيد فيها بجهود وجihad الرسول الاعظم محمد عليهما السلام والسابقين الأولين ، وتحث صاحب السمو الملكي الأمير فهد ابن عبد العزيز للعمل على لم شعث العرب ، وتوحيدهم تحت راية الاسلام لانقاذ القدس الشريف .

واما قصيدة « رحاب القدس ص ١٩٧ ، ٢٠٥ » وهذه القصيدة تشغل بال الشاعر ، فلا تكاد تخليو قصيدة من قصائده دون تعرج على القدس ، ودعوة المسلمين لتحريرها ، ولكنه لا يرى مع التزععات القومية والأحزاب المتصارعة بارقة أمل لتحرير المسجد الأقصى ، ولا يرى سبيلاً لتحريره إلا بالعودة إلى الاسلام ، واجتئاع الكلمة على منهج الله العادل ؛ وقصيدة « شريعة الله » أنشدتها الشاعر في الرياض عام ١٣٩٣ هـ يوضح فيها أن شريعة الله هي البسم الشاف لكل أمراض الشعوب ، والمنهج الواقي لجميع شؤون الحياة تربية ونظاماً ووسيلة وغاية ، وفي هذه القصيدة وصف لشريعة الله بأصولها من توحيد وعبادات ومعاملات وحدود ، وتحتمها الشاعر بعض التأملات في هذا الملوكوت العريض والتذير في إبداعه .

أولاً - الخصائص الفنية للشعر الاسلامي :

تميز الشعر الاسلامي عند زاهر خصائص فنية ، منها طريقته في منهج القصيدة ، فأحياناً تتجدد القصيدة للشعر الاسلامي بلا مقدمات غزلية ، فتخلاص له من مطلعها إلى نهايتها ، وخاصة في ديوانه الأول « الأنطيات » ، فقد خلت كل القصائد الاسلامية فيه من المقدمات الغزلية ، مثل قصيدة « مؤتمر الحج الأكبر »^(١) ومطلعها :

أرب البيت عفووك والمتابا وألمتنا بعزتك الصوابا
وأليسنا بفضلك تاج نصر إذا سقنا إلى « الأقصى » ركابا
فقد خشت جوانح كل فرد وأحنينا لعزتك الرقابا
وفي البيت العتيق علا هتاف يشادك الملوة والمتابا
وقد عنق الأربع وكان مسكا

(١) الأنطيات : ٣٣/٣٨

إلى قوله :

«أمير الحاج» سوت نهجا
ولبست النساء بكل فج
وفي نبرات صوتك ذكريات
وقد هرت مشاعر كل فرد
لأنّا أمّة عاشت بجد
وإن بدرت بواعث كل شر
فهي «البيهوك» أذكينا ضراما
وقد أرجى بوادي النيل عمرو
وفي «البسفور» غارات ورمح
ودان الرافدان لجيشه «سعد»
وفي مدريد طافها ليوث
ونسادي «طارق» أسمى نفير
بني الإسلام هل حان انتقام
ونمضى في ركب الجد رحفا
ومن عشق البطولة وهو شهم
بالإقدام نبني كل مجد
(وما استعصى على قوم منا) إذا الاقدام كان لهم ركابا

ثم يhort المسلمين إلى الجهاد في سبيل المسجد الأقصى فيقول :

فإن رمع زوال الضيم فاسعوا إلى سبل الوعى أسدًا غضابا
فذاك «المسجد الأقصى» رهين وقد كنتم له سوراً مهابا
وهكذا يعنى في أبيات كثيرة حين ينادي حامى حمى الاسلام الملك فيصل بن عبد
العزيز في موقفه التاريخي فيقول :

في حامى حمى الاسلام جرد
وقدنا في ملاحم ضاربات
فأنت القائد الأعلى جنابا
فقد ناديت للأقصى شعورا
وكان دعاوك الأسمى مجابا
فإن تسبق إلى الأقصى ركب
فدم يا فيصل الاسلام ذخرا
زعيمًا في الورى بطلاً مهابا
وفي أسمى الذرى تبني بعمز
صروح الجد مؤثثاً مثابا

والقصيدة طويلة جدا اقتصرت على بعض أبيات في المطلع والمتوسط والخاتمة ، ومن خلالها يصور الشاعر أمجاد الإسلام وبطولاته وحضاراته وحضارته ، ثم يبحث على الجهاد ومواصلة الكفاح للحفاظ على تراثه الجيد وحضارته العربية ، وعلى تحرير الأرض المغتصبة ، والمسجد الأقصى وغيرها من المعانى والخواطر التي دارت حول الغرض منها بلا مقدمات غزلية ، ولا خروج عن موضوع الغرض العام وهو « مؤتمر الحج » الذى فجر ثجرة الشاعر الشعرية بهذه الخواطر المختلفة والتي تتآخى جوانبه ومشاعره فيه ، وتتلامح هذه المعانى الكثيرة مع ما يوحى به مؤتمر الحجيج ، لأنه موضوع عام تدخل فيه هذه الجوانب كلها ، ولم يقتصر الشاعر على جزئية واحدة فقط ، لأنه ينادى مؤتمر الحجيج من جميع بقاع العالم الإسلامي ، وهذه الجوانب تناسب معه ، ولا تخرج عن موضوعه .

واستجابة الوزن والقافية فيها للمعانى والأفكار ، التي تلامحت مع الغرض ، لأن مظاهر تأثر زاهر بقصيدة « المولد النبوى الشريف » لأمير الشعراء واضحة في هذه الجوانب ، ولذلك انسابت أفكاره ومعانيه مع الوزن والقافية انساب الماء الزلال بلا تكلف أو تعلم ، ولكن في ثورة شاعرية متقدمة في انتقال الألفاظ ومحاوحة الأساليب ، لتصويره الأدق الواقع الذى يتتسارع إلى الذهن فلا يتعار في الفهم ، وتتفتح منافذ العقل والقلب معا ، بل استجابة القارئ لشعره تسير مع القراءة أو السمع جنبا إلى جنب ، وانظر كيف انسابت بعض الأفكار والمعانى والأيات لشوق في قصيدة الشاعر زاهر بلا استثناء كما في قوله :

فبالاقدام نبى كل مجد وشوق حين أشد قد أصحابا
وما استعصى على قوم منسال إذا الاقدام كان لهم ركابا
وليس معنى ذلك أنه قد عارض شوقيا في كل المعانى والأفكار والصور ولكنه بلا شك قد
ظهرت شخصيته في معانى كثيرة اقتضتها الغرض ، لأن قصيدة شوق في المولد النبوى الشريف ،
وقصيدة زاهر في موضوع آخر مختلف عن غرض الشاعر ، وهما يفترقان في معانى وصور
كثيرة .

وشاعرنا يتأثر بأمير الشعراء في بعض المعانى والصور ، بالإضافة إلى الإيقاع الموسيقى
والوزن أما التأثر بكلمات القافية فهذا أمر طبيعى ما دام البحر واحدا والروى واحدا .

ونرى الشاعر في هذه القصيدة تسيطر عليه بعض الألفاظ النهائية الخطابية ، مثل لفظ
« قد » فقد كررها ما يقرب من عشرين مرة ، وليس هذا من حقل الألفاظ الشعرية لأن للشعر
ألفاظه وللنثر ألفاظه ، واستعمالها مع الفعل الماضى هنا يجمد الحدث فى التصوير ليحقق الوقوع فى
الماضى بلا استمرار وتجدد ، وهذا لا يتناسب مع الحيوان والحركة التى هى من عناصر الصورة
الشعرية ولا تجمدت وتحجرت ، واستعمال الفعل الماضى وحده من غير قد فى الشعر لا يلتزم

جمود الحدث ووقوعه في الماضي بل يوحى بالتجدد والحركة ، وتأمل معنى الفرق في الاستعمالين عند الشاعر ، مثل قوله : « وقد هرت مشاعر كل فرد » فدل على وقوع المرة في الماضي فقط بلا إيحاء الاستمرار ، أما قوله بعده مباشرة « لأنّ أمة عاشت بـ مجد » فدلالة الماضي على وقوع الحدث فيه أو حتى الصورة فيه مع ذلك بالاستمرار والحركة التجدد والمعنى فلا تزال أمة الاسلام تعيش بـ مجد ، على حد قوله تعالى : « أقِ امْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ »^(١) والمراد والله أعلم سياقًا أمر الله بقيام الساعة مع أن التعبير بلفظ « لأنّ » يتعارض مع طبيعة الشعر ، التي تناهى عن التعديل والتدليل ، وإنما يتناقض مع الأسلوب العلمي الذي يقوم على ذلك .

ويقول زاهر في قصيدة « وحدة العرب » ومطلعها^(٢) :

من معهد العلم شاخة القمم من منت العز من دوامة الكرم
من قلب « أبها » وقد حفت جوانبها بالعلم بالصيد أبطال ذوى شم
صوت يدوى له في الأفق جملة يمتد في الأفق من وهاجة الضرم
قلبي جريح لداء العرب متذهب وعلة القوم أدهى من أذى السقم
وتحتو السموم بدأ قاتل عمم ما للزعزع نجوى في مواكبهم

ومنها :

لا مجد للعرب ما دامت أكفهموا يا أيها العرب أحياها نهج شرعتكم وبرهنو للملأ أهداف وحدتكم أما البناء على الفوضى بدون هدى فهل لكم وحدة تبني على أسس فقد سئلنا فضول القول والكلم من العدالة والاسلام والحكم لا من بني الغرب في العادات والنظم بالدين نرعى مقام العدل والذم معلم الدين بين العرب والجم بمحجره الساطع البناء للألم أن ليس هذا من الأخلاق والشيم تفتر أسيافها خضوبة بدم وأن تلين ليطش الغاصب العرم براجر من ذوى الأجداد محمد تبني الشعوب وترعى حرمة الأم

(١) التحلل : الآية الأولى

(٢) الآتنيات : ص ١٣١/١٣٥

وهذه الآيات مقتطفات من القصيدة الطويلة ، التي تقوم على غرض واحد ، تتجه معاناتها كلها إلى موضوع واحد وهو « وحدة العرب » ، التي صورها الشاعر بمفهوم واسع ، لا يقتصر على الجنس العربي فقط ، وإنما كانت قاصرة في مفهومها وأبعادها وغايتها النبيلة الشاملة ، وإنما المقصود من الوحدة العربية في تصويره الأدبي هي الوحدة الإسلامية الشاملة ، وهي مطلب كل مسلم ، وإن كانت الوحدة العربية هي الجسر القوي الذي يعبر عليه المسلمون في جميع أنحاء العالم لتحقيق الوحدة للأمة الإسلامية ، على أن لغة القرآن والاسلام هي اللغة العربية ، فكل من يتكلم العربية فهو عربي ولو كان ذلك من خلال القرآن أو الصلاة .

والوحدة الإسلامية — لا العربية — هي التي تقف شامخة كـما كانت قد يعاها أباء الإسلام ، لأنها تقوم على المساواة والعدل والإيمان والأخلاق والصلاح وغيرها من مقومات التشريع الإسلامي ، الذي يصلح لكل زمان ومكان ، ولا يتحقق مثل ذلك من خلال وحدة الجنس مهما كان هذا الجنس البشري متزماً بقيمه الخاصة لا بقيم الإسلام .

ودائماً ينشد الشاعر الوحدة العربية بهذا المفهوم الواسع ، فقد أنشد قصيدة أخرى بنفس الموضوع والغرض « وحدة العرب » في ديوانه الثاني « على درب الجهاد » ومطلعها^(١) :

من دوحة المجد شماخة القمم من منبت العز خفافة العلم
نادي المنادي إلى الإيمان فاستبقوا وأسوا جراح أسيتها في الظلم
قلبي جريح بدء العرب ملتهب وفتحة القوم أدهى من أذى السقم

ومنها :

في كل أمر تنادي هيبة الأم
من طارف العز أو من ثالد الكرم
وابنوا البلاد على الأسمى من النظم
فقد سمعنا فضول القول والكلام
من العدالة والاسلام والقيم
لامن رؤى الغرب أو مستمن الورم
بالدين نرعى مقام العدل والذم
أعلام أمجادنا في القدس في الحرم
بفجره الساطع الوضاء في القمم

لا مجد للعرب ما دامت حنجرهم
يا أيها العرب أحياوا نهج شرعتكم
وبرهروا للوري عن صدق وحدتكم
أما البناء على الفوضى بدون هدى
فهل لكم وحدة تبني على أسس
من منبع الوحي تستقر مشاربها
أقوطا من هنا شماء ناصعة
لا وحدة اليوم ما دامت منكسة
الدين منطلق الاصلاح منيلج

(١) على درب الجهاد : ٤٦/٣٩

يا قوم نادوا شعورياً عهداً وهن
أيدي الكرم إذا الباغي ألمَ بها
تأنِّي الأشواوس أن ترتاد ساحتها
فأيقظوا الوعى من ذرى الأجداد مخدِّم
إن المبادئ والأخلاق ستها

وهاتان القصيدتان يجمعهما موضوع واحد وغرض واحد ، تحت عنوان « وحدة
العرب » ، وتکاد الآيات فيما تتفق لفظاً ومعنى وأسلوباً وتصويراً وخياراً وهدفاً وزناً وقافية ،
وبعض الآيات متقدمة تماماً في القصيدتين ، وبعضها مختلف في بعض الألفاظ دون المعنى .
والقصيدة في الديوان الثاني زادت عنها آياتاً في الديوان الأول ، وهذا واضح من خلال القصيدتين
لو أعدنا النظر مرة ومرة ، وهذا ما قصدته من ذكر بعضهما معاً من باب المازنة والمقارنة ، ولعل
الشاعر يقصد من وراء ذلك تحصيص الديوان الثاني « على درب الجماد » بالشعر الذي يصل
بالجهاد ، ولذلك جاء بها هنا لتناسبها مع اتجاه الديوان .

ويضاف إلى ذلك أن القصيدة الثانية زادت قليلاً من الآيات عن الأولى ، وتبدل فيها
بعض الأنفاس والصور ، ولاشك أن التغيير كان أقوى وأدق في الغالب وتأمل معى المطلع في
القصيدتين فالتعبير بقوله « من دوحة الجد » أقوى في الغرض والتصوير الأدبي من قوله الأول :
« من معهد العلم » فدوحة الجد أنساب وأعم وأقوى إيقاعاً وأخف على اللسان بسبب اجتثاع
« العين والهاء » وهى حروف ثقيلة وأنقل على اللسان بسبب اجتماع « العين والهاء » وهى
حروف ثقيلة إذا اجتمعت تحمل بجمال الاقطاع ، وتحدث قلقاً في أصواتها واضطراباً مما يؤثر في
جمال الصورة وينزل من قدرها ، وهكذا كان يقصد الشاعر من التغيير والتكرار فيسمو بالتصوير
الشعري كما رأينا ، ومثل ذلك التغيير في (وعلة القوم) فيدخلها بقوله (وفتنة القوم) وقوله :
« عاثها دول » مع قوله : « عهداً وهن » ؛ وقوله : « مادامت حناجرهم » أقوى من قوله
« مادامت أكفهروا » وغيرها .

وهكذا يمضى الشاعر في قصائد كثيرة من الشعر الإسلامي الذي يقوم على غرض واحد
فقط في القصيدة الواحدة وتلك سمة من سمات هذا الغرض الأدبي عند الشاعر .

ومن خصائص هذا الغرض ، أن الشاعر قد يزاوج في القصيدة بين غرضين فيجمع بين
مقدمة غزلية عفيفة ، وبين الغرض الأساسي في الشعر الإسلامي وخاصة في ديوانه « الثاني » ،
ثم ينساب منها في رفق وبراعة إلى الغرض الأساسي ، بلا فجوة أو تناقض أو ابتدال وإسقاف ،
بل قد لا يدرك القارئ الفاصل بين المقدمة والغرض إلا بعد روية وتأمل ، لانسجام الغزل
العفيف مع المعانى التي يشتمل عليها الغرض .

وكان أحياناً يرمز بليلاه عن «الوحدة العربية الإسلامية» ، التي ينشدها في شعره ، كما في قصيدة «عودي إلى درب الجهاد» ، وذلك في غزل عف طاهر ، يشتمل في المطلع على سبعة عشر بيتاً ، ينتقل بعدها إلى الغرض ، وهو حث المسلمين على الجهاد في سبيل «المسجد الأقصى» ، وصرفهم عن التناحر بين الأحزاب المعاصرة ، من يمنية ويسارية ورجعية ، وفي النهاية يعود إلى الحث على الجهاد في آخر القصيدة كما بدأ^(١) .

وكذلك في قصيدة «تحية المغرب العربي» بدأها الشاعر بمطلع غزلي عفيف في ثلاثة عشر بيتاً ، ثم يتسلل إلى الاشادة بحضارة الإسلام والمسلمين في المغرب والأندلس وأمجادهم هناك^(٢) ، وهكذا في قصيدة «في رحاب البيت» يصور فيها الشاعر أثر الحج في النفوس أولاً ثم يختتمها بليلاه رمز الوحدة الإسلامية عند الشاعر في بيتهن^(٣) .

أما قصيدة «مشاعر الإلهام» فقد بدأها زاهر بالغزل الظاهر في تسعه عشر بيتاً ، ثم أشاد بالرسالة الحمدية الخالدة في ثلاثة وعشرين بيتاً يعبر فيها عن مشاعره نحو الإسلام والمسلمين ، وما يرجوه لهم من مجد ، يمتد في أصالته إلى أمجاد المسلمين في القديم ، يقول في المقدمة الغزلية^(٤) :

طلع فلاح العين في طلعماتها
وسرى النسيم على مشارف ثغرها
تضوع الأرجاء من نسماعها
ترافق الأطیاف في مضاعها
ورنت بالحظى الجفون نوعاً
وتبتسم عن ثغر حسن باسم
ومناظرت — عف النفس — سحر جمالها
ومفاتن السحر الحال تشذى
فأطلل ثم الحارسان وأشرعوا
خوى الأنسنة من كمين كلامها
فأدبرت في ذهني عجائب أمرها
وخيست هول السطو من طعناتها
إذا هما فوق التراب والخنا
قالت : رويدك فالمراق صعبة
من قلها الخفاف بعض سماعها
لا ترقى بها السطير في غدوتها
فأجيتها أوما علمت بأنّى
كالصقر يغزو الطير في وكسامها
قالت : معاذ الله أن تخشى الحمى
وبنبع محل الدر من صدفاتها

(١) على درب الجهاد : ١٧/٩

(٢) الديوان السابق : ١١٧/١٠٧

(٣) الديوان السابق : ٢٥/١٩

(٤) على درب الجهاد : ٣٧/٢٧

من كانت الأخلاق خير صفاتها
تفديك قد أجحت من زفراها
وسرى الجوى والشوق في جنابها
لقطعت زهر الورد من جنابها
ولسرت أمتاح الرياض وأجيالها
لولا ارتياحى من مغبات الموى
منها رضاب الشهد من زهراها
فنحن الجمال تعف عنها زلاتها
وتنسق أشواق إلى سنن المدى
فمشاعر الإلهام في رحبها^(١)

رأيت هذا الغزل العفيف الطاهر ، لا يجرح مشاعر مسلم ، ولا يخدش بكرامة مسلمة ، وإنما هو تنفيس بشري عن غزيرة الحب التي غرسها الله تعالى في الإنسان غزيرة ، تنساق مع طبيعته البشرية ، وما أحلى أن يعبر عنها الإنسان في لفظ عف ، وتصویر بريء ، وأسلوب ظاهر على غرار هذا التصویر الغزل البريء ، الذي يعبر بصدق عن تلك الفطرة الإنسانية ، في إطار الخلق الإسلامي ، وأدب القرآن الكريم .

والحب العفيف في جوهره جانب إنساني روحي ، يسمو به الإنسان ، إذا صوره في ظلال خلق الإسلام ، ليتقل الشاعر في تسلل وانسياب إلى جانب روحي وبنا ، نفسي آخر ، وهو الحديث عن شريعة الإسلام ، وأخلاقه في بناء المسلمين .

ثم أرأيت الخيط الرقيق في البيتين الآخرين ، الذي شد به المقدمة الغزلية إلى الغرض ، إن القارئ لا يفجع بهذا الربط ، وإنما يتأمل فيه ، ويدقق النظر ، حتى يعبر على ما دق من أدوات الربط الدقيقة في مهارة ، ويستمر الشاعر في التصریح المباشر بالغرض الأساسي بعد الوحي والتلميح من أول هذه الأبيات^(٢) :

تمتد آفاق وترق هنـى
سبـلـ الجـهـادـ أـخـوضـ فـ غـمـرـاعـهاـ
ويـشدـ حـبـ النـبـىـ مـحـمـدـ
يـاـ مـنـ حـلـتـ أـبـرـ قـلـبـ فـ الـورـىـ
وـأـعـزـ نـفـسـ جـانـبـ شـهـوـاعـهاـ
عـهـوـ إـلـيـكـ قـصـائـدـ وـمـشـاعـرـىـ
فـلـقـدـ نـشـأتـ عـلـىـ سـلـامـةـ فـطـرـةـ
وـصـفـاءـ نـفـسـ فـ عـظـيمـ صـفـاعـهاـ
وـلـقـدـ أـوـتـ إـلـىـ حـرـاءـ وـكـنـتـ فـ
فـأـتـاكـ جـبـيلـ الـأـمـيـنـ وـلـمـ تـكـنـ
مـنـ قـبـلـ تـلـوـ أـوـ تـرـىـ قـبـاسـهاـ

(١) على درب الجهاد : ٣٢/٣٨

(٢) على درب الجهاد : ٣٧/٣٣

أو كاتب تدرى بمرؤَّساعها
رفع السماء حباك خير هباءها
وأضاء نور الوحي من مشكاعها
أحت له البلاء من هاماعها
نظراته في الآي من آياعها
دون ارقاء حول قدسياعها
ويغوص بحر العلم من صفحاعها

وتحانست للإثم في ندواها
أو تلمس خيراً يمئراها
واستوحشت والإنس في جنباعها
وكتوت مرضي وهى بين أسماعها
وثابة العزمات في دعواها
وتصد بالإقدام كيد غرائها
فيه وإن الموت في شهواها
عهدى الوري وتنبر درب هداعها
من دعوة الاصلاح مجد دعاعها

فدنى وقال : إقرأ . ولست بقاريء
بل كنت أميا ولكن الذى
وقأت باسم الله فانجذب الدجى
آى من الذكر الحكيم ومنطق
إذا تسامى الفيلسوف وأوغاث
رجعت إليه الموجلات ضوالعا
سور يشع النور من آياتها

أما قريش فجانبت سبل الهدى
لم تلتفت للنور فوق رووعها
بل كذبت داعي الهدى وتنكرت
ولربما يعشى الصباح نواطرا
من لى بنائفة على درب الهدى
تحمى حمى الغراء مما يفترى
إن الحياة هي الجهد وإن ثمت
والله أنزل في الكتاب بصائرنا
فامضوا على نهج الهداة وجددوا

هذه هي القصيدة كلها لكنى نرد بها دعوى الذين يرفضون الشعر الملتم بالقضايا
المعاصرة لمعالجتها وتوجيه الرأى العام إلى جوهر الحقيقة فيها ، أو بالأحرى يقولون بأن الشعر
الاسلامى لا يمكن الشاعر من التصوير الأدلى الرابع الذى يهز الوجدان ويحرك المشاعر ، وهذا هي
القصيدة في الشعر الاسلامى الملتم نرد عليهم بروعة التصوير فيها .

فالعاطفة فيها مشبوبة صادقة ، والشاعر قوية متدققة ، والأحساس دقة متوفرة ،
والوجدان ملتهب ثرار ، في خيال خصب عميق وصور أدبية قوية سارت على نهج القدماء في
التصوير الشعري يلتزم الشاعر عمودهم الشعري في انتقاء الألفاظ ، وإحكام الأساليب وإيماء
النظم والسير على بحور الخليل بن أحمد ويلتزم القافية القوية العمودية .

فالشاعر هنا يصور مبادىء الاسلام وقيمها من خلال مشاعره الذاتية ، ووجوداته النفسى
المحموم ، فلا يقوم بوضع النقاط على الحروف التي من شأنها أن تكون مهملة ، وإنما تتدفق
الحروف منقطة من وجوداته ومشاعره تغوص بإيماءات زاخرة ، ومعان حية تنبض بعواطف
الشاعر وأحساسه .

ويوم أن يسير الشعر الملزם على هذا النهج يكون حرق ما يهدف إليه الشعر القوى ، وما يتغنى الشاعر من تصوير أذى رائع يوقد الاحساس في الآخرين ويشير عواطفهم ومشاعرهم ويحرك الكوامن في وجدهم ، وهل نزيد من الشعر أكثر من هذا ، بل هذه القصيدة تسمو بالنفس ، وترق بالذوق الأذى وتنميه ، وتضيّع المشاعر عن التطرف والبالغة ، فتسيّر في استواء واتزان نحو العالية المنشودة ، التي تحقق السعادة للإنسان ، وهل يتغنى الإنسان من الشعر أكثر من تحقيق هذه السعادة ، وفيها الامتع ، وإليها الإثارة والإيقاع . وهي في ذاتها العالية من التصوير الأذى ، الذي يثير المشاعر ، ليوقد العقل والقلب والوجدان فيتشي الجميع بالتسليم والاقناع عن صدق ويقين ، هذا هو الشعر الشاعر والأدب حتى الحال ، لا « أزهار الشر » ، ولا شجر « السرو » و « الخلاف » يعجب رواه وما له ثُر ، وبخطف ضوء ، فيعشى البصر .

قصيدة « في ريا الحرمين » أيضا ، بدأها زاهر بمطلع غزل عفيف ، ضم خمسة أبيات ، ثم انساب إلى مراده فيها يقول^(١) :

سرت في هجعة المسرى تسامي
وكان الشوق يخدوها ابهاجا
ويذكرى في مشاعرها الغراما
وفي جنائعاها تمثى طيف
كأطياف الحب إذا استهاما
قتلت لها وفي نيرات صوق
فتالت في ريا الحرمين أشدوا
أناجى البيت والبلد الحراما

غزل عفيف ظاهر بلا تبذل أو سقوط ، يمضى مع الغرض من القصيدة بلا استثنان ، فليلاه ترمع الرحيل معه إلى ما يوم ، إلى ريا الحرمين لينتاجيان مع البيت الحرام ، وينعمان بالبلد الأمين ، وتمدد هذه المعانى في جوانب الأبيات الباقية من القصيدة ومنها :

وعند الركن تسحر الخطايا
ململمة جوانحها انزاما
فتشعر الصدور بطيب ذكر
أساط الكلب عنها والقتاما
سأعشق موطن القرى وإن
على حب القداسة لن لأنما
فقد عبق الأربع بكل فج
وعم النفح زرم ومقاما^(٢)

وهكذا يمضى الشاعر إلى آخر القصيدة وهي طويلة ، تدور معانها حول الغرض منها ما عدا المقدمة الغزلية السابقة .

(١) على درب الجهاد : ٩٧

(٢) الديوان السابق : ١٠٥/٩٧

ومن خصائص الشعر الاسلامي عند الشاعر أنه جعل الحروب العربية ضد اسرائيل حربا إسلاميا تزف بدماء المسلمين كما تزف قيم الاسلام في العصر الحديث ، واسرائيل في قلب الأمة العربية أفعى مسمومة تبث سمومها لتتخر في عظام الأمة الاسلامية ، وتبدل قيمها السامية ، فالصهاينة أعداء للإسلام ، للعروبة ، لأنهم يعتقدون بأن القضاء على العروبة هي الجسر القوي للقضاء على الشريعة الاسلامية ، التي تلقى مصالحهم ، فالقرآن الكريم لغته العربية ، وسيبقى خالدا لعروبيته ، إذن فالعروبة في نظر أعدائنا هي الاسلام ، والاسلام في العروبة فهما متلازمان ، وعلى هذا الاتجاه يحاربنا أعداء العروبة والاسلام وهم الصهاينة والصلبيون .

ومن هنا المنظور جعل زاهر تصوير الانتصار في حرب رمضان شعراً اسلامياً ، لأن الاسلام انتصر فيه على أعدائه يقول : « من قصيدة في حرب رمضان » أنشدها في مكة المكرمة عام ١٣٩٣ هـ ، ويبدو أن الشاعر اختزلها في ديوانه ، فأغلبظن أنها أكبر من ذلك بما سيجود به الرمان في المستقبل ، لقوله « من قصيدة »^(١) :

وقالت : طيب الحب في القلب قد شبا
ورنت بأنفاس تتأسر لقلبي
نسيم الصبا فاهتز من أنسه عجا
يرى في سراب الواقع من زيفه شريا
ولا مارد الإغراء في أفرعى دبا
ولا تركى في الحب مركيه الصبا
إذا انتظمت سلماً أو اشتعلت حربا
إذا لم يكن درب الجهاد لها دريا
قلوباً وأزاحت في ضمائراها رعباً
هبين بوجه البغي مستشرياً بها
خارب عنده الدهر ولو ملكت غضباً
وخاضت طريقاً في الوغى تيجاً رحباً
صادها من التكبير قد جاوز السجنا
أحاطت بها شوماً وأودت بها نكباً
أدلت على الأعداء منعطضاً صعباً
وهبت أسود من خنادقها غضبياً
جسروا إلى سيناء مدّت بها وثباً

تنبت أمامي وهي لا تعرف الخطبا
تنبت بأعطفاف وألوان بعضها
فكان كغضن البان لامس فرعه
فقلت لها مهلاً فلست بهام
وليس هيام الحب يصرع عفتى
فلا تمنعني صهو السفاهة والردى
وكوف مع الأحداث سيراً لغورها
فما أفلحت في موكب المجد أمة
أن تلك رحاب القدس ضجت فروعت
أن تلك النساء الصباريات بمعقل
أن تلك فتاة الخدر يسلم عرضها
فليت لها من أمة المجد أمة
وسارت جنود الله في كل جهة
لقد نفخت عنها مذلة نكسة
فكان على صرح الجهاد انتفاضة
تواثبت الأبطال يتدبر حفتها
أقامت على متن القناة معابراً

(١) على درب الجهاد : ١٥٩/١٦٦

وَدَكْتُ حَصُونَا طَلْمَا افْخَرْتُ عِجَبا
بِدِبَابَةٍ فَوْقَ الْمَحَازِرِ دِبَا
كَهْوَسِ الْمَنَابِيَا فَهُوَ يَتَاحْهَا شَرِبَا
وَصَبَتْ عَذَابَا مِنْ قَدَافَهَا صَبَا
مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصِيِّ إِلَى (حلب) الشَّهِيَا
كَلَا هَبْ مِنْ (أم القرى) جِيشَهَا جِبَا
وَسَارَ عَلَى (سِيَانَاء) عَوْرَهَا صَلِبَا
تَذَبَّبَ قُلُوبَ الْغَدَرِ غَلُوْبَهَا رَعِبَا
إِذَا اعْتَلَى سَرْبٌ أَشَاقَفُوا لَهُ سَرِبَا
قَضَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُسْتَشْهِداً نَحْبَا
فَتَلَكَ هِيَ الْحَسْنَى وَأَنْعَمَ بِهَا كَسِبَا
وَدَرَبَ الشَّهِيدَ الْمَغْرِبَ أَوْسَعَهَا دَرِبَا

وقد حطمت بارليف قصها مزلا
وكم من فتى في صهوة الخطب صامد
وقد هب للتحرير مستعدبا له
وفي جهة الجولان كرت أشواوس
ووضمت كفاح الجيدين اتفاضة
وسارت بأرض الراغدين جحافل
تلاقت على الجولان فاعتز ركها
ومنهم صقور الجو تنقض كالردى
يهددون أسرابا صقورا كواسرا
وكم من فتى في الروع أغلب باسيل
وما ميت من مات ذودا عن الحمى
دروب العلا للطاغين رحيبة

ومن خصائص الشعر الاسلامي عند زاهر أنه جعل الرثاء لفقيد العروبة والاسلام شعراً إسلامياً حين صور الشاعر مواقف المرق العربية والاسلامية ، والتي سجلها التاريخ خالدة تعبير عن حضارة الاسلام والعرب في عصرنا الحديث ، ولذلك كانت هذه القصيدة أقرب إلى الاسلامي منه إلى فن الرثاء الذي سيأثر ضمن الأغراض الادبية يقول الشاعر في قصيدة « فجمع الأيام » بصور فيها التاريخ الخالد للملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه⁽¹⁾ منها :

سيظل في الأعماق ناراً تضيء
نواحية لو أنها تتكلّم
وهي البصائر فول فقدك ملجم
ولهم عليك تهد وترجم
ويروعها الحدث الرهيب ويدهم
هرعت إليك فحرروا سلطتهم
ومشت إليك قلوبها والأجساد
وأحاطتها منك السياج المحكم
حتى علت وصها لصوتك نعم
لم يكن عزماً للوئام تصر
فهل يوحدها ودين أقام

يا فصل الاسلام يا من جرحه
تبكيك من ارض المدى اطلالها
ومنابع الشعر الرفيع نواضب
فالمسلمون لهم بفقدك غربة
ولسوف تذكرك الحافظ والنهي
ولسوف تذكرك السياسة بعدما
فقطاماً أصفت لرأيك خشعاً
ولطاماً أحكمتها لنذوي الحجا
ونهجت منها الفلاح بأمة
ودعوت نحو تضامن وتكافف
فإذا بلاد المسلمين يضمها

(١) على درب الجهاد : ١٣١ / ١٤٠

لبنيه إن جار الزمان عليهم
غيمه من كيد البغاء وتحس
ألم الفراق ولوعنة تتضرع
هل يلم (مخالد) وينظم
(فهد) الأمين بجدنا يتسم
فكأنه في الشعب حتى يحكم
حملوا الأمانة في الوري وتقديموا
ولكم ذرا (عبد العزيز) ضيا غما

وسيذكر الاسلام ما قدمته
فلا تأت للإسلام سيف مرهف
والبيوم تتعاك الدنى فيزها
لكن هذا الخطب خفف هوله
وولى عهد المسلمين نصيو
وكلامها في الحكم يحنو (فيصل)
ولكم ذرا (عبد العزيز) ضيا غما

ثانياً - الشعر الوطني والقومي :

هذا هو الغرض الثاني من الأغراض الأدبية في شعر زاهر ، وهو على الشعر الاسلامي كثرة
وغمول ، ويضم الشعر الذي أنشده الشاعر في وطنه العام : المملكة العربية السعودية ، وشعره
الذى أنشده في وطنه الصغير : البيعة التي ولد فيها ، والبلد الذى ثما فيه صباه وترعرع شبابه ،
وشعره الذى قاله في وطنه الأكبر : في الدول العربية والاسلامية الشقيقة كالجزائر وبغداد ،
وسوها من دول العالم الاسلامي والعرب .

ويضم الشعر الوطني والقومي قصائد كثيرة في « الألبيات » : مثل قصيدة « ثورة
الجزائر ص ٢٠ ، ٢٢ » ألقاها الشاعر في الحفل الكبير الذى أقيم « بممهد شقراء العلمي » في
١٣٨٠/٧ هـ ، ويصور فيها كفاح الجزائر ، وثورته على الطغاة المستعمرين ويطلاقها التي
حررت الشعب العربي الاسلامي ؛ وقصيدة « مجدى الشباب ص ٦٠ ، ٦٢ » ألقاها في النادى
الثقافى « بممهد شقراء العلمي » في ١٣٧٩/٧/٢٢ هـ ، وفيها يحيى شباب أمته ووطنه على
العمل في سبيل الوطن ، وفي سبيل الأمة الاسلامية جماء ، وخاصة تحرير فلسطين المحتلة من
أعداء الاسلام .

أما قصيدة « مواكب المجد ص ٦٣ ، ٦٦ » ألقاها الشاعر في حفل عسكري ، يحيى
فيها الجيش على النضال في سبيل الوطن والجهاد في سبيل الأمة الاسلامية جماء ، فقد سجل
التاريخ البطولات الرائعة ، التى كان لها الوجه المشرق في كل بقعة من بقاع العالم ، وقصيدة « سد
جازان » ألقاها الشاعر في حفل افتتاح سد وادي جازان في ١٣٩١/١/٢٥ هـ ، وقد حضر
الاحتفال سمو النائب الثانى رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية فهد بن عبد العزيز وعد من
الأمراء والوزراء ورجالات الدولة ، وفيها يصف السد وأثاره العجيبة ، التى عممت البلاد ، وبعثت
في المنطقة الحياة ، مما يساعد على تقدم المملكة ورقها بزيادة الانتاج الزراعى الموفور ، وذلك
بفضل الابداع البيضاء لأسرة الملك عبد العزيز ، التى تزرع الخير دائماً للأمة الاسلامية
العربية ، والتاريخ يعيد نفسه في هذه المنطقة حيث كان فيها سد مأرب ، الذى كان له آثاره

الجليلية في الحضارة السبعية المشرفة ، بل إن سد مأرب لو رأى سد جازان لاعتراض الجبل وانزوى في ركن من أركان الدنيا بعيداً عن الأضواء ، ليحتل هو مكان الصدارة في المنطقة العربية ، يقول الشاعر^(١) :

ومضى البرق في ذرى الأجداد
والميراث أقبـلت تهـادى
تنفح المـعـصـرات من عـاطـرـ السـودـقـ
واستهلـ الغـمـامـ بـالـيمـنـ والـبـشـرـىـ
لو رـأـيـ «ـسـدـ مـأـربـ»ـ كـيفـ تـرسـىـ
لـاعـتـراـهـ مـنـ روـعةـ الـحـسـنـ طـيفـ
وـكـانـ الـأـيـامـ قـدـ لـعـبـتـ دـورـاـ
لـكـنـ الـمـرـفـقـ الـشـالـ بـجـاـ
مـنـجـزـاتـ تـبـقـىـ عـلـىـ مـعـبرـ الـدـهـ
أـىـ «ـسـدـ»ـ حـوـىـ رـحـيقـاـ زـلاـلاـ
سـوـفـ يـبـنـىـ لـأـتـىـ خـيرـ مـجـدـ
فـالـسـهـولـ الـفـيـحـاءـ تـمـتدـ عـرـضاـ
تـهـادـىـ الرـحـابـ مـهـزـ فـخـراـ
تـتـرـاءـىـ هـاـ الـجـداـلـ تـجـرىـ
وـالـمـرـوجـ الـخـضـرـاءـ مـهـدىـ عـبـراـ
وـالـطـيـورـ الـمـفـرـدـاتـ تـغـسـىـ
نـفـقـاتـ بـهـ الـلـبـلـ تـشـدوـ
مـكـرـمـاتـ يـقـىـ هـاـ الـدـهـرـ ذـكـراـ

وهكذا يمضي الشاعر في قصيدة طويلة اقتصر فيها على وصف السد وأثره على المنطقة.

وأما قصيدة «تحية بغداد» ص ٧٧ ، ٧٨ «القها الشاعر في مهرجان شعرى في بغداد عام ١٣٨٤ هـ ، وقصيدة «رسالة العيد» ص ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، وقصيدة «صيحة الجهاد» ص ٨٨ ، ٩٠ «ألقيت في الحفل الكبير الذى أقيم «بمعهد نهران العلمي» عام ١٣٨٨ هـ ، ويبحث فيها شباب الوطن على الجهاد في سبيل تحرير القدس ، وقصيدة «بطولة وإباء

الألمانيات : ٦٧/٧١ (١)

(٤) الودق : قليل المطر وكيلو — المعصرات : السحابة التي تكاد أن تطر

ص ٩٢ ، ٩٤ » ، ألقاها الشاعر في حفل كبير ، « بمهد شقراء العلمي » عام ١٣٨١ هـ ، حينما احتطفت القوات الفرنسية زعماء الجزائر الخمسة ، عند استقلالهم طائرة إلى بعض الجهات ، وذهبت بهم إلى فرنسا للاخضاع للثورة الجزائرية ، ولكن حدث ما لم توقمه فرنسا ، فقد اشتدت ثورة الشعب الجزائري ولم تهدأ إلا بعد رجوع الرعماء المختطفين ، ثم أعقابها إجراء المفاوضات التي انتهت باستقلال الجزائر ، وجلاء القوات الفرنسية عنها .

وأما قصيدة « صرخة العرب » ص ٩٩ ، ١٠١ « ألقيت بمناسبة الاحتفال بشورة الجزائر المتصررة على فرنسا في الحفل التفاف المقام » بمهد شقراء العلمي « عام ١٣٧٨ هـ ، وقصيدة « صدى المؤثر » التي ألقاها في مؤتمر المعاهد المتعدد في الرياض في ١٣٨٨/١١/٢٩ هـ ، يبحث فيها قادة الجيل على الالتزام بمنهج الإسلام ، وارساله حضارته ، ليكونوا مثلاً أعلى للأجيال من بعدهم ، ولتطبيق المنهج الإسلامي والسمو بحضارته^(١) :

ألا فاسعدوا يا قادة الجيل بالبشري وأححوا لها في كل حاضرة ذكرى
وشيدوا لها بين الروع معاولاً لتشد في أسمى مقاصدها شعراً
 فمن كل أقطار البلاد تواجدت مناهل عرفان تشرفها قدرًا

إلى قوله :

فيما قادة الجيل المؤمل أنتم
وأححوا له ما ضاع من كل سنة
لتجنوا ثمار الخير في سعيكم أجرا
يتنظمها الإسلام أنتم بها أخرى
فما هي إلا دعوة وعزيمة
فسيروا على نهج الذين بهدفهم
أقمنا حضارات سمعنا بها فخرًا
ترويون أشبالاً لخطوا بهم نصراً
فما أنتم إلا هداة وقادة
فرحي بأفكار الرجال وننجها
ومرحى من يحمى لهم شرعة غرًا
وشكراً لداعيها الذي ضم فحلها
أتاح لكم جمًا وأهدى لكم نشراً
وحجاً رحاب العلم والبلد الذي

وأما قصيدة « ترحيب وأمل » ص ١١٣ ، ١١٥ « ألقاها الشاعر في حفل تكريمي الكبير ، أقامه « بمهد شقراء العلمي » تكريماً لوفد يضم عدداً من المدرسين والطلاب من معهد الرياض والإحساء في ١٣٨٢/٨/٢٠ هـ ، وقصيدة « إشراق الأمل » ص ١١٦ ، ١١٩ « ألقيت بمناسبة الحفل الافتتاحي الكبير لمهد نجوان العلمي » عام ١٣٨٥ هـ ، وقصيدة « أمتى من ١٣٦ » ، وقصيدة « حمامة المجد » ص ١٣٧ ، ١٣٩ «

(١) الألبيات : ١٠٥/١٠٤

رحب فيها الشاعر بسمو وزير الدفاع والطيران السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز عند زيارته لبعض القواعد العسكرية عام ١٣٩٠ هـ، وقصيدة «يا قادة الدين» ص ١٤٦ ، ١٤٩ .
القى في المنتدى الأدبي الذي أقيم «بمعهد شقراء العلمي» عام ١٣٨١ هـ .

وأما الشعر الوطني والقومي في ديوانه الثاني « على درب الجهاد » ، فقد ضم قصيدة « عيد الفطر من ٥٥ ، ٦١ » ألقاها الشاعر بمناسبة الاحتفال الذي أقامه سمو أمير منطقة عسير الأمير خالد الفيصل بعد صلاة العيد ، في مقر الضيافة بأبها ، ليشهد بأنوار الصوم الطيبة في النفس والمجتمع ، ثم أشاد بجهود الدولة ورجالها المخلصين ، ومنهم أمير المنطقة الأمير خالد الفيصل ، وقصيدة « فوق أرض الجنوب » استقبل بها الشاعر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، وبعض زعماء دول الخليج والبن ، حين زار منطقة عسير في ٢/٨/١٣٩٩ هـ ، بخي الضيوف الكرام ، ويتهم على العمل والوحدة لعزيمة الإسلام ونصرة المسلمين يقول فيها :

هي أبهى في بهجة المهرجان
وطيف الأحلام تناسب ونسى
فاستفات وحولها بشرى مات
 فإذا العاهل المفدى مطل
وضيوف على البلاد كرام
وهم اليوم قوة والخلاف

القوله :

وحب النساء للأوطان
شمت فيها مظاهر العمران
وتدايق القطاف حلو الجان
ين وتدكى مشاعر الوجдан
نعمتة من مواهب الرحمن
يفقتصى الجد من قصى ودانى
سوف ينسى منائر الإيمان
في دنا العرق ليس يلتقيان
سا وحزم في نيات الزمان

(١) على درب الجهاد : ٦٣/٧٣

رقدت في مجاهل السisan
ساورتهم مطامع الشيطان
وتجدد موطن الأركان
معقل المجد والمدى والبيان
بجناب المهيمن الدينان
في ثبات شريعة القرآن
والتزام منهج الله يعل

وإذا امتد في البلاد ضلال
وإذا تاه في الجهاللة قوم
وببلادى في نعمنة الله
وسياق مع الرمان لتقى
لا يقيم الأمور إلا اعتصام
والالتزام بمنهج الله يعل

ومن شعر الوطنية والقومية أيضاً قصيدة «تحية فهد» استقبل بها الشاعر نائب جلالة الملك صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز بمناسبة افتتاحه لخط الطائف - أبها - جازان ، في ١٤/١١/١٣٩٨ هـ بالباحة ويشيد أيضاً بجهود المملكة في مجال احياء البلاد وإقامة المشاريع الحيوية ، ثم أشاد بجمال المنطقة ، وتحاوب أهلها في مجال البناء وال عمران ، وحث على التضحية والعطاء لبناء الفرد والمجتمع على مبادئ سليمة وأسس قوية ، ومطلعها^(١) :

ليس أجدى في منهج الشعر عندي
والفوافي إذا استقامت على الحق
جنتحت في ذرى المكارم فيها
وتغنت بها البلابل شدوا

من وفاء لكل صانع مجد
وصاغت من درها كل عقد
وعهادت ما بين جزر ومدن
صادحات في كل غور ونجد

إلى قوله :

يا ربا الباحة الجميلة إننا
فانفحى العطر في الربوع نديها
وافرشى بالسروود درب المعالي
إن جازان والخاص وأبها
رائد يبذل النفس ويسعى

في ذراك الشماء في يوم خلد
وانسجى بالصفاء أروع برد
بين ودق من السحاب ورعد
تعجل في ذراك طلعة «فهد»
لتظل البلاد مؤهل رشد

وكذلك قصيدة «سد أبها ص ١٧٩ ، ١٨٦» يبارك فيها الشاعر جهود المملكة باقامة سد أبها العظيم ، الذي سيعود على السكان بالنفع العميم ، كما يتغنى بالمنطقة وجمالها ، فهي مسقط رأسه ، ومقر أهله وعشيرته ، في أبها عام ١٣٩٤ هـ .

(١) على درب الجهاد : ٩٤/٨٣

ثالثاً - شعر الطبيعة :

هذا هو الغرض الثالث في شعر زاهر ، جاء في ديوانه « على درب الجهاد » مختلطًا مع الشعر الوطني غالباً ، لسبعين :

أحداها : أن ينشد الشاعر قصيده في مناسبة وطنية ، مثل قصيدة « سد جازان » ، وقصيدة « فوق أرض الجنوب » ، وقصيدة « سد أبها » .

ثانيهما : أن وصف الطبيعة جاء من خلال الاشادة بتلك الطبيعة الجميلة ، التي هي جزء من الوطن الحبيب .

ولذلك كان شعر الطبيعة نيرا للغرض الوطني ، ورافداً من روافده ، ليفرض على الوطن بالجمال والروعة فعشقة النفوس وهيئ إلى القلوب ، فيزداد حبه له ، ويتفانى تضحية في سبيله .

أما القصائد التي غالب عليها شعر الطبيعة فهي قصيدة « في روع الجنوب » التي ألقاها الشاعر في المهرجان الكبير ، المقام في مدينة « أبها » تكريماً لسمو أميرها « خالد الفيصل » في ١٤٩١/٣/١٥ هـ^(١) .

وقصيدة « في روع القصيم » نظمها ، حينما قام الشاعر هو ومدير معهد شقراء العلمي الشيخ « عبد الله الضحيان » ، وجموعة من الأساتذة إلى القصيم ، فصور الشاعر انطباعاته عن تلك الرحلة في ١٤٨٠/٧/١٥ هـ يقول في المطلع^(٢) :

ركب تطلع من ذرى شقراء خنقت معاله مني ونساء
واهتز في حلل المسير كأنه طود أشم تمسكا وإخاء
إلى قوله :

يا روضة غمرت بساحر نورها
فيك العيون تفجرت بمحابها
كالدر بين الحاجزين صفاء
فاضت برقرارق العبر سخاء
فيك الحدائق غضة أغصانها
وتفوح من نفح النسيم شذاء
فترى البلابل غدت فوق الرب
وشتت بلحن يغمر الأرجاء
طرباً أثار برجعه نغمة
قد ردت لحناً بساحر نغمة
وتربى بها الأفان تقطر بالندى
متسامقات في العلا هباء

(١) الألبيات : ٢٥/٢٣

(٢) الألبيات : ٢٩/٢١

قصيدة « في روع القراء » حين قام الشاعر هو وصحابه برحالة إلى « القراء » في عام ١٣٩٠ هـ ، وهي مصيف جميل في ضواحي أبها يطل على منحدرات عامة ، يقول^(١) :

شاعر من الآفاق والسمات
مظلل على الأفق والفلوات
فأيقظ عزمى واستشار مشاعرى
فسرت له والشوق منى مطيبة
أجوب بها اليماء والعقبات
ويمت « للقراء » وجه مطينى
فوقت على « القراء » وقف شاعر
فجالت فى الأنطار بين رحابها
فأجلت فى أشعافها ووهادها
فما أجل المصطاف حين تفتحت
ونفع الشذى أضحي يعم بنشو
 وإن بعاليها وقرن منارة
تلوح بها الأقنان وهى شذية
ولبلها الصداح شاد بلحنها
ترى غصنا المياد جاش بزة
فلله من ساعات أنس تابعت
فهدى عبر النشر والسمات
فأطربا من ساحر التغمات
فررت له الأنفاس بالسبرات
على نثر القراء مزدهرات^(٢)
به أيكة منظومة الشذرات
وهي ندىا عاطر القطرات
على « مهمة » من أرضها النضرات^(٤)
سامضى وقلبي مفعم الحسرات
على بركات يا زهرة الريا

وكذلك قصيدة « في ذرى نجران ص ٥١ ، ٥٣) التي ألقاها الشاعر في الخلف التكريمي لوكلاء الوزارات عند زيارتهم التقديمة لمنطقة الجنوب في ١٣٨٩/٢/٣ هـ ، وقصيدة « زلة القول » والمناسبة التي قيلت فيها أن الشاعر « أحمد البدرى » زار أبها ، فتأثر بشدة البد في المنطقة ، وحمل عليها حملة عنيفة ، وأنكر جمال الطبيعة ، فعارضه شاعرنا في رأيه بهذه القصيدة

(١) الألبان : ٥٠/٤٩

(٢) القصر الملكي في الوسط بين غابات أشجار المعر

(٣) النثر : المكان المرتفع

(٤) مهمة : جمع مهمه وهي المغارة البعيدة المقفرة

انتصارا للحق ، لا أخذنا بالثأر ، فوصف سحر الطبيعة وجهاتها الأحاذ ، ومنها^(١) :

فِي أَفْقٍ «أَبِيهَا» فَذَاكَ الْقَوْلُ بِهَتَانِ
لَأَنَّهَا فِي الدَّرِي بَاتَتْ مُحَصَّنَةً
بِجَيْطَهَا مِنْ سِيَاجِ الزَّهْرِ أَلْوَانِ
أَمَّا رَأَيْتَ جَمَالَ «السُّودَةِ»
كَمْ بَلَلَ شَادَ صَدَاحَاهُ بِرَوْقَهَا
يَكْسُوُ النَّلَالَ سِيَاجًا مِنْ حَمَالَهَا
فِيَها عَبِيرُ الشَّذِي يَغْرِي بِنْشُوتِهِ
وَلِلْأَرْجُعِ بِهَا نَفْحٌ وَعَرْفَانٌ

وكذلك قصيدة «تحية نجران ص ١٤٩ ، ١٥٢» في الألعاب أيضاً وشعر الطبيعة كله ورد في «الألعاب» ، ولم يرد في الديوان الثاني «على درب الجهاد» ، لأن الشاعر خصه للقضايا الإسلامية والشعر الإسلامي وما يصلح به ، ولكن ليس معنى ذلك أنه لم يتعرض لسحر الطبيعة في هذا الديوان . لا .. بل كان يقصد الغرض الإسلامي أولاً ، ثم يكون تصوير الطبيعة تابعاً له ، كما في قصيدة تحية المعهد الوطنية ، وقد مرت أمثلة كثيرة .

وشعر الطبيعة عند زاهر تمحوّج به الحياة ، وتهزّ الطبيعة للأحساس الرقيقة ، وتعاطف مع المشاعر العميقـة ، فتبذر حبـها لـمن يحبـها ، وتناسب أسرار الجمال فيـها لـمن يـقطـن لأـسرـارـها ، ولذلك حينـها تـبدـلتـ مشـاعـرـ الشـاعـرـ «أـحمدـ الـبـرـىـ» وـتـجمـدتـ أحـاسـيسـهـ ، وهـجـمـ علىـ أـبـهاـ مدـعـياـ أـنـهاـ تـسـيءـ إـلـىـ الآـخـرـينـ ، فـيـكـوـنـ بـنـارـهـ هـبـ زـاهـرـ يـدـافـعـ عنـ مـحبـوـتـهـ «أـبـهاـ» وـجـالـ سـحـرـهـ ، ويـصـفـهـ بـجـمـودـ الـاحـسـاسـ وـتـبـلـدـ الـعـاوـافـ يقولـ لهـ^(٢) :

لَكُلِّ قَوْلٍ مَدِيَ الْأَزْمَانِ خَذْلَانِ
وَرَلَةَ الْقَوْلِ يَهُوِي فِي مَدَارِكَهَا
مِنْ خَانَهُ الْقَهْمِ وَاستِجْرَاهُ شَيْطَانِ
فَمِنْذَ أَنْ رَدَ «الْبَرِّىِ» قَوْلَتِهِ
جَاءَ طَبِيعَىَ لَهُ فِي الْأَفْقِ جَلْجَلَةً
تَفَتَّرَ مِنْهُ الْقَوَافِ وَهِيَ بَرْكَانِ
عَجَبَتْ مِنْ شَاعِرَ نَدَتْ مَشَاعِرَهُ فَمَا رَأَىْ رُوْضَةً بِالْزَّهْرِ تَرْدَانِ

لماذا ؟ لأن زاهر يحول بوجданه ومشاعره في مجال الطبيعة ، فيسرّ أعماقها ، ويسعد بأسرار الجمال فيها ، لأنه أحبتـهـ ، وهـامـ بـهـ وـهـامـ بـهـ ، فـجـاءـ طـيفـهـ مجلـلاـ بالـأشـعـارـ ، تقـيـضـ حـمـماـ بـالـشـاعـرـ وـالـعـاوـافـ كـالـبـرـكـانـ ، أـمـاـ الـبـرـىـ فقدـ جـمدـتـ مشـاعـرـهـ ، وـغـابـتـ عنـ وجـدانـهـ ، فـليـسـ بشـاعـرـ ، لأنـ الشـاعـرـ هوـ الـذـيـ يـهـزـ لـأـسـرـارـ الـحـيـاةـ وـيـقطـنـ لـمـكـاتـمـ الطـبـيـعـةـ السـاحـرـةـ أـكـثـرـ منـ

(١) الألعاب : ١٤٥/١٤٠

(٢) الألعاب : ١٤٦/١٤٠

غيو ، لدقة أحاسيسه ، ورفاهية مشاعره ، وكيف يغيب البدرى عن وجوده ، ويتجدد من وجданه المتلحر أما العروس ، التى ترتدى أجمل حللها من الزهور ، وتليس فى روضة أحذاء فتنة دلالاً وتبها :

وفي النهاية يطلق الحكم على البدرى توقعاً يتزدد بموسيقاه العذبة في جوانب الدنيا ، لتظل
أبيها كما كانت بين بطاح الأرض منتجعاً لعشاق الطبيعة ، وتأرخاً حافلاً بالجد والشهرة ، التي
طبقت الآفاق بأشجارها وأغانيها وأزهارها وربوعها وألبانها :

ولكن كفتلك بطاح الأرض متتجعاً عن مجده «أيتها» وفي ذرواعها البان^(٢)
تلك هي الطبيعة في شعر زاهر ، يدافع عنها ، وتحمي ذمارها ، وبخوض المعارض في
سبيلها ، لأنّه يثور إن أساء إليها أحد ، أو نال من شرف الجمال فيها ، أو خاض بالباطل في
عراصاتها ومجاليها ، فذلك اعتداء سافر على خدرها الجميل ، وكيف لا يثور ويغضب ، ويتفجر
بركاناً وشرعاً ، وهو الهائم بالطبيعة ويسحر الحياة فيها ، المتميّز بما وراء الأزهار والأشجار من أسرار
وعجائب والمؤخوذ بما خلف الأغاريق والأنعام من دفائف ، والمنساب من رقة التسميم الحادى
والعطوف ، فتفتح له أكمام الأزهار باسمة لتفصح عن وجودن الشاعر ، الذي اهتز لأسرار تجمدت

قد تك الععن الشم من وين وما عليه اذا ماغط وستان

(١) ما بين الأقواء، أسماء لأحياء في آيا

^(٢) خطب من الشيخ في أنها واحدة : بانة

تلك خصائص شعر الجنوب من شاعر ارتصع لبانها واغتنى من رحيقها ، وهي بهائها ونسيمها فخلص لها الحب والوفاء والعطاء ، فكان هذا الغرض بكرا من بين أغراضه الأدبية .

رابعاً — الرثاء :

الرثاء الغرض الرابع في شعر زاهر ، فقد اشتمل على قصائد في «الألميات» مثل قصيدة «نجم هوى ص ٣٠ ، ٣٢» رثى بها الشاعر سماحة الشيخ «محمد بن ابراهيم آل الشيخ» مفتى الديار السعودية المتوفى في شهر رمضان عام ١٣٨٩ هـ ومطلعها^(١) :

نجم هوى فارجت البيضاء
وأغرى وجه الأرض وانداحت به
سحب جهام كلها دماء
ودهى الجزيرة خطب هول فادح
برزة عصفت بها النكبة
في الشام في أردنها العلماء
وأصفت لها بغداد واضطربت لها
وعلى ضفاف النيل دوت صيحة
أحمد قطب الفضيلة والحجاج
أدرجت في كفن السماحة والندي
ومشت تحف بعنشك العظاماء

إلى قوله :

وتكلشت عن وجهها الظماء
فلأنت بدر في الدجى وضاء
بالحلم منصاع لك العلماء
فسمت بقبيض معينها أكفاء
وبها سمت وتعالت الغراء
فعلت بك الآداب والأدباء
تحمى الحمى فهابك الأعداء
عظمت وكان شعراها العلياء
لا يرتقى لنواره إعفاء
واستوحشت لفراقك البطحاء
ونحدث الأدباء والشعراء

كم ليلة أحبتها فنورت
قد كنت في حلقات علم رائدا
ولأنت بحر في العلوم متوج
أحببت بالعلم الشريف محفلا
وارثادها من كل قطر رائد
أمضيت عمرك في العلوم مجدا
قد كنت للإسلام درعا ضاما
فلكلم على مر الزمان مائرا
يا من له في كل قلب موطن
فقدت من أرض الجزيرة أمة
ونعتك من أرض الدنا قادها

(١) الألميات : ٣٢/٣٠

والمحكمات الغر قد أدى بها ذكر جميل في السورى وثناء
تردان فيك سماحة ورحاجة
وعدالة تقضى بها ورفاء
الله من ساحات حزبه أطبقت
بهموها فقوالت الأرذاء
لكتها الأقدار تحرى في السورى فالصبر سلوان لنا وعزاء

رثاء تميز بخصائص جعلته يسير في ركب التجديد لهذا الغرض الأدبي حيث جعل الشاعر
لمرثيته عنواناً وموضوعاً شاعرياً لا كالشأن في الرثاء القديم ، كان الشاعر ينسب قصيده إلى
المرقى ، ويجعل اسمه عنواناً وموضوعاً لمرثيته ، لكن زاهر يجعل العنوان والموضوع شعراً ، يختار
صورة شعرية رائعة ، تناسب مع الفاجعة الحزينة ، وتتلاءم مع الكارثة المذهلة ألا وهي « نجم
هوى » « وما أدرك ما النجم إذا هوى ، لقد أقسم رب العزة به » والنجم إذا هوى ما ضل
صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى » ... إنها
النهاية ، فسقوط النجم اختلال في موازين الكون ، وهذا لن يكون ، لأن الرسالة حقيقة ،
والوحى حقيقة ، محمد الرسول حقيقة ، فالحقائق هذه تجعل النجم في مداره لا يسقط أبداً إلا
بإذن الله تعالى .

أما نجم الشاعر فقد سقط ، لماذا ؟ لأن الشعر يقوم على الخيال ، والتصوير الأحاذ ..
والقبيلة تفجر مشاعر الأحزان ، وتأخذ الحزين من ساحة الصدمة والألم ، إلى الاشتغال بهذا
الحدث الجلل ، فيكون مصدراً للتعويض ، ومنطلقاً للتخلص من الصدمة العنيفة ، فينصرف من
حال إلى حال ، وفي التحول يكون الصبر ، واستمرار الحياة كما أراد الله ، وهذا آثر الشاعر ،
ذلك العنوان الشاعري الموجى بأكفر مما ذكرت .

ومن خصائص التجديد في الرثاء عند زاهر ، أنه لم يستغرق كثيراً في تصوير الصدمة إلا
في الخمسة الأولى ، أما الأبيات التالية التي تربو عن العشرين ، اتجه الشاعر فيها إلى تصوير القيم
الإسلامية ، والمبادئ التشريعية ، وما كان لها من أثر قوى في فداحة الجلل .. فهو رائد العلم
وغير العلوم ، ومجدد التراث ، ودرع الإسلام ، وصاحب العقل والسمحة والرحاجة ، ومقيم
العدل ، وغير ذلك من القيم الإسلامية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية الغراء .

ومن الخصائص أيضاً أن القصيدة قامت على غرض واحد ، بلا مقدمات غزلية أو
غيرها ، كما في الرثاء القديم ، وبعض الرثاء الحديث ، وتلك هي الوحدة الفنية والموضوعية ، التي
امتنى بها الشعر الحديث .

ومن الخصائص أيضاً أن الشاعر جسم حزنه وصدمته ، فسرت من وجدهاته إلى مظاهر
الكون ، لأنها وحدها هي الفيصل في الحكم على المرئى ، فيكون إجماعاً من كل الخلق ، والسماء
والأرض ، والبيداء والأرجاء والسحب ، فاصطبعت العراق والشام ، والأردن والنيل ، وكل الدنيا ..

لكن الشاعر لو عبر عن حزنه وحده ، لكان حكما من طرف واحد ، وبذلك لم يكن منصفا لحق المرثى ، الذى طبق الآفاق علمه وفضله ، فهى الجديرة بالحكم عليه ، لا الشاعر وحده ، وتلك من خصائص التجدد فى شعر الرثاء عند زاهر ، التى عبرت عن صدق الشاعى فى تجربته الشعرية ، فهى لقوعها وصدقها ناء بها الشاعر وحده ، فشاركه الكون مبن فيه ، وما فيه ، من هول الفاجعة ، المتفجرة من وجده.

وتسرى على هذا النطى قصيدة « دهى الخطب ص ١٠٦ ، ١٠٧ » ، أنشدتها الشاعر فى رثاء الأستاذ عامر بن على الألعنى — مساعد مدير التعليم بمنطقة جازان ، حينها أصيب بحادث مفاجيء فى عقبة « ضلع » عام ١٣٨٦ هـ^(١).

وكذلك قصيده « تعزية ومواساة ص ١١٨ ، ١١٩ »^(٢) ، التى بعث بها إلى صديق فقد صديقه فى عام ١٣٨٢ هـ ، وقصيدة « فقيد العلم »^(٣) قالها الشاعر فى رثاء ساحة المفتى لشؤون الكليات والمعاهد العلمية الشيخ عبد الطيف بن ابراهيم آل الشيخ المتوفى عام ١٣٨٦ هـ . وقصيدة « فقيد الاسلام »^(٤) فى رثاء الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى المتوفى عام ١٣٧٨ هـ .

والرثاء عند زاهر جاء فى ديوانه الأول « الألعنات » ، أما الثانى « على درب الجهاد » فقد اشتمل على قصيدة واحدة أخرجتها من باب الرثاء ، وأدخلتها فى باب الشعر الاسلامى لأسباب أهمها :

أن المرثى وهو المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه لم تكن شخصيته فى ذاته ، وإنما تحول إلى زعامة إسلامية كبيرة ، لها نمطها الاسلامى الكبير ، فأصبحت زعامة الاسلام قيمة مجردة ، ومحضمة فى ذاتها ، يتحدث عنها الشاعر حديث القيم الاسلامية التى جاء بها الاسلام ليجعل منها منارة فى كل عصر ، يهتدى بها المخلصون فى كل مكان ، وهذه القصيدة هي « فجع الأنام »^(٥) .

(١) الألعنات : ١٠٧/١٠٦

(٢) الألعنات : ١١٩/١١٨

(٣) الألعنات : ١٢١/١٢٠

(٤) الألعنات : ١٢٧/١٢٦

(٥) على درب الجهاد : ١٤٠/١٣١

خامساً — المدح :

والمدح في شعر زاهر هو الغرض الخامس من الأغراض الأدبية ، والشعر فيه قليل بالنسبة للأغراض الأخرى ، وتجمعت قصائده في « الألعميات » ، فضم قصيدة « فرحة ولقاء » ألقاها الشاعر في الحفل التكريبي ، الذي أقيم لسمو وزير الدفاع والطيران سلطان بن عبد العزيز حينما زار نجران في عام ١٣٨٨ هـ ، ومطلعها :

أَسْلَطَانَ قَدْ جَاءَتْ بِأَنْبَاثِكَ الْبَشَرِيِّ
وَنَادَى بِهَا مِنْ رَبِيعِ نَجْرَانَ أَشْبَلَ
يَمِينَ فِيَكَ الْمَحْدُوِّ وَالْقَائِدُ الَّذِي
يَمِينَ بِنُورِ الْإِسْلَامِ نَادَى بِهَا جَهَراً
وَشَادَ هَذَا النَّاسُ أَرْكَانَ مجْهَدِهِ
فَاهْلَاً بِمَنْ فِي دَوْمَةِ الْمَحْدُوِّ أَصْلَهِ
وَاهْلَاً بِيَبْانِ الْجَيْشِ وَالْجَيْشِ قَوَّةِ
وَاهْلَاً بِيَبْانِ الْجَيْشِ وَالْجَيْشِ قَوَّةِ فَخْرٍ^(١)

وكذلك قصيدة « رائد نهضة » ألقاها الشاعر في الحفل التكريبي الذي أقامه « معهد أبهى العلمي » على شرف معالي وزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ عند زيارته للمعهد في ٢٢/٧/١٣٨٤ هـ في نطاق جولته التفقدية لنطقة الجنوب ، ومطلعها^(٢) :

سَطَعَ الضَّيَاءُ عَلَىِ الْمَشَارِفِ وَالْذَّرِّيِّ
وَأَطْلَلَ مِنْ بَرِّ الْمَعَارِفِ نَيْرَا
فَسَمَتْ بِهِ الْآمَالُ وَهِيَ جَدِيرَةٌ
تَحْدُو بِهَا الْبَشَرِيِّ بِرَائِدِ نَهْضَةٍ
لِلْعِلْمِ لِلْإِسْلَامِ فِي دُنْيَا السُّورِيِّ
بَطَلَ تَذَرُّعَ بِالْأَمَانَةِ خَطْتَهُ
ذَا الْيَوْمِ عَهْدَ لِلْبَلَادِ مَتَسْوِجَ
فَالْمَعَهْدُ الْعَلَمِيُّ يَرْفَلُ بِهِجَةَ
إِنِّي أَرْحَبُ بِالْوَزِيرِ أَصَالَةَ
فَشَابِنَا الدَّاعِيِّ يَفِيضُ شَعُورَهُ
بِالْمَقْدِمِ الْمَيْمُونِ أَنْبَلَ مَا يَرِي

وهكذا تمحضى القصيدة على هذا النحو ، وقصيدة « تحية إجلال وتقدير » بعث بها الشاعر إلى معالي الأمير خالد الأحمد السديري المشرف على إمارة نجران تحية وتقديراً لجهوده الخيرة ، وتشجيعاً للعلم والأدب ، ومطلعها^(٣) :

(١) الألعميات : ٩٥/٩٨

(٢) الألعميات : ١٠٢/١٠٣

(٣) الألعميات : ١٢٢/١٢٥

أمير المعال خالد في الورى شهم كرم الفعال الغر والرائد القرم
 أمير له العليـا قسم ومنهج كفى شرقاً أن المعال له قسم
 تسلـل من أمجاد فخر وسـدد لهم شيم قد زانها العدل والحلم
 إلى آخر القصيدة ، وقصيدة «أسفر الصبح» ألقاها الشاعر في الحفل التكريمي ، الذي
 أقامه الشيخ أحمد بن محمد العسكري في قرية «الشرف» تكريماً لسمو وزير الدفاع والطيران
 الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود عند زيارته التفقدية لنقطة الجنوب عام ١٣٨٣ هـ
 ومطلعها^(١) :

أسفر الصبح بالهدى والمكارم
 وأدفهم الغمام في ومض برق
 فإذا بالريـع يختال طلقـا
 يغمر السروض نوره المزاـحـمـا
 فرحة عـقرـيـة غـمـرـتـا
 يا ابن عبد العزيز يا ابن إمام
 ترتسـم خطـوهـ القـرـونـ القـوـادـمـا
 زـرتـا رـائـدا فـحـيـثـكـ منـا
 إـيـهـ سـلـطـانـ فـلتـعـشـ عـقـرـيـا
 وـيـتمـيزـ المـدـحـ عـنـ زـاهـرـ بـخـصـائـصـ فـيـةـ ،ـ تـسـمـيـهـاـ الغـرـضـ إـلـىـ مـرـاتـبـ التـجـدـيدـ فـيـ الشـعـرـ
 السـعـودـيـ الـحـدـيثـ ،ـ وـهـيـ :

أولاً — القصيدة عنده قامت منذ البداية على موضوع واحد يدور حول الغرض وهو المدح ، الذي يبدأ به المطلع في القصيدة ما عدا القصيدة الأخيرة ، استهلها الشاعر بالطبيعة الساحرة ، التي عبرت هي الأخرى عن الترحيب بالمدح وحسن استقباله ، فيتسم الروض ، وتنتفع الأزهار ، وتطل الأنوار ، وهذا الاستدلال الجيد المشوق ، لا يخرج عن موضوع الغرض ، بل داخل فيه ، ومتلاحم معه ، حيث جند الشاعر الطبيعة معه لتعبير هي الأخرى عن فرحتها وابتهاجها لاستقبال المدح الأمير سلطان بن عبد العزيز .

ثانياً — الشاعر لا يمدح الرجل إلا بما فيه ، من غير مبالغة ولا معاظلة ، فالعالم وزير المعرف يمدحه بعلمه وفضله ، وحسن ريادته في العلوم والأداب ، والقائد كالأمير سلطان وزير الدفاع والطيران يمدحه بما هو فيه : من حسن الكياسة والسياسة ، وشرف القيادة والحكمة

(١) الألعـياتـ : ١٢٩/١٢٨

(٢) العسكريـ شـيخـ قـبـيلـةـ بـنـيـ العـوـصـ ،ـ إـحدـىـ قـبـائلـ رـجـالـ أـلـمـعـ ،ـ وـالـمـاجـمـ هـمـ أـمـرـاءـ مـنـ عـسـيرـ ،ـ مـنـ القـبـائلـ
 الـتـيـ تـبـعـهـمـ :ـ رـيـحةـ وـرـفـيـدةـ وـبـنـوـ شـوـعـةـ ،ـ وـأـمـيـرـهـمـ الـحـالـيـ عـبدـ الـوهـابـ الـمحـمـيـ .

العسكرية ، والمهارة الفنية ، وغير ذلك مما ورد في القصيدة بما يتناسب مع مهارته العسكرية ، ومنصبه في الجيش الذي يقوده ويتولى أمره ورعايته .

ثالثاً — القيم التي قامت عليها مدائحة قيم نبعت من ظروف عصو ومتضيّات أمنه ، فقصيدة « رائد نهضة » اشتغلت على القيم العلمية والفكريّة والأدبية ، التي جعلت معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزيراً للمعارف ، وموجها للمعاهد العلمية في المملكة العربية السعودية ، وكذلك قصيدة « فرحة ولقاء » وقصيدة « أسفـر الصـبح » قاما على قيم سامية نبعت من مكانة الأمير القيادية والعسكرية ، وحـكـمـهـ السـيـاسـيـةـ ، بما هو به جـديـرـ ، فـصـارـ أـهـلـاـ لـهـذـهـ الـقـيـادـةـ ، وكـذـلـكـ الـأـمـرـ فيـ القـصـيـدةـ الرابـعـةـ .

رابعاً — تجردت المدائحة عند زاهر من الإطالة في المدح القديم ، وتـسـخـيـوـ لـحـاجـةـ القـائـلـ منـ الرـغـبةـ فـيـ المـنـحـ وـالـعـطـاـيـاـ التـيـ يـتـغـيـرـاـ مـنـ المـدـوـحـ ، حيثـ كـانـ الشـاعـرـ القـدـيـمـ ، يـقـصـدـ مـنـ شـعـرـهـ العـطـلـةـ اـبـتـدـاءـ ، فـإـنـ لمـ يـفـضـ عـلـيـهـ المـدـوـحـ بـهـ اـنـقـلـبـ الشـاعـرـ هـاجـيـاـ نـاقـماـ ، مـاـ جـعـلـ الـقـصـائـدـ فـيـ المـدـحـ الـقـدـيـمـ سـلـمـاـ تـقـلـيدـياـ ، يـتـدـرـجـ فـيـ الشـاعـرـ ، عـلـىـ الـقـيـمـ التـقـليـدـيـةـ فـيـ المـدـحـ عـنـدـ الشـعـراءـ فـلـاـ يـخـرـجـ عـنـهـ .

لكن زاهر حينما ينشد قصيدة في المدح ، لا ينتهي من ورائها شيئاً من ذلك مما يعبر بصدق عن الصفات التي لا تفصل عن المدح والتي نبعت من ظروف عصو لا عن تقليد للتغيير ، وفاضت بها طبيعته وروحه ومنهجه في الحياة المعاصرة ، وكذلك كانت القيم التي يمتلك بها الشاعر مدحه فيما جديدة معاصرة ، تتلاءم مع شخصية المدح ، وطبيعة العمل الذي يقوم به ، فطبيعة شخصية صاحب السمو الملكي قائد جيش ، وصاحب المعالي وزير للمعارف وموجها في التعليم ، وطبيعة الأمير السديري تختلف هي الأخرى عن الطبيعتين السابقتين ، وهكذا أصبح لشاعرنا اتجاه خاص في مدحه يختلف فيه عن المدح في الشعر القديم .

سادساً — شعر الحضارة :

وهذا غرض جديد من أغراض الشعر الحديث ، يصور فيه الشاعر الحضارة المعاصرة بشقيها ، الأول : المعنوي والأخلاقي والمثالى . والثاني : المادي من التقدم العلمي الصناعي والزراعي والاقتصادي وغيرها .

وقد يتجاوز بعض الشعراء الحديثين مع التقدم الحضاري في شعر يصور هذه الجوانب ، وقد لا يتجاوز البعض الآخر ، وشاعرنا زاهر قد أنشد شعره في هذا الغرض الجديد ، مثل قصيده « مراق الفضاء » التي ألقاها الشاعر في المهرجان الثقافي الكبير « بمتحف أبها العلمي » عام ١٤٨٤ هـ ، وذلك حينما حلّت ضجة كبرى حول غزو الفضاء ، وظهرت بوادر الانكار

من بسطاء الناس ، لذلك التقدم العلمي ، فاشتملت القصيدة — كما يقول الشاعر — على هذا الفرض المضارى ، ثم ختمها بمحاب من التوجيه والدعوة إلى العلم يقول^(١) :

إنتى اليوم لا أروم خيالا
 بل أقول بداعع من شعور
 هل لنا اليوم في المعالى شباب
 يحملون الأعباء غرّاً كراماً
 فالبدار البدار يا أمّة المجد
 واصرخى في بنيك أحفاد (سعد) (والشّىء)، (وخلالد) العلياء
 ففخار الشعب بالمثل الأعلى جيل متقدّف شرفاء
 همّوا غاية منار الثّواب دون أدّى مرامها البناء
 بارك الله في شباب تساموا للمعالى وللبنا والفتاء
 وارتقاوا في مشارف مثل العليا وكانوا أشواش الميجاء
 يصور الشاعر مدى التقدّم العلمي الحضاري الحديث ، الذي وصل فيه العلماء إلى
 الفضاء ، وغزوا معلم الأرجاء ، ثم يوجه شباب أمته أن يواصلوا الدأب والكفاح في سبيل تحصيل
 العلوم ، لكي تعيش الأمة الإسلامية كريمة لترقى مشارف الكرماء ، ولتشيني حضارتها بقوة لا تبالي
 أحداً ، ولا تتحذّز مبادئ الضففاء منهجاً وسلوكاً ، كيف لا يتحملون هذه الأعباء كراماً ،
 ليرتقوا بها في ظلال شريعة سمحاء ، كان سعد وخلالد والشّىء رضى الله عنهم المثل الأعلى لهذا
 الجيل المثقف الذي كان دائماً يسمى للمعالى والبناء والتضحيّة والفتاء .

والشاعر هنا قد مزج بين شقى الحضارة العلمية المادية ، والفكريّة الأخلاقية ، ففتح
 الشباب على سباق الزمن ، لكي يصلوا إلى ما وصل إليه الغرب من تقدّم في مجال الصناعة
 العلمية ، التي تمّ بها غزو الفضاء ، ولا يصلح هذا التقدّم إلا في ظلال الحضارة الأخلاقية والقيم
 الفاضلة التي هي جوهر شريعة الإسلام ، والتي جعلت من قوادها مثلًا أعلى يقتدي بهم في كل
 عصر وجيل ، لأنّ الحضارة العلمية المادية وحدها لا تنفع ، ولا ترقى بالأمة ، بل لابد من مؤازرة
 الحضارة الأخلاقية والمثالية لتهذيب النفس واستقامتها على الجادة في بناء الحياة وتقدمها ،
 وإرائهَا على أساس قوى متين من الحضارة الإنسانية النافعة .

واهم الشاعر كثيراً في شعره بإبراز الحضارة الأخلاقية التشريعية التي جاء بها الإسلام ،
 فهي الركن السامي ، والجاذب في بناء الحضارة المادية الصناعية والزراعية ، وذلك في قصيده « تحية
 مؤتمر الفقه الإسلامي » الذي دعت إليه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المنعقد في
 الفترة من ١٣٩٦/١١/١٨ هـ إلى ١٣٩٦/١١/٢٠ هـ ، ليشيد بعلماء الإسلام وفقهائه ومحدثيه
 والدعوة إلى الاقتداء بهم منهجاً وهدفاً وتضامناً^(١) :

(١) على درب الجهاد : ٤٧/٥٣

أقول وقد لاحت بآفاقنا البشري
أتلك مراق مالك وابن حببل
أتلك رحاب الشافعى وصحبه
أتلك ريا النعمان والصحابى حوله
أتلك بلاد الشام فاحت تضويعا
أتلك ريوس القبوران تحركت
أتلك بخارى تفتح المسك أذفرا
بلاد أقامت للحضارات منهجا
ومؤثر الفقه الذى ذاع في الورى
ويمسه من كل فج فطاحل
وأهلها يكم يا قادة الفكر والنوى
فسيروا على نهج الألى شيدوا لنا
وقد حلقو للمسجد في عزم صامد
تولوا كتاب الله بثنا وخدمة
واللسنة الغراء قد جد جدهم
فأصبح ينبع المعارف مترعا
وإن هدى القرآن للناس ساطع
كما واصل الألاف في هداء الدجى
فشدوا من التشريع صرحا مخلدا
هو الأمن والإيمان والنعمه الشى
أتلك رياض العلم تستقبل الفجرا
تتجزء من عرفاتها في الدنيا بحرا
تفيض على الأنفاس من روحها نشرا
أناروا لنا دريا وأثروا لنا فكرا
وقد أنيت أسمى فطاحلها قدرها
وقاتلت إلى القادات إذ يمت مصرها
وقربة الغراء كانت لنا فخرا
يطاول في عالياته الأنجم الزهراء
وأمسى محمد الله في ليلنا بدرها
وقد سرت أبعاد أغواره سيرا
ومؤشرات الخير أنت بها أحسرى
صروحها من التشريع ناصعة غمرا
تقطى صعبا الدهر واستسهل الوعرا
وغاصوا من اللجاجات أعمقها غورا
فجابوا فجاج الأرض ما تركوا قطرها
تطوف على رقاقه أمم تسرى
فأحيوا بتشريعاته في الورى ذكرها
دراساتهم للذكر فاكتسبوا أجرا
ألا نضوى في ظله مرة أخرى
بها تسعد الأجيال في شأنها طڑا

وهكذا يمضي الشاعر إلى نهاية القصيدة ، يشيد فيها بحضارة الشريعة الغراء والفقه الاسلامي الذى يقيم منهجا جادا وسلوكا فاضلا ، أقام أصوله وجمع أبوابه أئمة أجياله في العلم والمعرفة مثل الامام مالك والامام أحمد بن حببل ، والأمام الشافعى وصحبه ، والأمام أبي حنيفة النعمان وصحبه ، وقد أينعت هذه حضارة الفقه الاسلامية في بلاد الشام فأنيت أسمى فطاحلها ، وفي ريوس القبوران ، وفي قادات مصر ، وفي بخارى وقربة الغراء ، وغيرها من الحواضر الاسلامية القديمة ، التي أقامت للحضارات منهجا ، تطاول إلى النجوم في الشرف والرفعة ، فشدوا من التشريع الاسلامي صرحا شاملا خالدا ، يرفرف على الأجيال بالأمن والإيمان والنعمه والسعادة ، فقد أنقذهم من الضلال والتبه والفساد في البر والبحر والجو كتاب الله وسنة رسوله ، والجهاد المقدس في سبيل الله وسنة رسوله ، فالخير العظيم للأمة الاسلامية والأجر الجزيل للمؤمنين ، إنما يكون بالسير على منهج الاسلام وتنفيذ حكم الله في مجالات الحياة ، وفي الوحدة الاسلامية الكبرى .

تلك هي القيم الأخلاقية والروحية ، التي تعد أساسا في بناء الحضارة في أي عصر وفي كل جيل ، وليس هذا فحسب فحضارة الإسلام أيضا تقوم على ذلك النظام الاقتصادي الإسلامي المادي الفريد في منهجه ومارسته لهذا الاقتصاد ، الذي تولى تنظيمه وتوضيحه الفقه التشريعي ، على نحو لا مثيل له في المذاهب الاقتصادية الحديثة من اشتراكية ورأسمالية .

فالفقه الإسلامي أرسى قواعد النظام الاقتصادي المادي في كتاب المعاملات على النحو الآتي :

أهم موضوع المقاييس الصحيحة في تحديد القيم العليا ليجعلها أساسا للتفضيل بين الناس وهي الأخلاق وحسن الأعمال لا الأموال والعقارات ، قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ولو كان التفضيل وبلغ المزلة السامية عند الله بكافة الأموال لتحولت البشرية إلى وحش ضاربة ، يفترس فيها القوى الضعيف بلا مبالاة ، لأن ذلك شريرة .. ولكن الله لطيف بعباده .

أقرت الشريعة الإسلامية أن المسلم مستخلف على هذا المال ، وأمين عليه ، وموظف فيه من قبل الله عز وجل ، الذي جعل مهمته على المال المستخلف عليه هي التنمية والإنفاق ، لا الكفر ولا الاحتكار .

أهم بالمصادر التي يكتسب فيها العبد المال ، فتحث على أن تكون مصادر طيبة أحلها الله سبحانه وتعالى وشرعها لعباده ، وحرم المصادر الخبيثة والكبش الحرام « كانوا من طيبات ما رزقناكم » ، « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل لتذلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

وفرض الله على المسلمين في أموالهم حقوقا واجبة مثل حق النفقة على الزوجة والأولاد والأباء والأمهات ، والنفقة على الأقارب وحق الزكاة وحق الإنفاق في سبيل الله .

أقام نظاما تشعريا فقهيا عادلا في العقود والمعاملات حتى لا يتظلم الناس ، فوضع الأصول والقواعد والشروط والواجبات في أبوابه المختلفة من بيع وشراء وهببة وإجارة وإعارة وإحياء موات وزراعة ، وشركة ومضاربة ، وقرض وسلم ، وخيار ووصية ، وغيرها من أبواب المعاملات في الفقه الإسلامي .

كما نظم عملية الانتاج والعمل ، ونظم السوق والحركة الاقتصادية فيه من وضوح السلعة ، وضبط الأسعار ، والوفاء بالكيل والميزان وغير ذلك لمن أراد أن يستزيد .

وبهذا يتضح لنا أن الفقه الإسلامي في باب العقود والمعاملات يحمل بين طياته النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يبني الحضارة المادية ، ويسمى بالحضارة الإسلامية حضاريا ، لا من

الجانب المادي فحسب ، بل سبب الأسباب ، هو البناء الأخلاقى المثالى الذى يتلاحم مع الجانب المادى .

فاحلاص العمل المادى ليكون لوجه الله تعالى يسین عليه طابعاً تعبدياً أخلاقياً .

والجوانب المادية تتحرك من خلال مراقبة ذاتية داخلية في ضمير المسلم يخشى الله ويخاف عذابه وحسابه . قال تعالى : « وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كا أحسن الله إليك ولا تتبع الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

وكذلك قصيده « تحية المغرب العربي » التي يشيد فيها بحضارة الإسلام في المغرب العربي وببلاد الأندلس ، ومطلعها^(١) :

عقبت بالنشر في أنسى مكان وبدت شماء في أفق الزمان
إلى قوله :

أنا في أرض سما المجد بها
فاذكروا القادات في رايها
عندما خاضت عباب المعمان
وتسامي « طارق » في أوجهها
يتخطى فوق أطراف السنان
واستقامت في ربا أندلس
جنة الدنيا ونباس المفان
أنا إن حلقت في الأفق وإن
غضت في الأعماق فاجدد حماني
وأبن زيدون أمامي وابن هاني
المح الشطئان من أندلس
فاذكروا بالفخر أرباب الذي
من رقوا فيه إلى أنسى مكان

(١) على درب الجهاد : ١٠٧/١١٥

التصوير الأدبي

أولاً — التجربة الشعرية :

هو انفعال الشاعر بمشهد أو حدث أو فكرة أو موضوع أو عاطفة أو خاطرة ، أو غير ذلك مما يهز المشاعر ، ويحرك الأحساس ، ويشير الوجودان ، ويلهب العاطفة ، ويحفي الخواطر ويعشعها ، لتتلاحم كلها في عالم الشعور ، أى في معامل النفس والوجودان والمشاعر والعواطف في تجربة شعرية تتحرك إلى مجاهما : مجال الأسلوب والإبداع في التصوير ، الذي يتعاون فيه العقل والخيال معاً في انتقاء الأنفاس والأساليب والصور والموسيقى والإيقاع ، ليتناسب الجميع مع الغرض والموضوع والمعنى والعاطفة والمحسات ، في اتزان وتوازن بين العقل والخيال ، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر في داخل النفس .

فإن طغى الخيال ، وانطلقت العاطفة والمشاعر والوجودان انصرفت القصيدة في تصوير أدبي ينساب كالسراب بعيد عن الواقع والالتزام ، مسرف في الذاتية والأنانية ، ومحظوظ من كل ما يشد الشاعر إلى واقعه في الأرض ، فيحلق الشاعر إلى برج بعيد يملؤه المفرد والتحرر المطلق ، والذاتية المسفرة والأنانية الزاهدة .

وإن طغى العقل تنوّعت القصيدة إلى عدة أشكال نتيجة للتحجر العقلي والإسار المنطقي ، بما لا يناسب مع طبيعة الشعر .. فاما أن تكون القصيدة في أسلوب علمي ، يقرر القواعد والأصول ، ويطلق الأحكام ، ويعلن النتائج ، وهو ما يطلق عليه النظم العلمي ، مثل ألفية ابن مالك والبديعيات كالقصيدة البدوية لصفى الدين الحلبي وغيرها .

وإما شعر تقليدي أختنه الزخارف والأنقال ، وتغير في الجمود العاطفي والفكري ، وتجمدت فيه المشاعر والأحساس ، في نظم يدور على ما قاله القدماء ، في تقليد أعمى بلا موهبة شعرية ، ولا استعداد أدبي لقول الشعر ، وذلك مثل الشعر قبل البعث الأدبي المعاصر على يد البارودي ومن معه .

وإما محافظ « كلاسيكي » يطبق فيه الشاعر عمود الشعر العرف لكنه في جفاف العقل ومقاييس المنطق ، وبأى أن تمت شرايين الخيال ، لتبعث فيه الحياة ، ويكتفي أن يصور الحقيقة مقنعة ، تأخذ مكانها من العقل لا الوجودان ولا القلب ، وهذا الشعر يذهب عن قارئه بمجرد أن يتبعى لا يجد له أثراً مثل شعر ابن عثيمين في السعودية وشعر ابن نباتة المصري والشيخ العطار من مصر وغيرهم .

أما إن سار العقل والخيال في اتزان ومطابعة للفكرة والمشاعر والعاطفة والواقع جاء الشعر في تصوير أدق يحرك المشاعر ويثير العواطف ويحيي الخواطر ويعث النشاط الفكري ، وبهذا الاتزان في الشعر تتحقق الغاية منه وهي : التأثير ، والاقناع معا . وهو ما يعتمد عليه الشعر القوى الملزّم ، فيؤدي دوره في الحياة ، من تربية الذوق الأدبي ، وتنمية الملكة الشعرية ، وبناء الحياة وتقديمها ، وهذا ما يجب علينا نحو الحياة والأنسان والمجتمع وقضاياهم المعاصرة .

والصدق الفني في التجربة يتحقق عن طريق التلازم بين العاطفة والخيال ، والمعانى والأفكار ، والموضوع والعرض ، والمشاعر والأحساس ، وبين التصوير الأدق من ألفاظ وأساليب ، ونظم وصور ، وإيقاع موسيقى ، وفي التلازم بين هذين الشطرين يتحقق الصدق الفني في التجربة الشعرية .

والتجربة الشعرية عند زاهر فيها الخواطر والأساليب ، والعواطف والصور ، بتأثر العقل والخيال معا على السواء في تجربة شعرية قوية ، التزم فيها الشاعر بقضايا وطنه وأمته وعالمه الإسلامي الكبير ، وكان من وراء ذلك دافع في بناء تجربته ، أسبغت عليها تلك الخصائص ، من أهمها :

الأول : حضور زاهر مؤشرات الحجيج في جميع أقطار العالم الإسلامي في كل عام ، وإن في هذا الموقف دافعا قويا ، ودفعه شعرية ، وإثارة للوجودان والعاطفة ، بما يقل شأنها عن الموقف الشاعرية المتقدمة ، التي يمثال فيها الشعر انتشالا ، ويتراصل التصوير الأدق بالصور المتزاحمة بإرسالا ، في شاعرية أحذاء ، يستمد الشاعر تجربته من رافدين قويين . أحدهما : الموقف الروحى ، الذى يتضجر من الوحدة الإسلامية بين الحجيج ، مع اختلاف أحناسهم وألوانهم ، ونباین لغاتهم واتجاهاتهم ، وتتفق الجانب الروحى والنفسي يدفع إلى تدفق المشاعر ، وقوة الانفعال ، وإثارة الوجودان ، وحمل العاطفة ويعث الخواطر .

ثانيهما : إيحاء المشاعر المقدسة في مكة المكرمة ، وفي منى وعرفات بما جاء في الإسلام من شريعة بناء ، وحضارة مشرقة للعالم أجمع ، يدفع بالشاعر إلى بحر الشريعة الإسلامية العميق ، فتساب روافده القوية في شعره ، التي تفي بالقيم الإسلامية والأخلاق القرآنية ، ليناجي أمّة الإسلام في مثابتها الحجيج ، بالعودة إليها ، وتطبيق تعاليمها وقيمهها ، فهو السبيل الأوحد في انتصار الأمّة الإسلامية على أعدائها ، كما أقام السلف الصالح على هذه الأرض الطاهرة تلك الحضارة الإسلامية الشائخة ، وذلك مثل قصيدة « مشاعر الألام » وقصيدة « في ريا الحرمين » ، وقصيدة « في مشاعر الحج » وقد مرت أمثلة منها .

الثالث : روح الجنديّة التي بدأ بها حياته ، فقد رسمت طريقه ومنهجه في الحياة ، الذي يقوم على أساس من الصمود وتخطي العقبات مهما كانت شاقة ، فقد قطع شوطا طويلا في الجنديّة ثم

حصل على أعلى الدرجات العلمية بعدها ، حصل على الدكتوراة وأصبح أستاذًا في الشريعة . وانعكست حياة الجندي على شعره ، فوجه غایته الكبیر إلى شعر الجهاد والحدث عليه في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين ، فلا يرى إلا البارود والنار ولذلك كانت أغراضه الشعرية تصور القضايا الإسلامية وحملود الشريعة وأمجادها في الماضي .

ويذكرني هذا الاتجاه برائد البعث الشعري محمود سامي البارودي في مصر مع الفارق الزمني بينما ، فقد كان البارودي فارساً وجندياً لكنه وجه عناته إلى البعث للغوري ، والإحياء الأدبي ل إعادة اللغة العربية وأدبها إلى وجهها المشرق ، الذي كان لها في عصورها الراحلة عصر الأجداد .

وأتجاه زاهر متفق مع اتجاه البارودي من حيث المنبع والمصدر والهدف ، لكنه يختلف من حيث الوسيلة لا الغاية ، فالوسيلة عند زاهر هي الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ، وتحرير الأرض من الصهاينة واليهود ، تعود أجياد الأمة كما كانت ، لكن البارودي جندي فارس أعاد المجد إلى اللغة العربية وأدبها ، لغة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية .. وشتان بين الوسيطتين .

وشتان بين عصري الشاعرين ، فالبارودي بمعارضاته رائد البعث الشعري في العصر الحديث ، وزاهر من مدرسة المحافظين التي افتحتها البارودي يسير شاعرنا على الديباجة العربية الأصيلة وإشراق الأساليب والتزام العمود الشعري ، مع تجنبه المعارضات الشعرية ، لأن قضية الجهاد شغلته عنها ، أما نصاعة الأسلوب وتحرر الشعر من قيد الزينة وأغلاها فقد كفاه البارودي مشقة معاناتها والتخلص منها ومهد بذلك الطريق لمن بعده من الشعراء ومنهم شاعرنا زاهر الألئى ، الشاعر الجندي الفارس المحافظ في تجديده^(١) .

ثانياً : المناسبات الشعرية : من الدوافع التي أثرت في تجربة الشاعر المواقف والأحداث والمناسبات ، التي تفرضها على شعره إنسانيته ، ويدفعه إليها دينه وعقيدته ، كحق إنساني ، وواجب ديني ، فالقضايا الإسلامية المعاصرة تحض الشاعر على أن يجد شعره لجهاد أعداء الإسلام وهم الصهيونية واليسارية واليمينية ، وأن يعود المسلمين إلى الشريعة الإسلامية ، التي أقام السلف الصالح حضارتها الراسخة .

وسيطرت قضية فلسطين على شعره كله ، فلا تخلو قصيدة من الإيماء إليها على الأقل أو تكاد ، أما التصرّع بالقضية فقد جاء في قصائد كثيرة سواءً كانت القضية هي الغرض من القصيدة ، أم جاءت تبعاً لغرض آخر ، وسيتبين هذا عند الحديث عن الوحدة الفنية ، وذلك مثل القصائد التي قالها في مؤتمرات الحجيج كل عام .

(١) انظر : مقدمة الألئى : للأستاذ عبد العزيز الرفاعي ص ١٢/١٢

ويحث زاهر على التعليم والتعلم والتربيـة الاسلامية الفاضلة ، وذلك في المناسبات التي تتصل بذلك كافتتاح المعاهد العلمية ، والاحتفالات التي تقام فيها ، أو في مناسبات أخرى مثل الرثاء لعلم أو رائد ، أو صاحب جهود في ارساء العلم وتدعيمه ، مثل قصائد « مراقـقـةـ» « نجمـهـويـ» ، « تحـيـةـ المـعـهـدـ» ، « جـحـافـلـ الجـدـ» ، « دـوـلـةـ الاـسـلـامـ» في ماضيها الجيد » ، « صـيـحةـ الجـهـادـ» ، « بـطـولـةـ وـفـدـاءـ» ، « صـرـخـةـ العـرـبـ» ، « رـائـدـ نـهـضـةـ» ، « صـدـىـ المؤـمـنـ» ، « دـهـىـ الـخطـبـ» ، « نـجـدةـ الاـسـلـامـ» ، « تـرـحـيبـ وـأـمـلـ» ، « إـشـارـقـ الـأـمـلـ» ، « فـقـيـدـ الـعـلـمـ» ، « تـحـيـةـ إـجـالـ وـتـقـدـيرـ» ، « فـقـيـدـ الاـسـلـامـ» ، « وـحدـةـ العـرـبـ» ، « يـاـ قـادـةـ الدـينـ» .

ويحث في مناسبات أخرى على بناء الوطن الصغير والكبير ، والنبوض به ، والاشادة بالمجازات التي تتحققـتـ ، وذلك في قصائد كثيرة مثل : « رـبـوـعـ الجنـوبـ» ، « فـيـ رـبـوـعـ القـصـيمـ» ، « فـيـ رـبـوـعـ القرـاءـ» ، « فـيـ ذـرـىـ نـجـرانـ» ، « مـواـكـبـ الجـدـ» ، « سـدـ جـازـانـ» ، « تـحـيـةـ بـغـدـادـ» ، « فـرـحةـ وـلـقـاءـ» ، « أـسـفـرـ الصـبـحـ» ، « أـمـتـىـ» ، « حـمـةـ الجـدـ» ، « تـحـيـةـ نـجـرانـ» .

لا يستريح الأستاذ عبد العزيز الرفاعـيـ إلى المناسبات في شـعـرـ زـاهـرـ ، لأنـهـ يـفـسـدـ عـلـىـ الشـاعـرـ الصـدـقـ الفـنـيـ فـيـ التـجـرـيـةـ الشـعـورـيـةـ ، فيـقـولـ : « صـاحـبـ هـذـاـ دـيـوـانـ يـمـلـكـ التـوـاـةـ ، وـتـأـيـدـ عـلـيـهـ عـصـامـيـتـهـ إـلـاـ أـنـ يـصـلـلـهـ ، فـهـوـ يـرـيدـهـ وـيـرـيدـ مـعـهـ اـهـتـامـاتـ أـخـرىـ ... وـقـيـ غـمـرـةـ كـلـ شـوـاغـلـهـ ، لـاـ يـهـمـلـ الشـعـرـ ، وـلـكـنـهـ لـأـمـرـ ماـ ، لـاـ يـعـطـيـنـاـ كـلـ شـعـرـهـ ، أـوـ هـذـاـ مـاـ أـحـسـيـنـيـ قدـ رـجـحـتـهـ بـعـدـ أـنـ فـرـغـتـ مـنـ دـيـوـانـهـ ، فـهـوـ يـعـطـيـنـاـ مـنـ شـعـرـهـ الجـانـبـ الخـطـابـيـ .. يـعـطـيـنـاـ شـعـرـ المناسبـاتـ ، التـيـ أـحـسـيـ بـسـاـهـمـ فـيـهـ ، وـهـوـ يـعـتـقـدـ أـنـ يـؤـدـيـ وـاجـبـ آدـيـاـ مـفـرـوضـاـ تـفـرـضـهـ عـصـامـيـتـهـ ، وـيـفـرـضـهـ تـطـلـعـهـ »⁽¹⁾ .

وهـذـاـ كـلـامـ يـحـتـاجـ إـلـىـ وـقـةـ مـنـصـفـةـ فـيـ مـجـالـ النـقـدـ الأـدـبـيـ ، فـالـنـاقـدـ الرـفـاعـيـ يـرـىـ أـنـ الشـاعـرـ يـعـطـيـنـاـ الجـانـبـ الخـطـابـيـ مـنـ شـعـرـهـ ، وـيـفـسـرـ الخـطـابـيـةـ بـالـمـنـاسـبـةـ فـيـ الشـعـرـ بـقـولـهـ : يـعـطـيـنـاـ شـعـرـ المناسبـاتـ وـهـذـاـ تـفـسـيرـ بـعـدـ عنـ الصـوابـ لـأـنـ معـنـىـ الخـطـابـيـةـ هـوـ الـاستـطـرـادـ وـالـخـشـدـ وـالـتـالـيـفـ بـيـنـ عـنـاصـرـهـ عـلـىـ أـسـاسـيـنـ رـئـيـسـيـنـ هـمـ التـأـيـرـ فـيـ الجـمـهـورـ وـالـاقـنـاعـ مـعـ المـنـاسـبـةـ أـيـضاـ ، وـالـتـأـيـرـ وـالـاقـنـاعـ إـنـ خـلـاـ مـنـهـاـ الشـعـرـ يـكـونـ مـيـتاـ لـاـ حـيـاةـ فـيـهـ ، وـمـهـمـلاـ مـرـذـولاـ ، وـعـلـىـ ذـلـكـ فـلـابـدـ مـنـهـاـ فـيـ الخـطـابـةـ وـالـشـعـرـ عـلـىـ السـوـاءـ .

(1) مـقـدـمةـ دـيـوـانـ الـأـلـيـاتـ : الأـسـتـاذـ عبدـ العـزـيزـ الرـفـاعـيـ صـ 7

والحق أن ما يستوقف النظر من شق واحد فقط هو المناسبة ، فليست هي الفيصل بين الشعر والخطابة ، وليس كل شعر جيد هو الذي خلا من المناسبات ، وإن لسقط شعر الفحول من شعرا العرب القدامى ، وإنما قلد الأدب والنقد شوقيا إمارة الشعر ، وهو المتهم من العقاد وغيره من شبابهم بأن المناسبة أفسدت شاعرية شوق ، ثم يرجع العقاد وزملاؤه عن هذا الحكم في مرحلة الكهولة والارتفاع وأنباء حصوصاته الأدبية ، ليقرر الحقيقة التي بقيت للتاريخ في شعر شوق وحافظ فيقول إن الخصومات حول الشاعرين كانت من حماقة الشباب^(١) .

والخطابية إذا كانت بمعنى المناسبات التي يقصدها الرفاعى لا تستلزم عدم الانفعال ، لأن التجربة الصادقة تتفجر من موقف معين ومناسبة دافعة ، وعند ذلك تكون المناسبة هي المشية للانفعال ، ولا أدرى كيف يشتد الشاعر قصيدة دون دافع أو مناسبة مفجحة وإنما تتحقق الانفعال ، الذي يلهب العواطف ، ويحرك المشاعر والخواطر .

وعلى ذلك أرى أن كلام الرفاعى بعيد عن الصواب حين يقول : « يبد أن شعر المناسبات وإن أعطى للمحوادث تسجيلا ، ولصاحبه ذكرا إلا أن عناصر الانفعال فيه قد لا يرتقى إلى المستوى الأول المأمول فإن شعر المناسبة تحكمه ظروف المناسبة ذاتها ، فقد لا يكون مهيئاً نفسيّة كافية حينها تطراً المناسبة ، فقد يمر على شاعر المناسبة أن يطلب إليه أن يقول شعراً في عرس ، بينما تكون نفسه ذاتها في مأتم ، ومع ذلك فلا يملك إلا أن يستجيب »^(٢) .

هذا الكلام مقبول وصحيح لو كان مجرد عن نسبته إلى ديوان زاهر ، الذي حكم الرفاعى على شعره بالمناسبات ، وأشد على يديه لو كان القول مجرد عن النسبة ، لأن المناسبة قد تفرض على الشاعر وهو غير متى وجدانياً لموضوع المناسبة ، فهذا نظم وليس بشعر مطلقاً ، ولكن زاهر لم يكن كذلك ، بل كان متبيهاً وجданياً ، ونفسياً للمناسبات التي قال فيها شعره إذا أمعنا النظر طويلاً فيه ، وعلى سبيل المثال المثيات التي ذكرناها ، لا تجد فيها تصويراً لا يتناسب مع الغرض من المحن والتأسی ، بل كانت الصور كلها قائمة حرفيّة مما يدل على قوة الانفعال وصدق التجربة الشعرية ، مع أن الشاعر أشد المثيات في مناسبات ذكرها آنفاً .

وكذلك لو رجعنا إلى القصائد التي قالها في مناسبات العلم والتعلم وفي مؤتمرات الحجيج كل عام فعل الرغم من هذه المناسبات تجد انفعالاً قوياً وتجربة حية صادقة مثل قصيدة « عودي إلى درب الجهاد » وقصيدة « في رحاب البيت » ، « مشاعر الألام » ، « ضيف الرحمن » ، « في ريا الحرمين » ، « في مشاعر الحج » وغيرها وقد مرت الأمثلة .

(١) الأدب الحديث : د . عبد الرحمن عثمان .

(٢) مقدمة ديوان الألغانيات : ص ٧

ويؤيد ما اتجهت إليه من أن المناسبة عند زاهر كانت مفجراً لافعاله في معظم شعر المناسبات ، وأقر به الرفاعي بعد ذلك بقليل : وهو أن الشاعر كان في شعر المناسبات مدفوعاً بمشاعره الذاتية وصادراً عن إرادته لا عن إرادة غيو يقول الرفاعي ما نصه :

« غير أني أعتقد أن صاحب هذا الديوان يشترك فيما يشترك فيه من المناسبات مدفوعاً بمشاعره الذاتية .. صادراً عن إرادته هو لا عن إرادة سواه ، وهو كثير ما يقول في ميدان أحبه وأثره هو ميدان العلم والتعليم ، فلا تكاد تفوته مناسبات الحالات التعليمية في مجاله دائماً أن يشيد بها »^(١) .

وما زيرد الرفاعي من الشاعر أكثر من أن يكون مدفوعاً للمناسبة بمشاعره الذاتية ، هل الشعر إلا مشاعر ذاتية ، ويؤيد أن يكون غير ذلك فلا يمكن شعراً ، لأن يكون مدفوعاً بغير ذاته أي خارجاً عن ذاته ومنفصلًا عن مشاعره ، وما اعترف به الرفاعي هنا هو نفسه ما أخذته عليه مسبقاً ومنذ قليل .

وهذا نفسه هو ما رجع إليه الرفاعي في نهاية كلامه حينها تحدث عن قضية التزام الأدباء والشعراء ، فيتجاوزوا مع الأحداث ومع الناس ، وألا يتغلقوا على أنفسهم وذاتيائهم ، وينصرفوا إلى وجوداتهم بشرط ألا يفقدوا الصدق الفنى .. يقرر هذا في قوله :

« ولا يجب أن ننسى أننا ندعو أدباءنا وشعراءنا أن يتتجاوزوا دائمًا مع الأحداث ، وأن يعيشوا مع الناس ، وألا يتغلقوا على ذاتيائهم ، وينصرفوا إلى وجوداتهم فحسب ، ولكنني لا أغفل في هذا شرطًا هاماً هو ألا يفقدوا الصدق الفنى في كل أثر من آثارهم ، وصاحب هذا الديوان حينها يتقارب مع دعوة التضامن الإسلامي ، وحينما يخطب شعراً في منابر الجميع التي يقيمها العاهل العظيم ... إنما يجد في ذلك ارتياحاً حقيقاً في نفسه ، ويشعر أنه إنما يؤدى واجباً مفترضاً يجب أداؤه بقدر ما يسعه من طاقة ، أو بقدر ما يستطيع أن يقدم من جهد .. ولست أشك أن هذه الأفكار الصالحة مع مرور الزمن ستكون أكثر رسوخاً في نفسه ومع تطور شعره سيكون هو أقدر على الاصحاح عنها ، والابداع فيها » .

وهذا ما صنعه زاهر في معظم شعره حين التزم بقضايا عصره ولم يتغلق على وجوداته ، أو يتمدد في ذاتيته وأنانيته ، ولكن الذي أرفضه أن الشاعر لم يفرض عليه واجب في مناسبة ما فرضها غير مقبول منه أو كارها له ، لأنه لم يحمل على شيء يقوله من خارج ذاته وارادته ويؤديه بقدر ما يسعه من طاقة ، فما دمت قد أيدت الالتزام عند الشعراء وفي منهج صاحب الديوان ، فالمناسبة عنده هي التي فجرت الانفعال من ذاته ، وانصهرت في وجوداته ومشاعره ، فأخرجها

(١) المرجع السابق ص 7

من ذاته وأحساسه ورادته ، لا من شيء خارج عن ذاته .

أما الصدق الفنى فقد يربطه الرفاعى بالمناسبة ، فما دام زاهر قد أنشد شعره فى المناسبات ، حيث يتجرد من الصدق الفنى ، ويسلخ عن شعر الذات أو عن شعر العاطفة والوجدان ، إلا قصيدة واحدة فقط وهى « رسالة العيد » يقول الرفاعى :

« لقد قلت ان وراء شعر هذا الديوان شعرا لم نره فيه هو الشعر الذاق أو شعر العاطفة والوجدان ، وهو الشعر الذى يخرج من القلب ليصل إلى القلوب ، فمن أين أتيت بهذا الأداء ؟ لقد وجدت في الديوان طرف الخيط ، إنه قصيده « رسالة العيد » فقد عاد الشاعر بعد صلاة عيد الفطر إلى غرفته وحيدا بعيدا عن أهله وخالاته .. يشكو الغربة والوحدة فلا أنيس ولا زائر ... وهي قصيدة جميلة تتسابق في رقة بلا تكلف ولا افتعال .. »^(١) .

لا أنكر على الرفاعى أن رسالة العيد شعر وجдан عاطفى ، وبالتالي لا أنكر الصدق الفنى فيها ، فهذا ما لا يقبل الانكار ، أما الذى يحتاج إلى تأمل وهو أن الصدق الفنى يساوى شعر الوجدان فقط ، بل شعر الوجدان غرض من أغراض الشعر ، والشعر الاسلامى الذى قيل في مؤتمرات الحجيج غرض من أغراض الشعر ، والرثاء كذلك ... وهكذا بقية الأغراض عند الشاعر . وعندى أن الأغراض كلها لا تصلح ولا تسمى إلى مواطن الجودة إلا بالصدق الفنى بين التجربة الشعرية وبين التصوير الأدى لهذه التجربة ، وقد تكون التجربة وجданية أو التزرت بقضايا المجتمع ، لكن الجودة ترتبط فيها بالصدق الفنى ، هذه ناحية .

وناحية أخرى وهل شعر الوجدان فقط هو الذى يصل من القلب إلى القلب ، وماذا نقول في الشعر الاسلامى ، الذى نبع من تجربة صادقة في عاطفة ملتبة مثل بردية البوصيري ، ونبهج الجدة لشوق ، هل مثل هذا الشعر لم يخرج من القلب إلى القلب ، مع أنه لم يكن شعرا وجدا ؟ !! لكن الحق أن الجدة ونبهجها لا زالت مهتر لها أعماق القلوب ، وكذلك الأمر في شعر زاهر الاسلامى مثل قصيدة « مشاعر الالام » ، « في رحاب البيت » ، « في مشاعر الحج » ، وغيرها ، فقد عبر فيها الشاعر عن تجربة صادقة قوية عبر أعماق النفس ، وتتفتح لها جوانب القلب .

وناحية أخرى وهى أن قصيدة « رسالة العيد » لم تكن وحدتها هي الشعر عند زاهر ، ولم تكن هي الخيط الرفيع الذى يدل على موهبة الشاعر وأصالته الشعرية ، بل لديه قصائد كثيرة تدل على ذلك منها معظم القصائد التى قالها في مؤتمرات الحجيج مثل « عودي إلى درب

(١) المرجع السابق : ١٢/١١

الجهاد » ، وقصائد الرثاء مثل « فجع الأيام » ، وقصيدة « زلة القول » فهي من شعر الطبيعة الذي ينبع من وجdan مفعم بالحب لأبها ، ولنوازتها بقصيدة « رسالة العيد » ، لتكون هي الثانية وليس الوحيدة في نظر الناقد ، عند ذلك يكون في شعره أكثر من خليط يدل على موهبته ، ومتذكر القصيدين حتى تلحظ مدى القوة فيما معا لا في رسالة العيد فقط ، يقول زاهر في « رسالة العيد »^(١) :

يا عيد بلغ أسرق وبلادي
وأنقل لهم يا عيد وصف مشاعرى
أنا في الرياض وحال دون أحبتى
والقلب متلئ بمفارق لوعة
لكى أنسى أن أكون ببلدة
بلد بها للمكرمات منارة
تمشي طيف الشعر بين جوانحى
فتهزنى شوقا إلى تلك السرى
وبها سراة قد تأصل مجدها
يمتد طرفا من مشارف « عجل »
في ربوة « الشعيبين » في « واد حلى »
حي المعاقل والربوع ومن بها
أنا لا أزال أقيم في أرض بها
ما زلت في لوعات شوق حارق
فأزف أشواق إلى بلد بها
وأزفها من قلب نجد نفحة فاح العسیر بها مدى الآباء^(٢)

وأما قصيدة « زلة القول » فقد ذكرها ولنعد قراءتها مرة ثانية في مجال الموازنة مع هذه القصيدة تجد أن الصدق الفني في القصيدين يكاد يكون واحدا .



(١) الألعاب : ٨١/٧٩

(٢) عجل يشرف على مدينة رجال ألمع - الشعيبين : حاضرة رجال ألمع - وادي حلى يخوض معظم السهول بها . غمرة جبل مرتفع أهل بالسكان - الاصطياد جمع أصيد وهو القوى الشجاع .

ثالثاً — الألفاظ والأساليب :

زاهر الألعنى شاعر من شعاء التجديد الحافظ ، الذين يتخذون العمود الشعري منهجاً ، وطريقاً في شعرهم ، فيحافظ زاهر مثلهم على الأৰزان الخليلية ، ويحافظ على القافية الواحدة ، التي يتزمنها في القصيدة كلها ، وتراه لا يخرج عن ذلك في شعره ، فلا يعرف الشعر الحر ، ولا شعر التفعيلة ، ولا المושحات ، ولا المقطعات ، ولا غيرها ، مما يخرج عن العمود الشعري القديم في الوزن والبحر والقافية والأمثلة على ذلك شعره كله في ديوانيه .

وكذلك الشاعر يحافظ على العمود العربي في الألفاظ والأساليب وبناء التراكيب ، فينتهى من الألفاظ ما هو جزل قوى وعدب ينساب إلى الشعر في قوة واقتدار ، ويقيم الأسلوب بإحكام ودقة ، بلا تعقيد ولا أغزار ، بل تجد المعانى ساخرة والأفكار واضحة مكتوفة لا تحتاج إلى كبير عناء في تحضيلها ، ولا إلى مشقة في الوصول إلى الغرض منها ، ولذلك كان شعره واضحاً لدرجة أن الرفاعى حكم عليه بالخطابية ، ومن صفات الخطابة أن تكون واضحة ، تصل إلى السامع بيسر وسهولة ، ولذلك كان من أهم خصائص الأسلوب عنده :

الأولى : جزالة الألفاظ ، وإحكام التراكيب ، وسلك الأسلوب مع وضوح الدلالة على المعنى والغرض بلا جهد أو أدنى تأمل ، لا يحتاج معه القارئ إلى معجم يفسر الغموض في الألفاظ أو الأسلوب ، والأمثلة على ذلك شعره كله يقول في قصيدة « مواكب الجد »^(١) :

يُضي الزمان وتخالد الأمجاد والجند صرح بالجهاد يشاد
والجند منطلق على درب الهدى تسمو به القادات والأجياد
تأنى الأشواوس أن تدين لغاصب أو أن يطوف عربتها مصطاد
هي كالجبل الراسيات شوانع عفواً ها الأرواح والأجساد
وإذا التقى الجمعان كانت قوة تعنو ها الأغوار والأنجاد

ويقول في قصيده « عودى إلى درب الجهاد »^(٢) :

المسجد الأقصى وحقق حشاشى منه ونبض تألى وترنمى
ما بين نفمة شاعر إيمانه جسى ووثبة ثائر متوجه
لكنه جهاد عادل منطلاو فتأهلى يا أممى وتقدمى
في فيلق صاروخه عزماته بالله يقتضى كالقضاء المبر

(١) الألعنى : ٦٣

(٢) عل درب الجهاد : ١٧/١٦

يا قادة الاسلام ما زالت جراح القدس في الامان راعفة الدم
فتسبحوا بالله والترموا التقى وثبوا على الأعداء وتبة ضيغم
لا ترهبوا خوض المعامع إنها مهر العلا في نصرنا المسمى

الثانية : أقام الأسلوب في شعره على ألفاظ تعبر عن بيته الشاعر ، التي عاش فيها : في
جنوب المملكة العربية السعودية ، كما في قصيده « في ربوع القراء »^(١) ، وقصيدة « في ذرى
نجران »^(٢) :

فالموقع نجران ، والأحدود ، وأبها ، والسودة ، كلها من بيئة الشاعر في الجنوب ، وكذلك الألعنين ، وعهل ، وتوالب ، كلها من بيئة الشاعر في قصيدة « خواطر »^(٣) ، وقصيدة « في يوم الحجوب »^(٤) ، وقصيدة « سد جازان »^(٥) ، وقصيدة « زلة القول »^(٦) ، وقصيدة « تحية نجران »^(٧) ، وقصيدة « فوق أرض الحجوب »^(٨) ، وقصيدة « تحية الفهد »^(٩) ، وقصيدة « سد أبها »^(١٠) .

الثالثة : ومن خصائص الأساليب شموع ألفاظ تدل على عالمه الإسلامي الكبير في قضياء المعاصرة قديماً وحديثاً، فمن عالمه الإسلامي القديم ألفاظ كثيرة مثل بدر، وحطين، والبيرونوك، والقدس، ويدرك السلف الصالح من كبار قواد المسلمين مثل سعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، والمشتى بن حارثة، وطارق بن زياد وغيرهم من قواد المسلمين الذين أقاموا الحضارة الإسلامية في جهادهم وكفاحهم.

الآلات : ٤٩

الألعاب : ٥١/٥٣

(٢) الألعاب :

٤) الألعاب :

١٤٩ ، ١٤٦ ، ٦٣ ، الالعبيات : ٢٠٦

(٨ + ٩ + ١٠ = ١٧٩) على درب الجهاد : ٦٣ ، ٨٣ ، ١٧٩

وفي عالمه الاسلامي الحديث يذكر ما وقع لل المسلمين في جميع العالم من بلاء وحرب من أعداء الاسلام ، فيذكر غزو باكستان وزنجبار والفلبين والقدس وغيرها ، يقول في قصيده « في مشاعر الحج » :

قد اجتاح « باكستان » غزو مدمر
يسانده الاخاد والشرك والكفر
وقد روعت في « زنجبار » ضمائر
وازهقت واستفحـل القهر
وعاثت على أرض « الفلبين » عصبة
فلم يبق للإسلام في أرضها أمر
وظن الورى في مجلس الأمـن نجدة
فلم يفن منه لا هراء ولا هنر
إذا ما اعتلت في الصين صيحة مسلم
تجاوبـ في أم القرى البيت والحجر
ودوت أرجاء الـرباط استجابة
(1) وهبت لها بغداد وانتقضـت مصر

رابعاً - الخيال :

وخيال الشاعر يمضـى فيه على نسق عمودـ الشـعر العـربـي فـي مـعـظـم صـورـه من تـشـيـبـه وـاستـعـارـةـ وـكتـابـةـ وـغـيرـهـاـ منـ وـسـائـلـ التـصـيـرـ الأـدـيـ مثلـ قولـهـ :

لنا إـنـحـوةـ فـيـ الدـينـ عـاثـ بـهـ الضـنىـ
تمـدـ عـنـانـ الصـوتـ منـ ذـاـ تـجاـوبـهـ
فيـاـ قـادـةـ الـاسـلامـ مـلـوـاـ جـراـحـهـاـ
وـكـونـواـ لـهـاـ رـدـءـاـ تـهـابـ جـوانـبـهـاـ
وـبـاـ فـيـصـلـ الـاسـلامـ أـحـكـمـ شـباـكـهـاـ
وـجـرـدـ لـهـاـ غـصـبـاـ توـقـدـ لـاـ هـبـهـ
فـمـنـ لـازـمـ الـاقـدـامـ فـيـ سـاحـةـ الـوـغـىـ
تـنـاهـتـ إـلـىـ الجـدـ الرـفـعـ تـجـارـبـهـ

فالاستـعـارـاتـ والـكتـنـياتـ هـنـاقـيـةـ عـلـىـ النـحـطـ الذـىـ جـاءـ فـيـ الشـعـرـ العـربـيـ الـقـدـيمـ ،ـ وهـنـاـ عـلـىـ
سـبـيلـ المـثالـ ،ـ وـلـرـجـعـ إـلـىـ مـاـ ذـكـرـنـاـ مـنـ شـعـرـهـ لـتـجـدـ الصـورـ مـوـصـلـةـ يـنـبعـهـاـ الأـصـيلـ مـنـ الـخـيـالـ
الـعـمـودـيـ .ـ

وـإـذـ نـشـطـ الـخـيـالـ حـيـنـاـ عـنـدـ زـاهـرـ ،ـ منـعـ بـعـضـ الصـورـ الـجـزـئـيـةـ الـأـدـيـةـ مـنـ شـعـرـهـ ثـبـاـ
جـديـداـ ،ـ وـبـعـثـ فـيـهـ رـوـحـ عـصـرـ الـجـدـيدـ ،ـ فـتـأـوـجـ فـيـهـ أـلـوـانـ مـنـ النـشـاطـ الـأـنـسـانـيـ الـحـيـ ،ـ
وـتـرـقـقـتـ فـيـ جـوانـبـهـ ظـلـلـاـ مـنـ الثـقـافـاتـ الـمـعاـصـرـ ،ـ وـانـسـابـتـ فـيـ مـجـالـيـهاـ روـافـدـ الـعـصـرـ وـمـقـضـيـاتهـ ،ـ
وـتـسـطـرـتـ عـلـىـ صـفـحـاتـهـ الـثـقـافـةـ الـجـدـيدـةـ ،ـ وـبـعـضـ شـرـائـيـهـاـ يـمـوجـ فـيـ الـحـيـاـةـ مـنـ التـقـدـمـ الـعـلـمـيـ
وـالـخـضـارـىـ ،ـ وـذـلـكـ مـثـلـ بـعـضـ الصـورـ الـتـىـ جـاءـتـ فـيـ قـصـيـدـهـ «ـ مـرـاقـ الفـضـاءـ »ـ مـنـهـاـ(2)ـ :

(1) على دربـ الجـهـادـ : ١٥٠

(2) الأـلـمـيـاتـ : ١٩/١٧

زمر الركب في مراق الفضاء
وأنطوى هيكل الدياجي فبات
شعلة النور راية النجاء
ليت شعرى من أى برج أطلت
أنجم الكون والعلا والبناء
ليت شعرى من أين منطلق النور
ر الذى كان آية في الباء
إن إشعاع دعوة الحق قد شاء الإله خلوده في البقاء

خيال ترى في صورة الأدبية نبضات التجديد ، وروح العصر ، سفينة الفضاء التي زجرت ، في الكون صورة متحركة تحى بالتقدم العلمي في مراق الفضاء ، وتشف عن روح العصر التي حلقت في أدبنا المعاصر ، والفكر الذي تجسم شامخاً في الفضاء يفيض بالتقدم والنهضة الحديثة ، ونور العلم لون من ألوان الحضارة العلمية والتجريبية المادية ، التي تمثل عصر الشاعر .. وسفينة الفضاء التي شعشت بنور العلم في الدجى ، ورفقت برأة التقدم الإنساني في مدارج الفضاء كالشعلة الوهاجة ، التي تطوى الظلام والدياجي طيا سريعاً خاطفاً .

والشاعر ينادي نفسه ورواد الفضاء ، ليقفوا على مواطن أبراج النجوم وحقائقها في الكون ، مادامت السفينة تبحث عن حقائق الفضاء ، لا عن حقائق الأرض ، ويسائلهم أين مصدر النور ؟ في الوجود الذي ما زال آية في الباء .. ثم يجيب الشاعر عن مصدر النور الحقيقي ، إنما هو في شريعة الإسلام وهي حق ، وأساس الحقيقة ، والدعوة الخالدة التي أراد الله لها أن تبقى إلى قيام الساعة « إنما نحن نزلنا الذكر وإنما له حافظون » .

صور جزئية تسري فيها روح التجديد المناسب من روح التقدم العلمي والانطلاق الفكرى في العصر الحديث ، ولكن الشاعر ما زال مرتبطاً بقىود الخيال القديم في هذه القصيدة تطل صوره من حين إلى آخر مثل : زمر ، وهيكل الدياجي ، وشعلة النور ، وأنجم الكون ، ومنطلق النور ، وآية في الباء ، وهكذا .

أما عناصر التصوير الأدبي من حركة ولون وحجم وشكل وغيرها تموح بين حنايا الصور فالحركة العنيفة والسرعة للسفينة تندفع من الرجمة والمراقب والاعتلاء والشموخ ، وانطواء الهيكل ، والإخلال ، والمنطلق وغيرها ، واللون يشع بأطياف الأمل والتقدم في مراق الفضاء ، واعتلاء الفكر وشموخه بالضياء ، وشعلة النور التي تطوى هيكل الظلام ، وأنجم الكون والعلا والبناء ، ومنطلق النور وآية في الباء ، وإشعاع دعوة الحق ، والخلود في البقاء ، كل هذه الصور تموح بألوان التقدم والرق والحضارة والأمل في تحقيق السعادة للإنسان في العوالم الأخرى لا في الأرض فحسب .

أما عنصر الحجم في التصوير الأدبي هنا فيتحدد في السفينة التي تحضن رواد الفضاء وتبعد كالذرة في مراق الجو ، فتفقد على أحجام الأبراج والنجوم لأنها أقرب إليها من أهل

الأرض ، كما أن حجم دعوة الحق تمثلاً الفضاء وتسد الآفاق وشنان بين الحجمين سفينة كالذرة في الكون ، ودعوة باتساع الكون كلها .

وأما عنصر الشكل هنا في الصور ، فتتمتد فيه خيوط السفينة لترسم الغاية منها وهي الجانب المادي فقط لاسعاد الانسان حيث يبحث عن أرض جديدة بعد أن ضاقت عنه أرضه ، وحاب ظن الذين يرون السعادة في الجانب المادي وحده ، بل هي في الاسلام دعوة الحق لتكوين الغاية منها هي الخلود والبقاء ، وشنان بين الشكل المادي الزائل في سفينة الفضاء وبين الشكل الخالد والباقي في دعوة الحق في الاسلام .

ومن الصور الأدبية التي دبت فيها روح العصر قوله في القصيدة السابقة : بحث المسلمين على التمسك بشرعيتهم فهي المعين الخالد الذي لا يفنى ولا يتبدل ، بينما العلم الذي وصل إليه علماء الفضاء قد يتبدل ويتغير تبعاً لطبيعة العلوم التجريبية ، التي تختلف من عصر إلى عصر حسب حاجات الانسان ومتطلباته ، وظروف حاضره ومتطلباته يقول^(١) :

أيها المسلمون قد أصبح المسو
فارتقوا في معارج الجد وابتزوا
وابتزوا في ذرى الأماجد صرحا
تصعد القادة العظام وتزجي
فجرى العلم عندها يمكن
إن للعلم دولة لا تسامى
فانهلووا من معين عذب زلال
متهل يطوى اليمالي ويقسى
يا رجال الاسلام أحجا علوما
جددوا في العلوم من كل فن
سيقتسا إلى الفضاء شعوب
وغيرت عالم الفضاء فدوى
فيبرو الشرق يفخرون بما قد
وينو العرب قد تناهوا بعلم
شرع الله أن نعيش كراما

(١) الآيات : ١٧/١٩

ومن الصور التي أخذت ثوباً جديداً أيضاً تصوير العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م يقول من قصيدة « جحافل المجد »^(١) :

فلاذت بأذىال الفرار وإنها لتشه فرداً فر من أسر اليد
ومازال فيما قوة وعزيمة تصور بها الأبطال في كل مشهد

فالشاعر يصور حرباً حديثة على أمة إسلامية عربية ، تتصدى في شجاعة وقوة للدولتين
كبيرتين آنذاك ومن ورائهما صنيعة الاستعمار إسرائيل ، لكنها دافعت في شجاعة وبسالة بقليل
من العتاد والسلاح ، فلاذ العدوان الثلاثي بالغفار كما يفر الفرد من الرجل المجرد من السلاح ، لأن
العزيمة والقوة التي أشادتها الشريعة الإسلامية هي سلاح الأبطال في كل معركة من معاركنا
الإسلامية العربية .

وصور جديدة أخرى غدت بروافد جديدة من روح العصر وتياراته الموجة التي حادت
عن المنهج الإسلامي المستقيم يقول في قصidته « عودي إلى درب الجهاد »^(٢) :

شغلهم الشارات فيما بينهم وتتكبوا نهج الصراط الأقوم
هذا يمسي ورجسي ، وذا حزب اليسار يقال عنه تقدمي
بس الشاهير ضاع في عمراته أمل بوحدة صفنا المتسلم

هذه الأمة الإسلامية الواحدة قد مرت بها التيارات المعاصرة والمعادية للشريعة الإسلامية ،
وأصبحت أحزاباً متصارعة متطاولة على حساب أمنها الإسلامية ولصلحة أعدائها فأصبحت
بعض الشعوب توصف بالرجعية والتخلف في نظر الأعداء ، حتى يكون ذلك منفذًا لطعن
الإسلام وصرف أهله عنه ، فليلهم وراء مدئيمهم الزائف .

ويعض الشعوب الأخرى تجر أذىال المعسكر اليميني الغربي ، والبعض كذلك عميل
للمعسكر الأوروبي الشرقي ... صراعات حربية بين أبناء الأمة الواحدة ، ومهارات تموي
بالعداء والتفرق بين العالم الإسلامي ، مما يؤدي إلى تبديد صفوفها ، وتصدع وحدتها ، فلا مكان
لدولة ممزقة ، ولا لشعوب متفرقة في عصر التكتلات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية ، فقد
توحدت هدف مشترك دول غرب أوروبا في السوق الأوروبية المشتركة لمواجهة القوى الأخرى في
العالم ، وبالآمس القريب كانت تموي فيما بينها الصراعات والعداوات ولو ظلت كما كانت لذلت
لإحدى القوتين العظيمتين روسيا وأمريكا ، التي التقت مصالحهما المشتركة اليسارية واليمينية في

(١) الأنطيات : ٥٥

(٢) على درب الجهاد : ١٥

هدف واحد وهو توحيد قواها ضد الأمم المترفة الضعيفة ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاسية .

ومن الصور الجديدة أيضا قوله^(١) :

لا مجد للعرب مادامت حناجرهم في كل أمر تناهى هيبة الأمم
وكذلك الصور التي سبق ذكرها ، حين صور الشاعر حرب باكستان ونجار وكشمير
والقدس ، والفلبين ، وصور مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وردت في قصائد كثيرة .

والجديد في هذه الصور كلها يرجع إلى أنها استمدت روافدها من روح العصر ، وتجاوزت مع تياراته الحديثة ، والقضايا الراهنة ، لأن زاهر يعيش مع الأحداث بعقله ووجوداته ، وبصورها يقدر ما تمده مدرسته الحافظة ، والتي يأنى أن يتزحزح عنها إلا قليلاً ، لذلك كان زاهر من الشعراء الجدد المحافظين في شعر الجنوب وخاصة وفي الشعر السعودي بصفة عامة .

خامساً — الوحدة الفنية :

من القيم النقدية التي لا بد منها في الشعر الجيد حدتها هي الوحدة الفنية ، وهي تقوم على التلازم والانسجام في العمل الأدبي بين عناصر القصيدة كلها ، وبين أركانها ، فتتألف الأنماط والأساليب وصور الخيال والأيقاع والموسيقى مع التجربة الشعرية والعاطفة والوجدان والمعانى والأفكار التي تنمو داخل الغرض الأدبي من القصيدة .

وعلى ذلك، فالوحدة الفنية تستلزم الوحدة الموضوعية والوحدة في الغرض من القصيدة ، حتى يتم التلازم والتلاحم بين المضمون والشكل ولذلك نجد تنافضاً فيها للقصيدة التي تحتوى على غرضين ، فالغرض الأول عند الموهبة الشعرية يأخذ شكلاً وأسلوباً وتصوراً وعاطفة يختلف عنه الغرض الآخر في الشكل والأسلوب والتصوير والعاطفة .

والوحدة الفنية في شعر زاهر قد اتخذت اتجاهين ، فبعض القصائد قد التزم فيها الشاعر بالوحدة الفنية ، فاشتملت على موضوع واحد من المطلع حتى النهاية ، وببعض الآخر قامت القصيدة فيه على غرضين أدبيين ، لا غرض واحد ، مما يضطر الشاعر أن يزاوج في التصوير حسب اختلاف الغرض بما يتناسب مع كل غرض .

الاتجاه الأول : تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة ، وخاصة في ديوانه الثاني « على

(١) على درب الجهاد : ٤٢

درب الجهاد» ، فتى بعض القصائد اشتغلت على مقدمات غزلية في المطلع أو في الخاتمة ، فمن المقدمات الغزلية التي أخذت موقعها من المطلع قصيدة « عودي إلى درب الجهاد » ، بدأها الشاعر بالغزل العفيف الطاهر ، ثم انتقل إلى غرض آخر وهو الجهاد في سبيل المسجد الأقصى ، وبخدر المسلمين من انشقاقيهم إلى أحزاب متصارعة من بنينة ويسارية ورجعية يقول في المطلع^(١) :

عودي فذكري بالشاء على فمي
ومكان حبك من فؤادي في دمي
ونذكرى محض السداد أشبه
ل هنا فيحلو منك طيب ترم
حتى إذا ندت طيفوك وانهري
حيى يلائم بالصدود ويسرتني
أحجمت لا أرضي ببذل مودق
إلا مؤتلق المسايق أكرم

وهكذا يصور الشاعر غزله العفيف في سعة عشر بيتا إلى أن يقول :

ثقى تقول بأن ليل برة
وغدا سترجع والفواد لها ظمى
ولسوف يجمعنا الجهاد ونلتقي
ويضممنا ورد لمهل زمز
ويرمز الشاعر بليلة إلى الوحدة الإسلامية الكبرى ، التي ينشدها في شعره لتكون الأمة صفا واحداً لمواجهة عدوها الكثيم وتحرير المسجد الأقصى من بين أيديهم ، ثم يتسلل في هذه وانسياب بعد أن مهد للغرض في البيتين السابقين ليبدأ الغرض الأساسي من القصيدة فيقول :

المسجد الأقصى ويا لإهابة حرى مضرجحة تخرج في فمي
خجلا وحزنا من مواقف عشر من مائة يخطرون بهائم
شغالتهم الشارات فيما بينهم وتتكبروا نهج الصراط الأقوم
وكذلك قصيده « مشاعر الأطام » ابتدأها بمقعدة غزلية ، فاشتمل المطلع على الغزل الطاهر في تسعه عشر بيتا يقول^(٢) :

طلعت فلاح اليمن في طلمساعها
وبدا جمال الورد في وجئها
تضوع الأرجاء من نسماعها
ورنت باللحاظ الجفون تواعسا
فقبست عن ثغر حسن باسم
فشقائق الأكام من بسماها

(١) على درب الجهاد : ١٤/١١

(٢) على درب الجهاد : ٣٣/٢٩

وهكذا يصور فتاة أحالمه في غزل عفيف طاهر ، يشف عن روح المؤمن ومنهج المسلم ، حينها يعبر عن غريرة النفس وهي الحب يعبر عنها في تصون وطهر وعفة ، لكي يمهد للغرض من القصيدة فيقول :

لكن أطياف وإن جنحت بها فتن الجمال تعرف عن زلاتها
وتتسوّق أشواق إلى سنن المدى فمشاعر الألام في رجائبها
ثم يتنقل إلى الغرض من القصيدة وهو الإشادة بالرسول الأعظم ورسالته الخالدة ، فيعبر
عن مشاعر الحب الصادق للرسول عليه السلام وعن حبه للرسالة الخالدة فيقول في ثلاثة وعشرين
بيتاً^(١) :

تمتد آفاق وترق هنـى سبل الجهاد أخوض في عمراعها
ويشدـنى حب البـى مـحمد من شـاد بالـسمـحـاء مـجد دـعـاعـها
يا من حـلتـ أـيرـ قـلبـ فـي الـورـى وأـعـزـ نـفـسـ جـانـبـ شـهـواـهاـ
ـهـفـوـ إـلـيـكـ قـصـائـىـ وـمـشـاعـرىـ فـظـلـ هـدـيـكـ وـاـصـلـ رـحـلـاتـهاـ
وهكذا يستمر الشاعر في تصويره للغرض إلى آخر القصيدة .

ويتعدد الغرض بختلف التصوير الأدبي حسب كل غرض ، فتصوير الغزل له اتجاهه وأسلوبه وألفاظه وصورة . وتصوير الحب الصادق للرسول العظيم ورسالته الخالدة ، له ألفاظه وأسلوبه وصورة واتجاهه الذي يتناسب معه ، ومن هنا تتمزق الوحدة الفنية في القصيدة الواحدة تبعاً لتعدد الأغراض فيها .

فإذا ما تأملنا مطلع هذه القصيدة في الغزل العفيف نرى الرقة في النغمة والحلابة في الأسلوب ، والسرور في التصوير ، والترافق للأطياف ، وابتسام التغور ، وجمال الورود في وجنتها وشقائق النعمان في بسماعها ، وغير ذلك من الصور التي تتناسب مع الغزل ، وإن كان هنا عفيفاً طاهراً ، لا ابتذال فيه ولا قبح وكيف لا ؟ وهو مطلع لموضوع طاهر ورسالة خالدة .

وحيثما يتيح الشاعر إلى الغرض الأساسي من القصيدة يتخذ اتجاهها آخر ، وطريقة ثانية في التصوير الأدبي لهذا الموضوع ، ولذلك تتعذر الوحدة الفنية بين المطلع وبين الغرض الأساسي ، الذي افتضى من الشاعر أن يصوّره بمنهج آخر يختلف عما سبق ، فترى قوة في الألفاظ وجزالة في الأسلوب ، وفخامة في التراكيب ، مثل « امتداد الآفاق » ، « وارتفاع الهمة إلى سبل الجهاد » ، « خوض الغمرات » ، « ويشدـنى حـبـ مـحمدـ » ، « من شـادـ بالـسـمـحـاءـ

(١) الديوان السابق : ٣٣/٣٧

مجد دعاتها » ، وهكذا يكون التصوير الأدق إلى نهاية القصيدة بما يتناسب مع النبي العظيم محمد عليه السلام ، ومع رسالته القوية الخالدة .

وعلى النحو المتنوع في الموضوع والغرض لا يمكن أن تتحقق الوحدة الفنية في القصيدة ، لأن وحدة الموضوع والغرض لم تتحقق فيها .

والذى ينبغي ألا ننقطع حق الشاعر فيه ، أنه يحاول في قصيده المتعددة الأغراض ألا يهبط بالغزل إلى الاسفاف والسفور المذول كما هو معروف في الغزل عند الشعراء القدامى والمحديين ، لأن الشاعر يدرك تماما الشرف في الغرض الثاني ، فلا بد أن يكون هناك اتساق وتلاحم على نحو ما مع المطلع بما يتناسب مع هذا الغرض ، ولذلك لم يجد الشاعر بدأ من أن يعبر عن طبيعته وعن خلقه الالهي ، فيصور الحب وهو غزيرة انسانية في مظهرها اللائق بالمؤمن الحق ، وخلق المسلم كما ينبغي أن يكون .

ولهذا السبب لا يدرك القارئ كثيرا في القصيدة عنده أنها قامت على غرضين ، لصعوبة الفصل بين المطلع في الغزل العفيف الطاهر ، وبين الغرض الأساسي الشريف ، فكلما يعبر عن نفس شفافة مؤمنة هذتها شريعة الاسلام بأخلاقه السامية .

وكذلك تعدد الغرض في قصيدة « في ريا الحرمين » فاستهلها بطلع في الغزل العفيف مع ليله في خمسة أبيات يقول^(١) :

سرى في هجعة المرى تسامى
وترمى في تطلعها المrama
وكأن الشوق يدوها ابتهجا
ويذكى في مشاعرها الغراما
وفى جنسها تمشى طيف
كأطيااف الحب إذا استهاما
قتلت لها وفي نيرات صوق
وداد . أيسن أزمعت المقاما
قالت : في ريا الحرمين أشدوا
أناجى البيت والبلد الحrama

ثم يتقلل إلى الغرض من القصيدة فيصور المأسى التي مرت صفو المسلمين وفرقت
شلهم ، فهبت ريح الخلاف والنزاع بينهم ، مما يمزق قلب الشاعر ، ويدمى مشاعره ، ولا يجد
سبلاً أمامه إلا أن يحيى المسلمين وهو في « مني » في هذه الأيام الطاهرة ، يعيشهم على التمسك
بالشريعة والسير على منهاجها ، ونبذ الخلاف والنزاع ، حتى يعودوا صفاً واحداً في جسم الأمة
الاسلامية ، فيقول في تسعه وثلاثين بيتاً :

(١) على درب الجهاد : ص ٩٧

و عند الركن تنسحب الخطايا ململة حوايجها انهزاما
فتشير الصدور بطيب ذكر أمات الكرب عنها والقتاما
ساعشق موطن القرى وإن على حب القيادة لن ألاما

وكذلك في قصيدة «نعي المغرب العربي» استهلها الشاعر بمطلع غزلي عفيف في ثلاثة عشر بيتا يقول^(١):

عقبت بالنشر في أنسى مكان
وعبادت بين أزهار الربا
وبدت هباء في أفق الزمان
غصبة هيفاء كالدر المCHAN
قلت يا حسناً إن مفعّم
بوداد ينتمي في كياني

قوله :

وأثيرت ترهف سمعاً كالذى يشفى أطيف الجنان
نظرت حيناً وقالت: إننى ألمع الموكب خفايا الجنان
قال المغرب تناسب السريري فتحطى شوقاً شم الرعنان

وهنا ينتقل إلى الغرض الأساسي من القصيدة التي يعبر فيها الشاعر عن حبه الصادق للعرب ، والمغرب البلد الإسلامي الشقيق ، وعن الإيمان العميق بالأخوة العربية الإسلامية ، ثم يربط ذلك بحضارة الإسلام في الأندلس ، حيث كانت المغرب نقطة انطلاق الجيش الإسلامي في الأندلس . بقيادة طارق بن زياد ، وذلك في ثمانية عشر بيتا ، يقول^(٢) :

أليها المغرب يا رمز الفدا
 لك من قومي تحيات الوفا
 أنا في الشرق وفي الغرب معا
 نحن من بغداد من أم القرى
 وحد الاسلام من رياطنا
 نحن في المغرب في مهد العلا
 وهكذا إلى آخر القصيدة .

(١) علي درب الجهاد : ١٠٩/١١١

(٢) الديوان السابق : ١١٥/١١١

وتعدد الغرض أيضا « من قصيدة حرب رمضان » في مطلع غزل عفيف يضم ثمانية أبيات يقول فيها^(١) :

ثنت أمامي وهي لا تعرف الخطبا
وقالت : هي الحب في القلب قد شبا
ثنت بأعطاف وألوات بمعصم
ورت بأنفاس لتسار لي قلبا
فكانت كفحسن البان لامس فرعه نسيم الصبا فاهتز من أنه عجبا
إلى قوله :

فلا تنتظري صهو السفاهة والردى
وكونى مع الأحداث سيرا لغورها
إذا انتظمت سلما أو اشتعلت حربا
فما أفلحت في موكب المجد أمة
إذا لم يكن درب الجهاد لها دربا

ويسلل إلى الغرض فيقول حتى نهاية القصيدة :

أتنك رحاب القدس ضحت فروعت قلوبا وأزاحت في ضمائيرها رعا
أما قصيدة « في رحاب البيت » فيستهلها بالغرض الأساسي من القصيدة وهو الاشادة
برسالة الاسلام الخالدة ، وأثرها العظيم في الفتوحات العظمى وقهقر الفرس والروم ، ثم أشاد
باتصارات المسلمين في خطيبين وذات الصوارى ليبحث المسلمين في هذا العصر على استعادة مجد
الآباء والأجداد يقول في ثلاثة وعشرين بيتا^(٢) :

أرى في رحاب الله متطلقا رحبا يضم شفات الشمل مؤتلقا حصبا
وقد عظمت الله في مسمع الدنيا شعائر ما زالت لوحدتنا قطبا
فيالناس قد لبت جموع غ فيه وشدت وثاق العزم وانطلقت وثنا
إلى آخر الغرض ثم يخت بليلة في غزل عف طاهر^(٣) :

وما خمت من ليلاي إلا تخضرا لترق سماء المجد أو تبلغ الشها
فيبوركت يا أرض القدسية والمدى ولا زلت ميدانا لآمالنا رحبا
ولم تكون المطالع الغزلية وحدها هي التي زاوجت أغراضه الأدبية ، ولكن هناك غرضا آخر
كان يسلل من حين إلى آخر في أغراضه خلال فصائده وهو « غرير القدس » وكثيرا ما نجد

(١) على درب الجهاد : ١٦٢/١٦١

(٢) على درب الجهاد : ٢٤/٢٠

(٣) الديوان السابق : ٢٥

هذه القضية تسسيطر على عقل الشاعر وحسه ووجوداته ، فنراه ينظم القصيدة لغرض معين ، ولأدنى ملابسة تتفجر شاعريته بقضية الساعة ، وهي إعادة المسجد الأقصى إلى المسلمين ، وكانت هذه الظاهرة في الديوانين ، وأحياناً يكون الغرض من القصيدة عاماً يشمل القضية ، فتتدرج تحتها ، ولا تعد غرضاً ثانياً ، لأن الموضوع يشملها ، وحيثند فالوحدة الفنية لا تفارق القصيدة وذلك في مثل قصيدة «الحج الأكبر»^(١) ، فالغرض هنا يشمل أشتاتاً من الموضوعات تدخل تحت كلمة «مؤمن» ، وهذا يأتى الشاعر بقضية فلسطين وتحرير القدس ، ولا لوم عليه ، لأن الموضوع عام تدخل فيه القضية .

وكذلك قصيدة «من رحاب البيت»^(٢) ، وفيه تلتقي الشعوب المختلفة ، ولكل شعب قضيته ، ومن بينها شعب فلسطين ، فهو يدخل في موضوع القصيدة .

وكذلك قصيدة «أم القرى ص ٨٢ الألبيات» ، وقصيدة «فرحة ولقاء ص ٩٥ الألبيات» ، في تحية الجيش السعودى الذى يعتبر القدس قضيته المعاصرة ، وقصيدة «حمة الجهد ص ١٣٧ الألبيات» ، ومثل قصيدة «ضيوف الرحمن ص ٧٦ — على درب الجهاد» ومنهم أبناء فلسطين ، وغيرها من القصائد التى وردت على هذا النط .

أما إذا كان الغرض خاصاً ، وليس عاماً ، فينبغي ألا يكون لهذه القضية دخل فيها ، وإن وجدت مكانها في القصيدة تعد مزدوجة الغرض ، وذلك مثل قصيدة «دعوة الحق»^(٣) ، وهى الإسلام فيتشى الشاعر من خلالها بغرض آخر ، وهى قضية فلسطين ، وبذلك يتعدد الغرض ، فتتفك عرى الوحدة الفنية ، لأن لكل غرض من هذين تصويره الأدق ، الذى يتناسب معه ، وذلك ما صنعه الشاعر في قصيدة «مجد الشباب» حينما أدخل فيها القضية ، فزاوج فيها مع الغرض الأساسى ، وهو تصوير الجهد ، الذى ينبغى أن يسعى إليه الشباب في مقتبل حياته . ولقد تبه هذه الظاهرة الأستاذ عبد العزيز الرفاعى ورد السبب في ذلك إلى روح الجنديه التي بدأ بها زاهر حياته العملية يقول :

«إذا روح الجنديه قد انعكست على طموحة وأماله .. فإنها أيضاً قد انعكست على ديوانه ، فرأيته يشيد بالجهاد ، ويحث على القتال في سبيل الله لنصرة فلسطين ، والإخراج الإسرائيلي من ثالث الحرمين»^(٤) .

(١) الألبيات : ٣٣

(٢) الألبيات : ٣٩

(٣) على درب الجهاد : ١١٩

(٤) مقدمة الألبيات : ص ٦

ولا حاجة بنا إلى ذكر الشواهد هنا ، فقد سبقت أمثلة كثيرة تدل على ذلك فلترجع إلى هناك .

الاتجاه الثاني : وهو الوحدة الفنية ، التي تتحقق في وحدة الغرض ، وذلك في قصائد كثيرة ، وخاصة في ديوانه الأول « الأغانيات » ، وبعض القصائد في ديوانه الثاني « على درب الجهاد » ، ولذلك تلامس التصوير الأدبي مع الغرض والمضمون من القصيدة ، من مطلعها حتى نهايتها ، ولم يخل الشاعر عن الوحدة الموضوعية والوحدة الفنية معاً في هذا الاتجاه ، لا في قليل ، ولا في كثير .

وعلى سبيل المثال قصيدة « مواكب المجد » ، وقصيدة « جحافل المجد » ، « سد جازان » ، « سد أبيها » ، « دولة الإسلام في ماضيها المجيد » ، « صبيحة الجهاد » ، « وحدة العرب » ، « في مشاعر الحج » ، « مؤتمر الفقه الإسلامي » ، « فوق أرض الجنوب » ، « فجعة الأيام » ، « شريعة الله » ، وغيرها من القصائد الكثيرة التي اشتملت على غرض واحد فقط ، تلاحت عناصره ومعانيه مع وسائل التصوير الأدبي من الفاظ وأساليب وصور وإيقاع وموسيقى ، والأمثلة الكثيرة من ذكرها في مواطن متفرقة ، ومن القصائد التي تتحقق فيها الوحدة الفنية « شريعة الله »^(١) :

سطعت بنور الوحي في عرصاتها
فأنزاحت الظلماء من جنابها
في مكة الغراء قد برغ المدى
وتألق التوحيد في شرفها
وشرعية الله الشريفة رفرفت
أوحى بها رب الربوة رحمة
البلسم الشاق لكل عريضة
والمنج الساق تفوز به السدق
لو عم حكم الله كل جهابها
عدل ومرحمة وحسن تعمايش
بين الشعوب على اختلاف فئاتها
دين السلام على البسيطة كلها
الصف ساوي بين كل موحد
دين الصلاة تقام في أوقاتها
عند العبد في ساحتها
لابن السبيل ومنحة بلجاعها
وإعانته للغارمين وقرفة
تعطى الفقير فينتهى بصلاتها
وينك منها الرق أو تعطى لمن
قد يألف الإسلام عند هباعها
وإذا نصبها للجهاد لواه
كانت لمن يحتاج من نفقها

(١) على درب الجهاد : ٢٠٨/٢١٤

ووقاية للنفس من شهوانها
 لا فضل بين سعادتها وسراعها
 جاءت به «الحجرات» في آياتها
 في دعها لبغاتها وعتاها
 تبك وتشفي النفس من آهاتها
 بعد التأمل في عظيم صفاتها
 وأثار بالاسلام درب هداتها
 والماء قد أجراه من طياعها
 في لطفها في غيب سرّاعها
 تجربى على المعلوم من دوراتها
 ودعا العقول لكشف محتواها
 أدرى بما يجرى على خطراعها
 ومشروع مجرى الفطانة ذاتها
 تقليد من يدرى بمخفيها
 يشق نور الحق من قسمها
 واستسلوا في اللود عن حرماعها
 والصوم ترويض على ترك الهوى
 والمعج آخرى بين أممأة أحمد
 الا يتقوى الله حكم عادل
 أما الحدود فلبونة جنة
 وشهادة التوحيد تهدى كل مر
 هي فطرة والعقل قد نادى بها
 الله قد فطر النفوس على المدى
 والأرض قد أرسى بها أورادها
 والروح أيرأها وأحکم خلقها
 أفلأ ترى الأفصار . في أفلالكها
 الله أبدعها وأحسن صنعتها
 حسب المشرع للخلقة أنس
 شتان بين مشروع بقطانة
 خسرت عقول حاولت بغيرورها
 تلك الملاع من جواب شرعة
 فاستمسكوا بتصوصها وعلومها

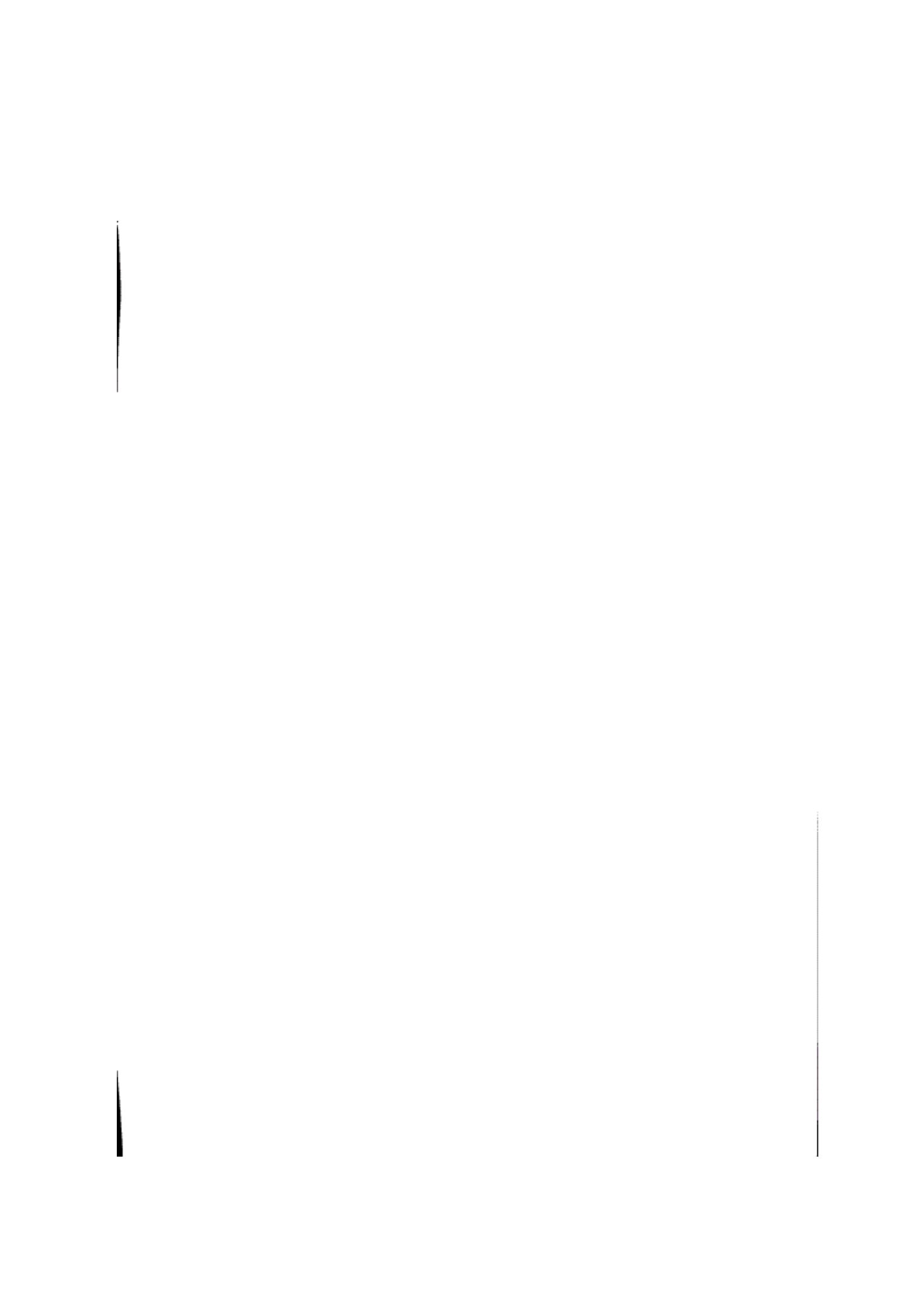
فالقصيدة صورة دقيقة للوحدة الفنية ، فالموضوع واحد من أول بيت إلى نهاية القصيدة
 وهو شريعة الله ، والعاطفة فيها صادقة مع الموضوع لأنها صورة صادرة من مؤمن يؤمن عن
 عقيدة وصدق بتعاليمها ، والقوة في التشريع الاسلامي تجاوالت معها ألفاظ وأساليب وصور على
 شاكلتها من القوة والوضوح ، والحقائق التشريعية لا تحتاج إلى خيال يزيّنها أو يبالغ فيها ، وإنما
 كانت تقوم على أسلوب التقرير للحقائق ورفضها من خلال وجдан الشاعر وعاطفته الصادقة ،
 أما الإيقاع فهو متند عميق يصور الامتداد فيه كثرة حروف اللين بما يتناسب مع عمق الحقائق
 والتعاليم في التشريع الاسلامي ، مع طول التفاعل في البحر العروضي للقصيدة حتى تتناسب مع
 المعانى العميقه والأفكار السامية .



الفصل الخامس

الشاعر بحبي ابراهيم الالمعي

- ١- نشأته وحياته .
- ٢- الأغراض الأدبية في شعره .
- ٣- الملح وفصائصه .
- ٤- الشعر الوهداني وفصائصه .
- ٥- الشعر الإسلامي وفصائصه .
- ٦- الرثاء : وفصائصه .
- ٧- وقفات مع الشاعر في التصوير الأدبي .
- ٨- التصوير الأدبي .
- ٩- البيع والضرورات .
- ١٠- معالم الجنوب في شعره .
- ١١- الوحدة الفنية وفصائصها .



نشأة يحيى الألعنى وحياته :

إلى مدرسة المخاطبين الجدد في مذهبها الأدبي يتضم الشاعر الأديب يحيى إبراهيم الألعنى ، ولد بمدينة « رجال ألمع » حاضرة هامة عسير ، عام (١٣٥٦ هـ) ، وتلقى دراسته الابتدائية فيها وتلمنذ على علماء المدينة .

ثم اشتغل بالتجارة حتى وصل إلى مدينة « جدة » ليعمل موظفاً في وزارة الصحة عام (١٣٧٣ هـ) ، وظل بها ستين .

وفي عام (١٣٧٥ هـ) عاد إلى أبها ، ليماشر أعماله في الحكومة ، يتقلب في وظائف مختلفة ، في ديوان إمارة منطقة عسير ، حتى عين مديرًا للجوازات والجنسية في منطقة « بيشة » عام (١٣٨٤ هـ) .

وفي عام (١٣٨٦ هـ) انتقل إلى أبها ، ليعمل رئيساً لقسم التحرير بمديرية الجوازات والجنسية في عاصمة الجنوب .

ثم عين مديرًا للجوازات والجنسية في « ظهران الجنوب » عام (١٣٨٨ هـ) .

ثم عاد إلى مدينة أبها في عمله السابق رئيساً لقسم التحرير في مديرية الجوازات والأحوال المدنية ، وأنباء ذلك عمل رئيساً لتحرير صحيفة عسير ، التي كانت تصدر بصحيفة « عكاظ » خلال عام (٨٢ — ١٣٨٤ هـ) .

وبحسب الألعنى في زحمة أعماله كان يعبر عن ذاته ومشاعره في شتى الميادين من الصحف والمجلات السعودية منذ عام ١٣٧٤ هـ ، وله أحاديث كثيرة انتشرت مع موجات الأثير في الأذاعة العربية السعودية استمع بها المستمعون .

أما مخطوطاته التي أتمنى أن ترى النور من أحدها :

« الإيضاح والتيسير في تاريخ عسير » ، وديوان « أحاسيس » ، وله أيضاً « لمسات وهنات » ، و « حلو ومر »^(١) .

(١) انظر كتاب شعراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقبيل : ص ١٦ وانظر في « عسير من عسير » في التقديم .

وصدر له من المؤلفات حتى الآن : كتاب « رحلات عسير » ، وكتاب « الأمثال الشعبية في المنطقة الجنوبية » .

وديوان « عسير من عسير » الذي أهداه « لحضره صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز — أمير منطقة الرياض — الرجل الإنسان ذو القلب الكبير .. الذي غمرني بعطفه وحنانه وكرمه وإحسانه — فإن سموه الكريم أهدي ديواني هذا »^(١) .

والديوان ظهر في حجم كبير ضم نيفا وأربعين قصيدة في طبعة أنيقة ، أصدرتها مطابع الرياض — الطبعة الأولى عام (١٤٠١ هـ) وقدم له الشاعر الدكتور زاهر عواض الألعنى — عميد شؤون المكتبات بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، يقول :

« لا أجدني في حاجة إلى وصف أو تقديم لهذا الديوان ، ولا التنويه بقيمة الشعرية ، وقد كفانا الشاعر الفاضل « يحيى » مؤونة ذلك كلها بحسن مطالعه في قصائده ، ومقاطعه في أبياته بما جال في خاطره ، وجاش في صدره ... فأنت من هذا الديوان ستجد نفسك بين أخ لك مواطن لأمته مخلص ، وعاشق لبلده « أبها » موله يشد على ضفافه الخضر أناشيده المطرية ، و يقدم في قصوره لزائره الكرام من « آل سعود » وغيرهم تحياه الشعرية العبة ... والشاعر الكريم بما جبل عليه من خلق فاضل قد تزه عن الفحش فخلا ديوانه من الهجاء وكاد يخلو من الوصف .. وهو شديد الارتباط بالشعر العمودي بعيد عن التيات الحديثة التي طرأ على الشعر العربي الأصيل ... وختاماً أقول لأحى الشاعر « يحيى الألعنى » هنبا لك بهذه الباكرة من الشعر راجياً لك التوفيق إلى أقى طريق »^(٢) .

(١) عسير من عسير : يحيى الألعنى : ص ٥
(٢) مقدمة عسير من عسير : ٢٢/١٥

الأغراض الأدبية في شعره

تنوعت الأغراض الأدبية في شعر يحيى الألعنى ، فاشتملت على أغراض : المدح والوطنيات ، والشعر الاسلامى ، والشعر الوجданى ، والوصف ، والرثاء ، وحضارة العلم الحديث ، وفي المعارضات الأدبية .

وستوضح الخصائص الفنية لهذه الأغراض التي تدل على المذهب الأدبي للشاعر ، في مدرسة المحافظين المجددين في الشعر الجنوبى خاصة ، وفي الشعر السعودى عامة .

أولاً — المدح :

والشعر الوطنى عند الشاعر متلاحم بالمدح ، لأن الشاعر حينها يمدح ملكاً أو أميراً أو وزيراً ، إنما يكون ذلك من خلال ما أنسى إلى الوطن من بناء ورق وتقديم وحضارة ، فهو يشيد بكل مواطن ، يفتدي وطنه بماله ودمه وروحه ، ومن هو جدير بالثناء والتقدير هؤلاء المسؤولون الخالصون لوطفهم ولشعبهم ولأمتهم ، بل أول الخالصين في ذلك هم الذين يسوسون الرعية ، ويبجهونها إلى الرق والتقدم والسعادة والرفاهية .

ومن ذلك كان الشعر الوطنى لا ينفصل عن المدح ، وكذلك المدح لا ينفصل عنه ، قد صيغ معاً في بنية واحدة ، يقومان على غرض واحد وهو المدح في بناء الوطن .

ويعد هذا الغرض الأدبي أكثر الأغراض عنده شعراً ، وقصائد ، في ديوانه المنشور ، الذى يضم بين دفتيه هذه «المدحيات» التى تضم قصيدة «تحية من الأرد» لحضرته الفيمصل العظيم ، ألقاها الشاعر بقصر الحكم بالرياض فى الساعة الحادية عشرة من يوم الخميس الموافق ٦/١١/١٣٨٤ هـ أمام جلالته والحاضرين من الأمراء والعلماء ، يقول^(١) :

يا بلادى يا موطن الخير غنى
واملئى الكون فرحة وابتساما
صفقى اليوم يا جزيرة حتى
ترقص الجيد تعتل الآكاما
واندى السورد فى رسم علت
لباس الجبور نالت مقاما
وارقصى واطسى حجازا ونجدا
وعسيرا وبسيطة وليماما

(١) غير من عسير : يحيى ابراهيم الألعنى ص ٣٢/٣٦ الطبعة الأولى ١٤٠١ مطباع الرياض

إلى قوله:

أليها الفيصل العظيم هنيها
 أنت رمز البلاد بل أنت فذ
 فلاشت الجديس بالعرش حقا
 وهي الدين والعروبة طرا
 باني الجلد والماختر فيها
 عم الأمن حكم الشعير فيها
 قائد الشعب ملهم عبقرى
 حاز بالسبق للعلا كل فضل

وهكذا يمضي الشاعر في مدح الفيصل باق الأمة والوطن وناشر العدل والهدى ومحكم الشريعة والحق ، حتى حقق السعادة والأمن لوطنه وأمته ، ويستمر على هذا النحو حتى نهاية القصيدة ، وذلك في أسلوب مشرق واضح قريب إلى الافهام وتصویر عذب يسیل إلى القلب كرسيلان الماء على الصخر الأمليس في الخدار .

وقد اشتهرت الطبيعة والحياة ، والجزرية والبلاد ، والكون والورود مع الشاعر في مدح الفيصل بأعماله وبطولاته وإنجازاته وعبقريته وقادته الحكيمية ورحمته وحماته للدين والسلام ، وعروبيته وعلمه وتحقيقه السعادة والرفاهية لوطنه ، وهذه أبرز خصائص المدح عند الشاعر .

وكذلك قصيدة « العهد الجديد ص ٣٧ ، ٣٩ » رفعها الشاعر مع التحية والاجلال
لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز ولـ العهد المعلم (جلالة الملك
حاليا) ، في ١٢٨٧/٢/١٩ هـ ، وقصيدة « تحيـة ص ٤٩ ، ٥٢ » مهداة مع عظيم الأشواق
لحضرة صاحب المعالي الأمير خالد بن أحمد السديري ، وفاء الله من كل مكروه في
١٢٨٥/٣/١٢ هـ ، وقصيدة « تحيـة » مرفوعة لـ الحضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد
الفيفيـلـلـلـهـ بـنـ عـبدـ الـعـزـيرـ أـمـيرـ مـنـطـقـةـ عـسـيرـ ، الـفـيـلـلـلـهـ أـمـامـ سـوـهـ يـومـ الـأـيـمـاءـ الـمـاـفـقـ
١٢٩١/٦/١٢ هـ الساعة العاشرة صباحاً في نادي القاروق بـأـيـهـاـ ، بـخـضـورـ سـمـوـ الـأـمـيرـ خـالـدـ
الفيفـلـلـلـهـ وـكـيلـ وـزـارـةـ الـعـارـفـ ، سـمـوـ الـأـمـيرـ مـحـمـدـ الـعـبدـ اللـهـ الفـيـفـلـلـلـهـ ، يـقـولـ (١) :

(١) غير من عسير :

صلوة من عباد خاشعينا
سقى الأشجار والزرع الدفينا
تفرد تارة وتطير حينا
يردد حمد رب العالمينا
إذا ما فاج يعيق ياسينا
وفيه الحب ممزوجا حينا
وأعني خالد الفتن الأمينا
سليل المجد موثقا أمينا

سلام الله يسرى ما أقيمت
وما جادت يماء المزن سحب
وما ناحت حمام في غصون
وما طاف الحجيج بركن بيت
سلام عاطر ولله أرج
أقدمه مع الأجلال شفعا
إلى الشهم المهام أى وليد
وشبل الفيصل القدام حفا

إلى قوله :

وعهد النور والاشراق فيما
وعدل شامل للقاطنينا
فأنباء الجزيرة آمنينا
تراها سهلة للساكينا
لكى تكتفى جميع المعوزينا
وتتوفر الدواء للعاجزينا
كنا التعليم مجانا لدينا
ستبقى دالما أثرا سينا
ونخرر معلنا للمصلحينا
بما فيها زعيم المسلمينا

فهذا العهد عهد الخير حفا
فأمسن وارف والجهل ول
لقد عم البلاد وكل صقع
وفي الطرقات إصلاح عظيم
وانعاش الزراعية غير حاف
وللمرضى مصحات ودور
فلا ثمن يقدم في علاج
وكم من نعمة وجميل صنع
مشاريع بها التاريخ يزهو
جري الله الحكومة كل خير

إلى قوله :

ستغدو مقصدنا للسائحينا
وغابات تسرا الناظرينا
وزهرة خاطر للصافينا
كوداى النيل يروى الظامينا
و «لبنان» ترى أو «طورسينا»

منظرا في ريانا ساحرات
ترى في «السودة» الشمما
وفي «القرعاء» مصطفاف جميل
وفي أرض «الخالة» سلسيل
كان «سويسرا» تلك الماعنى

* * *

وفي أبهى البيعة كل شيء جميل صالح للقادمينا
بها ماء زلال في شعاف وأشجار تظل السائرينا
وجو بارد في الصيف يخلو وبشعش نفس كل المعنينا

لا أظن أحدا يقول بأن الشاعر من مدرسة التقليد ، لأننا لا نجد أثرا من خصائصها : الإسفاف في المعنى والركاكة في التعبير وفهامة الأسلوب ولا أن يكون من مدرسة المحافظين فقط الذين يسيرون على نهج القدماء من الشعراء الفحول مقلدا إياهم ، لأن الشاعر يعيش عصره لا عصر الفحول ، وبصور حضارة وطنه المعاصر لا وطنهم يتجاوز مع انجازات مملكته وأمهه من مشروعات الرق والتقدم لا التخلف والبداءة . ولا أدل على ذلك من تصوير المصيف الجميل الحديث المتحضر عروس الجنوب « أيها » في تصوير أدق قوى متجدد لحياة جديدة في هذا الموطن الجذاب موطن الشاعر الذي عاش فيه وتغجرت تجاربه الشعرية من مناطقه الساحرة في السودة والقرعاء والمخاللة وغيرها فهي مثل سويسرا ووادي النيل ، ولبنان وطور سيناء .

ولن تخلو القصيدة من هزات تستوقف النظر ، وهي كسر الوزن بقوله : « وتوفير الدواة للعاجزينا » هكذا يتسكّن الهمزة ، وقد يصح فيما لو حذفت الهمزة : « وتوفير الدواة للعاجزينا » ككتابته في قوله : ترى في السودة الشمماً فحذف الهمزة ليصبح الوزن . وكذلك قوله « بما فيها زعيم المسلمين » ، كان الأول ليسمو عن النعي والتعبير العامي يأتي بما يتناسب مع سمو الشعر ولغته الخاصة . فيقول : « بقادتها زعيم المسلمين » وفرق كبير بين القائد والزعيم وبين ما تدل عليه الظرفية « في » وإن كان القائد والزعيم من بينهم .

وكذلك التعبير بلفظ « المراعي » لا يتناسب في التصوير الأدق مع المصيف الذي يشبه سويسرا ووادي النيل ولبنان ، فلا تسمى جمال الغابات الكثيفة الساحرة والزروع السندينية الخضراء والماء العذب الزلال بالمراعي والأجدار بالتسمية ، والأقوى تصويرا وإيحاء وشاعرية كلمة « باللغاني » فهي لفظة شعرية تتلاءم في قوتها ووحى وأصواته وظلال مع هذا المصيف الجميل الساحر .

وكذلك قصيدة « تحية ص ٧٦ ، ٨٠ » مرفوعة لأعتاب حضرة صاحب الجلالة الملك « فيصل بن عبد العزيز المظفر » ألقيت أمام جلالته في القصر الملكي « بجدة » حين قدم من الرياض لزيارة السودان الشقيق عام ١٣٨٧ هـ ، وقصيدة « تحية ص ٨٣ ، ٨٥ » مرفوعة مع عظيم الإجلال لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية — (ولـ العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء حاليا) — في عام ١٣٨٨ هـ .

وقصيدة « تحية ص ٩٣ ، ٩٧ » مرفوعة لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز — أمير منطقة الرياض — وقصيدة « تحية ص ٩٣ ، ٩٧ » مهداة لسعادة الشيخ هاشم معنوق المدير العام للجوازات والجنسية — (وكيل وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية حاليا) — في ١٢/٩ ١٣٩٨ هـ ، وقصيدة « تحية » مرفوعة لحضرة صاحب الجلالة

(مولاي) الملك فيصل المعظم بمناسبة عودة جلالته من جدة إلى الرياض في ٢٥/١/١٣٨٩ هـ وألقاها الشاعر بقصر «المعذر» بالرياض^(١).

وقصيدة «تحية» وتهنئة بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية ، مرفوعة مع التحية والاجلال لحضرت صاحب الجلالة «مولاي» الملك خالد بن عبد العزيز في ١٣٩٧/١٠/١ هـ ، ثم يقول :

لعيـد عـظـيم مـشـرق يـجـدد
إـلـى الـخـالـد الـمـغـوار أـرـزوـ وـأـنـشـد
لـذـكـرى لـدـى الشـعـب الـعـزـيز مـجـيدـة
بـهـا نـخـفـي فـي كـلـ عام وـسـعـد
وـقـيـض سـرـور وـافـر يـعـدـد
وـتـغـمـرـنا الـأـفـرـاح فـهـا بـسـمـة
أـلـا إـنـها ذـكـرى بـحـق سـعـيـدة
لـيـوم أـغـرـ خـالـد سـيـمـحـد
فـيـوم بـلـادـي حـين تـوحـيد شـعـبـها
بـأـغـلـى مـعـانـ الفـخـر وـالـشـكـر وـالـثـناـ
لـبـانـ بـنـاءـ العـزـ وـالـجـدـ وـالـعـلاـ
لـقـدـ كـانـ تـوحـيدـ الـجـرـيـرةـ مـطـلـباـ
فـكـافـعـ فـعـزـ وـصـدـقـ وـحـكـمةـ
وـهـذـاـ بـحـمدـ اللـهـ فـضـلـ وـنـعـمـةـ
فـحـقـ لـنـاـ أـنـ نـخـفـيـ بـخـلـوـهـ
لـدـىـ الشـعـبـ فـيـ «ـعـبـدـ الـعـزـيـزـ»ـ تـجـددـ^(٢)

وهكذا إلى آخر القصيدة وهي من غرر وطبياته القوية ومداهنه الهدافة السامة .

وقصيدة «تحية ص ١٢٣ ، ١٢٦» وتهنئة بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية ، مرفوعة مع التحية والاجلال لحضرت صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولل العهد ، ونائب رئيس مجلس الوزراء المعظم في ١٣٩٧/١٠/١ هـ ، وقصيدة «تحية» مرفوعة لصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل عام ١٣٨٩ هـ وهي من خمسياته يقول^(٣) :

(١) غير من عسير : ١١٢/١٠٨

(٢) الديوان : ١٢٢/١١٧

(٣) غير من عسير : ١٣٨/١٣٤

أيها القاموس أستاذ اليمان
صاحب «المحروم» في نظم الأغانى
من بديع اللفظ معروف المعانى
يُرْهُو كالجحان طعنه كالشهيد
إيه يا شعرى رويدا في التشيد
لست تحلى فعل أصحاب المزید
وقليلاً لا تبالغ في القصيدة
مثلك عبد الله ذى الرأى السديد
إنه شهم وصندىد أكيد
يا طويل العمر عفوا يا أمير
ليس هذا المدح بالنظم المثير
إن باعى كان في الشعر قصير
في حمور الشعر تحتاج الخبر
والقى وافق يابها باب عصى

وقصيدة « تحية ص ١٤٣ ، ١٤٧ » لسمو الأمير بندر الفيصل في عام ١٣٨٩ هـ ، وقصيدة « تحية ص ١٥٣ ، ١٥٦ » مرفوعة لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران ، بمناسبة زيارة سموه لمنطقة الجنوب في شهر جمادى الأولى ١٣٨٨هـ ، وقصيدة « فرحة الشفاء ص ١٦١ ، ١٦٤ » بمناسبة شفاء وعودة جلاله الملك خالد بن عبد العزيز إلى أرض الوطن سليماً معافاً عام ١٣٩٨ هـ ، وقصيدة « تحية وبتهة ص ١٦٥ ، ١٦٧ » مرفوعة عن مع التحية والإجلال لمقام حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز وللإعهد ونائب رئيس مجلس الوزراء المعظم ، بمناسبة عودة وشفاء العاهل المفدى جلاله الملك خالد بن عبد العزيز المعظم قيلت في ٢٧/١٢/١٣٩٨ هـ .

ثانياً - الشعر الوجداني :

هذا اللون من الشعر من أقوى الأغراض الأدبية عند يحيى الألبي وأ وجودها فهو الذي يعبر عن موهبته الشعرية في تصوير أذني رائع ، والقصائد التي أنشدها في هذا الغرض ، قصيدة « يا ليلا » وهو ينادي ، الليل في ١٣٧٦/٦/١٨ هـ ، يقول^(١) :

يا ليل إن قد ضجرت طويلا
ففقد رأيت نطاولا لا ينبعى
إن المريض تاله بمخافته
وكذلك الوهان يسر هائما
وبيك عن صبح الفلاح ثقيلا
وعذابه يا ليل ليس قليلا

(١) عبير من عصير : ٢٣ ، ٢٤

وقصيدة «شكوى» ص ٢٥ ، ٢٦ «إلى الله العلي القدير من جوار الكعبة المشرفة في ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة «عتاب» يعارض فيها معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة ومطلعها :

الآن فاصبحينا

عارضها الشاعر الألبي في عام ١٣٨٣ هـ بقصيدة مطلعها^(١):

ولا تكوى قلوب العاشقين
ومن قد ساور القلب الحزينا
رموش العين رمى القارينا
وقرحت الدموع لـما جفوننا
أعانى من مراته الشجونا
ألا جودي بوصلك وارحينا
وداوى حالسى وجروح قلبى
فمنذ النظرة الأولى رمتى
قطارات مهجتى لها وشوقا
فترضت متيمـا وأسبر حـب

قل للملحمة في السرداء الأسود ماذا صنعت يناسك مهجد
قد كان حسر للوضوء ذراعه حتى وقفت له بباب المعد
إلى قوله :

وتأجّحت نيران قلب قد سلا
وسرت دماء الحب في أحشائه
حسناً ما هذا التجنّى على فسى
«ردى عليه صيامه وقيامه»
لا تصرفه عن التبتل والدعا
ونكأت جرح العابد المزهد
كيف السبيل وأنت كل المقصد
متبلل متضرع متهد
ودعيم يقى دائمًا في المعبد
«لا تقتليه بحق دين محمد»^(٣)

غير من عسير : ٤٤/٤٠ (١)

٧٥/٧٣ : عسیر من عسیر)

وقصيدة «أحلام الصبا ص ٨١ ، ٨٢» قالها الشاعر في ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة «نبوى ص ٨٦ ، ٨٧» أنشأها الشاعر في عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة «صدفة ص ١٠٢» قالها في ١٣٨٢ هـ ، وقصيدة «مع الخليل ص ١٣٢ ، ١٣٣» في عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة «شكوى ص ١٤١ ، ١٤٢» في عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة «شكر الإله ص ١٤٨ ، ١٥٠» وهي وقفة تأمل وتدبر في آلة الله بين جبال عسير الشاهقة عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة «الحبيب المجهول ص ١٥١ ، ١٥٢» في عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة «ذكرى ص ١٥٩ ، ١٦٠» في عام ١٣٨٧ هـ وقصيدة «ذكريات وتساؤلات ص ١٦٨ ، ١٧٠» في عام ١٣٩٩ هـ ، وقصيدة «مع الأنساق ص ١٣٩ ، ١٤٠» في عام ١٣٨٨ هـ ، وقصيدة «ظهران الجنوب ص ١٥٧ ، ١٥٨» في عام ١٣٨٨ هـ .

وشعر الوجдан تناسب فيه شاعرية الألعنى انساب الماء الصافى العذب الرلال ، يتسم بالخفة والللاوة والعدوية ينساب مع القارئ كأنه غافى من قبل في تجربة سابقة ، ويشعر بأن الشعر للقارئ لا للشاعر ، لأنه في إمكانه أن يصدر عنه مثله أو هو نفسه ، وذلك لسهولته وجريانه على اللسان كما يجري الحديث اليومي مع الناس حين يتسامرون ويأسون ، فلا يحتاج إلى جهد في فهمه وإدراكه ، ولا إلى مراجعة يبحثك فيه ويهذب منه ، بل نشعر بأن الشاعر أنشد هذه القصائد بلا استثنان ولا يهؤ قبلها ، وكأنه يرتجلها ارتجالا ، لا يعانيها ، ولا يقلب النظر في صورها وكلماتها ، بل إذا صدرت عنه ساعتها ، لا يدبر نظره عليها مرة ثانية ، بل تذهب في الحياة بثواب قطريا صافية ، لا تحتاج منه إلى المراجعة والتدقير والتهدب ، حتى يمحى منها الكلمة العامية أو يغير خللا هر كيان الصورة ، أو يقصر ممدوها في وسط البيت ، أو يمد مقصورا للحفظ على الوزن ... لا يعنيه كل هذا ما دامت القصيدة قد صدرت عنه لأول مرة .

هذا كله كان شعر الوجدان عند يحيى الألعنى صادرا عن نفس شفافة وروح صافية ، سواء أكان وجданه يكتوى بنار الحب التي ألهته حبيبه ومرقت بالشوق قلبه ، أم كان وجدانه من شكوكه لله عن وجل وثناه عليه بنعمه وألله ليطلب منه المغفرة والعفو ، كلها يعتمد على مشاعر الحب العميق الصادق ، فورة الوجدان الحموم ، والتأمل في جوانب النفس وحنانها لمعرفة حقيقة الحب والوطidan وكنه الوجدان والآلام .

وشعر الوجدان عنده شعر قوى العاطفة صادق التجربة قطعة نابضة من نفس الشاعر وقلبه ، ويكفيه وحده أن يضع الشاعر في منزلة بين شعراء مدرسته ومذهبه الأدنى : مدرسة التجديد الحافظ ليكون يحيى من شعراء منطقة الجنوب بلا ريب يزاحم شعاء المملكة العربية السعودية بفن الشعري .

وليس معنى ذلك أن الأغراض الأخرى لا تدل على موهبة الشاعر لأن الموهبة في ذاتها موجودة عند الشاعر ، وقوية أصلية ، فلا تمثل الأغراض ، لكن بعضها كالمدح مثلاً كان يحتاج من الشاعر إلى المراجعة والتعديل ، فقد يصيب أحياناً ، وقد يركب الصعب حيناً آخر ، وبقية الأغراض أخذت منها من الشاعر بعد شعر الوجдан مباشراً ، وعند التعرف على الخصائص الفنية في مجال التصوير الأدبي سأقيم الشواهد والأمثلة ، التي تدل على ما ذهبت إليه من رأي في الأغراض الأدبية عند الشاعر .

ومن خصائص شعر الوجدان أيضاً أنه نبع عن الشاعر في عام واحد وهو عام ١٣٨٨هـ) هنا بالنسبة للأعوام الأخرى ، فقد أنشد كثيراً من القصائد في الغرض كما اتضحت ذلك من تاريخ ابداع شعره وإنشاده السابق وهي «شكوى» ، «أحلام الصبا» ، «نبوى» ، «مع الخليل» ، «شكوى» مرة أخرى ، «شكر الإله» ، «الحبيب المجهول» وغيرها وهي من أجود قصائده ، وأنشد في نفس العام قصیدتين في مدح وما «تحية» «بمناسبة زيارة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز لمنطقة الجنوب» ، وقصيدة «تحية» «بنسبة عودة جلالـة الملك فيصل من جدة إلى الرياض» ، وأنشـد قصـائد أخرى في نفسـ العام : مثل قصـيدة «مع الأنـام» ، وقصـيدة «رمـضـان» ، وقصـيدة «فـلـسـطـينـ وـوـعدـ بـلـغـورـ» .

وهذه القصائد التي أنشـدتـها في عام ١٣٨٨هـ بعدـأنـ انتـقلـ منـ عملـهـ فيـ أـبـهاـ إـلـىـ ظـهـرـانـ الجنـوبـ ، تـدلـ عـلـىـ أـنـ الشـاعـرـ كـانـ يـعـانـىـ تـجـربـةـ وجـدـانـيـةـ قـوـيـةـ ، أـلـهـتـ عـوـاطـفـهـ ، وأـرـقـتـ مشـاعـرهـ ، فـفـاضـتـ تـجـارـيـهـ الشـعـرـيـةـ المتـدـفـقةـ بـحـشـدـ كـبـيرـ ، وـقـدـ أـعـقـبـ هـذـاـ الـاـنـتـقـالـ اـسـتـقـارـ فيـ أـبـهاـ حـتـىـ الآـنـ .

وفي هذا الشعر أيضاً دلالة تدل على نوع من التعويض لفقد رغبة عزيزة كان يرغب فيها ولم تتحقق ، فذهب إلى الجنوب ليجد العوض في هذا الشعر النابض ، الذي يظهر الشاعر من آلامه وأهاته وقدانه ، ويجد فيه الأنس كل الأنس ، بحيث يملأ هذا الفراغ ، الذي خلفته الآمال المفقودة ، والرغبات التي ذهبت مع الرياح .

ولهذه الأسباب كانت القصائد السابقة يغلب عليها هذا اللون من الحزن والألم والشكوى والمرارة ، سواء أكانت هذه الشكوى في جوار الكعبة المشرفة ، حيث يتنفس الصدر ، وفيض القلب بمكونه في البقعة الطاهرة ، فيتطهـرـ مـنـ بـلـوـاهـ التـيـ أـلـتـ بـهـ ، ويـكـشفـ ضـرـوـرـهـ الذـيـ مـرـقـهـ ، وـتـجـرـدـ أـحـشـاءـ عـنـ آـهـاتـ وـأـحـزـانـ ، وـهـذـاـ عـيـنـهـ مـاـ يـصـوـرـهـ الشـاعـرـ فـيـ قـصـيـدـةـ «ـشـكـوىـ» يـقـولـ^(١) :

(١) غير من عسير : ٢٥/٢٦

إلى الله أشكو لوعتي وسلام
 وأطلب منه كشف ضر ألم في
 ألمت في البلوى فكنت أسيرها
 صبرت على ما نالني صبر زاهد
 إذا المرء لم يصبر على ما أصابه
 تحمل ذنبها ياله من مصيبة
 وأضحي طريدا من رضاء إلهه
 فرحاك رب انتى لست ضائقا
 ومنه أرجو الكشف في البلوى
 وأدعواه في السراء والضراء
 ومارت في الآهات في الأحساء
 يرى في ثواب الله خير شفاء
 ولم يحمد المولى على البلوى
 وأشغل قلبا بالآسى وبكاء
 ينوح ويكي في الضحى ومساء
 من الضر ما دام القضاء قضائى

واقتصرت على بعضها للدلالة على المراد ، أو كانت الشكوى من الزمان وأهله ، كما في
 قصيدة الثانية « شكوى » يقول^(١) :

أشكو الزمان وأهله قد نالنى
 أشكو الأحبة والرفاق جميعهم
 أشکو هو والله يعلم أنتى
 فلقد سُئمت من الحياة وأهلها
 حتى لقد ناجيت رب سائلة
 إن الخطوب إذا أحاطت بالضنى
 إن وجدت مرارة العيش الذى
 فلتنهأ أأقوام بالعيش الرغيد وكل شىء جائع
 عليك يا دنيا السلام فإننى لم أبغ منك العيش مما هانى

أو يهرب الشاعر من واقعه المز ، ومحنته التي يمر بها في الظهران ليسى آلامه وأحزانه في
 حلم جميل ، وخيال ممتع رائع ، ومارأوه أحلام الصبا ، وملاعبه الغانية ، ومسارح الخيال فيه ،
 وخاصة عندما يأوي إليها المحرور من آمال الشباب والكهولة ، فيتنفس الصدر فيها ، بما يرجع
 النفس ولو ساعة ، ويتنوّق القلب حلاوةها فتنسيه آلام المكافحة والمعاناة أثناء المعاشرة والمكافحة ،
 لذلك ينون بمحني الألعنى إلى « أحلام الصبا » بيت شكوكه في لوحة فنية أخرى^(٢) :

(١) الديوان : ١٤١ ، ١٤٢

(٢) الديوان : ٨٢/٨١

تاقت النفس لأحلام الصبا
 وللبيال الغر في عهد الصغر
 تغمر النفس بأطيااف السحر
 تملأ القلب بإشعاع القمر^(١)
 في مراعيها وأفءاء الشجر
 بدرف الطل وسائق المطر
 كجمان نهراً أو كالدرر
 غادة العمر لكي تقضي السمر
 تصدح الطير بأنقام الوتر
 قدرة الله وتصريف القدر
 هذه الأقدار في وقت الكير
 والبيال عندما تقضي الوطر
 ليت شعرى حين تأتي في الدجى
 تحت ظل الدوح فواح الشذا
 يا لها من ليلة جادت بها
 حبذا لو صادفتنا دائماً
 كي نمال السعد في أيامنا

قلت : الموهبة الشعرية متمنكة من الشاعر ، ومن يقرأ هذه القصيدة مع ارجاعها ، وتراسل المشاعر فيها ، واثيال الصور الرائعة ، مما يجعل شعره يسلل كالندى المعيق بالشذا والطيب ، ولقد فطن لهذا الشاعر زاهر عواض حين علق على ديوانه قائلاً :

« كت أود من أخي الشاعر يحيى الألعنى وهو في أيها حيث الهواء الطلق والسماء الصافية ، والشمس الساطعة ، والغيث المسكوب ينهل هتونا فتجرى به الأودية وتمتلئ الغدران ... أقول ماذا يضر الشاعر ، وهو بين هذه المشاهد الرائعة ، والمناظر الخلابة أن يطوف بنا في مجال تلك الطبيعة الغناء أكثر فأكثر ، ويتحسن وهو الشاعر المطبوع من شعره ، ويضفي علينا الاحساس بما أفال الله عليه .. فإن الطبيعة الفاتحة إذا صادفت كفنا لها ، أضفى عليها ملابسها ، وكشف عن نفاسها ، وكانت له رائدا فيما طلب وهاديا حيث ذهب ... وشاعرنا كان من أحق الشعراء في ذلك لأنه من هنالك »^(٢) .

وحين يستيقظ يحيى الألعنى من أحلام الصبا يث شكوكه إلى « الحبيب المجهول » وكلها أحلام عذبة ينتشى لها الشاعر فينسى آلامه وأحزانه ، ويظهر بها قلبها من المكابدة والمعاناة ، إن الصورة الشعرية القوية أحياناً حينها تهز الوجدان تذهب بالحرزن وتتسخ المعاناة ، وتنزيل مرارة الحرمان ، فيحييا بها الوجدان مرة ثانية فما بالك بالشاعر الذي ينسج الصور الشعرية الرائعة كالغيث الذي ينزل على الأرض فترك الصخر أملس ناعماً ليجرف ما عليه في التيارات

(١) التي تملأ : تعود على الآمال التي تملأ

(٢) مقدمة الديوان : ١٩ ، ٢٠ الدكتور زاهر عواض

الطمورة المائية تستقر في الأرض الخصبة فصرع وزهر وخضر وتحيا وهكذا تعود الحياة كما كانت
ليعود إليها الغيث مرات ومرات يشكو إلى «الحبيب المجهول» فيقول^(١) :

الحب أضناك وقرح مهمني
ويران الشوق فراد بليتى
وتتابعت زفرات قلبى بالأسى
وتناثرت قطرات دمع المقلة
لم هكذا تتابنى في وحشتنى؟
وتثير أشجان الفراق ولوعتنى
لم أنها الصب الميم بالموى؟
تدمى ضلوعى بعد حرق المهجنة
لم هكذا تشکو البعاد وطوله؟
وتقول إنك ساهر في محنتى
لم لا تروم لقاءنا يا صاحبى؟
كيف السبيل وأنت أهل الفتنة
لم لا تجود بوصلنا طول المدى؟
وتريل هم الواله التعمت
أترید منى أن أكون ضحية؟
بس الماد وأنت كنت ضحيتى
الله يجمعنا ويكتب وصلنا
ويمحق الآمال بعد الفرقة

وهكذا يفيق يحيى من أحلام الصبا وأحلام اليقطة في الحبيب المجهول ليث شکواه في واقعه
الذى يعيشه في شبابه فيث آلامه وأهاته إلى حليله وصديقه الذى يسترخ إليه فيستريح هو من
عنائها ، ويخفف ويلاتها ، بنظرات الصديق الحنونة وكلماته الحانية ، ونبراته اللطيفة ، وأنفاسه
الرحيمة ، فيجدد بشعره وحشة الليل والظلم والنوم والسهر ، مع أنيس شعره « مع
الخليل »^(٢) .

ومرامى دائمًا عند المقام
لا تغى عنى فإني متهم
كل ضر قد برى من العظام
من سهام الحب أو سهم الغرام
قد أتاف لم تطق حتى الكلام
قلد الطير وتغريد الحمام
زادت التيران في النفس اضطراب
وانقضى العمر ولم اقض المرام
يا خليل يا انيس في الدجى
جد حبيبي باللقا وقت المساء
قد حرمت النوم حتى نالنى
وغدا جسمى نحيلة خائرا
لو رأيت الحال يا خلى وما
إن إحساسى ليشدو بالغشاء
زفرات القلب آهات لنا
ذقت مر العيش من طول النوى
يا حبيبي لا تدعنى خائرا
ولتكن منى قريبا دائمًا

(١) الديوان : ١٥٢/١٥١

(٢) الديوان : ١٣٣/١٣٢

غاية والقصد تجديد اللقا
تحت ظل الدوح أو بين الخiam
فاستمع مني كلامي والنداء وتحياتي وإقراء السلام
ولتكن مني قريبا دائما يا حبيبي إن ذا بعد حرام
وإذا ما بث شكوكه إلى خليله رأى أن الملجأ الحقيقي في المناجاة هي الشكوى إلى الله عز
وجل ، فیناجيه في «نحوی»^(۱) ومنها :

يا إلهي وأنت رب كريم عالم بالخفا وكل السرائر
إلى قوله :

واغفر الذب والخطايا جمیعا والمعاصي وكل تلك الكبائر
واصرف الشر أینا كان عننا واعطنا الخير والمهدى والبشائر
وإذا كان الملجأ الحقيقي هو لله وحده ، فيبغى أن نشكر الله عز وجل على مختنه ،
ولا يحمد على مكرره سواه ، لأن المؤمن الصادق هو الذي يرضى بقضاء الله وقدره ، يقول في
قصيدته «شكرا للإله» عام ١٣٨٨ هـ^(۲) :

جل الإله تعالى في تفضله
قد أوجد الكون من لاشيء من عدم
سبحانه الخالق المعبد منان
أعطي لنا النعمة الكبرى وأوهنا
حب الحياة لها سر وإعلان
فالكل يفني ولا يقى له أثر إلا الصلاح وتقى و إحسان

ثالثا - الشعر الاسلامي :

وهو من الأغراض التي تناولها الشاعر في ديوانه ، ويضم قصيدة «رمضان» في
١٣٨٨ هـ ومطلعها^(۳) :

رمضان يا شهر الصيام تحية
رمضان يا شهر الفضائل والمنى
حيثت يأملأ أثني أسرارا
قد جئت فيما ناقلا أخبارا
فيك الملائكة ترددت في نشوة
ولك الحسان تربنت إقرارا
والحرور فيها رقصن وصفقت
ولبس أثوابك أهنا أعطسرا

(۱) الديوان : ٨٧/٨٦

(۲) الديوان : ١٥٠/١٤٨

(۳) الديوان : ٥٦/٥٣

«ريان» يفتح عندما تأتي لنا والجن تخس لا ترى أخطارا
هذا المساجد قد زرت وتركت للمقدم الميمون جاء مرارا
يا من له القرآن يتلى في الضحى والليل يحيى بالدعا أذكارا
إلى آخر القصيدة، وقصيدة «فلسطين ووعد بلفور» في عام ١٣٨٨ هـ، وهي من
الشعر الإسلامي على اعتبار أن قضية فلسطين أصبحت قضية إسلامية، والقدس الشريف من
القضايا الإسلامية المعاصرة يقول في مطلعها^(١) :

يا وعد «بلفور» كم هييجت أشجاننا ونالنا منك إيناء فأضنانا
أضنى العربية والاسلام كلهم وسامهم بالأذى سوء فابكانا
وقصيدة « أخي » أنشدها الشاعر نداء لتحرير فلسطين الجريمة عام ١٣٩٤ هـ
ومطلعها^(٢) :

أخي إننا اليوم في محنة تدرك الصخور بطول المدى
وقصيدة « صرخة الاسلام » أذيعت من صوت الاسلام عام ١٣٨٦ هـ يقول^(٣) :

إن الديانة في الاسلام تغتنم فيها الصلاح وفيها الخير والنعم
في ارض مكة مهد الوحي انتشرت قوم وقام بها الإصلاح والأم
قد قام فيها رسول الله داعية يريد خيرا وكل الناس تلائم
تعطست كل أوثان مدنية بالشرك والكفر والطغيان ينهدم
لم يبق فيها سوى الدين الحنيف هدى أم
نور الهدى شمس في العلا أبدا يشع في الكون حتى عمنا الكرم

وهكذا إلى آخر القصيدة وهي طويلة ، والشعر الإسلامي عند يحيى دون الشعر الوجداني
بكثير ، لا من حيث المضمون ، ولكن من حيث التصوير الأدبي ، فنرى هذا الغرض أقرب إلى
التقرير إلى الشعر ، فالشاعر يكتب مقالا عن رمضان ، أو عن صرخة في الإسلام ، يجمع فيها
الأمثليات من هنا وهناك لكي يستقيم له الوزن وتقوم الأبيات على العروض والقافية ، وإن كانت
القافية تتوضع في غير مكانها أحيانا .

(١) الديوان : ٥٩/٥٧

(٢) الديوان : ٩٣/٩١

(٣) الديوان : ١١٦/١١٣

« فالأم » تأقى قافية ثلاثة مرات ، و « يلائم » مرتين ، و « الكرم » مرتين ، ويضطر إلى الترداد في المعنى من أجل القافية أيضاً مرات كثيرة مثل « الخير والنعيم » ، « قوم — الأم » ، « الخير والإنعم والكرم » ، « البغي والظلم » ، « شرك ولا صنم » ، وغيرها .

وقد يضطر الوزن إلى الأساليب غير المشهورة عند العرب ، فيسير على النهج غير الفصيح من الألفاظ ومشتقها ، فقد جعل همزة الوصل في قوله « انتشرت » همزة قطع لكي يستقيم الوزن ، واستعمل المصدر « الإعجم » مكان الجمع ، وهو يقصد الجمع « العجم » وهو الجمع عند العرب ، فاضطر الشاعر إلى الاستعمال غير الفصيح ليحافظ على الوزن في القصيدة .

ومن الشعر الإسلامي أيضاً قصيدة « إيلك يا ألي » في رثاء شهيد الإسلام ، جلاة الملك فيصل المعظم ، الذي اهتزت الدنيا لموته ، قالها في ١٥/٣/١٣٩٥ هـ ومطلعها^(١) :

العين تبكى والفؤاد محرق والنفس تخون ودائماً تمزق
حتى كأن الدمع من نهر جرى
في المقلتين وفوق خد يرق
وله خبرير لست أحصى قطره
في موت « فيصل » قد مات بنا أكمَّ
حامى حمى الإسلام رائده
حققت للشعب ما يزهو به حقباً
وها وجودك يا مولاي مفخرة
لل المسلمين عموماً كنت تأتلي
وكل قلب وهى عامرة
والعروبة والاسلام ينبع
سكتت في يا رائد العرب والاسلام إن بنا
من الأنسية ما لا يوسع له الورق

إلى آخر القصيدة ، وهي من أجود قصائده في الشعر الإسلامي ، ومنه أيضاً قصيدة « نصيحة ص ٢٧ ، ٢٨ » أهدتها إلى الأخ فاتح إبراهيم الأنبي في عام ١٣٧٧ هـ ، ويحيث فيها على طلب العلم وينفر من الجهل ، والعلم يحيث عليه الإسلام بل هو أساس الإسلام وقادته العربية . وقصيدة « العلم والجهل » ألقاها الشاعر في المركز الصيفي بأبها عام ١٣٩١ هـ ، ومطلعها^(٢) :

العلم يبني والجهالة تهدى
والعلم نور ساطع وتقديم
بالعلم تبلغ كل قصد في المدى
ويتحقق الأهداف من يتعلم

(١) الديوان : ١٠١/٩٨

(٢) الديوان : ١٠٧/١٠٣

والجهل داء والثقافة بضم
والعلم طعم في المذاق حلاوة
بالعلم يرق كل شعب للعلا
للجهل إذ فيه الشفاء الأعظم
والجهل من طعمه بل علقم
ويكون في أعلى المراتب ينعم
إلى قوله :

يبني صروح الحجد شاخة الذرى
فأنحو الجهالة في الشقاوة قابع
إن الجهل بماله وثراه
مثل السفينة بالتجارة تلقم
ما ذا يفيد من التجارة عندما
يهوى إلى قاع البحار وترطم
هذه المعاهد والمدارس جمة
في كل بيت دارس ومعلم
قد عمت الأرجاء وهي مناهل
للضامئن وفرحة بل مغنم
والقصيدة مع طوطها تغلب عليها روح التر الأدنى ، ولا يبقى من خصائص إلا الوزن
والقافية أما العاطفة القوية ، والمشاعر المتقدمة ، والتوصير الذي ييز الوجدان ، وسيطر على
المشاعر ، فهذا هو أقل الجوانب في القصيدة ، ويستعمل الشاعر لهجة الجنوب الجارية على
اللسان وهي إبدال الطاء ضادا في قوله : « وهي مناهل للضامئن » وأصلها فيما اشتهر عند
العرب ما نزل به القرآن الكريم « للضامئن » .



وقفات مع الشاعر

أولاً — التصوير الأدبي :

ديوان بحثي الألئع يضم بين دفتيه ألواناً متنوعة من التجارب الشعرية منها التي لم تكن كاملة ناضجة بالقدر المطلوب في الشعر الجيد ، مثل التجارب الشعرية التي كانت تحتاج إلى مراجعة من الشاعر ، وذلك في كل الأغراض ماعدا شعر الوجдан .

ومنها التجارب الشعرية القوية التي أقامت الحجة الناصحة على أنه شاعر موهوب ، يعد من شعراء مدرسة المحافظين الجدد في الجنوب وهو شعر الوجدان ، وقد فصلنا القول في ذلك عند الحديث عن خصائص هذا الغرض الأدبي . ومادامت التجربة الشعرية قوية فالصدق الفني قد تتحقق فيها ، الذي يسمى بالقصيدة إلى المستوى الجيد في الشعر ، ويستبدل بالعاطفة ، وبحرك المشاعر والأحساس ، لهذا كان التصوير الأدبي في هذا الغرض يسمى بالشاعر إلى مصاف الشعراء الجدد في طبقته الفنية ، وإلى ما سبق من شواهد على ما نقول تأمل قصيده « مع الأطياف »^(١) :

يسألنى المحبوب عما جرى لي
وهل كان إلا بلوق وشقائيا
لقد جرح القلب الذي كان سالما
ومرقه حباً بعيداً ودائماً
وأفقى بهم ليته ما أصابسي
ولم يأت للقلب الذي كان نائيا
سهرت الليالي لا أرى فيه ساهرا
يداعبني حتى إذا ما رأيتني
سوى طيف هذا اللذ قد لاح رائيا
أداعبه انسلا مني ورائيا
بروح وينسلو شارداً متبرهما
وياوى إلى كل من كان خصماً معاديا
فليتك يا متبول قدرت حالتى
وأكرمنى بالوصول ما دمت راضيا
ولستك ترضينى ولو بزيارة
لأرجع قلبي منك إن كت نائيا
لأبقى حزيناً طيلة العمر باكيا

(١) الديوان : ٤٥

وهكذا يمضي الشاعر يصور تجربته الشعرية القوية في عاطفة صادقة وخياناً خصب ،
وصور أدبية رائعة ، وعبارات عنديه رقيقة ، وأسلوب جزل حلو ، يكشف عن معاناته بلا غموض
أو إيهام ، فتأخذ موقفها من العقل حين تستقبلها الأذن مباشرة ، لأن الشاعر يعبر بصدق عن
وجوداته في وضوح وشاعرية ملهمة .

لم يسلم الشاعر من هفوات لا تغدو من شاعريته ويكفيها شعره الوجданى في الدلالة على ذلك ، وهذه الهفوات قد وضحتها بعضها في مجال الأغراض ، وهى بامتحان :

روح التعبير النثري في بعض الأغراض الأدبية عنده مثل الملح والشعر الإسلامي ، والرثاء ، فنرى الشاعر يتحدث فيها مع عامة الناس بلغتهم الدارجة الواضحة الدانية ، لأن الشعر له لعنه القوية المتقدمة بالشاعر ، ويعتمد على الإيماء والأنساد والقلال والتوصير القوي مما يثير الوجдан في الآخرين ، ويلهب مشاعرهم ، وتغفر عواطفهم لإثارة الاعجاب ، وذلك في مثل قوله :

أمثل العرب يا إمام البلاد
حامى الدين والشريعة حفنا
ناصر الحق في الربا والبودادى
قائد الشعب يا أمين خير البلاد
ناشر العدل والمساواة فيما
يا ملكي فدتك نفسى وروحى
أنت نور العيون فى كل نادى
يعنى لقياك كالمعاد (١)

وهكذا يسرى في القصيدة كلها على هذا الأسلوب الشعري الدارج بين المخاطبين في مثل هذه المواقف مع شرف المضمون وعمق المعنى وجميل المقصود والغاية التي ترمي إليها القصيدة من الآشادة بوطنه الحبيب ، والقيادة الخلصية الرشيدة التي حققت الجهد والحضارة له .

ثانياً - البديع والضرورات :

لم يخل شعر الألعنى من قصد البديع ، واتخاده وسيلة في التصوير الأدلى ، وإن كان عصره قد ولى ، ومدرسته قد ذهبت مع التاريخ ، لكن الشاعر قد يميل إليه حينا ، وهو ما أشار إليه الدكتور زاهر عواض في مقدمة الديوان بقوله :

« وبعد : فهذا » عبر من عسير » وكفى ... فليس من الاصناف أن أقدم ديوانا من الشعر هو يقدم نفسه لقارئه ، فقدينا قالت العرب : الكتاب يعرف من عنوانه ، والظاهر عنوان

الديوان : ٧٦/٧٧ (١)

الباطن... وشاعرنا الفاضل « يحيى الألعنى » لم يبرأ من علة السجع والجناس ، فعنوان ديوانه بهذا العنوان « غير من عسير »^(١).

والحق أن الشاعر لم يغلب عليه الاتجاه البديعي في شعره ، لكنه مع ندرة اليسير يُؤخذ عليه التكليف فيه ، وحمله على المعنى بلا داع ولا هدف يسمو بالشعر ، يقول :

أيا خالدا «لازلت في الناس خالدا» ولazلت في أوج المفاخر صاعدا حليم حكيم زاده الله رفعه فكان كا البدر المضي، إذا بدا وما خالد إلا خلود تخلدت أنفاس عليه في الخافقين مسددا والتکلف البديع ظاهر في قوله: (ياخالدا ونخالدا)، و «حليم وحكيم»، وما خالد إلا خلود تخلدت «.

اما الضرورات الشعرية من أجل الوزن والقافية التي اضطرت الشاعر إلى اعتراض الخطأ في مواضع يواحد عليها، ووضحت بعضها قبل ذلك ونكتفي به هناك.

ثالثاً - معالم الجنوب في شعره:

الشعر القوى هو ما يحمل إلينا الواقع الذي يعيشه الشاعر في بيته ، فالبيئة أصبحت جزءاً من الشاعر ، ومن عواطفه وأحساسه ، لذلك كان يحيى وفياً لوطنه الصغير في الجنوب لا ينسى جماله وسحره ولا التذكريات التي تردد صداتها في جنوب المواطن الكثيرة يقول :

مناظر في ريانا ساحرات
ترى في السودة الشما رياضا
وف القرعاء مصطفاف جميل
أوها البيمة كل شيء صالح للقادمين
فالسودة والقرعاء والمخاللة وأيها كلها مناطق ساحرة في منطقة الجنوب يتزاحم فيها المصطافون كل عام في الصيف لقضاء أجمل أيامات العمر وأحلاها من أبناء المملكة والخليج .
العربي وغيرهم .

وتفهر لغة الجنوب وهى من خصائصه فى كلمة «الضامئنا» فالمشهور فى لغة القرآن الكريم «الظامئنا» بالطاء لا بالضاد ، ومع ذلك فهى لغة اشتهرت فى جنوب المملكة العربية السعودية ومثل قوله فى قصيده « ذكريات وتساؤلات »⁽²⁾ :

١٦/١٥ مقدمة الديوان : (١)

(٤) : الديوان / ١٦٨ / ١٧٠

سل ريا أنها لتعطيل الخبر
تنجح النفس سرورا مستمر
«أمع» قد طاب لي فيها السمر
عند وادي «العوص» في أقصى الذرى
عندها الأشجار لا تبغى المطر
في «حل» ذقنا حلوة السهر
مال قلبي فيه أحلام الصغر

وما بين الأقواس مرابع ومنازل في « رجال أمع » من همامة عسير ، عاشها الشاعر وذاق
حلوتها ومرارتها وتجاوالت مشاعره معها وخرجت شعرا من معامل تجاريه الشعرية لتعطى صورة
واضحة عن الجمال والسحر في مواطن الجنوب ، في عسير ، المنطقة الحضراء في المملكة العربية
السعودية .

رابعاً - الوحدة الفنية في شعره :

الوحدة الموضوعية في شعر بخي الألعنى قد تحققت في شعره كله ، فالقصيدة عنده تقوم
على موضوع واحد ، بلا تعدد في الأغراض والموضوعات .

والوحدة الموضوعية إذا ما تحققت في الشعر الوجданى تحققت الوحدة الفنية بالتأكيد ،
التي تقوم على التلاقي بين التجربة والعاطفة والمعنى وال الخيال والمشاعر والحواطر ، وبين الألفاظ
والأساليب والصور والموسيقى ، وبذلك يتحقق الصدق الفنى في تجربة الشاعر الشعرية ، وكل
ما مضى من قصائد في شعر الوجدان ابنتى على الوحدة الفنية ونذكر قصيدة أخرى أنسدتها
الشاعر في عام ١٣٨٧ هـ وهو في الطريق من أبها إلى خميس مشيط^(١) يقول :

ف المروج الخضر في الأرض الجميلة في رياض يانعات مستطيلة
وخرير الماء يسو في الذرى ونسيم الصبح يعلو في المسيلة
ونتصبح الطيور وتشدو بالغناء فوق أشجار وأغصان جميلة
في ريا أنها التي ناجيتها ذكريات كلها كانت طوبى
كم شفت النفس في أكامها وجرت فيها دموع مستغله
ونمت في الأرض آهاته دوحة الحب وأشجار حمي
لست أدرى ما الذي صبرنا نذرف الدموع ونحي كل ليله

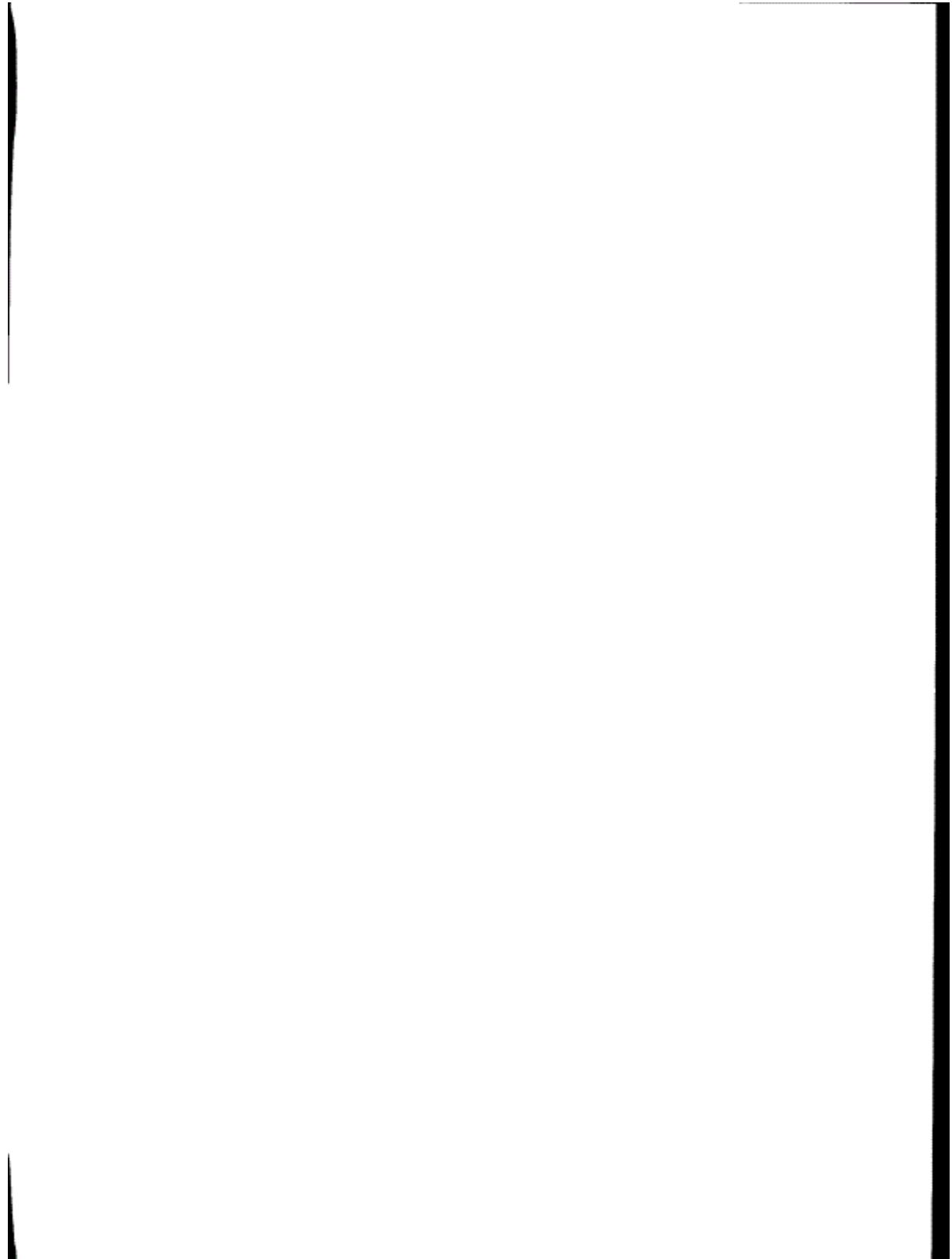
(١) الديوان : ١٥٩/١٦٠

نتائجى والموى يمتعنـا
دأب القلب على كهانـه
قلت يا هذا ألا ترحنـى
ثم إن أبها الصب الذى
لم أعد استطاع هجرانا ولا
فرجـائى الوصول دومـا دائمـا
عالـج النفس وأطفـء نارـها

إن نبع السر في تلك الشيلـه
وأى أن يذكر الحال العليلـه
وترعـي القلب بل تشفـى غليلـه
قد جفـانـى وتحـفى منـى بـحـيلـه
يسـتطـع القـلـب أـن يـسلـو خـليلـه
ولـقـاء لـيـس يـخـبو أـو تـزـيلـه
بـيـاهـا الحـب لا أـرضـى بـديـلهـا

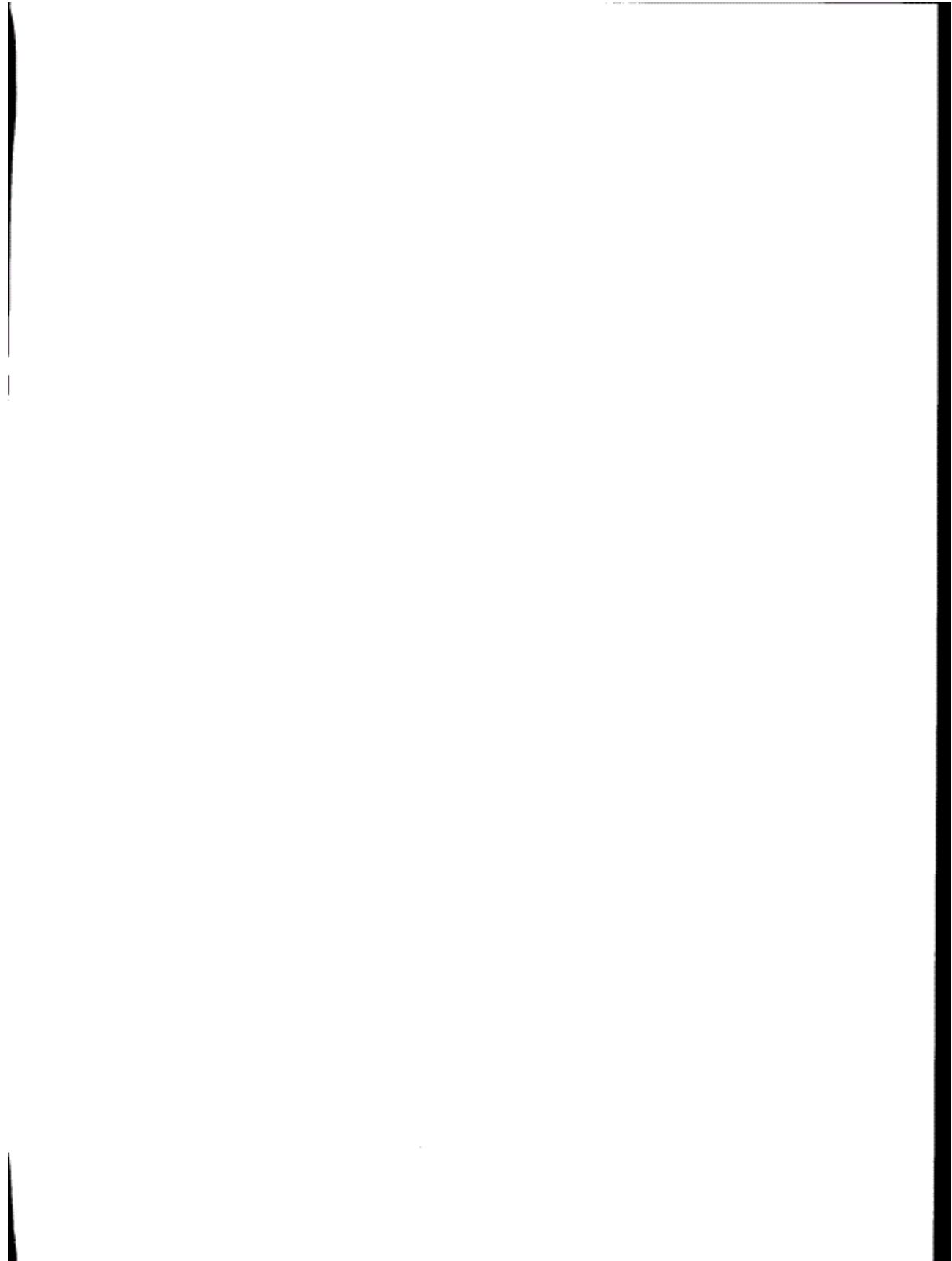
موضوع واحد من خلال تجربة صادقة المشاعر ملتبـة العاطفة قد انسـبت معـانـيها في
اللفاظ قوية جـلة وأـسـاليـب عـذـبة رـقـاقـة وصـورـ تـمـوجـ بالـأـلوـانـ والـحـرـكـةـ والـطـعـومـ والـروـاجـ التـيـ
امـتـرـجـتـ بـرـوـافـدـ القـصـيـدةـ كـاـ اـمـتـرـجـتـ بـالـطـبـيـعـةـ السـاحـرـةـ فـيـ أـبـهاـ وـخـيـسـ مـشـيـطـ ،ـ كـلـ ذـلـكـ
يـنـلـاحـمـ فـيـ إـطـارـ الـوـحدـةـ الـفـنـيـةـ تـشـدـ القـصـيـدةـ فـيـ جـمـيعـ روـافـدـهاـ وـعـانـصـرـهاـ لـتـكـونـ صـورـةـ كـلـيةـ
وـاحـدةـ تـعـبرـ عـنـ مشـهـدـ وـاحـدـ تـفـجـرـتـ بـهـ تـجـربـةـ الشـاعـرـ الشـعـورـيـةـ .ـ





لِفَصْلِ السَّادِسِ شُعَرَاءُ آخَرُونَ

- ١- الشاعر علي بن هضرمان القرشي .
- ٢- الشاعر علي بن عبد الله مهربي .
- ٣- الشاعر مهران بن محمد قحل .
- ٤- شعراء آخرون .



هؤلاء هم الشعراء الذين اشتهروا في مدرسة « التجديد المحافظ » وليسوا هم وحدهم ، بل هناك شعراء يتضمنون إلى هذه المدرسة ويسيرون على مذهبها الأدبي ، لكن لم يصدر بعضهم حتى ديوان شعر يدل على الطابع التكامل لهذه المدرسة ، وإن اشتهروا بقصائدهم الكثيرة التي تنشر في الصحف والمجلات ، والتي تلقى في النادى الأدبية ويشتركون بها في المسابقات الشعرية التي تجرى على مستوى المنطقة أحياناً أو على مستوى المملكة مرات أخرى ، وانضمائهم إلى هذه المدرسة يرجع إلى تلك القصائد المنشورة أو المسموعة فقط ، ولعل النظرة إلى شعرهم تختلف في المستقبل إذا ما صدرت لهم دواوين الشعر ، لأن تنوع الشعر في الديوان أو في أكثر من ديوان يكون أدق وأشمل في الحكم على القصائد المتفقة في الصحف والمجلات .

هذه الأسباب جعلت لهم فصلاً يضمهم جميعاً على العكس من الشعراء السابقين الذين نشروا دواوينهم من زمن بعيد ، وكيفيت في هذا الفصل بذكر بعضهم الذين يشارون في المجالات والصحف أو في المسابقات الأدبية ، وكيفيت بقصيدة واحدة أو قصيدتين تقريباً ، تكون وسيلة للحكم على الشاعر ، وسبلاً يصله بمدرسته ، وحيطماً مذهبـه الأدبي الصادر عن مدرسة « التجديد المحافظ » .



أولاً - الشاعر على خضران القرف :

الشاعر على خضران بن عبد الرحمن القرفي من شعراء مدرسة التجديد المحافظ ، ولد في قرية « الخفنة » من ضواحي القنفذة بالقرن في ثيامة عام (١٣٥٨ هـ) ، وتقلب في التعليم بين مكة المكرمة وبين الرياض والطائف ، وله كتاب « صور من المجتمع والحياة » . ومن المخطوطات « كفاح شعب » ، « تعريفات وجيرة بعض قرى ومناطق المملكة » ، وديوان « آهات » .

ومن شعر القرف قوله في قصيدة « ظبي الجبل »^(١) :

يا مني الروح وبها ظبي الجبل قد براني المجنون وازداد الألام
كم تمنيت لقاء شافيا في رواني السفح والطود الأشم ؟
كم تمنيت حدثياً ممتعياً في دجى الليل وأحلالك الظلم ؟
غير أني لم أحد غير الآسى وضروب الحب حبيط باللغم
فاذكري عهدي وودي والهوى وادكري الماضي الذى لم ينصرم
إنسى رغم بعادي والنوى لم أزل أهفو إلى ذاك الغم

تجربة شعرية قوية صادقة ، وعاطفة جياشة ، ومشاعر رقيقة تجسست في امتزاجها مع مظاهر الحياة والطبيعة في رواني السفح ، وفي الطود الأشم ، فينعم بخيتها في دجى الليل ، وحلكة الظلام ، ليتصل الحاضر بالماضي ، وبخيا على الذكرى التي لم تنصرم ، ولم تقطع عهد الوداد ، وذلك في نغم راقص من الحب والهوى .

والقصيدة في منهجها ونهجها جديدة ، وكذلك في أسلوبها وتجربتها ، وصدق العاطفة فيها و المشاعر والأحساس التي تتناغم مع مظاهر الطبيعة .

ويقول في قصيدة « الخير في الصالحات » ، منها :

يا شامتا في عداق ودائماً في الشوأة
مهلاً فإني صبور وحجي في سكاني
ما ضرق قول واش يهوي الأذى والسعادة
مهماً تمادي فإني كالطود حتى الممات
نهجي وصيري كفيل بنصرق

(١) شراء العصر الحديث : عبد الكريم الحقيل ص ٢٦٠

ثانياً - الشاعر علي عبد الله مهدي :

ولد في عام ١٣٦٨ هـ في مدينة « رجال ألمع » ونشأ فيها وتربى ، وتلقى دراسته الابتدائية بها ، وتفتحت شاعريته على قصائد الفحول من الشعراء ، ل تستقر في قلبه إلى الأبد ، وبدأ يفرض الشعر في هذا السن المبكر ، وكان لأساتذته الشعراء فضل كبير في تنمية موهبته الشعرية .

وبعد أن حصل على الشهادة الابتدائية سافر إلى أبيها للدراسة بالمعهد العلمي ، وأمضى فيه خمس سنوات ، ثم انتقل إلى الرياض والتحق بكلية اللغة العربية ... حتى حصل على « الليسانس » في ١٣٩٠ - ١٣٩١ هـ وكانت هذه الفترة حافلة بالمعرفة والاندماج .

وبعد التخرج عين مدرساً بمعهد « الباحة » العلمي (بلاد غامد) لمدة عام ، وفي العام التالي عين مديراً للمعهد .. ثم طلب الانتقال إلى أبيها ، حيث أمضى بها مدرساً ثلاثة سنوات بمعهدها العلمي .

لكنه قدم استقالته من العمل ، وقبلت استقالته ، ليدير محله للذهب ، ويقول : « عندي الذهب والتعب يقيناً أما الأدب فذلك ما كنا نبع ، وأفضل الأدب وأحب الذهب » .. ويقول عن تأثيره : تأثرت بكثير منهم وفي طليعتهم المتنى مالء الدنيا وشاغل الناس .. ويقول عن الشعر تجربة شعرية يعبر عنها تعبراً موحياً مؤثراً ، وقد طرقت عدة أغراض شعرية متنوعة منها : الدعوة الإسلامية ، والصلاح الاجتماعي ، وقليل من الرثاء ، وشيء من الغزل^(١) .

ومهدي شاعر يمزج بشعره الندوات الأدبية في مختلف المؤسسات وخاصة في نادي أبيها الأدبي ، وهو من أعضائه يقول عن شعره الدكتور عبد الحادي حرب : « شعره نبع صاف من قلب مؤمن بدينه ، متقطع على أبناء بلدته وعقيدته ، يرى ماضي المسلمين مشرقاً ، وحاضرهم غالباً ، فينكر على قومه ما هم فيه ، ويدعوهم إلى استعادة مجدهم ، ويجنح به الخيال حتى ليرى أنهم قد عادوا إلى ما كانوا عليه من ازدهار ، وإشراق » .

وللشاعر منزلة كبيرة بين عشاق الأدب في عسير ، يقول في قصidته « الباذلون »^(٢) :

بذل الباذلون حتى أضاعوا وتسامي مع الضيماء النساء
وتسلى جهل وأدبر فقر وتسواري بعد الدواء الداء

(١) جريدة المدينة : الأربعاء ٤ من رجب ١٣٩٩ هـ الصفحة الأدبية ص ٧

(٢) أزاهير من نوع عسير : نادي أبيها الأدبي ١٤٠٠ هـ ص ١٨

إلى قوله :

رقتـهـ الشـريـعـةـ الغـراءـ
وعلـىـ كـلـ سـاحـةـ بنـاءـ
ومنـ الرـسـالـاتـ تـهـيـ السـماءـ
ومنـ الـحـقـ تـسـطـعـ الأـضـواءـ
ونـصـارـاـ وـالـنـاثـرـ الـأـدـبـاءـ
يـعـلـمـ الجـمـيعـ أـنـهاـ حـسـنـاءـ
يـتـفـيـساـ ظـلـاـهـ الـعـقـلـاءـ
أـمـ عـذـابـ مـنـزـلـ وـشـقـاءـ
وـعـطـاءـ جـمـ وـنـورـ وـمـاءـ
فـازـ رـكـبـ يـقـودـهـ الـأـنـقـاءـ
وـارـفـ أـمـ جـهـنـمـ حـمـراءـ
وـتـائـيـ الـجـاهـ وـالـإـطـرـاءـ
وـاسـعـ لـاـخـيـطـهـ الـأـشـيـاءـ

وـشـهـدـنـاـ نـهـراـ مـنـ الـخـيرـ بـجـرـىـ
أـسـواـ لـلـعـلـمـ وـالـسـدـرـسـ نـورـاـ
وـإـلـىـ الـعـلـمـ يـتـمـىـ كـلـ فـضـلـ
وـإـلـىـ الـدـيـنـ يـتـمـىـ كـلـ مـجـدـ
وـالـنـادـيـ لـلـنـاسـ تـنـرـ دـرـاـ
وـتـجـلـيـ وـجـهـ الـفـضـيـلـةـ حـتـىـ
سـأـلـوـنـ ماـ الـدـيـنـ قـلـ رـيـاضـ
سـأـلـوـنـ هـلـ الـحـضـارـةـ خـيـرـ
هـىـ خـيـرـ ثـرـ، وـرـوـضـ أـنـيـقـ
وـنـعـيمـ مـادـامـ شـكـرـ وـقـوـىـ
سـأـلـوـنـ عـنـ السـاءـ أـظـلـ
وـجـمـ الـقـلـبـ وـالـبـيـانـ عـصـانـ
كـلـ عـلـمـيـ بـأـنـهـ فـضـاءـ

وـأـخـيـرـاـ :

وـيـقـلـيـ قـصـائـدـ عـصـماءـ
وـحـرـىـ بـاـ الرـضاـ وـالـشـاءـ
لـيـسـ عـنـدـيـ غـيرـ الـوـفـاءـ جـزـاءـ
فـالـرـاعـيـاـ حـقـ عـلـيـهـ الـوـلـاءـ
وـهـاـ الـحـبـ خـالـصـاـ وـالـدـعـاءـ^(١)

سـادـقـيـ هـذـهـ قـصـيـدـةـ شـعـرـ
قـدـ بـذـلتـ الشـاءـ شـهـداـ مـصـفىـ
عـلـمـ اللـهـ أـنـ روـحـىـ وـفـاءـ
إـذـاـ أـحـسـ الرـعـيـاـتـ دـاعـ
دـوـلـةـ بـالـكـحـابـ وـالـعـدـلـ شـيـدـتـ

وهـكـذـاـ تـكـوـنـ شـاعـرـيـ مـهـدىـ فـقـدـ بـلـغـتـ هـذـهـ القـصـيـدـةـ ثـمـانـيـنـ بـيـتـاـ تـسـيلـ الـأـبـيـاتـ فـيـ تـدـفـقـ
وـيـنـسـابـ فـيـهاـ التـصـوـيـرـ الـأـدـبـيـ رـائـعاـ فـيـ الـفـاظـ عـذـبةـ وـأـسـلـوبـ قـويـ مـشـرـقـ وـخـيـالـ خـصـبـ رـائـعـ وـحـوارـ
حـيـ مـتـحـرـكـ يـتـحـرـكـ فـيـ الـقـارـيـءـ مـعـ الشـاعـرـ وـكـاـنـ يـرـيدـ أـنـ يـشـارـكـ مـاـ يـعـانـيـهـ مـنـ تـجـربـةـ الـشـعـرـةـ مـعـ
طـولـ النـفـسـ وـالـصـدـقـ فـيـ الـمـدـحـ وـالـثـنـاءـ بـلـاـ شـطـطـ أـوـ مـبـالـغـةـ إـنـماـ الـمـدـحـ عـنـدـهـ هـنـاـ حـقـ وـثـنـاءـ بـلـاـ
مـعـاـظـلـةـ ،ـ لـأـنـ عـلـىـ الرـعـيـةـ حـقـ الـوـلـاءـ وـالـوـفـاءـ مـلـنـ أـسـدـواـ الـخـيـرـ وـنـشـرـواـ الـعـلـمـ وـالـعـدـلـ فـهـمـ جـدـيـرـونـ
بـالـحـبـ وـالـدـعـاءـ بـالـتـوـفـيقـ ،ـ وـلـيـسـ هـذـهـ القـصـيـدـةـ وـحـدـهـاـ فـيـ الـثـنـاءـ وـلـكـنـ قـلـبـهـ مـفـعـمـ بـكـثـيرـ مـنـ
الـقـصـائـدـ الـعـصـماءـ .

أـمـاـ الـقـصـيـدـةـ الـتـيـ حـازـتـ الـجـائزـةـ الثـانـيـةـ فـيـ مـسـاقـةـ نـادـيـ أـبـيـ الـأـدـبـ عـامـ ١٤٠٠ـ هـ فـيـهـ

(١) كـلـمـاتـ وـقـصـائـدـ :ـ مـطـبـوعـاتـ نـادـيـ أـبـيـ الـأـدـبـ ١٤٠٠ـ هـ صـ ٢٢/١٥

^(١) «الحقيقة» يقول الشاعر علي عبد الله مهدي:

وأقول : قومى بالكرامة أعلم
عن عبئهم وكأنى لا أنهى
ونشرت ماتملى العواطف عنهم
عرا تغار لمسواه الأنجم
يتناحرنون وغيرهم يتقدم
إذا ينادى للرذيلة طرجم
حسد ، وفرجهم عداء مكى

أطوى الجناح على الجراح وأكم
ولقد مضى زمن وجفنى مفمض
كم قلت : قومى لا مثيل لعزمهم
وھتك أستار السحاب ملفقا
قومى إذا شئت الحقيقة عنهم
وإذا ينادى للفضلة تتمموا
غرهيم الدنيا ومرق شعلتهم

إلى قوله :

يا أمى والسار نكوى مهجى
لم تطلق رجل لوقف عمر
أمثل هذا يستقيم كيانا
يا أمى : الأديان عرم كلها
كل السيف القاطعات ثلثت
هو للهوى سيف وللتقوى فم
والفارس بالاسلام ليس بغزو
قالوا : الحياة قلت ظل زائل
والبعث والأخرى قلت : حقيقة
والأغنيات قلت إنى أعمج
والمال قلت أضمه وأحبه
والپاس قلت : إلى الكتاب أحيلكم
يا أمى فلتسمى ولتسمعى
عودى إلى هدى السماء ونورها
أمل عظيم مشرق متعدد
ولتهنا الدنيا بولد أمة
بمشاركة يا قلبى بعهد زاهر

(١) أزاهير من روع عسير : مطبوعات نادي أبا الأدبي ١٤٠٠ هـ / ٣٦

جعلوا كتاب الله نصب عيونهم
وتفهموه وقدموه وعظموا
عدنا وعد إلى الحقيقة تاجها
والنجات الظلماء وهش الموس
الذل عار والآخر سبة
والجبن صاب والإهانة علقم
والمجد للاسلام ليس لغيو وبنوه بالمجيد ما أحراهم

والقصيدة طويلة لأن الشاعر نفسه طوبل في الشعر يتدفق في شعره كما يتدفق السيل من
عُل مع عمق المعنى وحضارة الفكرة ، وشرف المقصد والمهدف ، وعذوبة الأسلوب وخفة
التركيب ، وجمال التصور ، وسحر الإيماء ، والصدق في العاطفة والتجرة والمشاعر .

أما قصيدة : « هي الظلام هي مشاعل النور » فقد ذكر الشاعر أنه نظمها وهو طالب
بالسنة الرابعة في كلية اللغة العربية في ظلام الليل للحفاظ على مشاعل إخوانه الطلاب النائمين
فلم يشا أن يقلق مصالحهم بالنور ، وأمسك بالقلم وظل يكتب في الظلام حتى الفجر ، لكنه
وجد الكلمات متداخلة لكن الشعر شعره فقرأوها هو مطلعها :

حرقت مقنثى وهد بسان
واعتراق الضنا وغامت سماني
فإذا القلب في المموم غريق
بعد أنس وراحنة وهناء
وإذا النفس تزروي في اكتشاف
وعذاب عن ساحة الأقرباء
أيها القلب ما عهديتك ثم
ربة العهر أرجوك لا تعذليني
واعدروني إن غبت يا أصدقائي
ويكاء أولا ككل بكاء
فيهودا تعثث فيه فسادا
وتتسادي بالشر والبلاء
وتسم الأطفال ذئبا وفكرا
وهما في الصفاء مثل الماء
وتسم الأعراض هنكا وعضا
(1) في افتراس الفضائل البيضاء

وأما القصيدة التي حازت الجائزة الأولى في هذه المسابقة لنادي أهلا الأدب في عام
١٤٠٠ هـ فهي للشاعر حسن بخي ضائع بعنوان « حدث بيننا » يقول ، منها :

أنا عنك يا ذات الخما ر إذا دعا داعى الحروب
أنا عنك في حمل السلا ح وفي مجاهدة الخطوب

(1) جريدة المدينة : الأربعاء ٤ من رجب ١٣٩٩ هـ ص ٧

إلى قوله :

إلى آخر القصيدة التي تدل على أن الشاعر من شعراء هذه المدرسة مدرسة التجديد والحافظ ، تجديد في المعنى والفكرة واستجابة الغرض لمقتضيات العصر ، وتجابو الشاعر مع أحداث عصره ، في أسلوب قوي عذب مناسب وتصوير أبيق رائع مع الحفاظ على الأصالة العربية والعمود الشعري في الفصاحة والتصاغة والأسلوب والوزن والقافية ، لكن ذلك في ثوب جديد ، تتجه فيه القصيدة نحو غرض واحد من المطلع حتى النهاية .



(١) أَزَاهِيرُ مِنْ رَوْعِ عَسَيْرٍ :

ثالثاً - الشاعر جزان قحل :

ولد الشاعر جزان محمد قحل في البيطارية التابعة لجيزان منذ أربعين تقوياً ، ويعمل حالياً مدير مدرسة الأحد الثانوية إحدى مناطق جيزان .

قد تخرج من كلية الشريعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض عام ١٣٨٤ هـ ، وله شعر كثير منشور في الصحف والجلالات ، وأحد أعضاء النادي الأدبي بجازان وفاز بالجائزة الرابعة بنادي جيزان الأدبي في مسابقة الشعر عام ١٣٩٧ هـ وكانت يعنون « شموع على الدروب » وهي لمحات من حياة الراحل العظيم « فيصل بن عبد العزيز رحمه الله » منها^(١) :

مازال هذا الشعب يدرك أنه أعيما العدا طرا صلابة عوده
مازال يذكر والعلوم كلها هذا الزعيم الفذ يوم صموده
يوم التقى الجمعان في سينا وفي الجولان يعرب في شمال حدوده
بهر العدا بذلكاته ودهائه وبعد نظرته لفاضح حسوده
ظلت فلسطين الجريمة عنده دينا يرى لابد من تسديده
مادام فيها غاصب متربص نشر الفساد جمعاً لخبيثه
ولكم تمنى أن يصل فيصل متبعاً برకو عمه وسجوده
شكراً للإله لسحق أهل جحوده
في المسجد الأقصى تعبد ناسك ومن شعره أيضاً قصيده « لبنان إلى أين » منها^(٢) :

أحداث لبنان شيئاً من مرائيكا يا صيف لبنان هل أبقيت لنا فيكا
حتى رأينا هدير النار من فيكا أم ألهبت جوك المأنوس حمامها
لبنان ماذا دهك اليوم فاحترقت تلك المران وكانت من مجالكما
حضر الروانى لطى البارود بحرقها حيث الأعدى أرادت قتل ماضيكما
إنما لتعجب من أمر له خططر

(١) مسابقة الشعر بنادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٧ هـ ص ١٢/١٢ مطبوعات نادي جازان الأدبي .

(٢) الشيل : عدد المحرم وصفر ١٤٠٢ هـ أكتوبر ونوفمبر ١٩٨١ م المجلد ٤٤ ص ٩٠

رابعاً - شعراً آخرين :

وهناك شعراء آخرون يسيرون على نهج مدرسة التجديد المحافظ ذكر بعضهم ، منهم الشاعر أحمد باهى ، الفائز بالجائزة الأولى في مسابقات نادى جازان الأدبي عام ١٣٩٧ هـ ، والشاعر على أحمد حيكل الفائز بالجائزة الثانية في المسابقة السابقة ، والشاعر عمر صعاعى الفائز بالجائزة الثالثة في نفس المسابقة ، واشترك في مسابقة نادى أبها الأدبي لعام ١٤٠٠ هـ بقصيدته « هوم قلب » ومطلعها:

يا حروف كيف أشدو وفؤادي
يقططف العمر هوما وضياعا
ليس من حياة أو حبور
حسبها أن هواها يتحدى
يلحظى في جحيم من هواك
ليس فيه غير بعض من خطاك
يملاً الدنيا بغير من شذاك
فيعلن من جراح الحزن شاكي^(١)

والشاعر عمر سالم فرسانى ، فاز بالجائزة الخامسة فى مسابقة الشعر لعام ١٣٩٧ هـ بنادى جازان الأدبى ، والشاعر على أحدى على التعمى وهو من « خرجة ضمد » ، ومن شعره قصيده : « لا تسل عما جرى »^(٢) منها :

ليل الروض تغنى سحرا
هزه الوجد إلى آلافه كل من غاب ومن قد حضرا
ذكر الماضي وما كان حوى واجتهل فيه ريعاً أخضا

والشاعر حجاب يحيى الحازمي ، مدير ثانوية ضمد بجازان ومن قصيداته « لقاء الجوف »⁽³⁾ :

يا روان الشمال هذه بلادي
قد أتاك الجنوب بالفتية الغر
كرام الأحساب والأنساب
«ضمد» أقبلت وفي هامها الإكلييل
 Zah وتردهي في الرحباب
عهادي نوافع الظباب
وأتاك الحجاز في بهجة الفوز

(١) أزاهير من نوع عسير : نادي أبها الأدبي ١٤٠٠ هـ ص ٤٤/٤٨

(٢) المنهل : المحرر وصفر ١٤٠٢ هـ — المجلد ٤٤ ص ٨٥

^(٣) المرجع السابق : ٨٧

ورأينا الرياض في الجوف نشوى
لجنح الأحباب بالأحباب
كلها تحفني بكشاف قومي
وتنادي الأشبال فوق المضاب
هتفوا بالتشيد عذباً ندياً
يا بلادي يهناك زين الشباب
وألقاها الشاعر في التجمع الكشفي بالجوف .. مهداة إلى معالي أمير منطقة الجوف
الذي يسعى لتطوير الجوف .

والشاعر إبراهيم مفتاح ، الفائز بالجائزة الأولى في مسابقة الشعر لنادي جازان الأدبي عام ١٣٩٧ هـ بقصيدة « جيزان المنطقة البكر » منها^(١) :

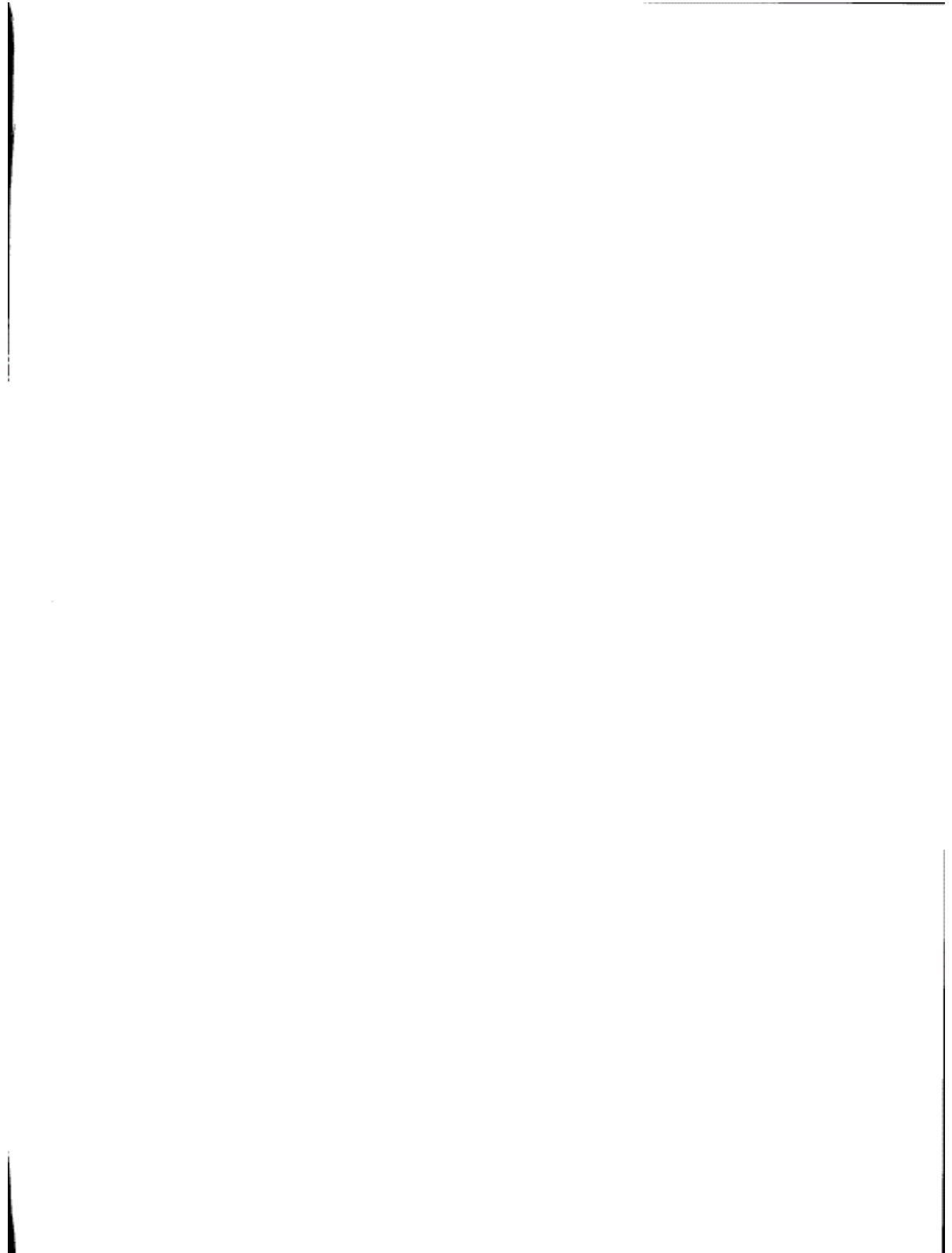
فترة للعيون والأحداق رة الحسن والمعانى الدقائق
أنت يا جارة البحار وماوى كل قلب مدله خفاق
يا ابنة الشط فى فؤادى غرام شاعرى وهفة للنلاق
كلما حلت فى الخضم شراعاً
يلم الموج جانبىء هيائماً
يا عروس الجنوب ذؤوبى الوجد
فتقىكرت موجة تلام الشط
أرضك البكر انشتى اخضراراً
وغدا فى فمى غناوئك حلوا
صبيت واستندت وطافت
يا ريوغ الجمال هل تعذرنى
فتساميت فى حشوغ وأطريقت
يا إله الوجود إن خيالى
أذهلتى حقائق وطيفوف
وهناك فى ساحة الجنوب شعاء آخرون كثيرون لنا عود معهم إن شاء الله تعالى يوم أن
يكون لكل منهم ديوان شعر يتردد صداه فى أسماع الزمان .



(١) مسابقة الشعر لنادي جازان الأدبي : لعام ١٣٩٧ هـ ص ٤/٣

الباب الثالث

مَدْرَسَةُ التَّحْرِيرِ فِي التَّجْدِيدِ



لِفَصْلِ الْأُولِ

الخَصَائِصُ الْفَنِيَّةُ لِمَدْرَسَةِ التَّحْرِيرِ فِي التَّجَدُّدِ

- ١- التَّحْمِيزُ بَيْنِ (الرومانِيَّةِ) إِلَيْهَا عِلْمُ الْإِبْرَاعِيَّةِ وَبَيْنِ التَّحْرِيرِ فِي التَّجَدُّدِ .
- ٢- عوَامِلُ تَكْوينِ مَدْرَسَةِ التَّحْرِيرِ فِي التَّجَدُّدِ .
- ٣- الخَصَائِصُ الْفَنِيَّةُ لِمَدْرَسَةِ التَّحْرِيرِ فِي التَّجَدُّدِ .



أولاً — التمييز بين (الرومانтика) الإبداعية وبين التحرر في التجديد :

ينبغي أن نميز بين ما شاع في العالم العربي من مذاهب أدبية حديثة وافدة من الغرب ، وخاصة لظروف الحياة في أوروبا ، وبين مذاهبتنا الأدبية العربية الأصلية ، والخاضعة لقيمنا العربية الإسلامية العريقة .

وبناء على هذا التمييز فإني أجدد مبالغة وغلوا وإسراها في تطبيق (الرومانтика) الغربية الأوروبية على شعرنا العربي ، من بعض نقادنا العرب المعاصرین ، وهم متاجوزون في ذلك كل التجاوز ، ولن أقول : إنهم خطئون .. ولكنهم مبالغون متاجوزون إلى حد بعيد .. ولا أدل على ذلك من أن بعض الشعراء العرب ، اعتقاداً منهم لم يقرأوا شيئاً عن المذهب (الفلسفى الرومانتىكى) ، مثل شعراء هذه المدرسة التي خن بصدق الحديث عنها ، فلا يمكن أن تعد شعرهم شعراً تقليدياً ، ولا محافظاً ، بل متاجروا في تجديده ، ومن العبث أن نطلق عليهم شعراء (رومانتىكين) ابتداعيين وإنما يجب أن يكون الشعار الذى يرفرف على مدرستهم من الواقع الإسلامي العربي ، الذى يعيشه الإنسان الشاعر العربي المسلم .

ولهذه الأساليب أطلقت على مدرستهم الفنية ، ومذهبهم الأدق اسم (مدرسة التحرر في التجديد) لأن مثل هؤلاء الشعراء في أي موضع عزى وإنقى إسلامي ليسوا مقلدين ، ولا محافظين ، بل تحرروا في الأغراض ، وفي المعانى ، وفي الأسلوب ، وفي الخيال ، وفي الصور ، وفي القالب الموسيقى ، وفي القافية ، وفي منهج القصيدة ، وفي التزوع إلى الذاتية ، وفي التغنى بالوجودان والمشاعر وفي التغنى بالأحاسيس والعاطفة الشخصية ، وغيرها مما ستره في خصائص مدرستهم بعد قليل .

ولتحديد التمييز بين (الرومانтика) ، وبين مدرسة التحرر في التجديد ، ينبغي أن أعرض في إيجاز طبيعة (الرومانтика) ، حتى تتميز مدرسة التحرر في التجديد كما ذكرنا سلفاً .

وطبيعة (الرومانтика) في أوروبا قد ألحت على وجودها ظروف دافعة نابعة من واقع الحياة المرة ، التي كان يعيشها الإنسان الأوروبي في ظلال التزمت الكسى ، والتعصب الروحي ، فقد انطوت تحت بلاط الكنيسة شتى النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكيرية والعلمية ، مما أدى إلى التحجر والجمود ، وكلاهما كانا منطلقاً للثورة على الكنيسة ، وللتتحرر من عبوديتها ؛ وفي ظلال ذلك نشأت (الرومانтика) الثائرة على الروتين الكسى الديني ، وعلى العقل الجامد التزمت الخاضع لبلاط الكنيسة .

ومن هنا حملت (الرومانسية) مذهبها جديداً أطلق الحرية للشاعر وأفسح للمشاعر الذاتية في نفسه ، فانطلق يتغنى بوجданه وأحساسه الفردية ، هائماً وراء عاطفته المستمرة .

ولهذا كانت (الرومانسية) ثورة على سلطان العقل ، وتمرداً على القيود القديمة (الكلاسيكية) ، لتخطى العاطفة والوجدان والمشاعر حواجز التزمت والجمود ، الذي فرضه العقل والروتين والاحتداء والتقليد على الواقع الإنساني حتى القرن السابع عشر الميلادي .

وما دامت (الرومانسية) قد تحررت من هذه القيود ، كان بالضرورة أن تتحرر من الموضوعية ، لتنطلق مع الشعر الغنائي ، الذي يعبر عن ذات الشاعر من خلال الاتجاهات العاطفية ، والقضايا الاجتماعية ، على اعتبار أن الشاعر جزء من المجتمع الذي يعيشه أو يتجاوزه معه ، أو هو قطعة حية منه ، ولذلك حطم الشعراء (الرومانسيون) نظرية المحاكاة عند أفلاطون وأرسطو التي تعبدت (الكلاسيكية) حتى القرن السابع عشر الميلادي .

في القرن الثامن عشر الميلادي ظهرت (الرومانسية) في فرنسا ، على يد (جان جاك روسو ١٧٢٢ - ١٧٧٨ م) ، وفولتير ، وهيجو ، ولامبرتون ، وبيرون ، (ومدام دي ستال ١٧٦٦ - ١٨١٧ م) ، (وشاتو بريان ١٧٦٨ - ١٨٤٨ م) ، وسواهم .

كانت طبيعة (الرومانسية) اهتمامها على الالتزام المتحجر بالقيود التقليدية ، والثورة على التطبيق الحرفي للقواعد الفنية (الكلاسيكية) ، لكنهم احتفظوا بروح القواعد القديمة التي تحول الشعر فناً جميلاً ممتعاً ، وأدباً رائعاً جذاباً ، يفيض حيوية من خلال معاصرته .

ولذلك يبدو الفرق واضحاً بين تحطيم القواعد والخصائص الفنية من أساسها ، بحيث لا يبقى هأثير مطلقاً ، وبين الخروج عن الروتين الجامد فيها ، فالخروج يتيح للشاعر استعمال القواعد (الكلاسيكية) ، لكن من خلال النظرة المعاصرة ، وعن طريق التوليد لها بما يتناسب مع متضيقات الإنسان في عصره وتطبيعها لحاجاته المتتجدة والمتغيرة دائماً ، وهو يتغنى من وراء ذلك تحقيق السعادة من داخل نفسه ، عن طريق التجدد من هموم العصر وأنقاله ، والتحرر من سلطان الواقع وكابوس الروتين ، ولو أثناء تجسيم التجربة الشعرية الذاتية في بناء العمل الفني ، مهما كان الوقت قصيراً في تحقيق ذلك .

وهذه الملاحم لطبيعة (الرومانسية) لا تلتقي في كل الوجوه مع ما ينشأ في الأدب العربي الحديث من مدارس ، تتشابه لها ، وإن اتفقت معها في بعض الخصائص ، ومنها صفة الانسانية ، التي يشتراك فيها كل إنسان في العالم مهما اختلفت مشاربه واتجاهاته .

ولكن يظل الفرق واضحاً من حيث الظروف ، والدواعي ، والأسلوب ، والاتجاه الأخلاق ، والمزاج الشخصي النامي من بيته معينة .

والاتجاه الأخلاقي النابع من قيم البيئة الأوروبية الغربية يتناقض تماماً مع الاتجاه الأخلاقي النابع من البيئة العربية الإسلامية ، فالبيئة الأولى تنشد من ورائه تحقيق الذات والشهوة من خلال البناء المادي الصرف للحياة السعيدة في تصوره القاصر والمحظوظ .

والبيئة الثانية تنشد من أدبها تحقيق السعادة للذات من خلال بناء الحياة المتكامل ، والمرتبط بالقيم النبيلة في تحقيق التمكّن الضروري للقوة والعزّة ، ودفع التقدّم للنشاط المادي اللازم في بناء الحياة وتطورها ، ليكون ذلك وسيلة لتحقيق السعادة للإنسان طوعاً لأمر الله عزّ وجلّ ، واستجابة لاستخلاصه في الحياة ، وابتغاء لمرضاته في اتخاذ الوسائل والأسباب^(١) .

وهذا هو جوهر الفرق بين الطبيعتين : الذاتية المادية الصرفة في مذهب (الرومانтика) ، والأنسانية السامية النبيلة في (مدرسة التحرر في التجديد) ، قال تعالى : (وابغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيحتك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) .

ثانياً - عوامل تكوين مدرسة التحرر في التجديد :

ماجت الحياة الأدبية ، والحركة الشعرية في المملكة العربية السعودية ، كسائر الأقطار العربية الأخرى ، وذلك من خلال المدارس الأدبية الحديثة ، وفي ظل المذاهب النقدية المعاصرة .

ومن أهمها في العالم العربي «مدرسة الديوان» ، و«مدرسة المهاجر» و«مدرسة أبوابو» وغيرها من المدارس الحديثة ، التي دفعت كثيراً من الشعراء في المملكة العربية السعودية إلى أن تسير على نهجها ، وأن تتبع طريقتها في تناول الشعر ، وصياغته ، ونظمته ، ومضمونه ، وخياله وصورة ، وأغراضه ، و قالبه الموسيقي ، فظهر مذهب جديد في الشعر السعودي بصفة عامة ، وفي شعر الجنوب (عسير) بصفة خاصة ، ألا وهو «مذهب التحرر في التجديد» ، الذي يسبر في واقعنا العربي الإسلامي جنباً إلى جنب مع المذهب الابتداعي «الرومانتيكي» في أوروبا حديثاً^(٢) .

(١) انظر : الرومانтика : د . محمد غنيمي هلال ، مذاهب النقد وقضاياها : د . عبد الرحمن عثمان ١٩٧٥ مطابع الإعلانات الشرقية ، الأدب العربي الحديث ومدارسه د . محمد عبد المنعم حفاجي ، الخمسية بالأزهر ، وغيرها

(٢) انظر : الحركة الأدبية : د . بكرى شيخ أمين ، الأدب العربي الحديث ومدارسه د . محمد عبد المنعم حفاجي ، وغيرها

وأصبح هنا المذهب العربي الأصيل في الأدب العربي الحديث عشاقه وشعراؤه ، وكان واقع الشاعر في حاضره ومعاصرته يدفعه إلى هذا الاتجاه ، وبجعله دائماً يصطدم أمام المطامع العظيمة ، لتحقيق رغباته وأماله ، وبجد الشاعر نفسه أمام العقبات والسدود فيفيق من هذه الصدمة العنيفة ، ليجد نفسه أمام طريقين لا مناص منها :

أحدهما : طريق الشكوى والحزن والألم ، والتزوع إلى الفردية ، والتغنى بالذاتية ، والشعور بالوحدة ، والإيماء إلى العزلة ، والاختلاء بالنفس ، فيأنس الشاعر إلى شعره ، الذي يعتصر هذه المأسى ، ليكون عوضاً عن تحقيق رغبته نوعاً ما .

ثانيهما : الهروب إلى الطبيعة من الحياة التي تمحوج بصراعات الأحياء والناس ، ليسوا واقعهم المزير ، ويثنوا الشكوى إلى مظاهر الكون من جبال ووديان وأشجار وبلايل ، وسماء وكواكب ، ومياه ورياح وعواصف ، وورود وأزهار ، وأنهار وبحار ، وغابات وزروع ، وغير ذلك من مناظر الطبيعة الخلابة ، وعراضاتها الجذابة . فيتجاوز معها الشاعر في عطف وحب وعنان ويسع بروحه إلى ما وراءها ، وبهم بأودية الأحلام والأوهام ، فينبع هذا الاتجاه الانطواء والعزلة ، والتشاؤم والخذل ، والطبيعة والتقطير .

ومن خلف هذين الطريقين يلح على الشاعر المعاصر تيار الصراع المادي الطاغي مع القيم ومقتضيات الحياة ، وحاجتها الضرورية والكمالية ، فإن استجواب للقيم وحدها وسدد خطاه بمبادئه السامية أصبح في نظر المعاصرين مختلفاً رجعاً ، وقطعة بالية قديمة ينبغي أن يحمل وتغيب عن الوجود كما ذهبت في الماضي ، وإن استجواب الشاعر للجانب المادي الصرف وحده ، ليجاري الواقع العصر المادي المسرف في المادة انقطعت صلة الحاضر بالماضي ، وتغيرت القيم النبيلة التي يكون بها الإنسان إنساناً ، وانقطعت صلة الإنسان بخالقه وبأهله . وحيثند تكون الكارثة ، وينداح الشاعر بين التيارين العنيفين في قلق واضطراب لا يستقر على حال ، حتى تتراءى له في غياب الظلام سفينة النجاة من بعيد ، يمخر بها عباب الماء المتكافئ من ضباب التيارين المتعارفين : القيم والمادة متراجنان في توازن وازان ، وتلامح وانسجام ، وتلك هي فطرة الإسلام الكامل للحياة والناس ، لأنه دين ودنيا ، قيم وتشريع ، عهدٍ وبناء للحياة .

ولا أدل على الاتجاه الأول المسرف في جانب واحد فقط من قوله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » .

ولا أدل على الاتجاه الثاني من التوازن والازان من قوله تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أئتي وهو مؤمن فلنحييه حياة طيبة ولنجري لهم أجراً هم بأحسن ما كانوا يعملون » ، والفرق بين الآيتين كالفرق الجوهري بين المادية المسرفة في أوروبا والغرب وبين قيم التشريع الإسلامي في أمة الإسلام في الشرق .

ثالثاً - الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد :

من خلال هذه العوامل وتلك الظروف ، ومن واقع طبيعة البيئة العربية الإسلامية تشكلت هذه المدرسة خصائص فنية تدل على مذهبهم الأدبي ، تتحقق في شعرهم ، وصارت من سمات فنهم الأدبي ومميزاته ، فالشعراء ينتهيون شعرهم من معينه ويصيرون وإليهم من براكيته المثلية ، ويناسب تصويرهم الشعري من منابعه الطارة المتداقة ، وهذه القيم الفنية بإيجاز هي :

— التعبير عن ذات الشاعر ، وتصوير أحاسيسه ومشاعره الذاتية ، والعناية بالطابع الشخصي .

— شيوخ الشكوى والألم ، والحزن والمرارة ، والكتابية والتشاؤم ، والعزلة والغربة .

— الهروب إلى الطبيعة ، والاندماج في مظاهرها ، وترك المدينة ، والترنم بالريف الساحر البسيط .

— الدعوة إلى أدب جديد ، ينصف الطبقة المظلومة أى نوع من الظلم ، ولو ظلم النفس لذاتها ، وهذا يحتاج إلى الخيال الخلق الجموج .

— التفرد على المذايق الشعرية القديمة ، بمعنى الحرية في المنهج والموضوع والتصوير وال قالب ، فليس عندهم موضوع صالح للشعر ، وأخر غير صالح ، لأن الشاعر يسجل ما يراه ، لأنه يرى ما يسجل .

— تحطيم قواعد الشعر الاتباعي (الكلاسيكي) القديم وإلهام بالشعر الغنائي العاطفي .

— تفسير النص الشعري مرتبطة بصاحبها الذي ابتكره ، حيث لا يتضح النص إلا بتوضيح العلاقات بينه وبين صاحبه .

— الاهتمام بالوحدة الفنية ، والموضوعية ، والuspovia ، وكذلك الاتساق الموسيقي ، والانسجام في الإيقاع والنغم^(١) .

— الابتعاد عن الأسلوب المباشر ، وإلهام بالوحى والإيماء في التعبير ، وبحث الأصوات والظلال في جوانب العمل الفنى .

— معالجة القضايا الاجتماعية من خلال ذات الشاعر وأحاسيسه ومشاعره .

— الحرص على الالتزام بالقيم الإسلامية والخلق في الشريعة الإسلامية ، حيث يستمد التصور الأدبي روافده من ذلك .

(١) انظر : الأدب الحديث ومدارسه : د . محمد عبد المنعم خفاجي ، الرومانسية والنقد الأدبي الحديث : د . محمد غنيمي هلال .

— التحرر الذي ينشد في شهره قد يتسيء قواعد الأسلوب الصحيح فلا يستيقظ في شعره عن أخطاء أصابته من ناحية اللغة والاستقامة والفصاحة والأسلوب والعامية ، والخروج عن الأولى كما سرى في مكانه .

— يسر الشاعر أغوار نفسه وبعشق التأمل حول الجرئيات العميقة ، و يجعل من الحبة قبة كا يقولون .

— يرسم بالعالمية في تصوير الجوانب الإنسانية والقيم الفاضلة والأخلاق السامية .

هذه أهم الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد ، والتي سرّها مجسدة في شعر هذه المدرسة الجديدة في المملكة العربية السعودية بصفة عامة ، وفي شعر الجنوب (بامارة عسير) بصفة خاصة ، وفي مدرسة التحرر في التجديد ظهر شاعران طبع شعرهما في ديوان (في متأهات الحياة) للشاعر أحمد على سعد عسيري — صدر في جدة عام ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م) ، وقدم له الشاعر الكبير محمد حسن عواد .

والشاعر الثاني أحمد بهكل ، ظهر ديوانه الأول (الأرض ... والحب) عام (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) نادي جازان الأدبي ، وظهر ديوانه الثاني (طيفان ... على نقطة الصفر) عام (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) النادي الأدبي بجازان .

ولازال على ساحة الجنوب شعراء يتسمون بهذه المدرسة تقرأ لهم القصيدة المرة بعد المرة ، ولم تظهر شخصيتهم من خلال شعرهم ، فلم يصدر لهم حتى الآن ديوان شعر أو انعقدت فوق رؤوسهم دراسات أدبية تحفظهم على تجسيد شعرهم في حيز الشيوع والظهور في المجال الأدبي والنقدى .



الفصل الثاني

الشاعر أحمد العسيري

- ١- نشأة الشاعر وحياته .
- ٢- الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية .
- ٣- التصوير الشعري .
- ٤- التجربة الشعرية .
- ٥- الألفاظ والأثر المليبي .
- ٦- خصائص الخيال والصور الأدبية .
- ٧- الموسيقى الشعرية .
- ٨- شاعرية العسيري في ميزان النقد .



أحمد عسيري — نشأته وحياته :

الشاعر أحمد علي عسيري من مواليد قرية (آل زيدى) في أبها ، ولد عام (١٣٦٦ هـ) ، وتوفى والده وهو في الرابعة من عمره ، ودخل المدرسة « السعودية » بأبها عام (١٣٧٤ هـ) ، ثم انتقل إلى (مكة المكرمة) ، ودخل دار الأيتام عام (١٣٧٥ هـ) ، وفصل منها ، ثم عاد إليها ، وظل يتنقل في المدارس ، حتى وصل إلى قسم اللغة العربية في كلية الشريعة (بمكة المكرمة) ، ثم تركها ودخل كلية (الأمن الداخلي) عام (١٣٩٠ هـ) ، ثم تخرج برتبة ملازم ثان ، ويعمل الآن في شرطة (جدة) ، له ديوان شعر مطبوع (في متأهات الحياة) ، وله كتب تحت الطبع^(١) .

ومن خلال تلك النشأة والحياة التي تعصّرها المراة والألم في مرحلة هي أشد ما تكون إلى عطف الأم وحنان الوالد تعرّقت حياة الشاعر ، فكان شعره قطعة من العلقم الذي شعر به وفاض به في قصائده ، ليصور آلامه وأهاته ، وأحزانه وتعرّقه في إطار من القلق والجحش والشكوى ، وذهاب الأمل ، والتيه في غياب السراب والضباب .

كان من وراء هذا الاتجاه الأدبي عوامل لاذعة هي التي نزفت من نشأته وحياته من أهله :

أولاً : في الرابعة من عمره فقد والده ، مصدر العطف والحب والولاء والطاعة ، والتعاون والرعاية ، ومحار الآمال ومحق الرجاء ، مصدره المفتوح ، وظهره الذي يحميه ، ويدفع عنه ، فقد كل ذلك في باكورة حياته وأخطر مرحلة يمر بها الطفل مرحلة يكون تسجيل الطفل لما حوله عن طريق إحساسه ، ومشاعره ، وعواطفه ، صادقاً ودقيناً وعميقاً ، لأنّه مازال قريبًّا بالفطرة البريئة الصافية .

ثانياً : والفطرة البريئة الصافية في تلك البداية المريئة تتطلع إلى الكون من حولها لتجد عوضاً وسلبية وعزاء وسلواناً فتتسلل من آيات الجمال على صفحة الطبيعة الساحرة ما يشغلها ، وتحاول معها ، هي طبيعة أنها الأحذاء ، وروعة الحياة في الجنوب ، وجلال الكون من حولها ، ووقار الجبال الراسيات فيها ، ورققة المياه المناسبة والمسارية في مجالها وابتسام الزهور لشغفها :

(١) في الديوان : في متأهات الحياة للشاعر ، تقديم الشاعر محمد حسن عواد ، جدة عام ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م

وتعانق الأشجار في غاباتها وجد في ذلك كله عوضاً وعزاء وسلواناً مما كان له الأثر الكبير في تفجير مشاعره وشاعريته .

ثالثاً : يلتجأ في مكة المكرمة إلى الحضن الدافئ للوالد الكبير راعي الأمة حيث دار الأيتام ليشعر بيد البشر الحنونة ، ونظرة الإنسان الدافئة من حيث الرعاية والحفظ والتوجيه والبناء العاطفي والوجداني ، فلما أحس بأن اليد ليست يد أبيه الوالد ، والناظرة ليس فيها دفء الأب الحقيقي فرّ من الدار وانفصل عنها ، لكنه وجد نفسه في فراغ بلا يد ، وبلا نظرة فاضطر عائداً للمرة الثانية ، إلى يد الوالد الكبير ، ونظرة الإنسان الرحيم إلى دار الأيتام ليشق حياته في العلم والتعليم ، ويفتح صدره لقدره المخوم .

رابعاً : تدرجه في سلم التعليم ، حتى وصل إلى قسم اللغة العربية في كلية الشريعة ، ليحصل بحفله اللغوي والأدبي من هذا الميدان التعليمي الذي بلغته وأدبه وفكرة واتجاهاته ليعينه على تنمية موهبته الشعرية ، وصقلها وعديتها بعد أن تفجرت من ذي قبل .

خامساً : بعد أن حدد اتجاهه في سلم التعليم ، ومكّن موهبته الشعرية من حقل اللغة والأدب ، حفّزه الأمن الذي كان منذ الصغر يبحث عنه ولازال ، فالتحق بكلية (الأمن الداخلي) ليؤمن حياته ، ويشق شاعريته وهو في ظلال لقمة العيش الكريمة ، وهي ترفرف عليه في عزم ورجولة وتهمس في أذنيه فيتردد صدى الحمس بين جوانحه وفي جنبات أحشائه أصبحت رجلاً .. إنساناً .. شاعراً .. ضابطاً .. مكافحاً من أجل الإنسان والقيم الفاضلة والحياة .



الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية

أولاً - شعر الوجدان والتأمل :

هذا الغرض من شعره ينづف به وجده ، ويسبّر به أعماق نفسه ويبحث عن ذاتها في الضياع في تصوير أدقّ بفيض أسى وحزنا ، ويقطّر ألمًا ودمًا ، يسوده القتام ، والبؤس والحرمان ، فهو يمثل حياته بصدق ودقة يقول في « مضة » تكشف عن موطنها في الجنوب :

ولى في « الأرد » عرق منه أصلٌ ونعم الجد من « شهر » التجيب
ورث العزم من أهلٍ وأرضٍ سرة الأرد أم للعرب
وللإنسان في قلبى مكان فإذا الإنسان يا قلبى حبيبي
وما فخرى بقومى غير ومض بيبر النفس للفعل المصب^(١)

لكن الشاعر العسيري ترك موطنه الذي ولد فيه ، وتأه في دروب الحياة ، التي امتلأت بالشوك والماء يقول في قصيده :

أيسن در في حيـاتـى والـدـجـى غـطـى رـاهـاـ
أـبـذـلـ الجـهـدـ وـلـكـنـ
ضـاعـ جـهـدـى وـتـاهـاـ
مـذـ طـوـانـ الدـهـرـ طـاـ
مـذـ رـمـانـي بـشـظـاهـاـ
وـمـخـشـاـ عن طـرـيقـ
يـمـنـحـ النـفـسـ مـنـاهـاـ
فـرأـيـتـ الـدـرـ شـوكـاـ
وضـيـاعـاـ وـمـتـاهـاـ^(٢)

وتأه في الحياة من طول الضياع ، فهو يخرج من متأهاته إلى أخرى ، وأجمل حلم راه هو انتباهته بقدر ما يميز بين درب ودرب ، وفي متأهاته عهديه الحياة الضياع ، يقول في (آه من طول الضياع) :

(١) في متأهاته الحياة : ١٩

(٢) الديوان : ٤٠

رأينا الليل فجرا
 فإذا بالفجر ليل
 كمشينا لا نبال
 فإذا بالحزن بحر
 ورأيت التدريب ماء
 كلمـا غيرت درف
 أجمل الأحلام في
 وإذا بالدهـر يهدى

وأمانـة قريـة
 إن ذـى الدـنيـا عـجـيـة
 أى حـزـن أو مـصـيـة
 ضـعـتـ فـ (لحـ) رـهـيـة
 وأـرـافـ فـ صـرـاعـ
 واجـهـتـ نفسـي مـتـاهـة
 قـلـبـيـ وـفـيـ فـكـرـيـ اـتـاهـة
 وجهـيـ خـوـ الضـيـاعـ⁽¹⁾

يغوص الشاعر في أعماق الضياع ، وهو يختلط في متأهات الحياة ، فإذا خواطره الإنسانية في دموع ، يذرفها على انسانيته المهدورة ، لكنه من خلال الشعر الوجداني الحموم تتجسد روح الإسلام العادلة التي ترد كيد الظالمين للضعفاء والمظلومين فتربع بيديه إلى السماء في سكون الليل البهيء ، فيتردد الدعاء في جنحات السماء ، فترتدى صاعقة توقيط الحالرين والمعتدلين ، وكيف يدعو الإنسان على أخيه الإنسان بالرووال والموت ، فقصة القرني الإنسانية ميثاق وأواصر بين البشرية جماء لا تفرق بين انسان وآخر ، فلماذا العنصرية !!.. وإنما العنجهة !!! وإنما الصراع ، والتحطم والموت والضياع ، فلماذا لا تزرع الخبطة !!.. فيعي الإنسان دربه .. يصور هذه المعانى وأكثر في مشاعر متقدفة وعاطفة مشبوبة وتحريمة شعرية صادقة ، كابدتها الشاعر عن كثب ، ووجودان ملتهب توجهه القيم الإنسانية المهدورة في عصر الماديات المسرفة ، والتيه والقلق والضياع في قصصته (خواطره إنسان تائه) :

أيها الانسان لا تطغى علينا
إن ظلمى قوة ملك يديها
دعوه في الليل لا تبقيك حيا

فـ لا تلمى إن دعوت
ـزول وتموت

عصرنا يسعى ولكن للخطر
يا أخي إياك أن تورى الشر
يا أخي إياك تفني البشر

أنت منهم وأنت
آدم جدك
ظلقة تدرس جدك

(١) في متأهلات الحياة : ٢١/٢٢

إن في القرى لم ينافِ أواصر
 فاغتنمها فرصة إن كنت قادر
 لا تفرق بين إنسان وآخر
 ولماذا العنصرية !!!
 إنها العنجنة !!!
 أنها الإنسان ماذا في الصراع
 غير تحطيم وموت أو ضياع
 حبذا لو ضمننا درب اجتماع
 نزرع الأرض محبة
 فيمسى الإنسان دربه (١)

تجديد في الإيقاع والوزن الموسيقي ، وإن كان يسرى على نظام (المقطوعات) ، التي تتغير
 في الحجم والشكل والقافية ، لكن الإنسانية لا تتغير ، مهما اختلفت العنصرية ، فهو شاعر ،
 وإنسان ، وفوق هذا (مسلم عرف) لا يفرق دينه بين إنسان وآخر ، وذلك في قصيدة
 (عرف) يقول :

من أنا؟ من ضاع بين الدروب؟!
 لا يرى غير ظلال من غروب
 ضاع درب بين آمال تذوب
 من أنا يا زورق الأحداث من؟
 تائه في عصوه يشكو المحن
 عرف أنى ضاع في طي الزمن !! (٢)

لكته عاش في « الواقع الأليم والمركب الثنائي » :

لقد غبت عن عالى برهة أنا جى خيال وأشدو حزين
 أعلى نفسي بإشرافه تضيء درب فائنى الآلين

(١) في متأهات الحياة : ٣٤/٣١

(٢) في متأهات الحياة : ٤٦

ففى واقعى كما أرى تائها واف أنا أول التائبين
أقلب طرق وفى لفنة إلى عالم فيه يحيا اليقين

شربت الحياة بأكوابها فما ذقت فيها سوى دمعتى
وغرست فيها بقشاري فذابت على نعمتى مهجنى
تأملت فيها جمال الوجود فتحت على مركب الحياة
أجوب البلاد وما أهتمى وهذا الضياع على صورى

أقلب طرق نعلى أرى طريق يقين يزيل الظنون
ولكن طرق به حيرة من الناس حتى نفمت اليقين

وهكذا إلى آخر القصيدة يصور نفسه في مركب تائه من الألم ، يتهى به إلى الضياع ،
وقلبه يسفل أسى من الحياة التي تذيب الحياة :

فهذه الحياة تذيب الحياة وهذا فؤادي فيها يسفل⁽¹⁾
لكن الشاعر الملاهم ، هو الذي يجد في قيارة الشعر العزاء الذى ينسيه همومه ، والدواء
الذى يخفف آلام الحياة يقول الشاعر في (قيارة) :

قيشارى تشدو ودهرى يسمع
قيشارى ثكلى وألم ترضع
تبكي الصبا يمضى فلا يسترجع
وترضع الأحلام من ثدى الألم

قيشارى لحن وأوتار هزيله
ناجيها هات فقالت لي عليه
الحزن يدمينى وأوتارى ذليله

قيشارى شعرى وعمر كالوتر
قيشارى الشكلى وعمرى المستحر⁽²⁾

(1) الديوان : ٦٣/٥٧

(2) في مراهنات الحياة : ٦٩

وهكذا صارت حياته بؤساً وشقاوة ، وحزناً وألاماً ، وشكوى وتضعضعاً ، واسرافاً في اطلاق المشاعر ، وطغياناً في الوجدان لكن انسان من البشر يعيش مع الناس في هذا القرن له « حق الانسانية »^(١) ، وأمام ظلم البشر للانسان ، هل يستجيب له القدر ، وتحمّله الحياة ، ويحتو عليه الدهر ، وذلك في قصيده « لو يسمع القدر »^(٢) ، بعد أن اعتصرته مرارة البؤس والشقاوة في قصيده « حياة في القرن العشرين »^(٣) .

هذا هو شعر الوجدان بسماته وخصائصه التي جعلته غرضاً شعرياً متميزاً في شعر العسّيري فهذا الغرض يعبر بصدق ودقة عن حياة الشاعر ، فالوجدان فيه هي حياته والشعر الصادق هو الذي يرسم فيه الوجدان حياة صاحبه في شعر عموم وعاطفة جياشة ، ومشاعر رقيقة وتصوير أدق رائع .

إن شعر الوجدان في شعر العسّيري يؤرخ للشاعر حياته المديدة وعلاقاته بالناس من حوله ، وموقعه في دنياه .. دنيا القرن العشرين .

ثانياً - الشعر الاسلامي :

والشعر الاسلامي هو أكثر شعر العسّيري بعد الشعر الوجданى ، ويغلب عليه الحانب الانساني العالمي ، فالاسلام دين عالمي عام لكل البشرية قال تعالى : (وما أرسلناك إلا كافراً للناس بشيراً ونذيراً)^(٤) ، وقال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)^(٥) .

وفى عام ١٩٤٨ م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة حقوق الانسان العالمية ، حيثنى ذكر الدكتور عثمان خليل^(٦) أن الاسلام منذ خمسة عشر قرناً ، أقر هذه الحقوق العالمية للانسان ، مثل المساواة ، وتحقيق الحريات في التملك والعقيدة والعمل والمحافظة على الحرمات ... وهذه المبادئ الاسلامية هي التي جعلت الدين الاسلامي ينشر سماحته شرقاً وغرباً بلا إكراه ، وبجهود ضئيل ، وبغير دعوة مطلقاً .

(١) الديوان : ٧٠

(٢) الديوان : ٧٢

(٣) الديوان : ٩٣

(٤) سورة سـاً : آية ٢٨

(٥) سورة الأنبياء : آية ١٠٧

(٦) الديمقراطية الاسلامية : ٥٦/٣٥ القاهرة ١٩٥٨ م

ويقر بعالمية الدين الاسلامي وانسانيته المستشرق توماس ارنولد فيري : (ان في هذه اللحظات التي تطرق فيها الضعف السياسي إلى قوة الاسلام ، ترى أنه حقق بعض غزواته الروحية الرائعة ، فالأتراك السلاجقة والمغول كانوا فاتحين غالبين ، ومع ذلك اعتنقوا ديانة المغلوبين ، وهو دين الاسلام)^(١) .

وأحمد العسيري في شعره الاسلامي خرج به إلى تلك الآفاق الانسانية ، التي دعا من أجلها الاسلام ، وهذا الجانب الانسان العالمي لاق هوى من نفسه ، التي تلهث بالآهات والاحزان والآلام من كيد الظالمين المعذبين ، الذين اعتدوا على كرامة الانسان وحقه وحرجه في أى موقع من أرجاء المعمورة ، يصور مشاعره هذه في قصيدة (الدنيا ص ٣٥ - ٣٦) ، وقصيدة (حديث مع يا عالمي ص ٣٧ ، ٣٩) ، وقصيدة (العاصفة ص ٤٩ ، ٥٢) ، وقصيدة (إلى أعدائي الزهرة ص ٦٤ ، ٦٧) ، وقصيدة (إنسانية ص ٧٢ ، ٧٨) ، وقصيدة (نكسة أخرى ص ٤٧ ، ٤٨) بمناسبة نكسة حربيران المشهومة .

والعسيري يصرح في وجه العالم بقصيده (يا عالمي) ويقول مقدما لها : (في الهند مجاعة ، وفي فيتنام النار ، وفي فلسطين الطغيان ، وفي نيجيريا الانقسام ، وفي اليمن مجازر ، وفي كل ركن من أركان الدنيا جائعة) ، وينفتح آهاته وأحزانه على ظلم الظالم للانسان فيقول في هذه القصيدة :

يا عالمي إني هنا أبكى المصير
ألا ترون
دمعا مراقا ثم جوع والفقر
أو ترحوون
فقر طفى - ظلم - وحرب - وشر
أو تنكرؤن
في كل أرض صرخة هل من بغير
لم تضحكون
عقائد قد أثبتت هذا السعير
فستاندمون

* * *

(١) الدعوة إلى الاسلام : توماس ارنولد ص ٢٦ النهضة المصرية ١٩٥٧ م

(الله أكير) قلتها والأمر شر
 في ذي الحياة
 (الله أكير) قد طفى أمر البشر
 وبلا أناء
 (الله أكير) دق ناقوس الخطر
 أين النجاه
 (الله أكير) صرحة فيها العبر
 مما نراه
 (الله أكير) ذا وجود يتضر
 هل من صلاه؟
 ذا عالم يسعى بعزم مستمر
 وبلا اتجاه

* * *

يا رب ان تائه بين الدروب
 أين الطريق؟
 ذا عالم يسعى ولكن للغرروب
 بعد الشروق
 يا رب صدرى الربح قد مل الكروب
 عاف البهق
 ريه عالما غريق في الذنوب
 وفي المروق
 فتناضل ذرية أين الهروب؟؟
 وهل نطيق؟
 للكيماء خنقه .. لا .. لا هروب
 ضاع الطريق

* * *

كِمْ دَمْعَةٍ فَرَشَتْ بِسَاطًا مِنْ عَذَابٍ
كِمْ مِنْ جُرْعَةٍ؟
كِمْ صَرْخَةٍ خَارَتْ فَعَاتَتْ فِي التَّرَابِ
كِمْ تَسْتَرِيجٍ
كِمْ شَهْقَةٍ .. كِمْ أَلْهَةٍ تَشْكُوُ الْعَذَابَ؟
كِمْ مِنْ طَرْبِيعٍ؟^(١)

وهذا الاتجاه الاسلامي الانساني العالمي نجده في شعره الاسلامي من قصصاته (حديث مع الزهرة) :

أوحه أحداث على عظم
في القدس في الأردن في المرم
في الغرب تأيد من النظم
والعرب تلهو من ذرى الوهم
أرعى نجوم الليل لم أنم
مالي أراك رؤية العدم
إن على شك من الستقيم
فـ العالم الأرضي ملجمة
في الشرق جزار وـ منذحة
في كل يوم من الدنيا حدث
قضيت في هم وفي حزن
نادتني الرهاء فائلة

القوله :

ما كت أرضي بالموان ولا
أرضي ولا شعب من الأم
فأجلب يا حسناه قد غربت
شمس وابت موجة الظلام
ذل أصاب العرب في الحرم
إبك معه، قومي، وعزهم

قوله:

قالت لي الزهراء لائمة نصركم بالدموع والكلمات
المدفع المدار يكسكيم نصرا وليست هي إلا الأم
إن رمت حقا إن مكمنه في القوة الورقاء في الحمم
ديابة المدانا هي سند والمدفع الغضبان في القمم

(١) في متأهلات الحياة : ٣٧/٣٩

والسيطر في الأجراء حائمة
تقى جموع الجيش كالبريم
ما مات حق أنت تطلبـه بالفعل لا بالقول والحلم^(١)

ويوضح أيضاً هذا الاتجاه الإنساني العالمي في شعره الإسلامي ، الذي يغلب عليه مذهبـه الشعري من التحرر في التجديد ، وما يتسم به شعره من الوجдан التأثر المعموم الذي يتصف بأعداء الإنسان في أي مكان ، وذلك في قصيـته (إنسانية) ويقول في تقديـتها : (عندما يعيش الإنسان بين مجموعة من البشر .. أحد أفرادها يضرـه ، وأحدـهم يغصبـ أرضـه ، وثالثـهم يحكمـ عليه بالأمر الواقع .. عندما يعيشـ الإنسان هذا الواقع المـرير ، يـنظرـ بـينة وـسـرة .. يـذكرـ الماضي ، وـيـقـتـ الحاضـر ، وـيـشـاءـ منـ المـسـقبل .. رغمـ^(٢) أناـ فيـ عـصـرـ عـلـمـيـ) ومطلعـها :

أناـ الإنسانـ فيـ الأرضـ أـرـافـيـ الفـانـيـ المـعـدـمـ
فـلـمـىـ بـاتـ بـرـمـنـىـ إـلـىـ جـهـلـ مـاـ أـعـلـمـ

إـلـىـ قـوـلـهـ :

لـأـنـ كـتـ فـيـ المـأـمـ
وـدـمـعـىـ مـوـجـةـ حـرـىـ
أـنـاـ إـلـاـنـسانـ فـيـ الـأـرـضـ
فـنـفـسـىـ سـوـفـ أـنـعـبـهاـ
وـأـنـعـىـ أـمـةـ تـوـصـمـ
تـقـنـودـ الـأـرـضـ لـأـعـزـمـ

إـلـىـ قـوـلـهـ :

مـنـ الـلـذـاتـ كـيـ تـنـعـمـ
تـرـدـتـ فـيـ مـتـاهـاتـ
ثـنـيـ الـحـزـنـ فـيـ الـمـسـلـمـ
وـلـاـ زـالـتـ عـلـىـ حـالـ
يـمـيـتـ الـرـوـحـ فـيـ المـأـمـ
أـلـاـ تـبـلـ لـانـسانـ
وـيـعـصـيـ شـرـعـهـ الـأـعـظـمـ^(٣)

(١) الـديـوـانـ : ٦٧/٦٤

(٢) رـغـمـ : وـالـصـوابـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ...

(٣) فـيـ مـتـاهـاتـ الـحـيـاةـ : ٧٨/٧٢

ثالثاً - الرثاء :

وهذا الغرض لا تجده إلا في قصيدة واحدة من ديوانه ويخرج فيها الشاعر على المنط
التقليدي المعروف في الرثاء القديم من ذكر مآثر المرثي ومحامده ، التي اتصف بها في الماضي ، ويد
أقرانه فيها ، بل مضى الشاعر في هذا الغرض يسير على مذهب الشعرى الوجданى الابداعى من
المعنى بأحزانه وألامه ، ويسكب دموعه وعبراته من وجده على نفسه ، ثم يتأمل حقيقة الحياة
في تيه وحيرة يقول في قصيده (دموع الحياة) ويهديها إلى روح الملازم عمر سلطان الطجل :

أتاني يقول فقدنا الصديق فقدنا الخطيب فقدنا (عمر)
تأملت ما قاله في خشوع وgamam طنون وحار النظر

ثم يدبر العسيري حواراً بينه وبين الحياة في ثوب قاتم حزين ليقف من خلال الحوار على
حقيقة الحياة والموت ، والشك واليقين والناس يركبون زورق الحياة ، يسرون في ظلام دامس ،
فنهن من ضل ، وارتدى لباس الرياء ، وطوى قلبه عذاب الحياة ، فيرسو زورقه في سقر ، وطوى
لزورق أعطى راكبـه حقـ الحياة ، وحقـ الآخرة معا ، وخـنى اللهـ وشكـره ، يقول :

أرى في الوجود دموع الحياة تسيل على خدهـا تختضر
فحضر في الخـد جـراـ عمـقاـ
فأهـمـ للـنـفـسـ فـيـ رـهـةـ
أراكـ تـجـيـنـ هـذـاـ الأـثـرـ
فـقـالـ :ـ أـراكـ تـقـولـ المـقـيـقـةـ
أـمـرـ مـنـ الـمـوـتـ لـوـ تـعـلـمـونـ
أـتـسـمـحـ لـلـفـكـرـ فـيـ رـحـلـةـ
فـقـلـ :ـ الـمـعـانـ فـيـ عـصـرـنـاـ
فـقـىـ الشـكـ بـحـثـ كـذـاـ وـفـيـ الـيـقـيـنـ
رأـيـ الـحـيـاةـ هـاـ مـرـكـبـ
فـمـاـ تـمـنـاهـ مـنـ غـايـةـ
تعـيشـ الـحـيـاةـ عـلـىـ زـورـقـ
وـمـرـسـاهـ صـعـبـ لـمـ يـرـتـدـيـ
فـوـارـحـتـهـاهـ لـمـ قـدـ حـوـىـ
وـطـوـيـ لـمـ رـأـيـ فـيـ الـحـيـاةـ
وـعـاشـ يـغـنـىـ لـمـ فـيـ الـوـجـودـ

وأقصى ما يذكره العسيري من ثناء على الراحل ، أنه فقد فيه الشباب الناضر ، وقد في
نفسه المعانى لمن يتغىـها منه ، فهو في حـيـةـ منـ أـمـرـهـ ، فقد سبق الصديق المـرحـومـ إلىـ رـمـسـهـ فيـ

رها وخفوت وأسلوا عليه الستار ، وغطوه بالتراب ، وعاد المشيرون في حيارى لا من صديقه ، ولكن الحياة كل الحياة من حقيقة الحياة والموت التي أعقبت حسرة في نفس الشاعر ، وقرحت حرحا على خده ، وعشى عنها البصر ، وتعددت أصوات الحياة في الوجود ، لتقرر أن الإنسان عاجز عن فهم الحقيقة التي لا يدركها إلا الله وحده سبحانه وتعالى ، خالق الوجود « يحيى وعيت وهو على كل شيء قادر » والدموع والتسليم هما الأمل الذي يهدى الحياة والشك ، والرضا بالقضاء والقدر هو تسبيح العاجز أمام جبروت القوى القادر ، وحلوة العلقم في الختم صلاة الضعيف أمام الخالق العليم ، فالأخير والظاهر والباطن هو وحده يعلم حقيقة الوجود ... يقول العسيري :

أتأني يقول فقدنا الصديق فقدت شبابا نضر
فماذا أقول من ينتظر فقدت المعانى من فقده
شعوري إذا ما فقدت الصديق وساقوه في رهبة للحفر
وخطوه التراب في رسه فماذا أقول ولد حسرة
وعدنا حياً ولا من (عمر) أرى في الوجود دموع الحياة
واسعوه في رحى وتعشى البصر وينتفق في الركب صوت الأقوال
وأنفع فيها دبيب القدر فيرسم في الكون شتى الصور
إلى حكمه حار فيها النظر وبخسر في الفكر هذا الغموض
صلاة الضعيف أمام الخطير^(١)

(١) في متأهرات الحياة : أحمد العسيري

رابعاً - المجاء :

(وفي متأهلات الحياة) نجد قصيدة واحدة من هذا الغرض الأدبي بعنوان (الغر) ، وسار فيها الشاعر على خط جديد أيضاً ، لا يقع فيه منهج الشعر القديم في المجاء من السباب والقبح ، والفحش في القول ، والوصف البذىء وغير ذلك مما هو معروف في هجاء المجانين القدماء .

لكن العسيري يرى فيمن هجاه ، أنه غر جاهل ، وأن نور العلم سيقذف به في التيه والأوهام ، وحينما يصطدم بالحق يتهدى في السخط ، وتعتصر مقلاته بالشر ، فهو يقطع عمره لا في بناء الحياة وتقدمها ، ولا يم ذلك إلا بوحدة الجماعة واعتصامها ، لكنه يضي جسده هدمها ، فيزرع البؤس والذل ليحصد شقاءه وألامه .

ويتبغى أن يعلم الجميع أن مثل هذا الغر الجاهم والأحمق سيتحطم في زوابا الحقد ، ويضطوي في ثياب السخط ، وتنزف عيناه بالشر واللتهب ، فهو عليل الفكر ، ينهش عرض الجار ، ويطظم العقلاه الخلصين بزهوه وخيلائه يقول في مطلعها :

هرم اللنة الغاوي موات يصيب الناس إن أبقوا عليه
ويختبر في تلافيف الحيارى ويحلم أن قيدي في يديه
وقيدي عزة تصبو إلينا سرت فيما وما كانت لديه
وفكري سوف يمحى بسور يذيب الغر في حلم وته
وقيد الحق أوهى كل قيد رعوف المس إن سقنا إليه
وما في الباطل الجنون عز عز الحق أن تدنى بيته
هرم اللنة الغاوي رأى أقول الحق فيما يتقوى
تمادي في ثياب السخط حتى رأيت الشر في مقلتيه
وأنلى فكره المغرور غيا تعالى في كراماتي بفيه
آجيلى جذوة من كل قول ترمي الجسم يا ويسيل النبيه

* * *

يهد العمر كي ينسى حياة تشن البؤس أو تقضي عليه
ويحفر في قلوب الناس نعما رحيم العدل يسفى شاطئيه
فيغير في تراب الذل أحرا ويسعى رغمة الغر السفيه
أجل الطرف في ركب الحيارى يمر السدراب لا يدرى بيته
سوى الإنسان والانسان وصف توارى في متأهلات التزيه
ويرفع صوته الحيران يشكرو فسمع قصوى من أصغريه

سأسمع للوري ... للناس قولي
وعز الحق أن تدلي بنيه
وأنترك في زوايا الحقد غرّاً
رأق أرشد الدنيا إلى
تمطى في ثياب السخط حتى
رأيت الشر يدمى مقلتيه
عليل الفكر كالمسموم يلهو
عرض الجار أو ظلم النبيه^(١)

وهذا الهجاء هو الذي ينبغي أن يتخذه الشعر غرضاً أدبياً ، فهو يهدب الشعور وينمى
الذوق ، فهو هجاء يبني في الناس أخلاقاً ، ويشيد بهم الفضائل النبيلة عن طريق واضح وتصوير
مباشر ، وبمحنة فيهم الرذائل لا كما في (أزهار الشر) لبودلير فهو يزين الشر في تصوير جميل أخذ
ليصرف الناس عنه بطريق غير مباشر كما يدعون .

وهذا النط من الهجاء يدفع بصرامة وقوه إلى قول الحق والتوصى للباطل ، ويرغب في
العلم ، وينفر من الجهل ، ويصور الغر الأحق في أقيح صورة يتوقفها الإنسان في أي اتجاه وبعذرها
في كل خطوة ، ويخشى على نفسه منها في كل حين ، لأن العلم والحق والنور ، هو الذي يبني
الحياة ويرفع الذكر ، ويعنى أهله مع الخالدين .

ومما يجعل هذا النط من الهجاء هو بعية الشاعر النابه والجاد في شعره ، هو أن يظل خالداً
بهذا الغرض الأدبي الذي يسمى به في سماء الأدب الرفيع والشعر السامي ، ويرأى عما اتصف به
هذا الغرض قدماً من السباب والفحش ، والتدمير والهدم لأن الشخص بعينهم ، أخلتهم الشعر
القديم ، وذهب بهم مع أهل السباب والفحش ، وربما يكون المهجو بريضاً مما نسب إليه قد
تحامل عليه الشاعر لحاجة في نفسه ، عند ذلك يكون الهدم والتدمير .

لكن هذا النط من الهجاء للعسيري يسمى بالغرض الأدبي للمعالى والبناء السامي ، لأن
الشاعر شغلته تمجيد القيم السابقة عند ذكر الشخص المهجو أو التلميع إليه ، مما جعل القصيدة
تدور حول القيم النبيلة ، التي ينبغي أن يترسم خطها الغر والجاهل والأحق لتزول منه الصفات
الذميمة من الجهل والخمامه والغرور بذلك يكون قد رسم منهجاً جديداً للهجاء في الشعر
السعودي عامه وفي شعر الجنوب العسيري خاصة .



(١) الديوان : ٨٣/٨٥

التصوير الشعري

والتصوير الشعري عند العسيري ، يغرينا بالحديث عن تجربته الشعرية ومدى صدقها الفنى ، وعن ألفاظه وأساليبه ، وعن الخيال وصورة الأدب ، وفي النهاية عن الإيقاع الموسيقى ، وموسيقاه الشعرية : الوزن والقافية .

ذلك كله من خلال النقد العربي الأصيل ، وذوق الناقد الذى هزه شعر الشاعر وتصوирه الأدب الرابع .

أولاً — التجربة الشعرية عند العسيري :

لو أدار القارئ عينيه وقلبه ليعيش (في متأهات الحياة) مع العسيري في تجربة الإنسان الشاعر ، الذى عانى مرارة الحرمان في تجربة حياته الواقعية ، وهو يتلظى بنار الوجد فيها ، ويصلطى بوجه السعير المحرق .

عانى الشاعر تجربته في التصوير الشعري معاناة أيامه مريرة ، أحذته من الوجود حوله ، ليتمدد داخل وجوداته ، ومشاعره الذاتية ولذلك لم ير غير ذات الإنسان حقيقة في الكون ، تفجر شعراً من أجلها ولها ، حتى في لحظات الجاملة إذا رث صديقاً ، يلوى عنقه عن الصديق ليصور النفس والذات ، وينسى أنه يرث صديقاً حبيباً إليه ، لكنه في الحقيقة أنه يرث نفسه وذاته لأنها هي أقرب الأشياء إليه وهي أصدق في التعبير عن نفس كل إنسان ، وهذا هو الصدق الفنى عمود التجربة الشعرية الصادقة الجيدة الشاعرة يقول :

فقدت المعانى من ققاده فماذا أقول لمن يتظر أو تجربة المجناء ، التي ينصب فيها المجناء على الشخص المهجو المغدور ، ينتقم الشاعر من ذلك الجسد الموجود والواقع أمام أنظار الناس ، ويتمدد في حنانها نفسه ، وبخصوص في أعماق تجربته ليصوّرها في تجربة شعرية ذاتية تتزىّ بما ومرأة يقول :

وأمل فكره المغدور غيـا تعـالـى فـكـرامـاتـي بـفـيمـه
آجـنـى جـذـوةـ منـ كـلـ قولـ تـرمـ الجـسـمـ ياـ وـيـلـ النـبـيـهـ
وـالـاقـعـ أـنـ دـيـوـانـ الشـاعـرـ كـلـهـ وـخـاصـةـ ماـ يـتـصـلـ بـالـشـعـرـ الـوجـدـانـىـ ،ـ يـعـدـ تـجـربـةـ شـعـورـيةـ

حياة العسيري الشاملة الأجزاء يصورها الشعر في الديوان بجميع أبعادها في دقة شاملة ، وصدق فني ، تتلاءم فيه كل المعانى والأفكار والمشاعر والأحساس مع الأخيلة والصور ، والأنفاظ والأساليب يقول :

أبى شعوري للسكون لعله يوم باشعاري فهم ورثا
فيالك من صمت أذعت مشاعرى لقد كنت يا صمتى سمعاً وملهما
ولكن نفسي قد أباحت بعض ما وما قلت شعرى رغبة في ترجم
فلا تعجبوا فالحزن محراب نجوى ضحكتى دعاء والبكاء تكلما^(١)

والتجربة الشعورية عنده صادقة محمومة يبركان متفجر من مرارة الحياة ، وظلم الحزن ، وحيم الشر ، الذى يصيب من كأس النعيم ، ليزداد جوى على جوى ، وحسرة على لوعة ، فلا يذوق منه إلا الدموع يقول العسيري في واقعه الأليم ومركبه الثاني :

شربت الحياة بأكوابها فما ذقت فيها سوى دمعتى
وغنست فيها بقشمارق فذابت على نعمتى مهجنى
تأملت فيها جمال الوجود فتحت على مركب الحياة
أجوب البلاد وما أهندى وهذا الضياع على صورى
ظلم الحزن أشقاء وأعيا آليقى في ظلام الحزن حيا
يصب الشر من كأس النعيم لأنى عشت في عصر الجحيم^(٢)

ولقد عبر العسيري عن صدق هذه التجربة في شعره ، في الاهداء الذى قدم به ديوانه يقول فيه :

إلى الإنسان الذى يشق طريقه في الحياة بعصاميته
إلى كل انسان ذاق مرارة الحرمان أو ضاع في متأهات الحياة^(٣)

ويقول :

فأدب الحزن شعراً مدد للاحساس عنراً^(٤)

(١) في متأهات الحياة : ٤٣/٤١

(٢) الديوان : ٥٨

(٣) الديوان : ١٧

(٤) الديوان : ٢٧

ثانياً — الألفاظ والأساليب :

لا ينبغي في التصور عقد التلازم بين الصنعة الشعرية الفائقة وبين الدرجة العالية (الأكاديمية) في التعليم ، وتجربة البارودي رائد البعث الأدبي والشعرى في العالم العربي حديثاً هي الدليل الواقعى فقد تلمذ على دواوين الفحول من الشعراً القدامى فقط لا في جامعة متخصصة .

فالشاعر العسيري التحق بكلية الشرفية قسم اللغة العربية في مكة المكرمة لسنة واحدة فقط وتركها ليتحقق بكلية (قوى الأمن الداخلي) في ١٢/٣/١٣٩٠هـ ليعمل بعد ذلك في شرطة (جدة) وقدم لنا هذا الديوان لكنه ينفي من التصور هذا التلازم فالموهبة الشعرية لا تحتاج إلى (أكاديمية) التعليم ، حتى يحصل الشاعر على الشهادة العالمية في اللغة العربية وأدابها ، ولكن الأهم الشعري حقله الخصب هو اللغة العربية وأدابها ، فالشاعر هو الذي يدرك أسرار اللغة ، وينحسن بالطامة العلاقات بين ألفاظها ومعاناتها ، وخاصة إذا كان مثل الشاعر العسيري ، الذي عاش في حقول اللغة العربية وموطنها الأصيل ، حيث تلقاها بفطرته السليمة ، من ذوى القطر الصافية حوله ، فقد ازدهرت بين حقوقهم اللغة العربية ، لذلك لا تعجب أن يظل الشاعر مقطوراً على ما اشتهر بين قومه وعشائره من لهجة ، تinct من أسلوبهم بالسلقة ، وما زالت بين أهل الجنوب حتى يومنا هذا ، وهي :

أن ينطقو اللواء ضاداً وبالعكس ، ويكتبوا كذلك في كتاباتهم وهذا ما عبر عنه العسيري في قوله :

ضل يكـ———— فى خشوع هل ستنجيه الدموع^(١)

والمشهور في لغة القرآن الكريم « ظل » .

والألفاظ والأساليب عند الشاعر لا تجد فيها لفظاً سوقياً ولا عامياً ، بل تمتاز بالرقى والعذوبة والجزالة والوضوح ، والشفافية عن معناها ، كما تجد الأساليب محكمة غير قلقة في مكانها ، متلاحمة النسج بلا اضطراب .

والألفاظ والأساليب تتلاطم مع المعانى والأغراض في شعره فقصيدته (دموع الحياة) يتلاطم النظم فيها مع الغرض في نسج من الألفاظ الدامية الجريحة ، التي تعبّر عن قوة جبروت القادر :

(١) في متأهات الحياة : ٢٩

أرى في الوجود دموع الحياة تسيل على خدها تحضر
فتحضر في الخد جرحا عميقا عليه أرى قوة المقتندر^(١)

والنظم القوى في (الأحلام المتحورة) متلاحم ومتآخ لما يحمل من معان وألفاظ :
التبديد ، والغيم ، والوهم ، والمسارب ، واتساع الصدر ، والرجم بالحزن ، والناهاه ، والقسط ،
والبؤس والسقم وحصد الخيران ، وغيرها مما يتلاءم مع الأحلام المتحورة إلى آخر القصيدة :

يسد الدهر أحلامي مع الغيم وبثغر العمر في داء وفي وهم^(٢)
ويتحرر الصير في نفسي فيريحني بالحزن ما عشت لا يسهوا عن الرجم
لكن الشاعر في قصيدة (العاصفة) يضطره الوزن أن يخطيء في إعراب الكلمة وذلك في
 قوله :

للقدس الحزين
عشرون عام

ويكرر الخطأ فيقول في نفس القصيدة :

عشرون عام
والقدس في القيد^(٣)



(١) الديوان : ٧٩
(٢) الديوان : ٩٦
(٣) الديوان : ص ٥٠/٥١

ثالثاً — خصائص الخيال والصور :

والخيال في شعر العسيري خصب متجدد ، يتفجر من خلال عاطفة قوية متدفعه ، تحرك المعانى والجمادات ، ف يجعل منها شخصاً تحيى وتحرك ، لذلك فقد غالب التشخيص على صورة الخيالية فيبعث في الشوق (وهو معنى مجرد) الحياة ، فيصير شخصاً ، فالشوق يذوى ويروى ويدمى المهج ، يقول في قصيدة (شوق) :

الشوق يذوى ويروى اللقاء والوصول للأرواح برو وشفاء
رباه هذا الشوق يدمى مهجنى واللوعة الحرّى على قلبى عاء^(١)
وتدب الحياة في أحشاء قيثاره ، وتسرى الروح في جوانبها ، وهى جماد لا يحس ، والله
لا تئن ولا تتألم ، فيجعل الشاعر منها إنساناً يخاطبه ، وشخصاً يتجاذب معه ، فتشاركه آلامه
وأحلامه و تستجيب أواتها لآهاته وأحزانه ، يقول لها مخاطباً :

فيشارق تشندو ودهرى يسمع
فيشارق ثكل وأم ترضع
تبكى الصبا يمضى فلا يسترجع
وترضع الأحلام من ثدى الألم

* * *

فيشارق لحن وأوتاري هزيله
ناجيها هات فقالت لي عليه
الحزن يدمى وأوتاري ذليله

* * *

فيشارق شعري وعمري كالوتر
فيشارق الشكلي وعمري المتتحر^(٢)

ومن صورة الخيالية الرائعة الجديدة ، التي تمثل واقع عصره العالمي وتكون من وحي ابتكاره الخيالي ، وهى صورة العالم ، الذى سخر العلم لغير ما هو له ، سخره في الحرب ، وإذلال الإنسان ، لا للسلم والبناء ، ولا لغزة الإنسان ، وبهذا غرق العالم في الذنوب ، وخرج عن

(١) الديوان : ٢٥

(٢) في مناهات الحياة : ٦٩

الأديان والعقائد السمححة ، باستخدام القنابل الذرية للدمار والادلال ، والسيطرة والاحتكار ، فلا يجد الانسان مهربا ، ولا يطبق سموها القاتلة ، لأنها سموم الكيميا الخانقة ، التي لا يفلت من قبضتها الذكى الماهر ، مما يجعله يضل طريق النجاة يقول مستغشا :

رياه عالنا غريق في الذوب
وفي المروق
قنابل ذرية أيسن الهروب
وهل نطبق
للكيميا خنقة .. لا .. لا هروب
ضاع الطريق^(١)

تصویر جديد وخيال بكر في شعره ، لأن الشاعر يعاني تجربة عصره لا عصور خلت ، وإنما يعيشها بوجданه وأحساسه ، وهي كثيرة منه مقطوعة (عرب) وقصيدة (نكسة أخرى) ، وقصيدة (طائر) وقصيدة (الواقع الأليم والمركب الثالث) وقصيدة (سير الأحزان) وغيرها .

وممتاز صوره الخيالية ، أنها تظهر في بعضها ملامع البيئة التي عاش فيها (في عسير) ، حيث تنشر فيها الجبال الشاهقة والتلال والنفود يقول في قصيدة (أعدائى) :

سوف تدمى بالصخور
من جبال في (عسير)
من (نفسودي) والتلال
سوف تطويك التلال
كم طوت فيها الرجال^(٢)

ثم يقول :

من ريا نجد ومن حول الحرم
من سراة (الأرد) من سيف التهم
من سراة (زهران) من كثبان (حائل)
من جبال من مهودي .. والسوائل^(٣)

(١) الديوان : ٣٩

(٢) الديوان : ٨٧

(٣) الديوان : ٨٨

فجَال عَسِيرَ وَنَفُودُ وَالْتَّلَالُ وَالْأَزْدُ وَزَهْرَانُ وَالْجَنُوبُ ، وَالْجَيْالُ وَالْمَهْوُدُ ، وَالسَّوَاحِلُ فِي
عَسِيرَ كُلُّهَا مِنْ بَيْتَةِ الشَّاعِرِ ، الَّتِي عَاشَ تَجْرِيَتْهَا ، وَخَصَّبَتْ خَيْالَهُ مِنْ مَوَاقِعِهَا وَإِحْمَاءِهَا وَتَارِيخِهَا
الْجَيْدُ .

وَلَمْ يَسْلُمْ الْعَسِيرِيُّ مِنْ خِطْرِ فِي بَعْضِ الصُّورِ الْأَدْبَرِ الَّتِي لَا تَغْضِي مِنْ شَاعِرِهِ بَحَالٍ ،
وَإِنَّمَا هِيَ مِثْلُ الْمَلْحِ فِي الطَّعَامِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَصْوِيرُ النَّابِهِ الَّذِي يَخْارِبُ الْغَرَ السَّفِيهِ :

يَهُدُّ الْعَمَرَ كَيْ يَنْبُى حَيَاةً تَشْلُّ الْبُؤْسَ أَوْ تَقْضِي عَلَيْهِ
وَيَخْفِرُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ نَبْعًا رَحِيقَ الْعَدْلِ يَسْقِي شَاطِئَهِ
فَيَقْبَرُ فِي تَرَابِ الدَّلْلِ أَجْرًا وَيَسْعَى رَغْبَةَ الْغَرَ السَّفِيهِ^(۱)

فَالشَّاعِرُ يَرِيدُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَنْ يَصُورَ النَّابِهَ حِينَ يَقْضِي عَمْرَهُ فِي بَنَاءِ
الْحَيَاةِ بِالْعِلْمِ ، الَّذِي يَقْضِي عَلَى الْبُؤْسِ وَالشَّقاءِ لِيَحْلِ مَحْلَهُ الْعَدْلُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَبِذَلِكَ يَنْالُ أَجْرًا
مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَقْضِي عَلَى الرَّغْبَاتِ الْمَدْمُرَةِ لِلْغَرِ السَّفِيهِ .. لَكِنَّ الصُّورَةَ هُنَّا
عَجَزَتْ عَنِ أَدَاءِ هَذَا الْمَعْنَى ، بَلْ تَنَاقَضَتْ أَجْزَاؤُهَا فِي التَّصْوِيرِ .

فَالنَّابِهُ الَّذِي يَبْنِي الْحَيَاةَ ، وَيَهْدِي الْبُؤْسَ ، لَا يَعْدُ عَمْرَهُ هَذِهِاً (يَهُدُّ) بَلْ يَعْدُ بَنَاءَ
وَخَلْوَدًا ، وَيَقْعَدُ بِهَذَا الْعَمَلِ ، فَكَانَ يَبْغِي أَنْ يَقُولَ : (يَسْمُو) أَوْ عَلَى الْأَقْلِ (يَقْضِي) ، وَمِنْ
يَعْمَرُ قُلُوبَ النَّاسِ بَنَيْعَ الْعَدْلِ ، لَا يَصْحُ أَنْ يَوْصِفَ هَذَا بِالْخَفْرِ ، بَلْ يَوْصِفُ (بِالْتَّفْجِيرِ)
فَيَقُولُ : (يَفْجُرُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ نَبْعًا) .

وَمِنْ يَنْشُرُ الْعَدْلَ لَا يَقْبَرُ الْأَجْرَ وَيَدْفَهُ ، بَلْ أَوْلَى أَنْ يَحْيَا الْأَجْرَ وَيَقْبِي ، لَا فِي تَرَابِ
الْدَّلْلِ ، بَلْ فِي سَاحَةِ الرَّضْيِ وَالْقَبْوِ فَيَقُولُ : (فَيَحْيِي فِي سَماءِ العَزِّ أَجْرًا) .

وَأَظُنَّ أَنَّ كَلْمَةَ (يَسْعِي) لَا تَرْتِيبُ بَعْنَى الْبَيْتِ ، وَالصَّوَابُ فِيهَا ، لَكِنَّهُ يَصْحُحُ الْمَعْنَى :
(وَيَسْعِي رَغْبَةَ الْغَرِ السَّفِيهِ) أَيْ عَمَلُ النَّابِهِ يَحْرُقُ رَغْبَاتَ الْغَرِ السَّفِيهِ .

وَهُنَّا كَلِمَهُ يَدْلِلُ عَلَى التَّنَاقْضِ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْصُّورَةِ ، كَمْتُ أَوْدًا لَا يَقْعُدُ الشَّاعِرُ فِي مَثَلِ هَذَا ،
وَلَكِنَّ كَمَا يَقُولُونَ لِكُلِّ جَوَادٍ كَبِيْةً . وَلِكُلِّ فَارِسٍ نَبْوَةً .

وَمِنْ التَّنَاقْضِ أَيْضًا فِي التَّصْوِيرِ الْأَدْبَرِ عَنْدَ الشَّاعِرِ قَوْلُهُ :
فَهَذِي الشَّرُورُ سَمْوُ الْحَيَاةِ سَمْمُضِي بَنَا فَوْقَ نَعْشُ السَّرُورُ
تَنَاقْضٌ عَجِيبٌ ؟ هَلْ لِلْسَّرُورِ نَعْشٌ ؟ وَمَا أَبْعَدُ الْلَّفْظَانِ فِي تَصْوِيرِ الْمَعْنَى ، فَالسَّرُورُ

(۱) الْدِيْوَانُ : ۸۴

نقىض النعش ، لأن النعش يحمل الميت إلى مقبره وتشيعه الأحزان ، بينما السرور لا مكان له في هذا الجو الحزين ، الذي ينجم عليه الشرور والسموم والأحزان والنعش ولعل الحاجة إلى القافية هي التي اضطرت الشاعر إلى حشو كلمة (السرور) .

ولا يشفع للشاعر أن يقول من يقول : بأن هذا التصوير رمزى من باب تبادل المخواص ، فيقولون : برى بأذنه ، ويسمع بعينيه ، لأننا لا نجد في مذهب الشاعر خيطا رفيعا من الرمزية فليس رمزا ، بل هو واضح في تصويره الأدبي كما رأينا ، أما عناصر التصوير الأدبي في شعره فقد غنيت صوره بها من حركة ولون وطعم ورائحة وحجم وشكل فالبيت السابق يحمل هذه العناصر : فترى اللون القاتم في الشرور والسموم والنعش ، وترى الحركة السريعة والمتعددة في الفعل المضارع ستنقضى لما يدل عليه من الخدوث والاستمرار والتتجدد ، وتتدفق طعم الشر ، وتشم رائحة السم ، وحجم الشر يمقدار سوم الحياة وتجسيد الشرور في شكل النعش ، وهكذا فالشاعر له قدرة عجيبة على مزج عناصر الصورة بروافدها كما رأيت في صورة متناقضة في جزء منها ، فما بالك لو رجعت معى إلى الصورة البدعة التي سبقت وهي كثيرة وكثيرة .

هذا الإبداع الشعري في التصوير الأدبي كان لابد أن نضع فيه في ميزان النقد ، لنرىرأى الشاعر والناقد في شعر العصري .



رابعاً — الموسيقى الشعرية :

العسيري شاعر ثائر ، ومتجدد متتحرر في تجديده ، ولا غرابة في ذلك فقد تحرر في تجديده فخرج على الموسيقى الخليلية في العروض والقافية بعض الخروج في بعض قصائده وليس معنى ذلك أن العسيري لم يحافظ على الوزن والقافية التقليدية المشهورة في عمود الشعر العربي ، بل كانت معظم مقطوعاته وقصائده ، يلتزم فيها البحر الخليل ، وقافية الشعر المخافظ ، وإن كان الشاعر يميل في شعره إلى البحور الخفيفة وإلى الجزوء من البحور مثل :

قصيدة (شوق) ، وقصيدة (الدنيا) وقصيدة (وصفحة من حياتي) وقصيدة (ونكسة أخرى) ، وقصيدة (طائر) وقصيدة (حديث مع الزهرة) ، وقصيدة (سمير الأحزان) ، وقصيدة (إنسانية) ، وقصيدة (دموع الحياة) ، وقصيدة (الغر) وغيرها ، ومرت الأمثلة والشواهد .

ومن قصائده ما يسير على نظام المقطوعات مع الاحتفاظ بالوزن والبحر ، واختلاف القافية وحرف الروى ، وهذا أقل مما سبق بكثير مثل قصيدة (عمرى الضائع) ، وقصيدة (ضياع في ركب المتأهله) ، وقصيدة (عيد بلا اجتماع) ، وقصيدة (سالميني) ومقطوعة (عرب) ، (عودي) ، (في المستشفى) ، وقصيدة (الواقع الأليم والمركب تائه) ، وقصيدة (إلى أعدائي) وغيرها وقد مررت الأمثلة ولا داعي لذكرها .

ومنها ما يلتزم فيها الشاعر البحر الواحد ، لكن البيت يتبعى بتذليل يقوم على تفعيلة ، ليضيف بها لحنا جديداً في ألحانها ، وينسحب عليها إيقاعاً ينظم توقيعها الأخيرة ، وهذا أقل مما سبق بكثير ، مثل قصيدة (يا عالمي) يقول :

يا عالمي إن هنا أبكى المصير
ألا ترون
وقد مر ذكرها .

ومثل قصيدة (خواطر إنسان تائه) حيث بناها الشاعر على تسع مقطوعات مختلفات في القافية ، كل قطعة تقوم على ثلاثة أبيات تتبعى بعدها بتذليل يشمل توقيعين يقول العسيري :

أيها الإنسان لا تطغى علينا
إن ظلمى قوة ملك يديها
دعوة في الليل لا تبقيك حيا
لا تلمني إن دعوت
فتسزول وتموت

ومصير الشر في الدنيا قرب
 بعد ضعفى سوف أقوى وتدوب
 إن بعد الشمس أغلاس المغيب
 هكذا حكم الحياة
 لا بقاء للطغاة
 أيها الانسان في عصر الفضاء
 لا تضيق بالحق يقتلك الفتاء
 ثم تبقى ساحبا ثوب الشقاء
 ثم تبكي لمصرك
 سوف تذوى
 كضميرك^(١)

ومنها قصيدة واحدة لم تذكر ، قامت على نظام التفعيلة ، مع محافظته على الموسيقى
 والايقاع المنغوم بلا اتحاد في القافية وذلك في قصيدة (العاصفة) :

في القدس عاصفة
 تحطم الجسور
 ونهش القبور
 على الغرابة^(٢)

وهي طويلة لا أرغب في ذكرها ، واكتفيت بذلك لكي يصح النقد وتوجيه اللوم إلى
 العسيري ومن سار على دربه من الشعراء المعاصرين .

وكانت أولى أن هذا النبط الموسيقى وال قالب النثري لا الشعرى لا يدخل فن الشعر ، ويجد
 منزلة من نفس العسيري ومن ديوانه الجيد ، إلا إن كان الشاعر يريد أن يعرفنا بنحو المشعور ،
 وأحسب أن العسيري لا يقصد ذلك ، فهو يريد أن يجاري من يجعل التفعيلة شعرا بلا قافية
 ولا بحر عروضي .

وفي رأىي أن شعر التفعيلة هي معبر الخطأ والخطلل السريع فاليلوم يكون على تفعيلة وزن
 واحد ، وغدا بلا تفعيلة وزن ، وأصبحت الآن أقول إن الموشحات الأندلسية هي التي رخصت

(١) في متأهات الحياة : ٣٤/٣١

(٢) الديوان : ٥٢/٤٩

للمعاصرین هذا التسیب ، وهم الآن يتذرون بذلك ولكن الحقيقة أن الفرق كبير فالموشحات وسط بين القصید العمودی وبين نظام المقطعات المعاصرة .

وهي أيضاً معبّر سريع إلى العامية ، والقضاء على الفصحي لغة القرآن الكريم وإنما اليوم لبرى بعض الشعراء شعراً التفعيلة ينظامون تزهّم المشعور بالعامية لا بالفصحي وهذا أخطر وأشد لأنها حرب ضد الفصحي ولغة القرآن لا حرب ضد القصید العمودي . ولا أدل على ذلك من قول العسّيري نفسه حينما اعترض هذا المركب الوطني مما جعله يتورط في العامية والخطأ في الأعراب وهو استعمال عامي في التعبير يقول :

للقديس الخزيـن

عشرون عام

القدس في خطر

عشرون عام

ثم يقول :

عشرون عام

والقدس في القيـود

وعيشنا على الوعـود^(١)

كرر (عام) ثلاث مرات خطأ ، والصواب عشرون عاماً وهكذا يعترف العسّيري بهذا في شعره فيقول :

ومصير الشر أن يقتات أهله

فاعتراض المركب الوطني وهو شعر التفعيلة ، يؤدى في النهاية إلى جعل العامية والخطأ في التعبير وهجر الفصحي مذهبًا شعرياً حديثاً ، لا قدر الله تعالى :
« إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون » .

« وإنه لتزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عرف أمين » .

صدق الله العظيم

(١) الديوان : ٥٠/٥١

خامساً - شاعريته في ميزان النقد :

الشاعر أحمد عسيري يصور حياته بكل جزئياتها ، لأنّه يعبر عن ذات نفسه ، وبصور مشاعره الأئمة ، واحساساته الحرية في الحياة ليصوغ من شعره قصة حياة تمردت على القيم التقليدية الكلاسيكية متحرراً من قيودها ، فلا نجد في شعره تعددًا في موضوع القصيدة الواحدة ، بل الغرض فيها واحداً ، بل كان الديوان يصور غرضاً واحداً ، وهو حياة الشاعر فقط ، في وحدة عضوية وفنية ، تتلامس فيها الأفكار ، وتعانق المعانى في إيقاع حزين ، تشيعها موسيقى دامية ، تنفر مراة وأسى .

ولذلك يقول العسيري في إهداء الديوان :

إلى الإنسان الذي يشق طريقه بعاصمة .. !!⁽¹⁾

إلى كل إنسان ذاق مرارة الحرمان ، أو ضاع في متأهات الحياة .. !!

لأنّ الشعر الصادق هو الذي يكون صادقاً مع قائله ، وتحبره حية يعيشها صاحبه ، حتى يكون قطعة منه ، بل حياته كلها ، ليكون مثلاً أعلى ، ثمّوزجاً رفيعاً ، يتّجاذب مع الإنسان في أى موقع كان ، لأنّه للإنسان متجرداً عن الأرض والزمان .

هذا هو ما أقصده من عالمية الأدب وإنسانيه ، لا يعرف الحدود في الزمان والمكان في المجال البشري الانساني ، وليس هذا الاتجاه وهو (عالمية الأدب وإنسانيته) غريباً على أدبنا الإسلامي ، بل هو أصيل وجوهرى فيه ، لأنّ غاية الإسلام تحقيق عالمية الإنسانية بلا تفرق بين العرف والمعجمى ، ولا بين الشرق والغرب ، ولا بين الدول النامية والدول العظمى إلا بالمثل العليا ، والمبادئ العادلة المستقيمة ، والقيم الفاضلة المنصفة للإنسان في أى موقع كان ، وخلال الزمان والمكان ، مختلف الأجناس والأجيال لأنّ الإنسان كان ولا يزال هو الإنسان .

وحين فتح الشاعر الكبير محمد حسن عواد عينيه على ديوان أحمد عسيري وجد نفسه ، كما يقول (أمّا مّا شاعر شاب يستطيع هذا الوطن العربي ، وهذه اللغة الحالدة ، أن يعتزا به ، ولا مبالغة في هذا القول ، إنّك ستذهب لشاعر الحرمان والضياع ، يجسم لك هذه المعانى ، وينفتح فيها من روحه ، فتتوهّج في قوله من اللّفظ ، أعطيت قدرة الوصول إلى أعماق القارئ ، ورفعه إلى مستوى تلك المعانى الإنسانية الحالدة ، إلى قدرة الإيحاء ، ومدّ الظلّال ، ورققة الحيوة في الأفكار الفلسفية والاجتماعية .

(1) في متأهات الحياة : أحمد عسيري ، الهداء

وللشاعر فوق ذلك قدرة أخرى على صياغة تعابير ابداعية ، يخيل أنك تقرؤها لأول مرة
مثل :

وقيد الحق أوهى كل قيد رؤوف المس إن سقنا إليه
من قصيدة (العز) .

وقوله :

ومصير الشر أن يقتات أهله
من قصيدة (إل أعداني) .
ومنها أيضا :

وتنطق الأرض تمل سهـا^(١)

ثم مرة أخرى يشيد الشاعر الناقد محمد حسن عواد بأحمد العسيري فيقول :
(أهنيء أخي الفاضل الملائم أول الأستاذ أحمد على سعد العسيري بهذه الشاعرية
الحقيقة ، وأهنيء عسيرا كله سراته وعهاته ، بل أهنيء المملكة العربية السعودية كلها ، وأأمل
أن ينجب هذا البلد المعطاء كثيرا من شعراء هذا الطراز)^(٢) .

وتحترم العسيري في تجديده للقصيدة في أدب الجنوب يظهر في اتجاه الشاعر إلى لون واحد
من الشعر يصور فيها ذاته ووجوداته ، فتجد أغراضه الأدبية قد أخذت هذا الاتجاه من التحرر
وكل ذلك في معانبه وفي خياله ، وفي تصويره الأدبي وفي موسيقاه الشعرية حيث خرج على
القصيدة العمودية في القافية في القليل من قصائده مثل قصidته (العاصفة)^(٣) وإن كان هذا
التحرر محل نظر هنا وقد ذكرته في مكانه .

ومرت الأمثلة في كل ذلك ، توضح سمات التجديد في المعان والأغراض والخيال والصور
والموسيقى والقافية مما يجعله من شعراء مدرسة التحرر في التجديد .



(١) في متأهلات الحياة : أحمد العسيري المقدمة ١٢

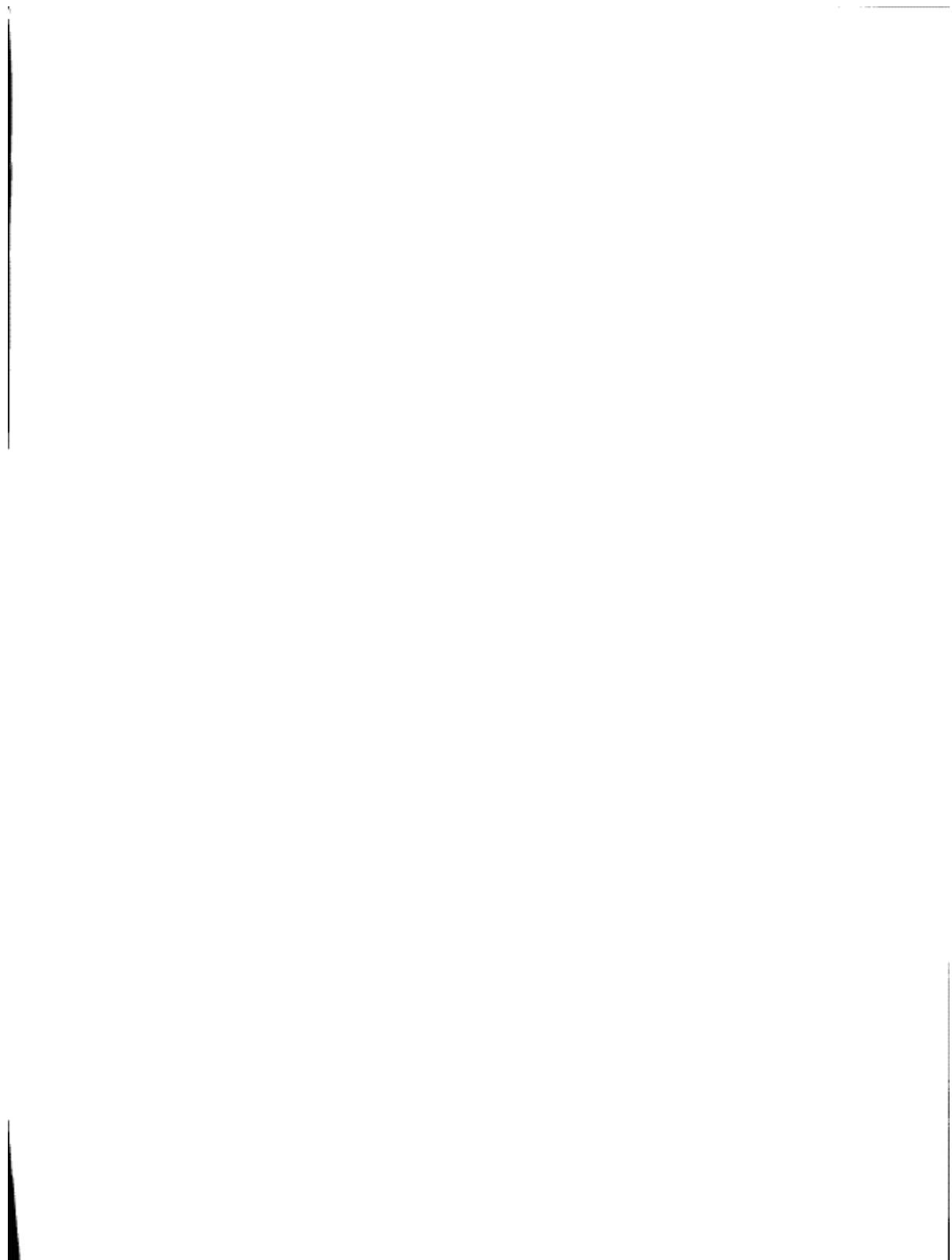
(٢) في متأهلات الحياة : أحمد العسيري المقدمة ١٣

(٣) الديوان : ٤٧

الفصل الثالث

الشاعر أَحْمَد بَهْكَلِي

- ١- نشأة الشاعر وحياته .
- ٢- الأغراض الأدبية في شعره .
- ٣- التصوير الشعري .
- ٤- بين الوجهات الناقدية والالتزام الموضوعي .
- ٥- الوحدة الفنية في شعره .
- ٦- التشخيص في التصوير الشعري .
- ٧- الخيال والصور الأدبية .
- ٨- الإيقاع والموسيقى .



نشأة الشاعر بهكل وحياته :

الشاعر أحمد بخيي بهكل هو الثاني في مدرسة التحرر في التجديد في الجنوب ، إمارة عسير ، ولد بمنطقة جيزان عام (١٣٧٤ هـ) ، ثم تنقل في مراحل التعليم بين جيزان وأبها والرياض حتى حصل على (ليسانس) كلية اللغة العربية من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٣٩٧ هـ .

وبعد تخرجه عمل مدرسا في معهد الرياض العلمي واستمر يواصل تعليمه في تحضير رسالة الماجستير^(١) .

وهو الآن يشارك في تحرير مجلة الفيصل الثقافية ، التي أصبحت الآن تؤدي دورا كبيرا في العالم العربي والاسلامي ، صدر له حتى الآن ديوانان كلا سبق وهما :

ديوان (الأرض .. والحب) .

وديوان (طيفان .. على نقطة الصفر) .

وسحر جيزان وأبها وتهامة كان له الأثر في هIAM الشاعر بالطبيعة الخلابة ، حتى غلت على شعره بصور مناطق الجنوب في الذهاب والإياب ، يصور جيزان مرة ، وبشه ثانية ، وفيها ثلاثة ، وأبها رابعة وغيرها وغيرها .

وكثيرا ما يدفعه الحنين وهو في الرياض إلى موطنها في الجنوب ، ليجدد شاعريته في منبع شاعريته .

وهذا بالإضافة إلى تعلمه إلى التحصيل والتعليم ولازال حتى الآن يعد نفسه للدراسات العليا حتى يحصل على الماجستير .. وللناس فيما يعشقون مذاهب .

(١) الأرض .. والحب : التقديم ، نادي جازان الأدبي ١٩٧٨/١٣٩٨

وصقل العقل ، وعهذيب الذوق الأدبي يحتاج إلى متابعة مستمرة ، ومداومة في الترويض والمتابعة ، وليس بعد الصحافة والاشغال بالتحرير في الجملات الأدبية والثقافية من دافع قوي متجدد في ترويض الذوق ، وصقل النفس وشحذ الذهن فالعمل في هذا المجال مليء بالحركة والحيوية والنشاط ولا ننسى أن النهضة الأدبية الرائدة في مصر كانت تتفجر من الجملات والمعارك الصحفية .

هذه هي العوامل التي فجرت ينابيع الشاعرية في نفس الشاعر أحمد بهكل وأصبح بديوانيه من رواد مدرسة التحرر في التجديد .



الأغراض الأدبية في شعره

أولاً — شعر الطبيعة :

هام بهكلى بالطبيعة الفاتنة في الجنوب ، وأخذت من شعره منزلة رفيعة ، حتى سيطرت على ديوانه الأول (الأرض .. والحب) ، فضم قصيدة (السحر يلد أنها ص ٧ ، ٩) وقصيدة (القيد الجميلة ص ١١ ، ١٤) ، وقصيدة (نجوى .. على بعد ص ١٥ ، ١٨) ، وقصيدة (يا منتدى التكريات ص ١٩ ، ٢١) ، وقصيدة (بوج ص ٢٢) ، وقصيدة (عفوا .. أنها ص ٣٣ ، ٢٣) ، وقصيدة (الأرض والحب ص ٣١ ، ٣٣) وغيرها .

أما ديوانه (طيفان .. على نقطة الصفر) فاشتمل على قصيدة واحدة في شعر الطبيعة وهي (إلى أنها ص ١٣٠ ، ١٣٢) وهذه القصائد أنشدها الشاعر في الطبيعة ابتداء ، لأنه يصور الطبيعة غرضاً مستقلاً ، أما شعر الوجدان ، والشعر الإسلامي ، فقد مرج هذين الغرضين بالطبيعة ، وتجاوالت مع وجданه وجهه كما سرى ذلك في موضعه ، ولذلك لم تكن الطبيعة مقصودة ابتداء في هذين الغرضين ، وإنما تسللت فيما تبعها هياكل الشاعر بها ، فظللت من حين لآخر تطل ، لتعبر عن وجданه وتأملاته وجهه وهيامه .

وتشير سمات التجديد في شعر الطبيعة عند بهكلى من الهروب إليها ، والتباون مع مظاهرها ، والتغنى بجمالها الآسر وسحرها الساحر ، تعويضاً له عما فقده من الحرمان ، وما يحس به من آلام وأهانات وأحزان كالشأن في الشعراء الذين هاموا بالطبيعة في العصر الحديث .

ولذلك كان بهكلى متورراً في تجديده هو والشاعر أحمد عسري ، لكن الأول غالب على شعره هيامه بالطبيعة والعسري غالب على فنه الأدبي المرأة والشكوى والحزن والألم ، مع التعدد في الأغراض الأدبية عند الشاعرين في هذه المدرسة التي احتضنت مذهب التحرر في التجديد .

وبهكلى طائر معدب ، كلما لاح له الأمل ، غمره سلطان الدجى ، ليكون لهذا الأمل الذاهب بريد « الاهداء » في ديوانه :

إلى التي لازلت أحيا على مأمل لقياها .. وما أحسب
قضيت عمراً أجتل غمة لم يدل في أفقها كوكب
وحينما أجهد ركبى السُّرى واتهار تخى الحيز المركب

أبصرت لها .. قلت ذا مأمل
واشتند مني المهرق الشعب
ورحت أعنو مسرعا .. فانطفأ
ذاك السنـا واحتضر المطلب
وعاد سلطـان الدجـى يعـتلـى
عرشا بنـاه برقـها الخلـب
يرجوك يا نـارـى وـما جـتنـى
ترنيـمى الفـاضـلـ والمـذـنبـ^(١)
ويبحث بهـكلـ عن بـريـدـه فيـجـدهـ فيـ السـحـرـ ، لـيسـ الجـردـ ، بلـ الجـسـمـ فيـ أـبـهاـ ، عـروسـ
الـجـنـوبـ ، يـقولـ فيـ فـصـيـدـتـهـ : (السـحـرـ يـلدـ أـبـهاـ)

صـبـوتـ وأـضـحـىـ هـائـماـ مـغـرـماـ قـلـىـ
أـسـيرـ هـواـهـ ماـ أحـيـلـهـ أـسـهـاـ
وـبـاـ جـمـالـ قدـ حـوـيـتـ اـسـتـالـتـىـ
حـيـثـكـ حـباـ فـوقـ جـهـدـيـ وـطـاقـتـىـ
أـبـياـ ذـوبـ اـحـسـاسـ رـفـقـ وـماـ مـدىـ
إـذـاـ كـانـ فـيـ مـغـنىـ (الـيـمانـيـةـ) اـشـعـىـ
وـتـحـتـ ظـلـلـ الـأـيـكـ فـ «ـ السـوـدـةـ » الـخـبـلـ
وـأـيـدـيـ النـسـيمـ الغـضـ تـهـصـرـ غـادـةـ
وـكـمـ فـيـ شـفـاـ «ـ الـقـرـعـاءـ » سـرـحـ نـاظـرـىـ
كـانـ لـكـفـ السـحـرـ تـمـرـيـرـةـ عـلـىـ
تـلـمـسـ أـبـغـيـ دـارـةـ الـحـسـنـ فـ الـدـنـاـ
وـطـفتـ أـرـوـدـ الـمـرـعـ الخـصـبـ لـلـهـوـيـ
طـرـقـتـ عـلـىـ بـابـ الـجـمـالـ يـفـكـرـتـ
فـالـيـمـانـيـةـ وـالـنـصـبـ ، وـظـلـلـ الـأـيـكـ فـ السـوـدـةـ ، وـالـعـرـعـرـ الـمـزـدـانـ وـالـقـرـعـاءـ ، وـالـعـيـونـ
الـجـارـيـاتـ ، كـلـهـاـ موـاطـنـ فـ أـبـهاـ السـاحـرـةـ تـمـكـنـتـ مـنـ سـوـيـدـاءـ قـلـبـهـ ، وـأـصـبـحـتـ لـاـ تـفـارـقـهـ أـبـهاـ سـارـ
وـحـيـثـاـ حلـ .

وـلـاـ يـظـنـ الـقـارـيـ أـنـ الشـاعـرـ حـقـقـ أـمـلـهـ حـيـنـاـ وـجـدـهـ فـ أـبـهاـ السـاحـرـةـ الجـمـيلـةـ ، لـكـهـ خـابـ
أـمـلـهـ ، وـمـنـ الـعـجـبـ أـنـ تـاهـ عـنـ أـمـلـهـ وـضـلـ الـطـرـيقـ فـ «ـ الـقـيـودـ الـجـمـيلـةـ » :
أـنـاـ فـيـكـ يـأـبـهاـ عـلـيـلـ شـاكـسـىـ هـلـ تـرـحـمـينـ مـتـيمـاـ بـهـوـكـ

(١) الأرض .. والحب : أحمد بهكل ص ٣

(٢) الأرض .. والحب : ٩/٧

وسموت حتى نوت عن ادراك
أدرك تتبهين لي أدرك؟
سودا الفؤاد فكيف لي أنساك؟
هومته؟ كم مغرم ناجاك؟
تسداح مسبحة بشر صباك
البابا من ذا الذي أفكاك؟
إن نحن رحنا في الهوى سكراك
فريما قمنا وصارعنكاك
ن ثم دعوتنا مغرورة للفراك
أو سيف لحظ صارم فراك
بزهورك النشوى ومن رياك
يشتد ملئاعا للثم ثراك
جا فلطما أكمى أسراك
وأعزر شيء في النوى ذكراك^(١)

صبرت حتى في هواك مقيدا
أواه من حب يخطم أضلعي
حاولت أن أنساك لكن أنت في
أبها الجميلة خبرى كم عاقل
أحباك إلهااما ووحي مشاعر
ستأنسني بدون أي جريمة
لو كنت خمرا كان عنديك واضح
أو كنت بحرا هائجا متلاطما
لكن حدثت لنا جيوش الحب
أما السلاح فناء قد فارع
أو درع طود شاغر متوضع
أو خيل شلال غدا متدافقا
واقتنينا أسرى وقد كيتنَا
رؤياك في قربى أدق مؤمل

ثم يوح لآيا يأحزانه والآله في قصيدة (زج) :

أهلاً .. ويفرح كل منكوب
وتجذبته فرآيت تقريري
آخر زن ملأساق وتعذيبه^(٢)

أهلا .. وكل الكون أيعانني
وحضنني وأنا الشريم فلم

تنابجي معه مظاهر الطبيعة في الجنوب ، ويعاطف الشاعر مع ريوغها وبليانها ، ومتارها ودورها ، وجاتها وسهولها ، وتأريخها ومجدها وخمارها ووديانها ، وطيورها وأشجارها ، وريعها وليلها ، وذلك في قصيده (الأرض والحب) منها :

بعيني غريب هام عن رعيه دهرا
وأخلق اعجاني بما احتضنت شعرا
منازلها الفيحاء أو زرعها النضرا
برود صبا تستأسن اللب والفكرا
رعنى عمرا بات من أعدب الذكري

أنا فيك يا جازان فلتذهب الرؤى
أنا فيك في «فيفاء» أناجي جناتها
وأنساب في أنهار (بيش) مغنيا
وتشحنني (صبيا) ولازلت في الصبا
وأغرق روحي في هوی (ضمد) التي

١٤/١١ المرجع السابق :

١٦) الأرض .. والحب :

بروحى تلك الأرض من أثليا إلى
على أنني ضيعت حبى في (أني
كأن لياليها سواحل بابل
كما عانقت السارع والحمد والفكرا^(١))
و مع هذا الحيام بالأرض ، والحب للطبيعة ، التي هرب إليها عاشقاً لجمالها ، والماء في
سحرها ، الذي يصور مراته ، وهذا الحب بعيد عنه محروم منه مادام بعيداً عن الطبيعة التي
تمكنت من قلبه حباً وهياماً وعشقاً .

ثانياً - الشعر الوجداني والتأمل :

جاء هذا الغرض الأدبي في شعر بهكل ، في ديوانيه ، أما قصائده في ديوانه الأول
(الأرض .. والحب) منها قصيدة (سوق ص ٣٩ ، ٤١) في عام ١٣٩٢ هـ أبها ، وقصيدة
(أحبك ص ٤٣ ، ٤٧) في عام ١٣٩٤ هـ أبها ، وقصيدة (رسالة ص ٤٩ ، ٥٠) في أبها
عام ١٣٩٤ هـ ، ومقطوعة (الموى أعدار ص ٤٢) في أبها ١٣٩٣ هـ ، وقصيدة (عندما
يطول السفر ص ٥١ ، ٥٥) في أبها عام ١٣٩٤ هـ ، (ورباعية ص ٦٠) في الرياض
١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (محب ص ٦١ ، ٦٢) ، وقصيدة (بعيدون عنى ص ٦٣ ، ٦٥) في
الرياض ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (الحسن الأسر ص ٦٦ ، ٦٨) في أبها ١٣٩٤ هـ ، وقصيدة
(العذابان ص ٦٩ ، ٧٠) في أبها عام ١٣٩٤ هـ ، وكذلك (رباعية ص ٧١) في الرياض
١٣٩٥ هـ ، وقصيدة (الرحيل .. بلا وداع ص ٧٣ ، ٧٥) في أبها ١٣٩٥ هـ ، وقصيدة
(هروجة خريفية ص ٧٧ ، ٨٠) في أبها ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (غفوة .. ورؤيا
ص ٨١ ، ٨٢) في الرياض ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (كتابة على ضريح العشق
ص ٨٣ ، ٨٤) في الرياض ١٣٩٧ هـ .

أما الوجدان والتأمل في ديوان الثاني (طيفان .. على نقطة الصفر) فيضم قصيدة
(أبيات .. لأني ص ٧ ، ١٠) ، وقصيدة (لهذا الحزين ص ٥١ ، ٥٢) في أبها
١٣٩٤ هـ ، وقصيدة (الركض .. إلى الخلف ص ٥٣ ، ٥٥) في أني عريش ١٣٩٦ هـ ،
وقصيدة (مجنون ص ٥٦ ، ٥٨) في الرياض ١٣٩٥ هـ ، وقصيدة (الرحلة الطويلة
ص ٥٩ ، ٦١) في جدة ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (حينما يزمن الحزن ص ٦٢ ، ٦٤) في
الرياض ١٣٩٦ هـ ، وقصيدة (العراف الكاذبة ص ٦٥ ، ٦٦) في جيزان ١٣٩٧ هـ ،
وقصيدة (مني .. وقلوب ص ٦٧ ، ٧٠) في الرياض ١٣٩٨ هـ ، وقصيدة (خلود الحب

(١) الأرض .. والحب : ٣٦/٣١

ص ١٠٥، ١٠٦) في أبها ١٣٩٥ هـ، وقصيدة (أحل نهایة ص ١٠٧، ١١٠) في الرياض ١٣٩٤ هـ، وقصيدة (كل الفصول ص ١١١، ١١٣) في الرياض ١٣٩٦ هـ، وقصيدة (أتباع حزنا ص ١١٤، ١١٦) في الرياض ١٣٩٩ هـ، وقصيدة (رزق ١١٧، ١١٨) في الرياض ١٣٩٩ هـ، وقصيدة (السر العجيب ص ١٢٢، ١٢٦) في الرياض ١٣٩٥ هـ، ومقطوعة (هل الحب أعمى !؟ ص ١٢٧) في أبها ١٣٩٧ هـ، وقصيدة (الدمع الطهور ص ١٢٨، ١٢٩) في الرياض ١٣٩٨ هـ.

وشعر الوجдан والتأمل عند بهكل يتميز بالخصائص الفنية لهذا الغرض عند الشعرا
الابتداعيين المجددين ، مثل الغوص في أعماق الذات ، والتأمل في جوانب النفس المختلفة ،
وتصوير أحاسيسها العميقية ، ومشاعرها الرقيقة ، وذلك في تجربة شعرية صادقة ، تشفّف عما
يُشعر به من ألم الحرمان ، وما تعتصره من آهات وألام ، وما يسيطر عليه من الكآبة والحزن ،
وأنه مهما قطع شوطاً في تحقيق آلامه ، فإنه يجد نفسه أمام السراب الخادع يحسبه الظمان ماء ،
حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً ، وهكذا فيعود ليصور آلام فقد ولوغة الأمي والحرمان ومرة اهزعة
والقنوط .

هذا من حيث ظاهر التصوير الأدبي في شعره ، أما من حيث الواقع ، فإن معاناة التجربة الشعرية هو في ذاته تحقيق هدف يومه الشاعر ، وهو التتفيس عما يعانيه . وذلك حيناً يتصور تجربته في قصيدة ، فهني تشکل بناء فنياً خارجياً تجده فيه الشاعر سلواناً وعزاءً ، وأنساً وامتناعاً ، يصرفه كل ذلك عن معاناة التجربة ، لأنها صارت عملاً فنياً خارجياً ، وقد كانت قبل أن تخرج تلتئب في وجوداته ألمًا ومارقة .

وبذلك يجد الشاعر الغاية في القصيدة الضالة ، التي كان يبحث عن تجربتها داخل نفسه ، ويتذرع في سبيلها الأسى واليأس ، الذي يعتصر أغوار ذاته ، وبهذا العمل الفني يحقق الغاية التي كان الوجдан يزف بها ، حين كان العمل الفني تجربة ذاتية ، تؤجج جواب النفس ، قبل أن تخرج إلى حيز الوجود الخارجي .

وهذا ما عاناه الشاعر بهكلى في القصائد السابقة لهذا الغرض ومتى نقص على بعض الأمثلة ، التي تتجسد فيها الخصائص الفنية السابقة لمدرسة التحرر في التجديد ، تدل على ما لم نذكره من بقية القصائد ، يقول الشاعر في قصيدة (أحيلك) مطلعها :

أمين وجهت قلبى لك مغدى ومراخ
أنت فيه النور .. كالنور ويعذبه الصباخ
أنت فيه النفح .. كالنفح ترجيه الأفاح
يا جمالا ملهم التكرين معدهم السماح

أَفْصَحِي يَا طَفْلَتِي عَمَّا تَعْطِي فِي فَوَادِكَ
إِنِّي مَا عَدْتُ ذَا صَبَرَ عَلَى طَولِ بَعْدَكَ
أَرْسَلَ فِي بَقْعَةِ الصَّمَتِ أَصْبَلَا مِنْ جِيَادِكَ
وَدَعَيْهِ يَفْهَمُ الصَّبَرَ الْمُغَنِّي بِرَادِكَ

★ ★ *

وَأَنَا إِنْ رَحْتُ أَشْكُو أَوْبَثَ الْوَجْدَ جَبَا
فَلَقِدَ الْآيَتُ أَنِّي لَنْ أَصْبَرَ الدَّمْعَ صَبَا
وَلَوْ أَنِّي صَرَتْ فِي حَبِّيْكَ يَا حَسَنَاءَ صَبَا
فَالْعَصِيفُ الْفَدَمُ مِنْ عَاشَ الْمُوْيِ دَمْعَا وَنَدِيَا

★ ★ *

ضَحْجَةُ الْعَمَرِ الشَّابُ الْحَىٰ حَتَّىٰ يَتَصَرَّمَ
إِذَا وَلَىٰ فَقَدْ وَلَتْ مِنِّي السَّعْدُ الْمَكْرَمَ
وَيَقْسِىٰ فِي يَأْسِهِ الْمُرْءُ كَيْيَا يَبْرِيمَ
يَنْدِبُ الْأَنْسُ الَّذِي كَانَ حَلَالًا يَتَحَرَّمَ

★ ★ *

إِيه .. يَا «....» يَا آهَةَ تَعْدُو وَيَنْدِهَ
فِي ضَلَوْعِي .. يَا مَتَاهَاتِ مَسَافَاتِ الْمَدِيدَهِ
لَمْ تَزُلْ عَنِّي حَكَائِيَاتِ وَأَفْكَارِ جَدِيدَهِ
سَوْفَ أَحْكُمُهَا لِنَفْسِي حِينَ تَضَعِي بَعِيدَهِ^(١)

صورة شعرية تعبر عن حرارة الوجودان ولوحة الحرمان ، ومرارة البعد ، وألم الفراق ، في خيالات عجيبة ، وصور أدبية بدئعة فقلبه مغمدي ومراح ، تملأه بنورها المستمد من نور الصباح وتتركه برائحتها الفواحة ، ينبعى أن تتجاوب معه فنبادله وتفصح عما استcken في قلبه ، لأن الصبر قد نفد ، فأصبح ييث الوجود حبا ، ويصب الدمع صبا ، ويندب حياته ندبا ، لأن زهرة الشباب قد تصرم فأضاحى كييما يبريم ، لأن ما كان حلالا له قد تحرم ، وبعد اليأس أخذ يردد لنفسه حكايات وأنكارا جديدة ، يتسلل بها بعد أن فقد الأمل وصارت عنه بعيدة .

(١) الأرض .. والحب : ٤٢/٤٧

هذه هي خصائص الشعر الوجданى يتمدد الشاعر في داخله يث أحزانه وألامه ، ويشكوا حرمانه ، ويبكي شبابه ، وينعى حبه الذاهب ، وأمله الخائب في تصوير أدى بتفطر ألمًا ودمًا .

ومن خصائص شعر الوجدان عند بهكل أن القصيدة عنده قامت على غرض واحد من مطلعها حتى نهاية القصيدة بلا تعدد أو خروج عن موضوعها ومن هنا تحقق فيها الوحدة الموضوعية والوحدة الفنية .

ومن خصائص هذا الغرض التحرر في التجديد ، فتحرر الشاعر من عمودية الموسيقى ، فتعددت القوافي فيها ، وقامت على نظام المقطوعات ، لكل مقطعة قافية تختلف عن الأخرى مع اتحاد الوزن والبحر العروضي . وفي هذا ثورة على العمود الشعري ، فلا يتزمن الشاعر بما التزم به الشعراء القدامى ، ومن سار على نهجهم من المحدثين (الكلاسيكين) وما التزم به الشاعر هو الوزن ، والتغنى بذاته ، فمنافذ الأدراك عنده أدارها الشاعر عن الخارج لتفتش في ذاته وداخل نفسه ، غير خاضعة لمفاسيس خارجة عن ذات الشاعر .

وعندما تأتي القصيدة عنده متحدة الوزن والقافية ، لا يكون ذلك التزاماً لمنهج القدماء في القالب الموسيقى عندهم ولكن ذلك دليل وكشف عن حرفيته المطلقة من الحركة من شكل إلى آخر بارادته ، وتجاوياً مع رغبات ذاته ، التي لا تلتزم بالرتابة قهراً لاتباع السابقين . لذلك نجد بهكل يقول القصيدة ذات الغرض الواحد على بحر واحد وقافية موحدة أيضاً ،

كما في قصيده (رسالة) ومطلعها :^(١)

أحـبـكـ لـاـشـيءـ غـيرـ أـنـ
إـسـارـاـ مـالـكـ فـكـرـيـ وـظـنـيـ
فـأـتـ عـرـوـسـ شـعـرـ حـينـ أـشـدـوـ
أـحـبـكـ دـونـ أـنـ أـدـرـىـ مـاـذاـ؟ـ
كـأـنـ لـمـ أـكـنـ إـلـاـ لـأـخـنـىـ
غـرامـيـ لـمـ يـزـلـ جـدـعاـ فـتـيـاـ
وـلـسـتـ أـرـىـ بـأـنـ هـنـاكـ شـيـئـاـ
وـهـبـتـكـ لـىـ بـأـنـ يـدـنـيـكـ مـنـىـ

(١) الأرض .. والحب : ٤٩/٥٠

وما أعطيتني إلا وعدوا
سوى أنى أدين وسوف أبقى
أدين بأن حسنك أصل فنى
وقد شوق إليك يزيد دوما
كأشواق العقيم إلى التبني
فأنت عروس شعرى حين أشدو وأنقام الصباية إذ أغنى

فاض وجدان الشاعر بالحب والوداد ، لكنه لم ير من محبوبه إلا الوعود الجوفاء ، بلا
وصل ، فيغتلى القواد أسى ومرة ، ومع هذا فالشاعر يجد فيها عوضا عن فقدان والحرمان ،
فهي التي فجرت شاعريته بهذه الرسالة ، فتشكلت في عمل فني بعد أن كانت بدأ وحيرة في
نفسه ووجوداته ، فصارت عروس شعره وأنقام وجده ، وأوتار حبه ، يجد فيها أمله حين يغنى
بشعره وإن كانت محبوبته بذاتها وهيكلها بعيدة .. بعيدة عنه .. كل البعد .

هذا هو جوهر التحرر في التجديد عند الشاعر ، فحينما تتفجر شاعريته في تصوير
ما يحب ، لا يتضمنه أكثر من أن تظهر ذاتية الشاعر في فنه الأدبي ، والتغنى بذاته ووجوداته
وحدهما ، لأنه لا يرى ولا يملك غيرهما .

والذات البشرية إذا تمددت في داخلها ستتجدد اليأس والقنوط ، والمرارة والألم والحرمان ،
وغيرها من أصول المروب عن الحياة والناس . أما إذا تجاوالت الذات مع غيرها ، وخرجت من
اسارها وسجناها الداخلي ، إلى العطاء الاجتماعي ، تغرب عنها الوحدة والألى ، وتتحسر المرارة
والحرمان ، وهكذا يستمر بهكل في آلامه وحزنه حتى يزمن الحزن (حينما يزمن الحزن) يقول :

لا تقول قضى الحزن وحل السعد إذ لاح على الأفق لقانا
لا تقول ثمت الفرحة لا .. لا تحسبى حقاً أباطيل رؤانا
خدعنة هدى فلا يخدلك ماصير دنيانا خداعاً وامتهاناً
حاضرى من طيبة الظن فما عاد ثلثى في مجالينا مكاناً
مزمون حزنى باقى سهد عينى وفي حبيك ضيئت الأمان
رغم لقائك فلا زلت حينما يفرض النوى على فكرى خوانا
يا انفاس الألق المزهو في عينين ترفضان سحراً وحناناً
والتسوّل من مآسينا أقضت مضاجع السالف من حلو منانا
وانسلال اللحظات اللائي عشنا سعدنا قد بات يسئل شجانا
تارة يسفحنا .. يغرس الحشا منا وطروا ينشر الدمع جهاناً
واثبال الذكريات الممرع الرائع اهتزازاً يحتوى منا الكيانا

إيه يا بيداء دنيانا قطعنـا ك وـلم تـسرج — عـلـيـ الـبـعـد — حـصـانـا
لم تـكـنـ غـيرـ ثـوابـهـ رـكـضـ الـدـهـرـ بـناـ فـيـهاـ .. فـلـمـ نـدـركـ خـطـاتـاـ^(١)

ومظاهر التحرر في التجديد هنا ظاهرة ، على الرغم من أن الشاعر التقى هنا بمحبوته ،
فكان ينبغي أن يترك هذا اللقاء في نفسه ما يطفئ نار الحوى ، ويروي ظمآن الحب ، ويروح
نائم الشوق فلا يبقى في النفس لوعة وأسى ، ولا يترك في الوجدان هبها عاصفا ، فيطوى آلام
الماضى ، ويندد سهد الليالي ، وتشرق الحياة الباسمة ، ويعطر الوجود بالأمل العذب ، ويسجع منه
حال الوصول ، وأسباب الأمانى ، التي تغيب به في جنات الحبين الوارفة الظلال ، فتفتح فيها
الأزهار ، وتتفوح أجواؤها بالعطور ، وتنجاوب مع الأنعام الشجنة ، التي تعرفها مناقير الطيور ،
لترفف بالسعادة والحب والأمل في جنات الخلد .

لكن الشاعر بدأ جمال هذا اللقاء بحزنه المزير ، وألامه المزيرة ، فهو ينكر عليها أن الحزن
قد ول وذهب ، ولا يرى أن السعد قد لفهمها بالأفق ، وأصبحت هي كذلك باطلًا وخداعا ،
فذهبت الحقيقة ، وتبدد الأمن ، وعلى الرغم من اللقاء فلا زالت بعيدة عنه ، يكتوى بالآم بعد
والحرمان ، التي ثوت في صدره ، واستبدلت بعقله وقلبه ، وألهبت مضجعه ، وفجرت الدموع
كحبات الفضة مما يدل على أن شعر الوجدان حتى مع الوصول فالشاعر يظل في حرمانه
وشكواه وبث أشجانه وألامه ، وهذا ما يمتاز به هذا الغرض الأدبي .

يقول بهكل في قصيدة (خلود الحب) :

أتبقى أمساك لقانا شارا ولـيلـ الـبـاعـدـ يـتلـوـ الـهـارـاـ
كـأنـ مـقـادـيرـنـاـ أـنـ نـرـىـ
ماـسـيـناـ تـخـوـيـناـ جـهـارـاـ
ولـكـنـ لـمـاـ الـهـرـوبـ وـلـماـ
نـنـلـ بـعـدـ شـيـاـ يـرـيـلـ الـأـورـاـ
أـلـبـسـ الـهـرـوبـ اـنـهـرـاماـ وـفـيـاـ
إـطـاقـةـ جـعـلـ الـبـقـاءـ اـنـصـارـاـ
أـمـاـ قـلـتـ إـنـكـ شـوقـ عـظـيمـ
إـلـىـ فـلاـ تـقـدـرـيـنـ اـصـطـبـارـاـ
أـمـاـ قـلـتـ إـنـ حـيـاتـكـ ؟ـ يـاـ مـنـ
نـبـدـتـ حـيـاتـكـ عنـكـ جـهـارـاـ
لـمـاـ؟ـ وـأـرـفـقـعـ صـوـقـ لـمـاـ؟ـ
وـلـوـ عـادـ رـجـعـ صـدـاهـ اـنـكـسـارـاـ
وـإـنـكـ حـلـمـىـ روـأـهـ وـيـسـبـاـ^(١)

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ٦٤/٦٢ — رغم لقبك : خطأ عامي في لغتنا الفصيحة والفصيح أن
نقول : على الرغم من لقبك ، ولقطع على الرغم ذاته ليس لفظاً شعرياً ، لأن للشعر ألفاظه التي لا تتوحي
بالتعليل والتدليل .

(٢) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٠٥/١٠٦

ثالثاً - الشعر الإسلامي :

خلا ديوانه الأول (الأرض والحب) من الشعر الاسلامي بينما ضم ديوانه الثاني (طيفان .. على نقطة الصفر) هذا الغرض ، بل عنوان الديوان إنما هو عنوان لموضوع قصيدة اسلامية والشعر الاسلامي عند بهكل يشمل قصيدة (غسل الملائكة ص ١٤ ، ٢٥) ، وقصيدة (عبرات على حد الدعوة الاسلامية ص ٣٣ ، ٤٢) ، وقصيدة (أنشودة الفارس القادم ص ٣٢ ، ٢٦) ، وقصيدة (طيفان ص ٤٣ ، ٤٨) ، وقصيدة (من خالد بن الوليد ص ٩٣ ، ٩٧) ، وقصيدة (إلى سيد قطب ص ٩٨ ، ١٠٢) ، (وتحمسية ص ١٢١) .

والقصة الشعرية (غسل الملائكة) تقوم على حدث قصصي يبدأ حينما أذن المنادى للجهاد في سبيل الله في غزوة أحد ، ويللي النساء الصحابي الجليل حنظلة بن أبي عامر ليلة دخوله على عروسه ويخرج إلى الجهاد وهو جنب لم يغسل ، ثم يقتله الأسود بن شعوب وحنظلة يحاول قتل أبي سفيان ، وإذا برسول الله عليه السلام يرى الملائكة وهي تغسله ، فأنزل إلى أهله فأخبروه بخبره ، يقول الشاعر في هذه الأقصوصة الشعرية :

عٰت خطاه كا فؤاد الجيـان
، بـطعنـ لـكـالـ الفـعلـ جـانـ
تدقـ السـماءـ فـيـ رـضـوانـ
أـطـفـائـهـ مـنـ الـرـدـىـ رـيحـانـ
لـاـينـ حـربـ مجـنـدـلـ الفـرسـانـ؟
قـوـمـهـ لـلـرـسـولـ وـالـكـلـ حـانـ
بـقـتـيلـ وـأـمـسـكـ بـأـوـانـ
نـ سـوـىـ حـنـظـلـ فـتـيـانـ
الـقـومـ جـوابـ سـماـ عنـ الـأـذـهـانـ
نكـ عنـ عـزـمـ الـأـكـيدـ الشـوـافـ
فـبـذـاـ يـوـمـ دـخـلـةـ لـلـجـانـ
الـاخـرـاقـ الـسـرـضـيـ لـلـإـنـسانـ
عـاـشـ فـيـنـ أـبـوـكـ طـوـلـ الزـمانـ
لـمـ يـطـقـ بـعـدـ نـجـلـ حـنـظـلـ ثـانـ⁽¹⁾

الغرض من هذه الأقصوصة الشعرية موضوع إسلامي ، ومثل هذا الاتجاه لا يجيده شعراء التحرر في التجديد ، الذين يعبرون عن ذاهم ، ويفتشون عن أنفسهم ، وهم قابعون في برجهم العاجي .

لذلك لم ينصرف الشاعر هنا في بوتقة المعركة ، ليصورها بحرارة وصدق عاطفة ، فاضطررت التجربة الشعرية عنده ، ولم تكن عميقـة تستقصـي جـزـئـاتـ الـأـحـدـاثـ بـدـقـةـ وـوـاقـعـةـ ، واضطر الشاعر أن ينصرف عن الأحداث إلى الاهتمام بتصوير الطبيعة فستجيب مظاهرها مع موضوع القصة ، فالنجم تستغرق الليل ولا أدرى ماذا يقصد الشاعر من هذا الاستفار؟ والرياح تموي ، وثار الحباء مجتني العروسين ، وجذوع النخل راهنت الليل . ولا أدرى لهذا معنى؟ ، والفجر يشتد في عنقه ، والليل طريد الرحيل ، لا يتناسب مع الندى يغسل الأزاهير ، ولا مع الأطياف التي تشدو بالألحان ، والفجر يرقص ، وأحد تغنى بسلام الجمـانـ ، وغيـرـهـ من مظاهر الطبيـعـةـ ، التي لم يحسنـ الشـاعـرـ تـطـيـعـهـ ، واستـخـدامـهـ بـمـاـ يـنـسـابـ مـعـ الـوقـارـ فيـ الـمـوـضـعـ ، وهـيـ المـوـقـفـ ، فـلاـ يـصـحـ لـلـفـجرـ أـنـ يـرـقـصـ ، وـلـاـ لـلـطـيـرـ أـنـ تـشـدـوـ وـتـغـنـيـ حـينـ التـقـيـ الجـمـانـ .

(1) طيبان .. على نقطة الصفر : ٢٥/١٤

وما يدل أيضا على اضطراب التجربة ، وقلق التصوير الأدبي ، مثل اضطراب كلمة (كما) وعامتها فليست لفظا شعريا لأن للشعر أدواته الخاصة ، وذلك في قوله : (وارتاعت خطاه كما فؤاد الجبان) مما أحدث قلقا في موسيقى البيت وشذاجة في التصوير الأدبي .

ومثل صورة تسابيح الدم الزكي تدق السماء . إنها تفتح لها أبواب السماء ، ولا تدقها ، لما فيه من معنى العنف والقهر .

ومثل صورة (أرى الملائكة حفت بقتل ، وصورة (إنها تغسل القتيل) ، وما هو بقتيل ! بل هو شهيد وأي شهيد والوزن واحد ، لم يضطرب .

وكذلك صورة : (نم قريرا .. فأنت مازلت رمز الاحتراق الرضي) تناقض في التصوير الأدبي ، كيف ينام قرير العين وهو رمز الاحتراق الرضي .

وفي كل هذا الدلالة على أن الشاعر متتحرر في تجديده من القيود الموضوعية ، التي تناسب مع أحاديث القصة الشعرية فيعتسف طرقا آخر يعبر فيه عن ذاته لا عن موضوع القصة وأحداثها ألا وهو المروي إلى الطبيعة ، بدون مبالغة لواقعية الأحداث ونمومها ، ثم التحرر أيضا من الواقعية الموضوعية إلى الانطلاق في ذات الشاعر ، والتغنى بها من خلال مظاهر الطبيعة ، مما أوقع الشاعر في اضطراب التجربة الشعرية وقلق التصوير لها والتناقض بين أجزائها ، وعدم انسجامها مع الغرض من القصيدة .

والشاعر نفسه يعترف بهذه الحقيقة ، فيقول عن شعره في ديوانه (طيفان على نقطة الصفر) : نلاحظ أن التناول لم يكن منصبا على سرد التفاصيل الحديثة ، بقدر ما يصف الآخر النفسي أو الانعكاسات الشرطية ، كما يسميها بذلك تلاميذ الغزالي ، وباقلوف .. إنني لا أميل كثيرا إلى الموضوعية في الشعر ، فكلما كان الشعر موضوعيا كان بسيطا ، وكلما كان بسيطا فقد هيئته وفاعليته كداعية إلى التخييل والتفكير)⁽¹⁾ .

وليس هذا القول صحيحا إلا من جانب واحد فقط وهو أن الشاعر متتحرر ينشد ذاته فقط ، ولا يحسن تصوير الأحداث في الشعر الموضوعي ، ومن يذكر شاعرية شوق في مسرحياته ، وروعة التصوير فيها⁽²⁾ فالتحرر عند بهكل جعله لا يجيد تصوير شعر الموضوعات ، والتي تقوم على نحو الأحداث وسحر تصويرها .

والذى يؤكد وجهة نظرى هذه ، هو ما أحس به بهكل نفسه حينا حاول أن يأخذ

(1) طيفان على نقطة الصفر : المقدمة

(2) مثل مسرحية مجرون ليل ، على بك الكبير ، العباسة وغيرها .

اتجاهها جديداً في ديوانه الثاني ، وهو تعدد الموضوعات ، والخروج من إطار الذاتية التي سيطرت على ديوانه الأول ، وهذا التحول كان بناء على رغبة القراء كما يقول ، وأعلن عن خوفه من الاتجاه الجديد ، وعنى لا تخيل الموضوعية الجديدة بالقيمة الفنية لمحني القصيدة وهذا الرجاء جاء بقصيدتين طويلتين ، وهى قصيدة (غسل الملائكة) وقصيدة (ذهول الحس) يقول بهكلى :

« إنى أعلم جيداً أن القراء لا يسترون من حيث الميل والتزرات ، ولا من حيث التمحى الفكرى لهذا آثرت تنوع موضوعات هذه الجموعة بشكل أرجو ألا يكون مخلاً بالقيمة الفنية لمحواها ، ومع أنى لاأشك إطلاقاً في الإيجاز الذى اعتمده هنا ، وفيما مضى ، وسأعتمد مستقبلاً بمشيئة الله ، مع ذلك فقد وردت بعض القصائد الطوال كقصيدة (غسل الملائكة) وقصيدة (ذهول الحس) (مثلاً ..)^(١) »

والحدث عن الموضوعية في شعر بهكلى لا يغضن من شاعريته وخاصة في الاتجاه الذي يجيده وهو الشعر الذاقى الغنائى الذى يصور الأثر النفسي عنده ، وهو بارع فيه وفي تصويره ، قوى في ابداعه ، حتى في الشعر الاسلامى ، الذى يعد دون الأغراض الأخرى في الابداع والتصوير .

فالشاعر حين يصور أثر الشهيد (سيد قطب) الشخصية الاسلامية المعطاءة في نفسه ، نجد شعراً رائعاً قوياً ، يدل على شخصية الشاعر ، وإبداعه الفنى ، يقول في قصيده (إلى سيد قطب) :

برغم الزحام .. برغم الظلماء
برغم الليل جمال عئنى
برغم الصيحات سكرى عمى
تمرت يا عاصفاً ملهمـا
كسيحاً .. وحطمت تلك الدمى
عبرت زمان السقور إلى
وألغيت كل العذاب الذى
قضى أمره زمنا مربما
ولم تك يا سيدى ساحراً
ولا ذا هوى بنجوم السماء
ولكن ظلت شجاعاً بلا
فتاح يفتح يقيناً وأثر دماً
وقال لك الله كن بذرة
وارحت خطاك بدرب المدى
وحققت دعوته لشـرى
على طرقـات المدى ملـما

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : المقدمة ص ٤

لك الخطب والحادث المقل؟
 فلم ير ذاك السنـا الأعظماـ
 وأن له النـصر إما رـمى
 فـما مت يا سـيدى مـعدـماـ
 دعـى عـلـيكـ إذا ما هـماـ
 شـهـيدـ قـلـ الأرضـ نـحوـ السـماـ
 مـلـأـ عـرـهاـ الـكـونـ وـاسـتـلـماـ
 وـقـدـ طـاـولـتـ سـيـدىـ الـانـجـماـ
 رـأـيـتـ النـورـ تـجـوـسـ الـحـمـىـ
 تـأـذـىـ .. فـلـيـثـ الشـرـىـ اـهـماـ
 مـعـىـ وـرـدةـ لـمـ تـزـلـ بـرـعـماـ
 ذـوتـ بـسـمـةـ لـمـ تـجـدـ مـيـسـماـ^(١)
 وـكـمـ مـنـ جـهـولـ رـديـءـ بـغـىـ
 تـغـشـتـ عـلـىـ نـاظـرـيـهـ الرـؤـىـ
 وـلـمـ يـجـلـ الـنـورـ مـنـ مـسـلـمـ
 إـذـاـ مـتـ يـاـ سـيـدىـ مـعـدـماـ
 أـتـيـتـكـ يـاـ سـيـدىـ لـاـ تـظـنـ
 لـعـمرـكـ لـمـ أـبـكـ يـوـمـاـ عـلـىـ
 وـلـكـنـ حـزـنـ عـلـىـ أـمـةـ
 وـعـاثـ الـبـغـاثـ بـأـحـسـابـهاـ
 إـذـاـ الصـفـرـ عـنـ أـيـكـةـ لـمـ يـذـدـ
 وـإـنـ أـنـجـدـ الـذـئـبـ يـوـمـاـ وـمـاـ
 أـتـيـتـكـ يـاـ سـيـدىـ حـيـىـ
 حـانـسـيـكـ مـاـ كـنـتـ إـلاـ كـاـ

رابعاً - الرثاء :

لا يوجد هذا الغرض إلا في ديوانه الثاني (طيفان .. على نقطة الصفر) ويضم قصيدة (ذهول الحس ص ٧٣ ، ٨٢) في أغيبال الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه أنشدها في ١٣٩٥/٥/١٣ هـ بالرياض ، وقصيدة (حديث العباء ص ٨٢ ، ٨٥) في رثاء رفيق الشاعر عبد العزيز أحمد هيجان في ١٣٩٥/٤/١ هـ جيزان ، وقصيدة (البريء ص ٩٠ ، ٨٦) ، مهداة إلى روح الشيخ علي بن يحيى عباس رئيس بلدية أبي عريش سابقاً .

يقول بهكل في (ذهول الحس) :

مثلـماـ تـهـضـرـ الـيدـ الـغـصـنـ هـصـراـ وـوـرـقـاتـهـ تـسـاقـطـ تـسـرىـ
 كـاـ بـعـدـتـ حـبـيـاتـ رـمـيلـ رـبـيعـ صـيـفـ تـحـوـلـ الـحـسـنـ نـكـراـ
 مـثـلـ هـذـاـ يـجـعـلـنـاـ الـقـدـرـ الصـاـرـ مـيـظـوـ فـمـاـ نـدـبـرـ جـذـراـ
 إـنـ هـرـبـاـ وـكـيـفـ ذـاكـ لـمـ نـسـ
 إـنـ تـكـنـ خـطـوةـ الـقـضاـ أـلـفـ شـبـرـ
 هـىـ أـقـدـارـنـاـ سـوـامـ فـرـ
 لـمـ نـائـسـ إـذـاـ تـعـسـفـهـاـ الـجـوـ
 عـ فـجـاءـتـ تـجـدـ شـوـكـاـ وـزـهـرـاـ

(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٠٢/٩٨

رده فالقضاء أمضى وأجرى
وأحْيَى بالدعاء بالخير جائراً
في الحياة .. وبلور السعد بشري
بِقَاه .. وغادة الحلم سكري
ووجهه الأقوام تطفئ بثرا
يهادى على المشاعر نهراً
الحلم كى تصنع النهاية غدراً
سهمها .. والذهول بالحس أزرى
شاتا قضته مداً وجمراً
برداء .. وقد قضى الله أمراً
أن رأى العينين أصدق تعبيراً
عائد الحب .. رب رحاب تترى
رب فاغفر له .. وأجز له أجراً
من أغلى فيمن فقدناه طرداً
حين يضحي ضحي .. ويصبح فجراً
لخنا الراحل الجليل فخراً
والقدس تسطر الدمع سطراً
النبل والجد يا إلهي عربى
وعيون الفرات بالدموع سكري
ربيع عمان .. أم منازل بصرى
أذنى .. أصبحت تحمل وقراً
ر على أوجه الحسين سفراً
والوحيد ينثر الدمع نترا
إن تزايدت استيمحك عذراً
ق إن بندب حمى أخرى
ر حيني .. وسوف أوليك شكراً
ر التأسى .. فلم يذر فيه ستراً
ة وأوف إلى فجراً وعصراً
لن أظل الزمان أطلب بدراً
تبدي فتصنع النور صبراً
من عيون نظل تؤخر زهراء

كُبَّ الجُدُّ فِي الصُّورَةِ سُطْرًا
لَمْ يَنْفَقْ دَرَمٌ صَوْرَةً أُخْرَى
فَأَضْحَتْ بِاللَّهِ أَعْظَمَ قَدْرًا
وَتَصْوِيغُ الْجَهَادِ حَقًا وَنَصْرًا
نَةً أَمَانًا.. فَلِمَ نَأْتَ إِصْرًا
أَرْجَأْتَ يَسْجُلَ بَاهَ وَنَشْرًا
يَخْلُدُ الْحَقَّ.. فَهُوَ أَعْمَقُ جَذْرًا^(١)

كان لإبد من ذكر القصيدة كلها ، لأوضح أمراً لإبد منه هنا وهو أنني جعلت بعض
القصائد في رثاء الفيصل من الشعر الإسلامي ، ولم يدخل تحت باب الرثاء ، لأنها انصرفت عن
تصوير المرثى إلى تصوير ما قام به من حضارة إسلامية ، وثبتت لدعائم الشريعة ثم موافقه العربية
الإسلامية للدفاع عن الإسلام والعروبة وغيره مما جعل مثل هذه القصائد الإسلامية العربية
لا تدخل في باب الرثاء .

لكن هذه القصيدة (ذهول الحس) ليس بها من المرشحات السابقة ، التي تجعلها من الشعر الاسلامي إلا في القليل من أبياتها ، فهي أدخلت في باب الرثاء ، ولا ينقص ذلك من قيمة الأدبية فالرثاء ما زال غرضًا أدبياً نبيلًا وشريفًا وعدم دخوّلها في الشعر الاسلامي وانتسابها إلى غرض الرثاء يرجع لأسباب أهّلها ، أن الشاعر يرجع إلى ذاته ، ويتمدد في وجوداته ، ويهرب إلى الطبيعة هياماً بها ، ولا يخضع لموضع في الشعر حتى يتقيّد به ، بل يسير على مذهبها من التحرر في التجديد ، وهكذا يضع الشاعر من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت فيها .

فالشاعر يهكلي يعبر عن مذهبة الأدبي فيها ، لأنه لا يصور آثار الفيصل طيب الله ثراه ، في الأمة الإسلامية والعالم العربي وما شبيهه من حضارة ، وما حث عليه من التمسك بقيم الإسلام وتشريعه ، ولم يوضح مواقفه الشجاعة مع الأمة ضد أعداء العربية والإسلام .

لكن الشاعر صور أثر الصدمة العنيفة على نفسه ، التي رزت في أذنيه تحمل نبأ الاستشهاد ، فأخذنه (ذهول الحس) ، وصرفه عن وصف الأمجاد إلى تصوير الآثار النفسية للنبي الذي هز وجوداته من أعماقه ، وهو وجдан العالم الإسلامي من حوله ، بحيث أبدى الجميع آثار هذه المفراة العنيفة على النفس ، فيصور مدى الأنسي العميق ، الذي أصابها ، ويصور اليد الطائشة ، التي أوجعت الأنسي ، وبصورة القدر الذي فاجأ النفس بما لا ترغب مع الإيمان به كل الإيمان ، في عشر بين بيتا .

^(١) طيفان .. على نقطة الصفر : ٧٣/٨٢

ثم يصور العزاء بعد ذلك ، وهو أثر نفسي أيضاً في ستة عشر بيتاً ، وفي الأبيات الثانية الأخيرة ، يصور أمجاد المرثى ، وغاية الأمر عنده في هذا ، أن الفيصل صفحة من التاريخ سطرها المجد ، فهو سيف صارم ، والحق خالد بعد فنائه وتلك آثار نفسية أيضاً ، ولم يُست تصويراً للأمجاد والبطولات ، التي حفظها التاريخ لهذا الرعيم الإسلامي العرف الكبير .

لذلك كان الشاعر دقيقاً وصادقاً ، حينما جعل عنوان قصيده (ذهول الحس) ، فكانت صدى لتصوير أحاسيسه ومشاعره ، وتحسياً لأثر الحادث الأليم على النفس ، الذي فجر في نفسه تلك التجربة الشعرية الحزينة المؤلمة فجعلت النفس تتزلف دماً ، وتتلطخ ألمًا ، وتشتكي ألمها ، وهي مفروعة حائرة تائهة لولا الإيمان بالقدر الذي يبتهأ على العقيدة السمحاء .

فالقصيدة مشدودة بمعانيها السابقة إلى الخصائص الفنية لمدرسة الشاعر ، وهي التحرر في التجديد ، التي يركب فيها الشاعر أججحة الألم والحزن والشكوى والانطواء داخل الذات والنفس ، متحرراً عما هو موضوعي ، لأنه خارج عن ذاته وأعمق نفسه وأغوار وجوداته ، وبهذا يكون الشاعر صادقاً مع مذهب الأدب وخلص له كل الأخلاص .

هذه الأسباب أدخلت قصيده (ذهول الحس) في باب الرثاء ، لا في الشعر الإسلامي ، على العكس مما صنته في مواطن أخرى ، حيث انضم إلى الشعر الإسلامي ، لما يقوم عليه من موضوعية لا ذاتية ، واهتمام بتصوير آثار المرثى وأمجاده ، لا آثاره في نفسه فقط ، وبذلك يكون الرثاء قد أخذ طوراً جديداً لم يكن له من قبل في الشعر الحديث ولذلك فضلت أن يدخل في الشعر الإسلامي فهو إليه أقرب من غرض الرثاء الموروث .



التصوير الشعري

بين الوجдан الذاق والالتزام الموضوعي :

بهكل شاعر من مدرسة (التحرر في التجديد) ، و وخاصة في ديوانه الأول (الأرض والحب) ، تغنى الشاعر فيه بمشاعره الذاتية ، وأحساسه الفردية ، و وجданه النفسي ، ولا تجد له في هذا الديوان شعراً ملتزماً غالباً ، يعالج به موضوعات في الواقع ، وإنما كان يعالج خلجان قلبه ، و حم عواطفه ، و ثورة وجدانه لكن على أنه فرد من أفراد المجتمع ، فيعالج المجتمع من خلال ذاته فقط ، ولا يعالجه من خارج ذاته ، بلا انتصال عنه ، لأن فرد منه ينبغي أن ينظر إليه من داخل نفسه ، وأن يهم به من خلال ذاته وجدانه أولاً ، وذلك في شعره الوجданى والتأملى ، الذى اشتمل عليه الديوان .

و شعر الطبيعة كذلك كان يتناوله الشاعر هروياً من واقعه ليناجى مظاهرها ، فشاركه عواطفه و مشاعره ، فهو يصور نفسه من خلال مظاهر الطبيعة ، لأنها رمز يعبر عن وجدانه ، و مسرح لتأملاته ، و معرض للتعرف على أسرار الجمال ، التي ينشدها في مجالها ، و يسطع القول في ذلك في أغراضه الأدبية .

أما الديوان الثاني (طيفان .. على نقطة الصفر) فقد توعدت فيه الأغراض والموضوعات ، فاشتمل على أغراض موضوعية ، و خاصة في شعره الاسلامي ، ولكنه مع ذلك غالب عليه التحرر في شعره من الموضوعية والالتزام ، وأوضحت ذلك حين تناولت الشعر الاسلامي غرضاً من أغراض شعره ، حين صور الشاعر أثر الموضوع في نفسه ، لا ذات الموضوع بأحدائه وقد أقر الشاعر بذلك على نفسه ومنهجه في الشعر كما قدمنا .

والشأن في الموضوعات الاسلامية التي تناولها الديوان الثاني أن تعتمد على الالتزام والتصوير الواقعي للأحداث كما وقعت في التاريخ ، ولكن تحرر الشاعر في التجديد جعله لا يعبأ بتطور الأحداث ونمها ، وإنما كان يصور أثر هذه الأحداث في نفسه ، و درجة استجابة العاطفة والمشاعر لهذه الأحداث ، و ضرب الأمثلة على ذلك من قصidته (غسل الملائكة) وغيرها .

الوحدة الفنية في شعره :

فالوحدة الفنية في شعره تكاد لا تخلي منها قصيدة أو مقطوعة ، حيث تقوم على غرض واحد ، وموضوع واحد ، يشتمل على أفكار تنمو من خلال الموضوع ، وتدور في فلكه في ترابط وتلاحم بين الألفاظ والأساليب والصور والأحيلة ، والاقاع والموسيقى حتى نهاية القصيدة ، وإذا رجعنا إلى قصيدة مما سبق ، أو مما سيأتي ، ستجد هذه الوحدة تسرى بين جوانبها المختلفة .

التخيص في التصوير الشعري :

أما التخيص عند بهكل فيرجع الاهتمام به إلى خياله الواسع العميق ، الذي يبعث الحياة في الجمادات والأرواح في المعانى وال مجردات ، فتتعاطف الكائنات معه ، وتتردد أصداء أحاسيسه ومشاعره بين أعماقها ، فيجدها وتحبه ، ويعشقها وتعشقه ويستيقن إليها ، وتشتاق إليها يقول بهكل في (السحر يلد أنها) :

صبوت وأضحى هائما مغراً قلبي
كأن مجذوب لها وهي جاذب
لحيل ودادي حيث قد أحكمت جذني
إلى قوله :

حيبيتك حبا فوق جهدى وطاقتى
أيا ذوب إحساس رقيق وبما مدى
إذا كان في مغنى (اليانة) انتمى
وتحت ظلال الأيك فى (السودة) الخلى
وأيدى النسم الغض عصر غادة
على حين صداح البلابل قائم
وينساب رقراقا ثير مدلنه
وكم في شفا (القرعاء) سرحت ناظرى
كأن لكف السحر تميرة على
تلمست أبيضى دارة الحسن فى الدنا
وطفت أرود المربع الخصب للهوى
وحبك يا أنها تغلغل فى القلب
خيال وسیع الأفق فى عالم رحب
هوای فقد ذقت الصيابة فى (النصب)
ل الحسن مشدودا على ريعها الخصب
من العرعر المزدان ذى الفن الرطب
يتصوغ الرؤى بترنيمة حلوة تسنى
كأن أساه من فراق ابنه السحب
ليرجع مبهورا من المنظر العذب
عيون المياه الجاريات على الترب
وسائلت عن مغنى العنادل فى درى
لألقاء فى أنها ابنة السحر والحب⁽¹⁾

(1) الأرض .. والحب : ٩/٧

فأبها حبيبته التي أحبها وأحبته ، وفي كل حي من أحياها تجاوالت مع عواطفه ، وفي كل مغنى من مغانيها استجابت مع مشاعره فحبها تغلغل في القلب ، حتى تتجاوز الجهد والطاقة ، فانتسب الشاعر إلى مغني (اليمانية) وكثيراً ما ترددت عليها لأرى بنفسي تلك المغافن الجميلة الرائعة ، في حضن أعلى جبل وسط مدينة أبها ، في قمة محطة (تيلفزيون) المطلقة الجنوبية .

وكذا ذاق الشاعر مرارة الصباية في حي (النصب) ، الذي كنت أطل عليه بنفسي من شرفة مسكنى (عمارة الراجحي) صباح مساء ، وأكمل سحر الجمال في جباله ، التي تحضن بساتين أبها وأشجارها ومزارعها في واد تتدفق إليه المياه الغزيرة في فصل الشتاء وفصل الربع وجاء من الصيف .

أما ظلال الأيلك في غابات (السودة) الساحرة ، فتميس في سحر خلاب وحسن ياهر ، متربعة على عرش ربع خصوص ، وهي أعلى منطقة في أبها ، حيث ترتفع عن سطح المدينة ثلاثة آلاف قدم وتعانق غابات الععر الكثيفة ، التي تشدوا بأغاريد البلايل خلال تربة خصبة ، وصخور متنوعة ، وجبال جدد سود وبني وحمر مختلف ألوانه ، تعكس عليها أشعة الشمس الساطعة الذهبية .

وأما المطر إذا سع لا يرحم أحداً فتفتح السماء بالماء كأفواه القرم (كما يصف ذلك أحد المستشرقين) ، وكانت أتردد عليها من حين لآخر ، لأنلو آيات الله ، التي نظمتها طبيعة ساحرة في أرض خصبة راسية وسط جبال شاهقة ، وصحراء تضن السماء على أهلها بالماء القليل ، هنا هو موطن الغرابة والدهشة ، التي كانت تستبد بقلبي ، وتجيش بخواطري ، وتتشدّى إلى هناك من حين لآخر .

وأما القراء فقد بهرت نظرة الشاعر ، حين تجرى العيون على ترتيبها الخصبة ، فتسدل المياه من بين الأشجار الضخمة ، التي كانت أجنح إليها كثيراً ، فأتفياً ظلاماً من وقت لآخر .

فاليمانية ، والنصب ، والسودة ، والقراء ، كلها أماكن ساحرة في أبها ، التي عاش تجربتها الشاعر ، وتجاوزت عاطفته ومشاعره معها ، وبين ريوتها ، وتلك خصائص التحرر عند الشاعر ، الذي أحب الطبيعة ، وتردد صدى الوجودان من خلالها .

ولاهتمام الشاعر بالطبيعة ومعالمها في الجنوب ، تراه في قصائده كثيراً ، يقول في (يا منتدى الذكريات) :

ما عرفت الحنين حتى تباعدت عن الأول في شفا القراء
ما شكرت الحواء حتى تناذلت فلم أدن من ريا حجلاء
ما تأسست قبل بعدي عن نعمان مغني الإشارة الحضراء

كنت والحب في مغانيك نحنا
أهلا راقبا وحلو رجاء
وأمسينا لقاءات نجوى نهرت من يمينك المعطاء^(١)

فالقرعاء ونعمان وحجلاء من مفاتن عسير ، وحجلاء كانت ولا تزال بها كلية التربية فرع جامعة الملك سعود (الرياض سابقا) والتي أعمل بها معايراً من جامعة الأزهر ، وهي على بعد خمسة عشر كيلو متراً من أبها التي أسكن فيها ، والأماكن التي عاشها الشاعر وعشيقها وهام بها يلح على ذكرها في قصائد كثيرة يقول في (الأرض والحب) :

أسائل عنك الليل والأنجم الزهراء
ولولا وفائي ما تلمضت صابرا
بنار يعادى عن مرابعك الحضرا
يعيني غريب هام ريعه دهرا
أنا فيك يا جازان فلتزه الرؤى
وأخلق إعجازي بما احتضنت شعرا
وأنساب في أنهار (بيش) مغنيا
وتحنني (صبيا) ولا زلت في الصبا
وأغرق روحي في هوى (ضمد) التي
بروسى تلك الأرض من أثليها إلى
على أنني ضيّعت عمري في (أني)
كأن لياليها ساحر بايل
ول في ديار الأربعين والندي
كما عانقت جازان أذرع بعراها
بساطة قلب تعانقه البشري
وعانقت السارع والجد والفكرا^(٢)

فهذه الأماكن التي التهت في وجдан الشاعر ، وهي مدينة جازان غرب المنطقة الجنوبية تعانق بذراعيها البحر الأحمر ، ولها تاريخ حافل بالجند والعلم والأدب والحضارة ، وجبال (فيقا) جليلة المناظر عليلة الهواء ، جيدة الثمار ، تقع في شرق المنطقة ، ومدينة (بيش) أكبر أودية المنطقة الزراعية ، (وصبيا) مدينة تاريخية ، تعد مركزاً سكانياً وتجارياً ، من أهم مدن المنطقة الجنوبية ، وقرية (ضمد) من أكبر القرى ، وكذلك (أبو عريش) مدينة في الوسط ، ومدينة (سامطة) في الجنوب من عسير .

(١) الأرض .. والحب : ص ٢٠
(٢) المرجع السابق : ٣٥/٣٣

الخيال والصور الأدبية :

وتضطرب لهجة الجنوبية في الأسلوب من حين لآخر أن يعبر بما يدور على اللسان العربي الفصيح فيها من إيدال الظاء ضاداً على عاداتهم منذ القدم ، فيقولون : (تلمضت) واللهجة القرشية تنطقها (تلمظت) بالظاء ، والمعنى واحد وتردد ذلك في شعر البهكلي فيقول :

ولولا وفائي ما تلمضت صابرا^(١)

ويقول في موطن آخر :

وتلمضت على نار وقد جاءت رسالة^(٢)

ومن روائع صور الخيال القوية الحية ، ما جاء في مقطوعته (بوح) يقول :

أبها .. ويسسم كل محروم أبها .. ويفرح كل منكوب
أبها .. وكل الكون أبعدني وجذبني فرأيت تقريري
وحضستني وأنا الشريد فلم أحزن لمساق وتعذيبى
إني انتهيت إلى حنانك يا شجنى وسعدى وتأوينى
من أين .. لا أدرى سوى سبب لا زال يجذبني ويفرى لي^(٣)

وكذلك نجد الخيال الخصب ، والتصوير البديع الرائع في صور كثيرة ، مثل ما جاء في

قصيدة (شوق) :

يا شادنا وسرا ر القلب مرتعه والحس إما غفت عيناه مضجعة
وفي الحشا منه نار بات يوقدها هجرانه وصدود ظل يصنعه
أهات صبُّ وأنسات يردددها
ونحو عمق الشكاة الحزن يدفعه تعنو إليه تبارع الجوى سحرا
وتحويه مع الأصال أدمعه متيم ليس يدرى كيف حل به
خطب الغرام فأضاحى المم يتبعه وليس يدرى أذرف الدمع يسعشه
أم أن ترديده آه الحزن ينفعه يسامر الليل والأفلاك مكتبا
لعلها من عذاب السهد تزعه^(٤)

(١) الأرض .. والحب : ٣٣

(٢) طيفان .. على نقطة الصفر : ١٢٦

(٣) الأرض .. والحب : ٢٢

(٤) الأرض .. والحب : ٤١/٣٩

صور جزئية بدعة رائعة ، جاد بها خيال الشاعر ، وهو يخلق في حزنه وأهاته وأناته ، فاهجران يوقد لهيا في أحشائه وهو في صدود مستمر يردد الآنات ، وتدفعه الأحزان المزيرة إلى الشكوى والتساؤل ، وتنابه تاريخ الجوى ، وحرارة الدموع في الأصال وفي الأسحار ، فهو صريح لا يدرى من صرעה هل الغرام ؟ أم الهم ؟ ، كما لا يدرى هل الدموع المتمرة هي التي تطفئ نار الشوق ، أم ترديد الآهات والآنات ، ويظل كذلك يساهر الليل مكتشا ، ويرعى النجوم مسامرا ، لعلها تشغله عما يعانيه من سهد ، وما يتجرعه من مرارة الصباية .

ومن هذه الصور الرائعة ما جاء في قصيدة (عذابان) :

أنت أغلى في فؤادي من دعاء مستجاب
أنت يا ملهمتى أحلى من الشهد المذاب
أدركيني فأنا أضنى وفاء لا انتساب
وبلا أجنة حلقت لكن لا أهاب
فاهوى ينساب من نبعك أحلى انساب
اتركيه كى يروى ظمعى من ذى الشراب
وحنين داخلى أضحى وصرى في احتراب
لست أدرى أى هذين قد استولى الركاب
ففى قلب يحيا في ذهاب وإياب
أهو الصبر أم الشوق وفي كل عذاب
تبت من ذنبي ولكن منك مالى متاب^(١)

والخيال الرائع يظهر في قوله : (هي أغلى من الدعاء المستجاب) ، وهي (أحلى من الشهد المذاب) ، وهو (يتعذب وفاء لا انتساب) ، وينطلق خياله بلا أجنة ، واهوى كالماء ينساب أحلى انساب ، والحنين والصبر في احتراب ، والقلب يحيا في ذهاب وإياب ، وهو لا يدرى أين العذاب في الصبر أم في الاشتياق ؟ ، والتوبة لا من الذنب ولكن منها المتاب .

صور بدعة تناسب في التأثير على العاطفة والقلب كأنسياب الماء إلى الظمآن ، ويهز لها الوجدان ، كما تهاب الأغصان لنسم الصباح ، وكذلك من الصور الطيبة العذبة ، والخيال الخفيف المخلق قوله في قصيدة (السر العجيب) :

(١) الأرض .. والحب : ٧٠/٦٩

قلت في نفسي ولم أضمن صواباً في المقالة
 ذاب حب مدتف .. يا قرب الله وصاله
 والمحبون دواما هم همو مثل الذباله
 في احتراق وعناء وسهاد ونكاله
 إن يكن ذا الكون كأسا فهمو منه العلاله
 أو يكن ذا الكون علما فهم حرف الاماله^(١)

فالصور هنا عذبة خفيفة كخفة الوزن والايقاع ، لكن بعض العبارات غير الشاعرية ، كان
 ينبغي على الشاعر أن يتجنبها في التصوير الشعري ، مثل القلق والاضطراب غير المألوف في
 قوله : (يا قرب الله) حيث أدخل ياء النداء على الفعل وليس هذا مألوفاً في استعمال العرب .
 وكذلك النظم العلمي الجاف ، الذي لا يتناسب مع تصوير الشعر في البيت الأخير ،
 حيث صور خيبة الأمل عند الحبيب بالإيقاع الصوتي المائل في حروف الإمالة ، وهذا تصوير
 علمي جاف لا روح فيه ولا حياة .

وكذلك الأساليب العامية التي ينبغي للشاعر أن يترفع عنها في تصويره مثل قوله :
 (تتحنح) في قوله :

وتحنحنت أين ملكك يا قيس فارتاع في هدوء السرير^(٢)
 ومنها ما جاء الغموض فيه تبعاً لتركيب العبارة تركيباً غريباً مما دعاه أن يوضح ذلك في
 آخر القصيدة مثل قوله : (حبالي عشى) ، وقوله (سكري عمي) حين يقول :
 برغم الليالي حبالي عشى برغم الصبيحات سكري عمي
 قال الشاعر في التعقيب على البيت : عشى : العشى ضعف النظر واستخدام حبالي
 مضافة إليها هنا مبالغة في إثبات الواقع القاصر في زمن المرحوم سيد قطب .

وكذلك تفسيره : سكري عمي : مبالغة في التقرير : أى لا ترى شيئاً .

ولو لا الغموض الشديد لما جلب الشاعر إلى توضيح ذلك عقب القصيدة ، والشعر الشاعر
 هو الذي يتسلل أثره إلى نفس القارئ بلا معين ، أو تعقيب ، ولو بطول نظر ، أو رؤية تأمل ،
 لأن ما وصل إلى القلب بعد التأمل يمكن منه ، وليس الأمر كذلك بعد البحث في معاجم
 اللغة ، فالبؤن شاسع بينهما .

(١) طيغان .. على نقطة الصفر : ١٢٢

(٢) الديوان السابق : ٣٩

وكذلك كلمة رغم في استعمالها هنا خطأ : أحداً منها ليست من حقل الشعر لأن للشعر كلماته التي توحى بالشاعرية لا بالتدليل ولا التعليل وارتباط الأسباب بالأسباب وهذا ما تدل عليه كلمة (رغم) . ثانياً : أن الأصل في استعمالها أن يقول الشاعر : (على الرغم من ...) ، وأما بالطريقة التي عرضها فهي استعمال علمي بلا ريب .

وكذلك لم تلائم بعض الصور مع معانها وأغراضها التي تعبّر عنها مثل الصورة التي مر التعقيب عليها في قصته الشعرية (غسل الملائكة) ، ومثل قوله في قصيدة (طيفان) ويقصد الشاعر بهما النبي محمد عليه السلام وجبريل عليه السلام :

وينتهي جبريل يعلمـه باسم الإلهـ يقـينـ ما جـهـلاـ
ومـحـمـدـ يـجـشـوـ وـقـدـ حـبـلـ أـذـنـاهـ بـالـوـحـىـ الـذـىـ نـزـلاـ
ولـدـ الـهـدـىـ يـاـ لـمـخـاصـضـ فـيـاـ دـنـيـاـ اـعـتـلـ إـنـ الـخـاصـ عـلـاـ^(١)

ويقصد الشاعر (حبل) بفتح الحاء وكسر الباء ، وقد شكلها على هذا النحو في الديوان ، وليته ما شكلها ؟ بل تركها للقارئ تحمل الوجه الآخر وهو (حبل) بفتح الباء ، ليكون معناها على سبيل المجاز أليق بمقام النبوة ، فكان الوحي على ذلك ربطه بالسماء وبالله عن وجل ، كما يربط الطرفان بالحبيل ولكن الذي صرف هذا الاحتلال عند الشاعر أمران : الأول التشكيل بكسر الباء ، والثاني الإيمان بما يتناسب مع الحبيل من الخاض ، وهذه الصورة لا تليق بمقام النبوة الشريف وجلال الوحي ، وقدسيّة التنزيل ، لأن الشاعر جعل الأذن حبل بالوحي الذي نزل على محمد عليه السلام ، فتمحضت الحبيل حين الخاض وولدت الهدى للبشرية جماء ، وهذا لا يصح أن يقال في هذا المجال ، ويدو أن الشاعر شديد الأصرار لما ذكره في البيت التالي من لفظ (الحمل) :

حملـهـ كـفـاـ مـؤـمـنـ رـحـلـ هـبـاـ اـقـبـلـ الـإـيمـانـ وـالـرـجـلاـ
وقـولـهـ :

سـعـتـهـ هـذـىـ الـأـرـضـ فـاتـسـفـضـتـ مـنـ دـهـشـةـ وـتـلـجـلـجـتـ خـجـلاـ
وـالـأـرـضـ بـكـرـ رـغـمـ مـاـ عـشـقـتـ لـكـبـاـ لـمـ تـعـرـفـ القـبـلاـ
وـلـيـسـ تـبـهـراـ صـحـيـحاـ مـاـ يـقـولـهـ الشـاعـرـ عـنـ نـفـسـهـ مـنـ أـنـ لـاـ يـرـاجـعـ الـعـمـلـ الفـنـيـ بـعـدـ
صـدـورـهـ لـأـوـلـ مـرـةـ وـذـلـكـ بـالـتـهـيـبـ وـالـصـقـلـ ،ـ فـهـذـاـ القـوـلـ لـاـ يـشـفـعـ لـهـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ المـوـاـفـقـ ،ـ

(١) طيفان .. على نقطة الصفر :

فنواع الشعرا قديماً وحديثاً ، يراجعون تجاربهم الشعرية المرة بعد المرة ، لكي ينقدوا شعرهم حتى تخف عليهم حدة النقد في انتاجهم .

ولاني أريد من كل شاعر أن يكون ناقداً ، لأن النقد هو الذي يدفع الشعر دائماً إلى القوة والإبداع والجمال ، ولا من الشاعر أن يردد هذا القول مرة ثانية في الطبعة الثانية للديوان الثاني الذي ذكر في مقدمته :

(ولا أخفي على قارئ العزيز بأنني — خصوصاً ناجي الشعري — لا أعيد النظر ولا أضيف ولا أحذف يقيناً مني بأن التجربة الشعورية حكماً لا يجوز عهديه في اللحظات العادلة ، لذا لم أجده بدا من البقاء على كل ما رصّفته في هذه الجموعة واعتمدت دفعها للطبع)^(١) .

الإيقاع والموسيقى :

الشاعر أحمد بهكل التزم البحر الواحد في القصيدة على المط الخليل في البحور الشعرية العمودية ، ولم يتسعف مراكب الشعر الخر ، إيماناً منه بالأصالة المعتمدة المصوقة في قالب تراثي يقول الشاعر في المقدمة : (وإنني رضيت بكوفي راكعاً في سفينة الأصالة المعتمدة ، والأصالة الشعرية في نظرى الحداثة الفكرية في قالب تراثي .. من هنا انطلق من الجنور .. لا أجيتها .. لا انفصل عنها .. ولست مكابراً .. وما أنا بمحجر)^(٢) .

لكن الشاعر نوع من القافية حيث جاءت قصائد في شعره تعتمد على التعدد في القوافي ، في نظام المقطعات ، كل مقطع له قافية مختلف عن المقطع الآخر ، مثل قصيدة (أحبك) ، وسبق ذكرها في موطن آخر ، وقصيدة (حديث العباء) يرى بها عبد العزيز أحمد هيجان في جيزان يقول :

أحدثكم عن أصول الجوى وعن لوعة الروح يوم النوى
أحدثكم عن سناء السروى يغور وكيف يموت الهوى
ومن الدمع يساب نيرا على ما ق تروت به ما ارتوى
وأى رحيل نساءى على منانا .. وأى كيان هو؟!

* * *

(١) طيبان .. على نقطة الصفر : المقدمة

(٢) الديوان السابق : المقدمة

أود الحديث فلا أستطيع
أحاول لكن رزا دهى
فمعى الفصيح وصم السميع
تعسف سعدى ولم يشد
فراح يزيد صدوعى صدوع
وعبد العزيز قضى لم أكد
أصدق لولا قسام الرسوع^(١)

وهكذا إلى نهاية القصيدة التي تقوم على نظام المقطعات ، وقد يلتزم الشاعر مع المقطعات المختلفة القوافي قافية واحدة في البيت الأخير من كل مقطعة ، مثل ما جاء في قصيدة (من خالد بن الوليد)^(٢) :

أنا من؟ لو لم يك الإيمان في دنياي ديني
لو لم يصر في طريق الرشد من طريق الظلون
لو لم يزح عن ناظري سُرّ الضلاله والفتون
فأسير لا ألوى .. وقد هربت شكوكى من يقيني
ويقرف في شفتي لحن رائع .. الله أكبر

إلى قوله :

ما في شير لم تعاشه الصوارم والرمائح
لم تلغ وجداي وتشترق على أغلى البطائح
يضنى الشجاع إذا قضى بين النواح والنواح
أما الجبان فموته .. كحياته موت ارتياح
إن أحس الموت يشعرنى بأن الله أكبر^(٣)

(١) الديوان السابق : ٨٥/٨٢

(٢) طيفان .. على نقطة الصفر : ٩٧/٩٣

(٣) نسبة إلى قوله المشهورة (والله ما في جسدى إلا وفيه ضربة من سيف أو طعنة من رمح وهاندا أموت على فراشى كالببر .. فلا نامت أعين الجبناء .



المصادر والمراجع

أولاً - دواوين الشعراء :

١ - ديوان نيل السول :

الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم - البلاد السعودية - مكة المكرمة

٢ - نظم المؤلّف المكون في أحوال الأسانيد والمنون :

الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم - مطابع البلاد السعودية - مكة المكرمة

٣ - ديوان عقد الجواهر المنضدة المسنان :

سليمان بن سحمان - ببابي ١٣٤٣ هـ

٤ - مجموعة أشعار الحسن بن عاكلش :

المكتبة العقلية الخاصة - جازان

٥ - نفحات من عسير :

جمعه ونسقه محمد بن ابراهيم الحفظى ، وعبد الرحمن بن ابراهيم الحفظى عام

١٣٩٣ - ١٩٧٣ م - مطابع عسير - أنها

٦ - ديوان القلالد :

محمد بن علي السنوسى - مطبعة دار الكتاب العربي عام ١٣٨٠ هـ القاهرة

٧ - ديوان الأغاريد :

محمد بن علي السنوسى - مطابع الأصفهانى - جدة

٨ - ديوان أزاهير :

محمد بن علي السنوسى - الأصفهانى - جدة ١٩٧٢ م

٩ - ديوان الينابيع :

محمد بن علي السنوسى - نادى جازان الأدبى - مطابع المدينة المنورة - جدة

- ١٠ - ديوان نفحات الجنوب :
محمد بن علي السنوسى — نادى جازان الأدبي — مطابع الروضة — جدة — الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ
- ١١ - ديوان الأنقام المضيئة :
محمد أحمد العقيلى — دار إيمامة — الرياض الطبعة الأولى ١٣٩١ — ١٩٧١
- ١٢ - ديوان عبير من عسير :
يحيى إبراهيم الألعنى — الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ
- ١٣ - ديوان الألعنات :
زاهر عواض الألعنى — دار القلم — بيروت ١٣٩١ هـ
- ١٤ - على درب الجهاد :
زاهر عواض الألعنى — مطابع الفرزدق — الرياض ١٤٠٠ هـ
- ١٥ - كلمات وقصائد :
مطبوعات نادى أبها الأدبي — مطبعة عسير ١٤٠٠ هـ
- ١٦ - أزاهير من ربوع عسير :
مطبوعات نادى أبها الأدبي — مطبعة عسير ١٤٠٠ هـ
- ١٧ - مسابقة الشعر بنادى جازان الأدبي :
مطبوعات نادى جازان الأدبي عام ١٣٩٧ هـ
- ١٨ - ديوان في متأهات الحياة :
أحمد على عسيرى — جدة ١٣٩٣ — ١٩٧٣
- ١٩ - ديوان الأرض والحب :
أحمد بهكلى — نادى جازان الأدبي ١٣٩٨ — ١٩٧٨
- ٢٠ - ديوان طيفان على نقطة الصفر :
أحمد بهكلى — نادى جازان الأدبي — الرياض ١٤٠٠ هـ

ثانياً — المراجع :

- ١ - طبقات الشعراء :
ابن سلام الجمحى
- ٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر :
علي بن الحسين المسعودى — مصر ١٣٨٣ هـ
- ٣ - معجم البلدان :
ياقوت الحموى — مصر ١٣٢٥ هـ

- ٤ — الشعر والشعراء :
ابن قتيبة الديبورى
- ٥ — الموازنة بين أبي تمام والبحترى :
أبو الحسن الأمدى
- ٦ — أسرار البلاغة :
عبد القاهر الجرجانى — تحقيق محمد رشيد رضا ١٩٣٢
- ٧ — شرح الحماسة :
المرزوق
- ٨ — الطراز
محى العلوى
- ٩ — الصناعتين :
أبو هلال العسكري
- ١٠ — صفة الجزيرة :
للهمداني — تحقيق محمد بن بلهيد النجدى — السعادة بالقاهرة ١٩٥٣ م
- ١١ — صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار :
محمد بن بلهيد النجدى — تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد — الخمودية بالقاهرة ١٩٥٣ م
- ١٢ — التياتر الأدبية والشعر العربي الحديث :
د . عبد اللطيف خليص — القاهرة ١٩٧٧ م
- ١٣ — الأعلام :
خير الدين الزركلى — مصر ١٩٥٩ م
- ١٤ — ملوك العرب :
أمين الریحانی — دار الریحانی — بيروت ١٩٦٠ م
- ١٥ — مرآة الحرمين :
ابراهيم اللواء رفعت باشا — دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٤ م
- ١٦ — الأدب العربي المعاصر ومدارسه :
د . محمد عبد المنعم خفاجى — الخمودية — الأزهر
- ١٧ — فصول في الأدب والنقد :
د . محمد عبد المنعم خفاجى
- ١٨ — النقد الأدبي الحديث :
د . محمد غنيمى هلال — مصر ١٩٧١

- ١٩ — الرومانسية :
د . محمد غنيمي هلال
- ٢٠ — مذاهب النقد وقضاياها :
د . عبد الرحمن عثمان — مطابع الاعلانات الشرقية ١٩٧٥ م
- ٢١ — الأدب الحديث :
د . عبد الرحمن عثمان
- ٢٢ — الديمقراطية الإسلامية :
د . عثمان خليل — القاهرة ١٩٥٨ م
- ٢٣ — الدعوة في الإسلام :
توماس ارنولد — النهضة المصرية ١٩٥٧ م
- ٢٤ — قضايا النقد :
د . محمد السعدى فرهود
- ٢٥ — الاتجاه الوجداوي في الشعر العربي المعاصر :
د . عبد القادر القط — مكتبة الشباب — القاهرة ١٩٧٨ م
- ٢٦ — الأدب الحجازي في النهضة الحديثة :
أحمد إبراهيم — نهضة مصر — القاهرة ١٩٤٨ م
- ٢٧ — دورنا في الكفاح :
حسن عبد الله آل الشيخ — مطابع نجد — الرياض ١٣٨٣ هـ
- ٢٨ — الوحدة الإسلامية :
زيد بن فياض — مطابع القصيم بالرياض ١٣٨٨ — ١٩٦٨
- ٢٩ — الموسوعة الأدبية :
عبد السلام طاهر الساوى — دار الكتاب العربي — القاهرة ج ١ عام ١٩٧٠ م
- ٣٠ — شعراء الحجاز المعاصرون :
عبد السلام طاهر الساوى — دار قريش مكة ١٣٨٨ هـ
- ٣١ — أدب الحجاز :
محمد سرور الصبان — ط الثانية — مطبعة مصر ١٩٥٨ م
- ٣٢ — المعرض :
محمد سرور الصبان — مؤسسة مكة المكرمة — ١٩٤٥ م
- ٣٣ — التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية :
عبد الله عبد الجبار — مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية — القاهرة ١٩٥٩ م
- ٣٤ — قصة الأدب في الحجاز :

د . محمد عبد المنعم خفاجي — عبد الله عبد الجبار — دار مصر للطباعة — القاهرة

١٩٥٨ م

٣٥ — الحركة الأدية في المملكة العربية السعودية :

د . بكر شيخ أمين — دار بيروت ١٣٩٣ — ١٩٧٣

٣٦ — الحياة الفكرية والأدية في جنوب البلاد السعودية :

عبد الله محمد حسين أبو داهش — دار الأصالة — الرياض ١٤٠٢ هـ

٣٧ — شعراء الجنوب :

محمد أحمد العقيل — محمد بن علي السنوسي — مطبعة الكمال — عدن

٣٨ — تاريخ عسير في الماضي والحاضر :

هاشم سعيد النعيمي — مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر

٣٩ — أعياد عسير :

عبد الله بن علي بن مسفر — المكتب الإسلامي — دمشق — بيروت

١٣٩٨ — ١٩٧٨

٤٠ — السراج المنير في سيرة أمراء عسير :

عبد الله بن علي بن مسفر — ط أول — مؤسسة الرسالة — بيروت

١٣٩٨ — ١٩٧٨

٤١ — شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب :

عبد الكريم بن حمد الحقيل — ط أول — ١٣٩٩ هـ

٤٢ — تاريخ الخلاف السليماني :

محمد أحمد العقيل — مطبعة دار الكتاب العربي — القاهرة — الجزء الثاني

٤٣ — تاريخ الخلاف السليماني :

محمد أحمد العقيل — مطابع الرياض — ١٣٧٨ — ١٩٥٨ — الجزء الأول

٤٤ — بلاد زهران في ماضيها وحاضرها :

محمد سفر الزهراني — دار الثقافة — مكة المكرمة ١٣٩٠ هـ

٤٥ — نيل الوطر من ترجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر :

محمد محمد بن زيارة — الجزء الثاني — السلفية — القاهرة ١٣٤٨ هـ

٤٦ — في ربوع عسير — ذكريات وتاريخ :

محمد ربيع عمر — دار العهد الجديد للطباعة — القاهرة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

٤٧ — في بلاد عسير :

فؤاد حزة — دار الكتاب العربي — القاهرة ١٩٥١ م

٤٨ — الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب :

- عبد الله الحامد — مطبوعات النادى الأدبى بالرياض — مطبع الجزيرة — الرياض
١٣٩٩ هـ
- ٤٩ — في سرة غامد وزهران :
- حمد الجاسر — دار المأمة — الرياض — مطبعة الشبي — بيروت ١٣٩١ — ١٩٧١
- ٥٠ — رحلات في عسير — نصوص وانطباعات ووصف ومشاهدات :
يحيى ابراهيم الائى — دار الأصفهانى — جدة
- ٥١ — تاريخ الشعر العربى الحديث :
أحمد قبش — دمشق ١٩٧١ م
- ٥٢ — دراسات في النقد العربى :
الدكتور حسن جاد حسن — القاهرة ١٩٧٧ م
- ٥٣ — تاريخ الدولة السعودية :
أمين سعيد — مطبعة كرم — بيروت ١٩٦٤
- ٥٤ — مجموع الفائس الشعرية والغرائب الشهيبة :
عبد الرحمن بن عبد العزيز ، صالح سليمان بن سحمان — دار البيان — مصر
١٩٧١
- ٥٥ — الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر (١٨٦٣ — ١٨٧٩ م) :
سوق عطا الله الجمل — لجنة البيان — مصر
- ٥٦ — الحلقة الفقدودة في تاريخ العرب :
- محمد جميل يهم — ط أولى — الباب الحلبي — مصر ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م
- ٥٧ — الملك عبد العزيز في مرآة الشعر :
- عبد القدس الأنصارى — مؤسسة مكة للطباعة والاعلام — مكة المكرمة ١٩٧٤ م
- ٥٨ — التفسير النفسي للأدب :
د . عز الدين اسماعيل — دار العودة — بيروت ١٩٧٦ م
- ٥٩ — الشعر العربى المعاصر قضایاه وظواهره الفنية والمعنوية :
د . عز الدين اسماعيل — ط ثلاثة — دار الفكر العربى ١٩٧٨ م
- ٦٠ — مصادر الفكر العربى الاسلامى في اليمن :
- عبد الله محمد الحبشي — صنعاء — بيروت — دار العودة
- ٦١ — اتجاهات وآراء في النقد الحديث :
دكتور محمد نايل أحمد — القاهرة ١٩٧١ م
- ٦٢ — الاصلاح الاجتماعى في عهد الملك عبد العزيز :
عبد الفتاح حسن أبو علية — المطبع الأهلية — الرياض ١٣٩٦ — ١٩٧٦
- ٦٣ — الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة :

- أنيس المقدسي — دار الكتاب العربي — بيروت ١٩٦٣ م
- ٦٤ — قضايا الشعر المعاصر :
- نازك الملائكة — مكتبة النهضة — بغداد ١٩٦٥ م
- ٦٥ — الثلاثاء الحزين :
- عبد العزيز أحمد شكري — الأصفهانى — ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م
- ٦٦ — ملخص عن التطور الفكري في جزيرة العرب في القرن العشرين :
- فهد المبارك — مطباع ابن زيدون — دمشق ١٣٨٢ هـ
- ٦٧ — الخليج العربي :
- قدري قلعجي — دار الكتاب العربي — بيروت ١٩٦٥ م
- ٦٨ — نجوان الحديثة :
- سيد الماحى
- ٦٩ — الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث :
- أنيس المقدسي — بيروت ١٩٦٠ م
- ٧٠ — معجم المؤلفين :
- عمر رضا كحالة — مطبعة الترقى — دمشق ١٣٨٠ هـ
- ٧١ — الأدب العربي المعاصر ١٨٦٠ - ١٩٦٠ :
- د. كامل السوافى — دار المعارف ١٩٧٩ م

ثالثاً — الدوريات :

- ١ — جريدة البلاد ١٣٩٤/١١/١٧ هـ
- ٢ — جريدة البلاد ١٣٨٨/٧/٨ هـ
- ٣ — جريدة المدينة المنورة رجب ١٣٩٩ هـ
- ٤ — جريدة المدينة المنورة ١٣٩٣/٤/١٧ هـ
- ٥ — مجلة المنهل شهر جمادى الآخرة ١٣٧٦ هـ
- ٦ — مجلة المنهل الحرم وصفر ١٤٠٢ هـ
- ٧ — مجلة الأديب ١٣٩٤ هـ
- ٨ — رسالة فرع الجامعة — كلية التربية — جامعة الملك سعود — فرع أنها — العدد السابع — الأربعاء ١٤٠٢/٣/١٨ هـ

من كتب للمؤلف

- ١ - البناء الفنى للصورة الأدبية في شعر ابن الرومى
الأمانة — القاهرة ١٩٧٦ م
- ٢ - الأدب الاسلامى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى
دار الأنصار — الأمانة ١٩٧٦ م القاهرة
- ٣ - عبقرية ابن الرومى
الأمانة ١٩٧٤ م القاهرة
- ٤ - الصورة الأدبية — تاريخ ونقد
دار الحارثى — السعودية — الطائف ١٤٠١ هـ
- ٥ - البناء الفنى للصورة الشعرية
دار الحارثى — السعودية — الطائف ١٤٠١ هـ
- ٦ - عمود الشعر العربى
دار الحارثى — السعودية — الطائف ١٤٠٢ هـ
- ٧ - من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية
السعودية — الرياض — دار المرجع ١٤٠١ هـ
- ٨ - ابن الرومى بين الأصالة العربية ودعوى الرومية
السعودية — الرياض — دار المرجع ١٤٠٢ هـ
- ٩ - المذاهب الأدبية في شعر الجنوب الحديث
السعودية — جدة — دار ثقافة
- ١٠ - حضارة الاسلام في الشعر العربى الحديث
تحت الطبع
- ١١ - حضارة الاسلام في الشعر السعودى الحديث
تحت الطبع
- ١٢ - أدب عمر بن الخطاب رضى الله عنه
تحت الطبع
- ١٣ - صحيفه بشر بن المعتمر وأثرها في النقد العربى
مطبوعات نادى أباء الأدبى ١٤٠٢ السعودية

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
١٥	تمهيد
الباب الأول	
٢٣	مدرسة المخاطبين
الفصل الأول	
٢٥	التقليد — خصائصه — شعراوه
٢٧	مدرسة التقليد المجرد من الموهبة الشعرية
الفصل الثاني	
٣٥	مدرسة المخاطبين
٣٧	خصائصها الفنية
الفصل الثالث	
٤٣	شعرا آل الحفظى
٤٥	الشعراء
٤٧	خصوصيات شعرهم المخاطب
الباب الثاني	
٦٥	مدرسة التجديد المخاطب

الصفحة	الموضوع
الفصل الأول	
٦٧	الخصائص الفنية
٦٩	أصول الحافظة على عمود الشعر العربي
٧١	دعائم التجديد وخصائصه الفنية
٧٣	شعراء مدرسة المجددين الحافظين
الفصل الثاني	
٧٥	الشاعر محمد بن علي السنوسي
٧٧	نشأة السنوسي وحياته
٨١	الأغراض الأدبية في شعر السنوسي
١٣١	التصوير الأدبي في شعر السنوسي
١٣٢	خصائص الألفاظ والأساليب
١٣٧	التشخص في التصوير الأدبي
١٣٩	الروح الإسلامية في التصوير الأدبي
١٤٢	الصور الخيالية
١٤٧	الوحدة الفنية
١٤٨	صور غير متناسبة
١٥٠	موازنة ونقد
الفصل الثالث	
١٥٩	الشاعر محمد بن أحمد العقيلي
١٦١	نشأة العقيلي وحياته
١٦٣	التصوير الأدبي للأغراض الأدبية
الفصل الرابع	
١٧٥	الشاعر زاهر عواض الأنباري

الموضوع		الصفحة
نشأة الشاعر وحياته	١٧٧
الأغراض الأدبية	١٧٩
التصوير الأدبي	٢١٤
الفصل الخامس		
الشاعر يحيى إبراهيم الألعنى	٢٣٧
نشأة يحيى الألعنى وحياته	٢٣٩
الأغراض الأدبية في شعره	٢٤١
وقفات مع الشاعر	٢٥٧
الفصل السادس		
شعراء آخرون	٢٦٣
الباب الثالث		
مدرسة التحرر في التجديد	٢٧٥
الفصل الأول		
الخصائص الفنية لمدرسة التحرر في التجديد	٢٧٧
الفصل الثاني		
الشاعر أحمد العسيري	٢٨٥
أحمد عسيري — نشأته وحياته	٢٨٧
الأغراض الأدبية وخصائصها الفنية	٢٨٩
التصوير الشعري	٣٠٢
الفصل الثالث		
الشاعر أحمد بهكل	٣١٥

الصفحة	الموضوع
٣١٧	نشأة الشاعر بهكل وحياته
٣١٩	الأغراض الأدبية في شعره
٣٢٦	التصوير الشعري
٣٢٧	الوحدة الفنية في شعره
٣٢٧	التخيّص في التصوير الشعري
٣٤٠	الخيال والصور الأدبية
٣٤٤	الإيقاع الموسيقى
٣٤٧	المصادر والمراجع



إصدارات: تهامة للنشر والمكتبات
سلسلة: الكتاب العربي السعودي

مقدمة:

- الجبل الذي صار سهلًا (نجد)
 - من ذكريات مسافر
 - الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن جعري (قصة مترجمة)
 - عهد الصبا في الباذية (قصة مترجمة)
 - الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن جعري (قصة مترجمة)
 - الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن جعري (قصة مترجمة)
 - قراءة جديدة لسيامة محمد علي باشا (نجد)
 - العطا (مجموعة تصصية)
 - الدوامة (قصة طويلة)
 - غداً أنس (قصة طويلة) (نجد)
 - موضوعات اقتصادية معاصرة
 - أزمة الطاقة إلى أين؟
 - غورنرية إسلامية
 - إلى أبيتي شيرين
 - رفات عقل
 - شرح قصيدة البردة
 - عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نجد)
 - تاريخ عمارة المسجد الحرام (نجد)
 - وفقة
 - خالي كدرجان (مجموعة تصصية) (نجد)
 - أفكار بلا زمن
 - كتاب في علم إدارة الأفراد (الطبعة الثانية)
 - الإيجاري ليل الشجن (ديوان شعر)
 - طه حسين والشيخان
 - التنمية وعها لوجه
 - الخضاورة عبد
 - غير الذكريات (ديوان شعر)
 - حلقة ضيف (قصة طويلة)
 - المرأة عmad الحلق الفاضل
 - ثمرات قلم
 - بائع الشيخ (مجموعة تصصية مترجمة)
 - أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (ترجم)
 - النجم القربي (مجموعة تصصية مترجمة)
 - مكانك تحدي
 - قال وقتل
 - نيسن
 - بيت الأرض
 - السعد وعد (مسرحية)
- الأستاذ أحمد قديل
الأستاذ محمد عمر توفيق
الأستاذ عزيز ضياء
الدكتور محمود محمد سفر
الدكتور سليمان بن محمد النما
الأستاذ عبد الله عبدالرحمن جعري
الدكتور حسام خوقير
الدكتور أمل محمد شطا
الدكتور علي بن طلال الجعفي
الدكتور عبد العزیز حسين المصري
الأستاذ أحمد محمد جمال
الأستاذ حزة شحاته
الأستاذ حزة شحاته
الدكتور محمود حسن زيني
الدكتورة مرمر البخاري
الشيخ حسين عبد الله ياسلامة
الدكتور عبد الله حسين ياسلامة
الأستاذ أحمد السباعي
الأستاذ عبد الله الحصين
الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
الأستاذ محمد الفهد العيسى
الأستاذ محمد عمر توفيق
الدكتور غازي عبدالرحمن القصبي
الدكتور محمود محمد سفر
الأستاذ طاهر زعيري
الأستاذ فؤاد صادق مفتاح
الأستاذ حزة شحاته
الأستاذ محمد حسين زيدان
الأستاذ حزة بوغربي
الأستاذ محمد علي مغربى
الأستاذ عزيز ضياء
الأستاذ أحمد محمد جمال
الأستاذ أحمد السباعي
الأستاذ عبد الله عبد الرحمن جعري
الدكتورة فاتنة أمين شاكر
الدكتور حسام خوقير

- الأستاذ عزيز ضياء
- الدكتور غازي عبدالرحمن القصبي
- الأستاذ أحمد قدبلي
- الأستاذ أحمد الساعي
- الدكتور إبراهيم عباس نتو
- الأستاذ سعد الباردي
- الأستاذ عبدالله يقون
- الأستاذ أحمد قدبلي
- الأستاذ أمين مدتبني
- الأستاذ عبدالله بن خيس
- الشيخ حسين عبدالله بسلامة
- الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
- الدكتور عصام خوفيف
- الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العابسي
- الأستاذ عزيز ضياء
- الشيخ عبدالله عبدالفتى خطاط
- الدكتور غازي عبدالرحمن القصبي
- الأستاذ أحمد الغفور عطار
- الأستاذ محمد علي مغربي
- الأستاذ عبد العزىز الرفاعي
- الأستاذ حسين عبدالله سراج
- الأستاذ محمد حسين زيدان
- الأستاذ حامد حسن مطاوع
- الأستاذ محمود عارف
- الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
- الأستاذ بدر أحمد كرم
- الدكتور محمود محمد سفر
- الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
- الأستاذ طاهر زغشري
- الأستاذ حسين عبدالله سراج
- الأستاذ عمر عبدالجليل
- الشيخ أبوتراب الظاهري
- الشيخ أبوتراب الظاهري
- الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العابسي
- الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- الدكتور زهير أحد الساعي
- الأستاذ أحمد الساعي
- الشيخ حسين عبدالله بسلامة
- الأستاذ عبد العزىز مؤمنة
- الأستاذ حسين عبدالله سراج
- الأستاذ محمد سعيد العامودي
- فصص من سهرست موم (مجموعة تصصية مترجمة)
- عن هذا وذاك (الطبعة الثانية)
- الأصداف (ديوان شعر)
- الأمثال الشعبية في مدن الحجاز (نقد)
- أفكار تربوية
- فلسفة الحائنان
- خذعني بعجاها (مجموعة تصصية)
- نفر المصايف (ديوان شعر)
- التاريخ العربي وبداياته (الطبعة الثالثة)
- إغاثة بين الجماعة والجهاز (الطبعة الثانية)
- تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية)
- خواطر جريرة
- السنورة (قصة طويلة)
- رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر)
- جسور إلى القمة (ترجم)
- تأملات في دروب الحق والباطل
- الحمى (ديوان شعر) (الطبعة الثالثة)
- قضايا ومشكلات لغوية
- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة
- زيد الخير
- الشوق إليك (مسرحية شعرية)
- كلمة ونصف
- شيء من الحصاد
- أصداء قلم
- قضايا سياسية معاصرة
- نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي
- الإعلام موقف
- الجنس الناعم في ظل الإسلام
- أحان مفترض (ديوان شعر) (الطبعة الثالثة)
- غرام ولادة (مسرحية شعرية) (الطبعة الثانية)
- سير وتراث (الطبعة الثالثة)
- المزرون والخرون
- جام الأفلام
- نقاد من الغرب
- حوار.. في الحزن الدافيء
- صحة الأسرة
- ساعيات (الجزء الثاني)
- خلافة أبي بكر الصديق
- البنرول والمستقبل العربي (الطبعة الثانية)
- إليها .. (ديوان شعر)
- من حديث الكتب - ثلاثة أجزاء (الطبعة الثانية)

• أيام

- الأستاذ أحمد الساعي
- الأستاذ عبد الوهاب عبدالواسع
- الدكتور عبد الرحمن بن حسن التفيسي
- الأستاذ محمد علي مغربي
- الدكتور أسامة عبد الرحمن
- الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- الأستاذ سعد البواردي
- الأستاذ عبد الوهاب عبدالواسع
- الأستاذ عبد الله بلخيري
- الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجة
- الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
- الأستاذ عزيز ضياء
- الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
- الدكتور عصام خوافر
- الأستاذ محمد بن أحمد المغيلبي
- الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الطاهري
- الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
- الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
- الدكتور عبدالله حسين باسلامة
- الأستاذ محمد سعيد العامودي
- الدكتور غازي عبد الرحمن القصبي
- الدكتور ياء بن حسين عزي
- التعليم في المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية)
- أحاديث وقضايا إنسانية
- البعث (مجموعة قصصية)
- شمعة ظمآن (ديوان شعر)
- الإسلام في نظر أعلام الغرب (الطبعة الثانية)
- حتى لا تفقد الذاكرة
- مدارسنا والتربية (الطبعة الثالثة)
- وحي الصحراء (الطبعة الثانية)
- طور الأبايل (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)
- قصص من تاغور (ترجمة)
- التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية)
- زوجني وأنا (قصة طوبية)
- معجم اللهجة الأخلية في منطقة جازان
- لن تلحد
- عمر بن أبي ربيعة
- رجالات الحجاز (ترجمات)
- حكاية جبلين
- من أورافي
- في رأيي المتواضع
- العالم إلى أين والعرب إلى أين ؟

تحت الطبع :

- ديوان حسين عرب
- لا رق في القرآن
- من مقالات عبدالله عبدالجبار
- الإسلام في معرك الفكر
- البر والبريد والهاتف وصلتها بالحب
- والأسوق والمواطف
- إليكم شباب الأمة
- وجيز النقد عند العرب
- هكذا علمني ورد زورث
- الطاقة نظرة شاملة
- ماما زبيدة (مجموعة قصصية)
- محمد سعيد عبدالمقصود خوجة (حياته وأثاره)
- التنمية قضية
- قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا
- الأستاذ حسين عرب
- الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
- الأستاذ عبدالله عبدالجبار
- الشيخ سعيد عبد العزيز الجندول
- الأستاذ عبد الرحمن الم忽ر
- الشيخ سعيد عبد العزيز الجندول
- الأستاذ عبدالله عبد الوهاب البشامي
- الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الطاهري
- الدكتور عبد الماحد طاهر
- الأستاذ عزيز ضياء
- الدكتور محمد بن سعد بن حسين
- الدكتور محمد محمد سفر
- الدكتور سليمان بن محمد النعام
- (الطبعة الثانية)
- (الطبعة الثانية)

- | | | |
|---|--|--|
| الدكتور أمل محمد شطا
الشيخ حسين عدالش باسلامة
الأستاذ أحد السباعي
الدكتور محمود محمد سفر
الأستاذ أحد قنديل
الأستاذ أحد السباعي | (الطبعة الثانية)
(الطبعة الثانية)
(الطبعة الثانية)
(الطبعة الثانية)
(الطبعة الثانية)
(الطبعة الثانية) | غداً أنسى (قصة طوبية)
تاريخ عمارة المسجد الحرام
حاتني كدرجان (مجموعة قصصية)
الحضارة تحد
الجيل الذي صار سهلا
الأمثال الشعبية في مدن الحجاز |
|---|--|--|

سلسلة : الكتاب العربي اليمني

تحت الطبع :

- من كوريا الجنوبي إلى صنعاء (ترجمة) الأستاذ محمد أحد الرعدي

سلسلة : الكتاب الجامعي صدر منها :

- | | |
|--|---|
| الدكتور مدني عبدالقادر علافي
الدكتور فؤاد زهران
} الدكتور عدنان جعيم
} الدكتور محمد عيد
} الدكتور محمد جبل منصور
} الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
الدكتور عبد المنعم رسالان
الدكتور أحد رمضان شقبلي
الأستاذ سيد عبدالجبار بكر
الدكتور سعاد ابراهيم صالح
الدكتور محمد ابراهيم أبوالعينين
الأستاذ هاشم عبد الله هاشم
الدكتور محمد جبل منصور
الدكتور مرر اليغدادي
الدكتور لطفي برకات أحد
} الدكتور عبد الرحمن فكري
} الدكتور محمد عبدالهادي كامل
} الدكتور أمين عبدالله سراج
} الدكتور مرر اليغدادي
الدكتور مصطفى زفروق | • الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية
• الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية)
} التوعي المطفولة إلى المراهقة (الطبعة الثالثة)
} الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا
} النفق العربي وصناعة تكربه
} الملاجم الخرافية للدروب الحجيج
} علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية) (الطبعة الثانية)
} مبادئ القانون لرجال الأعمال
} الاتجاهات المذهبية والتوعية للدوريات السعودية
} قراءات في مشكلات الطفولة
} شراء التروبيادور (ترجمة)
} الفكر التربوي في رعاية المهوبيين
} النظرية النسبية
• أمراض الأذن والأذن والحنجرة (باللغة الإنجليزية)
• المدخل في دراسة الأدب |
|--|---|

- الرعاية التربوية للمكفوفين
 - أصوات على نظام الأسرة في الإسلام
 - الوجادات النقدية المملوكية
 - الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والأدب الأوروبي)
 - هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم
 - التجربة الأكاديمية لجامعة البترول والمعادن
 - مبادئ الطرق الإحصائية
 - مبادئ الأحصاء
 - المنظمات الاقتصادية الدولية
- {
- الدكتور لطفي برకات أَحْمَد
 - الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
 - الدكتور سامي عبد الرحمن فهمي
 - الدكتور عبد الوهاب علي المكسي
 - الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
 - الدكتور خضر سعد الخضر
 - الدكتور جلال الصياد
 - الدكتور عبد الحميد محمد ربيع
 - الدكتور جلال الصياد
 - الأستاذ عادل سمرة
 - الدكتور حسين عمر
- }

تحت الطبع:

- الاقتصاد الإداري
 - الاقتصاد الصناعي
 - دراسات في الإعراب
 - التعليم الصفي
 - قراءات في مشكلات الطفولة (الطبعة الثانية)
 - مبادئ القانون لرجال الأعمال (في المملكة العربية السعودية) (الطبعة الثانية)
- {
- الدكتور فرج عزت
 - الدكتور سليم كامل درويش
 - الدكتور عبدالهادي الفضلي
 - الدكتور محمد زياد حداد
 - الدكتور محمد جيل منصور
 - الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين
- }

سلسلة:

رسائل جامعية

صدر منها:

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)
- الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول
- الملك عبدالعزيز ومورث الكرب
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن
- القصة في أدب الجاحظ
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف
- النظرية التربوية الإسلامية
- نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون
- المقصد العلي في زوائد أبي علي الموصلي (تحقيق ودراسة)
- الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية
- الدولة العثمانية وغربى الجزيرة العربية
- دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام
- دراسة انوغرافية لمنطقة الاحساء (باللغة الإنجليزية)
- عادات وتقالييد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية اثنرو بولوجية حديثة)
- افراطات فيليب حق وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي
- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الاحساء بالملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)
- تقويم الفتوح الجسامي والشوه
- العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة
- العقوبات التقويضية وأهدافها في ضوء الكتاب والسنة

تحت الطبع:

- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار
- تطور الكابات والتقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن الثالث عشر
- التصنيع والتحضر في مدينة جدة
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن (الطبعة الثانية)

الدكتور فاروق صالح الخطيب

الدكتور محمد قهـد عبدالله الفعر

الدكتورة عواطف فيصل باري

الأستاذة أميرة علي المداح



صدر منها:

- حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية)
- دراسة نقدية لفكرة زكي مبارك (باللغة الإنجليزية)
- التخلف الإعلامي
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) إعداد إدارة الشريعة
- تالي (من الشر الشعبي) (الطبعة الثانية) (الطبعة الثانية) إعداد إدارة الشريعة
- كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشافعي
- الشيخ عبد بن عبدالله القاري
- الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان
- الدكتور محمد إبراهيم أحدى
- الأستاذ إبراهيم سرسيق
- الدكتور عبد الله محمد الرشيد
- الدكتور زهير أحد الساعي
- الأستاذ محمد متصر الشفاعة
- الأستاذ السيد عبد الرؤوف
- الدكتور محمد أمين ساعي
- الأستاذ أحد محمد طاشكدي
- الدكتور عاطف فخري
- الأستاذ شبيب الأموي
- الأستاذ محمد علي الشيخ
- الأستاذ فؤاد عقاووي
- الأستاذ محمد علي فقس
- الدكتور اسماعيل الملاوي
- الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظفر
- الأستاذ صلاح البكري
- الأستاذ علي عبد برگات
- الدكتور محمد محمد خليل
- الأستاذ صالح إبراهيم
- الأستاذ طاهر زمخشري
- الأستاذ علي الخرجي
- الأستاذ محمد بن أحد العقبلي
- الدكتور صدقة يحيى مستجنب
- الأستاذ فؤاد شاكر
- الأستاذ أحد شريف الرفاعي
- الأستاذ جواد صيداوي
- الدكتور حسن محمد باجودة
- (دراسة وتحقيق) (دراسة وتحقيق)
- النفس الإنسانية في القرآن الكريم
- واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية)
- صحة العائلة في بلد عربي هنطورة (باللغة الإنجليزية)
- مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية)
- النيش في جرح قديم (مجموعة قصصية)
- الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام
- الاستراتيجية النقطية ودول الأربيل
- الدليل الأبيجي في شرح نظام العمل السعودي
- رعب على ضفاف بحيرة حبشه
- العقل لا يكفي (مجموعة قصصية)
- أيام مبعثرة (مجموعة قصصية)
- مواسم الشمس المقابلة (مجموعة قصصية)
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟
- جهاز الكلية الصناعية
- القرآن وبناء الإنسان
- اعترافات أدباتنا في سيرهم الذاتية
- الطبع النفسي معناه وأبعاده
- الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية)
- مجموعة الحضراء (دواوين شهر)
- خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية)
- ديوان السلطانين
- الامكانيات التقوية للعرب وإسرائيل
- رحلة الربع
- وللخروف عيون (مجموعة قصصية)
- البحث عن بداية (مجموعة قصصية)
- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف

- الأستاذة منى غزال (ديوان شعر)
- الأستاذ مصطفى أمين
- الأستاذ عبدالله حد الحقيل
- الأستاذ محمد الجذوب
- الدكتور محمد الحاج قاسم
- الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الأستاذ يوسف ابراهيم السلوم
- الأستاذ علي حافظ
- الأستاذ أبوهشام عبدالله عباس بن صديق
- الأستاذ مصطفى توري عثمان
- الدكتور عبد الوهاب ابراهيم ابوسليمان
- الأستاذ السيد عبد الرؤوف
- الدكتور علي مصطفى صبح

- الأستاذ عزيز ضياء
- { الأستاذ فخری حسين عزی
- الدكتور طلفي برکات أحد
- الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- الدكتور محمد عبدالله علیفی
- الأستاذ عبدالله سالم الفحاطی
- الأستاذ محمد مصطفی حام
- الدكتور حسين مؤنس
- الدكتور حسين مؤنس
- الدكتور حسين مؤنس
- الدكتور عبد العزیز شرف
- الأستاذ على مصطفى عبد اللطيف الحربي
- الدكتور شوقي التجار
- اعداد ثيامة للنشر والمكتبات
- الأستاذ مصطفى أمين
- الأستاذ مصطفى أمين
- الدكتور محمد عبدالله القصبي
- الأستاذ فاروق جويدة
- الدكتور حسن نصيف
- الشيخ أبوتراب الظاهري
- الدكتور عبد النعم خطاجي
- الدكتورة عاتكة المخزرجي
- الدكتور محمد السعيد وهبة
- { الأستاذ عبد العزیز محمد رشد جمجم
- الأستاذ طاهر زعمرشی
- الدكتور جبل حرب محمد حسين
- الأستاذ عمود جلال

- الجنة اسمها زهرة عباد الشمس (ديوان شعر)
- من فكرة لفكرة (الجزء الأول)
- رحلات وذكريات
- ذكريات لا تنسى
- تاريخ طب الأطفال عند العرب
- مشكلات بنات
- دراسة في نظام التخطيط (في المملكة العربية السعودية)
- نفحات من طيبة (ديوان شعر)
- الأسر القرشية .. أعيان مكة الحمیة
- الماء ومسيرة التنمية (في المملكة العربية السعودية)
- الدليل إلى كتابة المحوت الجامعية
- القطار والحلل (مجموعة تقصصية) (الطبعة الثانية)
- المذاهب الأدبية في شعر الجنوب

تحت الطبع :

- عام ١٩٨٤ جلوس أوروبيل (قصة مترجمة)
- قراءات في التربية وعلم النفس

- ملامح وأفكار
- النظرية الأخلاقية عند ابن تيمية
- الكشاف الجامع بخلة المنهل
- من المحيط إلى الخليج (ديوان شعر)
- رحلة الأندلس
- فجر الأندلس
- فريش والإسلام
- الدفاع عن الثقافة
- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث
- مشكلات لغوية
- دليل مكة السياحي
- من فكرة لفكرة (الجزء الثاني)
- مسائل شخصية
- في بيتك طيب
- مجموعة فاروق جويدة (دواوين شعر)
- البسمات
- سرايا الإسلام
- البناء الفني للقصيدة العربية
- نسبة الشريف الرضي: المجازيات وقصائد أخرى
- الزكاة في الميزان

- مجموعة النيل (دواوين شعر)
- المجاز والبن في العصر الأيوبي
- السبئون وسد مأرب

كتاب للأطفال

صدر منها :

ينقلها إلى العربية الأستاذ عزيز ضياء

مجموعة : حكايات للأطفال

- الكؤوس الفضية الائتى عشر
- سعاد لا تعرف الساعة
- سرحانة وعلبة الكبريت
- الحصان الذي فقد ذيله
- الجنيات تخرج من على الهدايا
- توينة الفراولة
- السيارة السحرية
- ضيوف نار الزينة
- كيف يستخدم الملح في صيد الطيور
- الصندوق المجنز والعنكبوت

تحت الطبع

- سوسن وطلها
- الأرنب الطائر
- الهدية التي قدمها سمير
- معظم الناس من مستصرع الشر
- أبوالحسن الصغير الذي كان جائعا
- لبني والفرasha
- الأم ياسمينة والمتص
- ساطور حدان
- وأدوا الأمانات إلى أهلها

لالأستاذ يعقوب محمد اسحاق

مجموعة : لكل حيوان قصة

- القرد • الكلب • السلاحف • الأسد
- الضب • الغراب • الجمل • البغل
- التعلب • الأرنب • الذئب • الفأر
- الخروف • البطة • البيعاء • الحمام
- اليوم • البعير • افدهد • الكثـر
- الخفاش • النعام • فرس البر • اتساح
- الصندوق • الدب • المزقيت

[إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق]

مجموعة : حكايات كليلة ودمنة

- أسد غررت به أونب
- عندما أصبح القرد غيارا
- المكاء التي خدعت السمكـات
- الغراب يرمي التعبان

تحت الطبع

- سمكة ضيعها الكلـل
- لقد صدق الجمل
- قاض يحرق شجرة كاذبة
- الكلمة التي قلت صاحبها

مجموعة : التربية الإسلامية

لأستاذ يعقوب محمد اسحق

- صلاة المسبوق • الصلاة • الله أكبر
- صلاة الجمعة • الاستخاراة • قد قامت الصلاة
- أركان الإسلام • صلاة الحناء • صلاة الحناء
- صلاة الكسوف والأخسوف • الصوم • الصوم
- التيم • الوضوء • الصدقات
- صلاة النهايات • زكاة التقدين • سجدة النلاء
- المسح على الخفين • الزكاة • زكاة بسمة الأئمما
- المسح على الجبيرة والمقصابة • زكاة الفطر • زكاة المروض

قصص متعددة :

- الأستاذ عمار بالغث • الصرصور والثلة
- الأستاذ عمار بالغث • السكك الثالث
- الأستاذ اسماعيل دباب • التخلة الطيبة
- الأستاذ عمار بالغث • الككتوب المشرد
- الأستاذ عمار بالغث • المظهر الخادع
- الأستاذ اسماعيل دباب • بطوط وكتك

كتب الناشئين

صدر منها :

مجموعة بوطني الحبيب

- جدة القدية
- جدة الحديدة

مجموعة حكايات ألف ليلة وليلة

- الأستاذ يعقوب محمد اسحق • السندياد والبحر

- الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الدكتور محمد عبده يهاني { إعداد • الدبلك المفروم والفالح وحارة
- الطافية المجيبة
- الزهرة والفرasha
- سلمان وسلiman
- زهور اليابون
- سبلة الفتح وشجرة الزبون
- نظيمة وغنية
- جزيرة السعادة
- الحديقة المهجورة
- اليد السفلی

- الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي }
- الدكتور سعد اسماعيل شلبي }
- عقبة بن نافع

كتب صدرت باللغة الإنجليزية

Books Published in English by *TIHAMA*

- **Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.**
By: F.M. Zahran / A.M.R. Jamjoom / M.D.EED
- **Zaki Mubarak: ACritical Study.**
By Dr. Mahmud Al Shihabi
- **Summary of Saudi Arabian Third Five Year Development Plan.**
- **Education in Saudi Arabia, A Model With Difference Second Editic**
By: Dr. Abdulla Mohamed A Zaid
- **The Health of the Family in A Changing Arabia. (*Third Edition*)**
By Dr. Zohair A. Sebai
- **Diseases of Ear, Nose and Throat.**
By: Dr. Amin A. Siraj / Dr. Siraj A. Zakzouk
- **Shipping and Development in Saudi Arabia.**
By: Dr. Baha Bin Hussein Azzee
- **Tihama Economic Directory.**
- **Riyadh Citiguide.**
- **Banking and Investment in Saudi Arabia.**
- **A Guide to Hotels in Saudi Arabia.**
- **Who's Who in Saudi Arabia.**
- **An Ethnographic Study of Al-Hasa Region of Eastern Saudi Arabia.**
By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib.
- **The Role Of Groundwater In The Irrigation And Drainage Of The Al- Hasa Of Eastern Saudi Arabia.**
By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib
- **An Analysis Of The Effect Of Capitalizing Exploration And Development Costs In The Petroleum Industry-With Emphasis On Possible Economic Consequences In Saudi Arabia.**
By: Muhiadin R. Tarabzune
- **An Evolving Typology Of Constructs Of Critical Thinking, Curriculum Planning And Decision Making In Teacher Education Programs Based On The Islamic Ideology.
The Case Of Saudi Arabia**
By: Ahmad Issam Al-Safadi



شَهْرُ